

المسيح عيسى ابن مريم



الشيخ علي حسن غلوم

الشيخ
علي حسن غلوم

المسيح
عيسى ابن مريم

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

من مطبوعات

مسجد سيد هاشم بهبهاني - الكويت

alwalaa.com

Email: alwalaa66@yahoo.com

الشيخ
علي حسن غلوم

المسيح
عيسى ابن مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧	تقدمة بقلم الأستاذ عبدالعزيز طاهر الخطيب
٢١	المقدمة بقلم المؤلف
٢٧	١. مدخل
٣٥	٢. اسمه - لقبه - نسبه
٤٢	لقب النبي عيسى
٤٧	نسب المسيح
٥٩	٣. مكانته وصفاته الأخلاقية
٦١	مُعَاذَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
٦٥	الوجهة
٦٧	القرب من الله
٦٨	من الصالحين
٦٨	كلمة الله
٧٠	روح من الله
٧٢	الحكمة
٧٢	عالم بالكتاب والتوراة والإنجيل
٧٤	مبارك
٧٤	بارّ بوالدته
٧٧	التواضع مع الناس وحُسن السلوك
٧٩	مُجَابِ الدَّعْوَةِ

٨٠	تعدد الآيات الخاصة به
٨٠	النبوة والرسالة
٨٢	مؤيد بروح القدس
٨٤	قوة الشخصية
٨٥	ألوهية المسيح
٨٧	العامل الأول
٩٧	العامل الثاني
١٠٨	العامل الثالث

٤. صفاته الخلقية ١١٥

١٢٤	محاولات فنية
-----	--------------------

٥. والدة السيد المسيح ١٤٣

١٥٠	نذر الفرز (التحرير)
١٥٣	الرعاية الإلهية
١٦٢	خيريتها على سائر النساء
١٦٣	حسن خلقتها
١٦٣	زواجها

٦. الحمل به ومولده ١٧٥

١٨٤	تحديد يوم الولادة
١٩٠	تحديد مكان الولادة
٢٠٢	المجوس الثلاثة
٢٠٥	نجمة الولادة
٢٠٨	الولادة في مذود
٢٠٩	قصة الولادة في القرآن
٢٣٤	قصة الحمل والولادة في الروايات

٧. طفولة المسيح ٢٤١
- رواية مختلفة للوقا ٢٤٩
- المسيح في الهيكل ٢٥٣
- رواية مرقس ٢٥٤
- رواية يوحنا ٢٥٥
- طفولة المسيح في إنجيل توما ٢٥٦
٨. أسطورية شخصية المسيح ٢٦٩
- شهادة يوسفوس ٢٧٦
- شهادة التلمود ٢٨٠
- في التراث الوثني ٢٨٣
٩. سيرة السيد المسيح ٢٩١
- كهولة المسيح ٣٢٢
١٠. آيات السيد المسيح ٣٢٥
- الحمل به وولادته من دون أب ٣٣٠
- كلامه وهو في المهد ٣٣٠
- ينفخ في الطين فيصبح الجماد طيراً ٣٣١
- إبراء الأكمه والأبرص ٣٣٣
- أمراض متعددة ٣٤٠
- إحياء الموتى ٣٥٤
- الإنباء ببعض المفاتيح ٣٦٦
- إنزال المائدة بطلب من الحواريين ٣٧٠
- آيات لم ترد في القرآن ٣٨٣
- قلب الماء خمراً ٣٨٦
- إكثار السمك في الماء ٣٩٧
- تهدة العاصفة ٤٠١

- ٤٠٣ إشباع آلاف الناس بطعام قليل
- ٤١٠ السَّير على الماء
- ٤١٣ سمكة الضريبة
- ٤١٤ لَعْن شجرة التِّين
- ٤٢٣ **١١. مواعظ السيد المسيح**
- ٤٢٥ موعظة الجبل
- ٤٣٤ موعظة للحواريين
- ٤٣٥ موعظة أخرى للحواريين
- ٤٣٥ تنبيه وتحذير وموعظة
- ٤٣٩ أمثال المسيح
- ٤٤٩ **١٢. بشارة المسيح بأحمد**
- ٤٦٣ **١٣. قراءة في الأناجيل**
- ٤٨٥ التعريف بأصحاب الأناجيل الأربعة
- ٤٨٨ الملحقات بالأناجيل الأربعة
- ٤٩٠ قانونية الأناجيل الأربعة
- ٤٩٤ إنجيل برنابا
- ٥٠٣ **١٤. صلب المسيح وقيامته**
- ٥٠٦ خيانة يهوذا
- ٥٠٧ الاجتماع حول المائدة
- ٥٠٨ الاجتماع على جبل الزيتون
- ٥٠٩ حزن المسيح
- ٥٠٩ إيقاظ الحواريين للصلاة
- ٥٠٩ الهجوم الغادر
- ٥١٠ المسيح في مواجهة قيافا
- ٥١٢ بطرس ينكر معرفته بالمسيح
- ٥١٣ المسيح في مواجهة بيلاطس

٥١٤	فشل محاولة بيلاطس
٥١٤	السخرية من المسيح
٥١٥	صلب المسيح
٥١٥	حلول الظلام
٥١٦	المسيح يُسلم الروح
٥١٧	تسليم الجثمان ودفنه
٥١٧	إقامة الحراسة على القبر
٥١٨	قيامه المسيح
٥١٨	رشوة الحراس
٥١٩	اللقاء المجدد بالمسيح
٥١٩	رواية مرقس للأحداث
٥٢٠	رواية لوقا للأحداث
٥٢١	عدم تصديق الحواريين
٥٢١	اللقاء بالمسيح
٥٢٢	المسيح يظهر مجدداً
٥٢٣	رواية يوحنا للأحداث
٥٢٤	المسيح يظهر للمجدلية
٥٢٥	اللقاء الأول بالحواريين
٥٢٥	اللقاء الثاني بالحواريين
٥٢٦	اللقاء الثالث بالحواريين
٥٢٧	المسيح يوصي بطرس
٥٢٨	الصلب في روايات الأبوكريفا
٥٢٩	الغنوصية
٥٣٤	صُلب ولكن
٥٣٥	تفسيرات متعددة
٥٤٢	الروايات الإسلامية

٥٥٣	١٥. الحواريون
٥٥٥	سمعان
٥٥٩	أندراوس
٥٦١	يعقوب الكبير
٥٦٢	يوحنا الإنجيلي
٥٦٤	فيلبس
٥٦٤	برثولماؤس
٥٦٦	متى
٥٦٧	توما
٥٦٨	يعقوب بن حلفي
٥٦٨	يهوذا تداوس
٥٦٩	سمعان القانوني
٥٧٠	يهوذا الإسخريوطي
٥٧١	الحواريون في القرآن
٥٧٧	١٦. مصار الكتاب

المقدمة

تقدمة

أ. عبد العزيز طاهر الخطيب

الحمد لله العلي القدير الرحمن الرحيم اللهم صلّ على المصطفى محمد خير الأنام وعلى آله الطيبين الطاهرين، إنّ هذا المصنف يهدف إلى التوسع الأفقي في الثقافة، باعتبارها ضرورة تقتضيها المعاصرة، فقد ولّى زمن الثقافة العمودية، والتي من شأنها الإغراق في موضوع محدد والتخلي عن علوم أخرى، ولهذا الطرح الخاص، شدّ هذا المصنف انتباهي لتجربة عايشتها، ففي عقد الستينيات من القرن الماضي كنت ألتقى علوم القانون بجامعة القاهرة بمدينة القاهرة، التي كانت تشهد في تلك الحقبة تيارات ثقافية عاصفة، منها الأفكار القومية والشيوعية ومذاهب الوجودية والجماعات والحركات الإسلامية، كل فريق منهم يحيط ثقافته بسياج من الادعاء بالتميّز والأفضلية مستهدفين الشباب بشكل خاص، ويبقى الفرد في هذا الخضم مشروع مثقف مشتّت بين الثقافات إلى أن يهتدي إلى مسلكه المناسب، وما جعل هذا الوضع ضاغطاً عليه أكثر، تدخل الدولة والسياسة

في منع أو تقييد تداول الكتاب، إما بقانون أو بقرارات إدارية في محاولة للهيمنة على ثقافة الناس وتوجيهها وفق سياستها.

وشأني شأن أقراني في توسيع الثقافة العامة المتواضعة أصلاً، اقتنيت بعض الكتب والمصنّفات دون تحديد موضوعاتها، من بينها الكتاب المقدّس (الإنجيل) باللغة العربية، ولأول مرة أُطّلِع على كتاب سماوي لأيّ دين عدا القرآن الكريم الذي نشأت على الإيمان بضرورة فهمه، وأشار عليّ أحدهم أن أسأل شيخ دين للاستفسار عن صحة قراءتي للكتاب المقدّس، وكان الردّ مقلّماً، إذ نصّحني الشيخ بأن أصرف نظري عن قراءته، لأنّ ذلك قد يخلّ بعقيدتي، وأن أكتفي بقراءة القرآن الكريم. ورغم توقّفي بعض الشيء إلا أنّي عدت إلى قراءة بعض مقاطع وصفحات منه، كما تبين لي أنّ المقررات الدراسية القانونية في الجامعة تحمل الكثير من المعلومات حول الكتاب المقدّس، وخاصة في تاريخ القانون، كل ذلك أضاف مساحات ثقافية لثقافتي دون أن يتحقق أيّ خلل في العقيدة.

كان مناسباً هنا إعادة قصة التجربة الذاتية لتأكيد أهمية وضرورة تنويع وتوسع الثقافة العامة وعلى وجه الخصوص الثقافة الدينية واستيعاب القيم الروحية، فهي الوسيلة لبيان أهمية وضرورة مثل هذه المصنّفات التي تأخذ ثقافتنا بعيداً عن الانعزال والشعور بالفوقية أو الاستهانة بالثقافات الأخرى دينية أو غير دينية، كما تُقدِّم لنا المعرفة للثقافة الدينية لدى الآخر، والتي تُبنى على قواعد علمية ومرجعية وتاريخية محقّقة، وعلى قيم المقارنة الحرة المحايدة في ضوء معطيات تاريخية وواقع معاش، تحت سماء المسلّمات العقيدية التي تمنع الخلل.

وفي هذا المقام، فإن قراءة بعض أجزاء من الكتاب المقدس كان جزءاً من تنمية الثقافة، كما كانت عصب التآخي وقبول الآخر واحترام الثقافات، فالجميع ينعمون في الحياة على كوكبنا، وهم جميعاً يشكلون استمراره وبناءه، كما أمر الله «جل وعلا» في جميع الأديان.

وهذا المصنّف (المسيح عيسى ابن مريم) كتاب يمكن القول إنه متفرّد في الطرح والمواضيع والأسلوب، ولا شك أن المكتبة العربية تعاني نقصاً في مثل هذه المصنّفات التي تُعدّ مُنتجاً علمياً يُعين الباحث على الإمساك بخيوط المعرفة للاستزادة منها، والتي تحفّز الذهن للتحليل العلمي للانغماس في قضايا الفكر، ومن ذلك ما أورده المؤلّف في الكتاب تحت عنوان آيات المسيح، أن المصطلح القرآني للخوارق التي يأتي بها الأنبياء «عليهم السلام» هو الآية لا المعجزة، وعلى خلاف ذلك الشائع بيننا في استخدام مصطلح (المعجزة)، رغم أن اللفظ القرآني (الآية) فيها مضامين إيمانية وتشريعية وأخلاقية وحكمية تستدعي النظر والتثبت والتوقّف عندها والاستفادة منها، واللفظ آية لا يتعلّق فقط بآيات القرآن الكريم.

إن صناعة مثل هذا المصنّف لا يكون من خَلْق الصدفة، فهو نتاج قراءات متنوّعة ومتواصلة، والذي يشكّل حصاد أعمال التنقيب في بطون الكتب والمراجع العلمية، وتنمّ عن جهد غير عادي، وعلى دأب المؤلّف في بحث ومتابعة كل ما يتاح له، وهذا المصنّف من حيث هو فكرة ونتاج يتوافق مع الثقافة العصرية وتسجّل له النجاح في التوصيل العلمي المناسب للقارئ، وتؤكد قدرته العلمية التي استطاع بها الإشادة بمعتقدده دون افتعال مواقف دفاع أو إشادة أو الدعوة في حيادية متناغمة، تاركاً لمصنّفه تقديم الحقائق

المسنودة علمياً وإيصالها لفهم القارئ وإدراكه الثقافي، وليس يسيراً في لجة الثقافات المتباينة المتعددة والمتزاحمة التمسك بالحيادية في وضع أي دراسة، وقد تجاوز المؤلف ذلك بإعمال البحث الأمين ومراعاة المصادقية سواء في استجلاب البيانات أو تدوينها، ولم تكن فطرته إلا سياجاً لأمانة الكلمة، فجاء هذا المنتج الفكري ليشكل حافزاً لمزيد من البحث.

نحن ملزمون بالإيمان بأنبياء الله ورسالاتهم وما أنزل عليهم، والسيد المسيح «عليه السلام» له وللنصرانية حضور متكرر في القرآن الكريم، يقتضي أن تتسع ثقافتنا لاستيعاب سيرته وحركته الرسالية باعتبارها تجربة رسالية ممتدة حتى الآن. اللهم أجزل الثواب للمؤلف على جهوده واجعل كتابه صدقة جارية.

بقلم

المحامي عبدالعزيز طاهر الخطيب

الكويت - ٦ / يونيو / ٢٠٢٢

المقدمة

بقلم المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

إذا كانت سيرة النبي موسى «عليه السلام» ومخاضات رسالته هي الأكثر ذكراً وتناولاً في القرآن الكريم كتجربة نبوية رسالية قدّمت نموذجاً ودروساً مستفادة للتجربة الإسلامية في الدعوة إلى الله «سبحانه وتعالى» على يد نبينا الأكرم «صلى الله عليه وآله»، فإنّ للنصرانية والسيد المسيح «عليه السلام» حضوراً لافتاً ومتكرّراً في أجواء الحراك الرسالي لتلك التجربة، وكذلك في بعض الإشارات إلى جوانب معينة من سيرة السيد المسيح بما يخدم عناوين محدّدة اعتنى بها القرآن الكريم، من قبيل توحيد الله وبنوّة المسيح وعقيدة الثالوث والفداء وموقف الحواريين من الرسالة وما إلى ذلك، لاسيّما وأنها الرسالة الأقرب عهداً إلى الرسالة المحمدية، وللانتشار الجغرافي الواسع للمسيحيين على عهد رسول الله في الشام والعراق ومصر

وأنحاء من بلاد فارس والأناضول والحبشة والشمال الأفريقي وأوروبا، ثم في اليمن وعموم الجزيرة العربية، بما في ذلك الانتشار في أوساط أعراب نجد والحجاز وتهامة واليمامة وفي الساحل الغربي للخليج العربي نزولاً إلى عُمان، وقد تعرّضت إلى ذلك في كتابي (الفتوحات الإسلامية) و(حروب الردّة).

ومع هذا كله، فإنّ الكثير من جوانب سيرة المسيح «عليه السلام» وما ارتبط بشئون الدعوة إلى رسالته وامتدادها الجغرافي الواسع تبقى مشوّشة وغامضة بالنسبة إلى كثير من المسلمين، ما عدا بعض العناوين والتصورات الأولى التي لا تكوّن ولو صورة إجمالية متكاملة عن شخصية وسيرة نبي ورسول يشكّل أتباعه اليوم قرابة ثلث مجموع سكان الكرة الأرضية.

من هنا، جاءت المحاضرات الرمضانية لهذا العام لتُبَحّر في خضمّ كمّ هائل من المعلومات والشخصيات والأمكنة والأزمنة والتفاصيل، وهو ما استدعى الكثير من التدقيق والبحث المقارن في المصادر المسيحية، لا سيّما بلحاظ الاختلاف القائم بين الطوائف المسيحية -وبشكل حادّ أحياناً- حول بعض المعطيات والتفسيرات، والحاجة إلى (تعريب) وأحياناً (أسلمة) المصطلحات والمفاهيم لتقترب إلى الأذهان وتكون أكثر مقبولة واستيعاباً.

ولعلّ العقدة الأصعب في الموضوع كانت في مقارنة المعطيات التاريخية التقليدية لهذه السيرة مع بعض التفسيرات والتحليلات التاريخية والاجتماعية والدينية الحديثة نسبياً والمعاصرة التي باتت تشكّك في كثير من المسلّمات التقليدية، بدءاً من أصل وجود المسيح ومروراً بنسبهِ وظروف الحمل به وولادته ونبوّته ورسالته وعلاقاته مع الشخصيات المعاصرة له كالنبي يحيى «عليه

السلام» والأجواء الاجتماعية والسياسية والدينية والفلسفية التي واكبت كل ذلك، وتأثيراتها على متبنيّات المسيح ورسائله ونطاق حركته التبشيرية ونتائجها، ومخالفة الصورة النمطية لشخصيته الوديدة والمسالمة، فضلاً عن مقارنة كل ذلك بما جاء في القرآن الكريم، باعتباره -بالنسبة لنا كمسلمين - المرجع الذي عصمه الله «سبحانه وتعالى»، كل ذلك بالإضافة إلى التعارضات الموجودة في نصوص الأنجيل المعترف بها من قبل الكنيسة، والتبريرات غير المقنعة التي قُدمت من قبلها لحلّ تلك التعارضات والإشكالات المتعلقة بها.

وعلى أي حال، جاءت هذه الرحلة التاريخية الممتعة متضمنة لبعض المعالجات الفكرية - حيث استدعى البحث ذلك - بالإضافة إلى المقاربات العقلية التي حاولت من خلالها ترجيح رأي على آخر، أو خبر على خبر، إذ أن قراءة التاريخ بعيداً عن ذلك قد (يورط) الباحث في مقولات تكون أقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة، أو قد توقعه في تناقضات واضحة لا تُبرّر عادةً إلا من خلال تقديس النصّ غير المعصوم أصلاً عن الخطأ والدسّ والتزييف والتحريف والوضع.

وإذا كانت البنية الأساسية لهذا الكتاب هي المحاضرات التي أُلقيت في موسم شهر رمضان لعام ١٤٤٣ هـ في مسجد سيد هاشم بهبهاني في الكويت، إلا أنني أضفت إليها الكثير من العناوين الفرعية والتفاصيل والاستدلالات والشواهد والتوضيحات لإثراء البحث، ولتناسب ذلك مع طبيعة المطالعة في فضاء زمني مفتوح، وظروف متنوعة، مقارنةً بالاستماع إلى محاضرة في وقت محدود وظرف معيّن، كما وحذفت بعضاً ممّا كتبت تجنباً للإطالة أو خوفاً من

تملئ القارئ، أو حرصاً على عدم الخوض في مسائل فرعية وتجزئية قد لا تهتم القارئ المسلم كثيراً، أو قد تُربكه في تشكيل تصوّراته عنها.

ومما ينبغي أن يلتفت إليه القارئ العزيز أن حَسَم بعض المسائل التاريخية المختلف عليها، أو التي جاءت بروايات متضاربة أمرٌ صعب في ما لو لم نملك دليلاً أكيداً يرجح واحدة منها، وذلك من قبيل زواج السيدة مريم من يوسف النجار، وبقائها على قيد الحياة أثناء قيام المسيح بمهامه الرسالية ودورها في ذلك، وكيف شُبّه لليهود والرومان أمر المسيح ضمن مؤامرة الصلب، وإن سعت في بعض الموارد إلى استقراب رأي أو رواية على أخرى من خلال المرجّحات الظرفية أو العقلية أو غير ذلك، كما في الموارد التالية:

١. التمييز بين الكفالتين المشار إليهما في الآيتين ٣٧ و ٤٤ من سورة آل عمران والخاصتين بالسيدة مريم بنت عمران، فواحدة في بداية دخولها مكان العبادة والخدمة، والأخرى عند خروجها من ذلك المكان إذ شارفت سنّ البلوغ.

٢. تحديد طبيعة آية إنزال المائدة وتطبيقها على آية الإطعام الإعجازي لآلاف الوافدين على السيد المسيح «عليه السلام» والمذكورة في الأناجيل، ودور القرآن الكريم في تصحيح هذه القصة الإنجيلية وبيان خلفيتها.

٣. كيفية تعريب الاسم العبري للمسيح، وهو (يشوع / يسوع)، بحيث نجده في القرآن الكريم بلفظ (عيسى)، وهو تركيب شبه معكوس للاسم العبري، وقد طُرحت عدة آراء لتفسير كيفية حدوث هذا التعريب، واستقرت أن عيسى تعريب للاسم باللفظ اليوناني فاللاتيني (إيسو / إيسوس).

٤. عدم التعارض بين الاسم العربي الوارد في القرآن الكريم لوالد السيد مريم، وهو عمران، وبين الاسم الأشهر المأخوذ به من قبل الكنيسة وهو (يواقيم / يواكيم).

لا يفوتني في الختام أن أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ المحامي عبدالعزيز طاهر الخطيب على ما تفضل به من مقدمة معبرة للكتاب، وما ضمّنها من استحسان وتقييم وإضافة بعبارات رشيقة وبيان رصين.

أسأل الله «سبحانه وتعالى» أن يكون هذا الكتاب إضافة مفيدة للمكتبة الإسلامية المهمة بتاريخ الأنبياء والدراسات القرآنية ومقارنة الأديان، والحمد لله أولاً وآخراً.

علي حسن غلوم علي

الكويت - ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢ م

١

مدخل

مدخل

النبي الكريم عيسى ابن مريم «عليهما السلام» آية من آيات الله «عز وجل» كما صرّح بذلك القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^(١).

وهو نبي من أنبياء الله بلحاظ نزول الوحي عليه، ولما لديه من أنباء الغيب عن هذا الطريق: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٢).

وهو رسول من رسل الله بلحاظ بعثته للناس، ومهمّته في تبليغ الرسالة الإلهية، وحمله لها: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٣).

وللمسيح «عليه السلام» مكانة عالية عند الله «سبحانه»، وكان الحمل به وولادته مخالفة في طريقتها عن الطريقة المعهودة بين البشر، إذ حملت به السيدة مريم «عليها السلام» من دون تدخل العنصر الذكري في تحقّق

١. المؤمنون: ٥٠.

٢. مريم: ٣٠.

٣. آل عمران: ٤٩.

المسألة، وبتعبير القرآن الكريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَتَى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١)

وتذكر بعض الروايات التفسيرية للقرآن الكريم أن عيسى «عليه السلام» من بين الرسل من أولي العزم الذين أشارت إليهم الآية التالية: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٢)، ومن بين هذه الروايات:

○ في بحار الأنوار للمجلسي (ت ١١١٠هـ) عن كتاب (المحاسن) لأحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ): (عن عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: قول الله ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ فقال: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وعلى جميع أنبياء الله ورسله....)^(٣).

○ في الكافي للكليني (ت ٣٢٩هـ): (عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن يحيى الخثعمي، عن هشام عن ابن أبي يعفور قال: سمعتُ أبا عبد الله «عليه السلام» يقول: سادة النبيين والمرسلين خمسة وهم أولو العزم من الرسل، وعليهم دارت الرحى، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد «صلى الله عليه وآله» وعلى جميع الأنبياء)^(٤).

وقد يُستدل على ذلك من القرآن أيضاً حيث تمّ ذكر الخمسة من النبيين على حدة ضمن الحديث عن الميثاق المأخوذ من عمومهم، قال «تعالى»: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا

١. آل عمران: ٤٧.

٢. الأحقاف: ٣٥.

٣. المجلسي: بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٠.

٤. المازندراني: شرح أصول الكافي، ج ٥، ص ١١٣.

مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١﴾.

وحين ذكر هؤلاء الخمسة مرة أخرى عند الحديث عن الدين والشريعة الإلهية، قال «تعالى»: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾ (٢).

وحيث لم تذكر الآيتان أنها بصدد بيان أولي العزم من الرسل، لذا من الصعب -قرآنيًا- الجزم بذلك، كما أن ما لدى أهل السنة من أقوال في تحديد أسمائهم ليس من باب الرواية عن النبي «صلى الله عليه وآله»، بل هو خبر عن أبي هريرة مباشرة، والخبر كالتالي: (قال أبو بكر البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا أبو أحمد، حدثنا حمزة الزيات، حدثنا علي بن ثابت، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: خيار ولد آدم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين). وعلق عليه ابن كثير بقوله: (موقوف) أي لا تصريح فيه بأنه مروي عن النبي (وحمزة فيه ضعف) (٣).

وخبر آخر عن ابن عباس كما في: (أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: أولو العزم من الرسل النبي «صلى الله عليه وسلم» ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى) (٤).

١. الأحزاب: ٧.

٢. الشورى: ١٣.

٣. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ١١، ص ٣٣.

٤. السيوطي: الدر المنثور، ج ٦، ص ١٨.

وجاء في الموسوعة العقدية: (وقد اختلفت الأقوال في تعيين أولي العزم من هم. ويمكن تصنيفها إلى قسمين، الأول: قول من جعل التعيين بالصفة لا بالتسمية... والثاني: قول من جعل التعيين بالتسمية، وهي أقوال: ف قيل: هم الثمانية عشر المذكورين في سورة الأنعام الآيات ٨٤ - ٨٦ لقوله «سبحانه» في عقب ذكرهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ «الأنعام: ٩٠». وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط.... وقيل: هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى «عليهم السلام»، وهم المذكورون على النسق في سورتي الأعراف والشعراء. وقيل غير ذلك. ولكن الأشهر المتداول في كتب العلم أنهم خمسة وهم: محمد، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى «عليهم الصلاة والسلام»... والقول بأنهم هم أولو العزم، مروي عن ابن عباس وغيره من السلف الصالح «رضوان الله عليهم»، وعن أبي هريرة....^(١).

ولكنها - كما أشرت من قبل - موقوفة، ومن أقوال أبي هريرة وابن عباس وقتادة وغيرهم، ولذا لا معول عليها دون إسناد إلى النبي «صلى الله عليه وآله» إذ تبقى اجتهادية.

نعم، إن صحّت الروايات عن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» فسيكون المعول عليها، ويكون مضمون الآيتين من سورتي الأحزاب والشورى مؤيداً لذلك.

ويضاف إلى ما سبق، وتفاصيل أخرى سنتوقف عندها لاحقاً حين الحديث

المطلب_الأول:_تعيين_أولي_العزم/1935/aqadia/dorar.net/https://

١. الشورى: ١٣.

اسمه
لقبه
نسبه

اسمه لقبه نسبه

صَرَّحَ القرآن الكريم بأن اسمه (عيسى)، وقد تَكَرَّرَ هذا الاسم في القرآن الكريم ٢٥ مرة في ٢٥ آية، ولم يُذكر باسم آخر: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

عيسى اسم علم أعجمي (غير عربي) ولذا فهو ممنوع من الصرف (لا يُنَوَّن، ولا يُجَرُّ بالكسرة)، وإن منعت الألف المقصورة من ظهور الحركات على آخره. وهو معرَّب من الاسم العبري (يشوع) اختصار الاسم (يَهُوشُع) יהושע، وتلفظ (yeh-ho-shoo'-ah) من مقطعين (يَهُو = يَهْوَه)، وهو عندهم للدلالة على الله، وكلمة (شُع) أي يُخَلِّص^(٢).

واختلف في معنى هذا الاسم العبري المركَّب، فقليل^(٣):

١. آل عمران: ٥٩.

2. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/28_E/E_156.html

٣. رضا: تفسير المنار، ج ٣، ص ٢٥١.

○ هو المخلص

○ يهوه خلاص

○ يهوه يعطي الخلاص (يخلص)

○ يهوه يحفظ، وهو قريب من اسم (محفوظ بالله). ولعلها ترجمة حرفية عن الإنجليزية حيث ترجمت كلمة Save إلى يحفظ، وهي تعني أيضاً ينقذ أو يخلص.

وأضاف العلامة الطباطبائي وآخرون معنى آخر حيث قالوا: (عيسى أصله يشوع... وفي بعض الأخبار تفسيره ببيعش، وهو أنسب من جهة تسمية ابن زكريا ببيحيى) حيث يرى العلامة وجود مشابهة تامة بين هذين النبيين^(١).

وبرأيي أن حسم المعنى يستلزم الرجوع إلى ما جاء في قواميس اللغة العبرية من ترجمة للاسم، حيث أن الكلمة عبرية، وخصوصاً الرجوع إلى القواميس التي تعني بالتطور الحادث للكلمة ومعناها.

جاء على موقع Ancient Hebrew Research Center بقلم Jeff A. Benner^(٢) والقسم العبري من موقع biblehub.com^(٣) ما ترجمته أن

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٣، ص ١٩٤-١٩٥.

2. <https://www.ancient-hebrew.org/names/Joshua.htm>

ألف جيف أ. بينير باحث ومدرس في مجال اللغة العبرية التوراتية. له أكثر من عشرين كتاباً تتعلق بدراسات الأبجدية واللغة وثقافة الكتاب المقدس. علم الآلاف كيف يقرأون الكتاب المقدس بالعبرية بأنفسهم. له عشرون مصنفاً، من بينها: The Ancient Hebrew Lexicon of the Bible المعجم العبري القديم للكتاب المقدس، Ancient Hebrew Language and Alphabet اللغة العبرية القديمة وأبجديتها، Ancient Hebrew Dictionary القاموس العبري القديم.

3. <https://biblehub.com/hebrew/3091.htm>

الاسم العبري (יְהוֹשֻׁעַ) (يَهُوشُوع) مكوّن من قسمين: الأول (יְהוֹ) (يَهُو) وهو اختصار للاسم (יְהוֹه) (يَهُوه).

والثاني الفعل (יָשַׁע) (Y.Sh.Ah) (يَشَع) والتي تعني ليخلص. وبالتالي فإن معنى الاسم (يَهُوشُوع): يهوه يُخلص.

أما كيفية تعريب الاسم (يشوع) وتحوّله إلى (عيسى) فهناك أكثر من رأي في المقام:

١. أن ذلك تم عن طريق تغيير مواقع الحروف بتقدّم العين: (يشوع ⇐ عيشو)، ثم قلب الواو إلى ألف مقصورة (عيشو ⇐ عيشى)، ثم جعل الشين سيناً (عيشى ⇐ عيسى).

٢. أن التسمية قرآنية^(١)، فالاسم (عيسى) -بحسب الأستاذ محمود أبوسعدة- لم يُطلق من قبل عند العرب على المسيح، وأن هذا الإطلاق جاء به القرآن أولاً ولغرض محدد. فقد طرح الباحث سؤالاً مفاده: (نصارى العرب يقولونها «يسوع». فلماذا تحول بها إلى «عيسى»؟) ثم أجاب عليه مطوّلاً، وسأقوم هنا بتقسيم إجابته ضمن نقاط، بغرض التبسيط والاختصار:

أ) القرآن يرفض التعريب حين يسيء التعريب إلى المعنى، أي حين تلتبس صورة الاسم في لفظه المعرب بلفظ عربي يغيّر معناه معنى الاسم الأعجمي في لغة صاحبه، فما بالك بتعريب يفيد الضد من معناه؟... لأن كلمة «يسوع»

١. أبوسعدة: من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن: العلم الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن، ج ٢، ص ٢٦٩-٢٧٠.

تعني في العربية «السَّاعِ الهالك»^(١)، وما كان الله لِيَسْمِيَ المسيح بهذا المعنى المذموم وهو نبي مرسل من عنده، لاسيما وأنه ذكره في معرض البشارة بمولده، وإذا كان عامة الناس في مواليدهم لا يقومون بإطلاق التسمية المذمومة عند البشارة بالمولود، فكيف بالله تجاه نبي من أنبيائه؟

(ب) لا يصح هذا التعريب الببغائي أصلاً، فمعنى «يشوع» في العربية هو العكس الصريح لمعنى (السَّاعِ الهالك). فأبوسعده يشير إلى ما ذكرناه من قبل من أنَّ يشوع تعني الله مخلص وحافظ أو خلاص الله، وهذا عكس معنى هالك وضائع.

(ج) القرآن الكريم حين يعدل عن التعريب فهو يعدل عنه إلى الترجمة. ولكن بالرجوع إلى معنى جذر عيسى (عاس/يعوس/يعيس) فلن نجد توافقاً في المعنى مع يشوع. والنتيجة أنَّ الاسم «عيسى» لم يردَّ في القرآن الكريم كترجمة للاسم «يشوع».

(د) مما سبق يتضح أن القرآن الكريم جاء بالاسم «عيسى» على غير مثال في العربية، مقلوباً لاسم «يسوع» لإفادة عكس معناه: ليس هو السَّاعِ الهالك وإنما هو المخلص الناجي.

وحيث أنَّ أصل المقلوب التام لاسم «يسوع» نطقاً هو «عوسَي»، وهو ليس من أوزان العربية، لذا فقد عدل به القرآن إلى «عيسَى»، اكتفاءً في القلب بدلالة نقل عين «يسوع» من آخر الاسم إلى أوله. وبقيت «عيسَى» أعجمية غير عربية، تماماً كأصلها العبري «يشوع».

١. من ساع يسوع سوعاً، يعني ضاع وهلك.

٣. ولكن برأيي أن الاسم يشوع تغيّر في متداول الناس عموماً في الزمن اللاحق لعيسى «عليه السلام» بدخول اليونانيين على الخط - ثم الرومان - عند احتلالهما لبلاد الشام.

فبالرجوع إلى تطوّر الاسم إلى اللفظ الإنجليزي Jesus سنجد التالي:
 (Ἰησοῦς) = إيسُوس = Iēsoûs اليونانية ⇨ Iēsūs (آيسُس) اللاتينية ⇨ Jesus (الإنجليزية)^(١).

واللفظة (إيسُو / إيسُوس) اليونانية قريبة جداً من عيسى، خاصة مع ملاحظة إضافة اللاحق (س) إلى الأسماء، مثل (لوقا = لوكاس) (متّى = ماتيوس). فأخذ العرب هذا النطق لتصحيف الاسم الأصلي من الرومان ومن قبلهم اليونان، مع قلب الواو إلى ألف مقصورة، وصار هو الاسم المتداول في العربية بدلاً من اللفظة العبرية والآرامية (يشوع/يسوع) المختصرة عن يهوشع.

ويؤكد ذلك ما ذكره (بانر) Benner من أن الاسم العبري (يَهُوشُع) في الترجمة السبعينية^(٢) جاء بالصورة التالية: Ἰησοῦ (إيسو)^(٣)، وأن السبب ليعود إلى أن الأبجدية اليونانية لا تتضمن الحرف Y لذا فقد استعملوا الحرف I ، ولا تتضمن الحرف SH لذا فقد استعملوا الحرف S. وحيث تتضمن الترجمة الصوتية اليونانية لأسماء الذكور - أحياناً - حرف S في نهايتها، لذا

1. Maas, Anthony J. (1913). "Origin of the Name of Jesus Christ". In Herbermann, Charles (ed.). Catholic Encyclopedia. New York: Robert Appleton Company.

٢. وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم التي يرجع تاريخها إلى ٢٠٠٠ عام.

3. <https://www.ancient-hebrew.org/names/Joshua.htm>

فقد تمّت تهجئة الاسم بالصورة التالية: Ἰησοῦς (Iesous). وأضاف أنه قد تم العثور على كلا الشكلين اليونانيين في النسخة اليونانية من العهد الجديد، فجاءت التهجئة في إنجيل لوقا الإصحاح الثالث، الآية ٢٩ Ἰησοῦ = Iesou، وفي رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ٤ / ٨، بتهجئة Ἰησοῦς = Iesous.

• لقب النبي عيسى:

لقب النبي عيسى «عليه السلام» في القرآن الكريم بالمسيح ١١ مرة في ٩ آيات، لوقوع التكرار مرتين في آيتين. ووقع الاختلاف في سبب تسميته بالمسيح، وأغلب الأقوال التالية تعود إلى الدور السلبي للمأوليين الأوائل للقرآن الكريم. وقد قام العلامة الطباطبائي^(١) بعرض الآراء التي أسلفها المتأولون، وأعيد -بدوري- عرضها ضمن النقاط التالية:

١. مسيح = الممسوح، سُمّي به عيسى لأنه كان مسيحاً باليمن والبركة. وفي مجمع البيان للطبرسي أن هذا منقول عن الحسن وقتادة وسعيد^(٢).
٢. مسيح = الممسوح، سمي به عيسى لأنه مُسح بالتطهير من الذنوب.
٣. مسيح = الممسوح، مُسح بدهن زيت بورك فيه، وكان الأنبياء يُمسحون به. وفي مجمع البيان للطبرسي أن هذا منقول عن الجبائي^(٣).
٤. مسيح = الممسوح، لأن جبرائيل «عليه السلام» مَسحه بجناحه حين ولادته ليكون عوذة من الشيطان.

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٣، ص ١٩٣ - ١٩٤.

٢. الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٩٤.

٣. الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٩٤.

٥. مسيح = الماسح، لأنه كان يمسح رؤوس اليتامى.
٦. مسيح = الماسح، كان يمسح عين الأعمى بيده فيُبصر. وفي مجمع البيان للطبرسي أن هذا منقول عن الكلبي^(١).
٧. مسيح = الماسح، لأنه كان لا يمسح ذا عاهة بيده إلا برئ. وهو مروي عن ابن عباس.
٨. مسيح = ملك أو مبارك.

ثم علق على ما سبق فقال: (الذي يمكن أن يُعوَّل عليه أن هذا اللفظ كان واقعاً في ضمن البشارة التي بَشَّرَ بها جبرائيلُ مريمَ «عليهما السلام» على ما يحكيه «تعالى» بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ آل عمران: ٤٥، مُنجياً لهم، كما يلوح ذلك من إنجيل لوقا في بشارة مريم)^(٢).

فالعلامة يستشهد بالنص التالي من الكتاب المقدس والمترجم إلى العربية بألفاظ فيها اختلاف بسيط: (فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلَكُ وَقَالَ: «سَلَامٌ لَّكَ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! الرَّبُّ مَعَكَ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلَامِهِ، وَفَكَّرَتْ: «مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ!» فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: «لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لَأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتَ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنُ الْعَلِيِّ يَدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَهُوذاَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نَهَايَةٌ»)^(٣).

١. الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٩٤.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ٣، ص ١٩٤.

٣. الكتاب المقدس: إنجيل لوقا، ١، ٢٨-٣٣.

ثم أضاف العلامة الطباطبائي فقال: (هذا اللفظ بعينه معرَّب «مشيحا» الواقع في كتب العهدين. والذي يستفاد منها أن بني إسرائيل كان من دأبهم أن المَلِك منهم إذا قام بأمر المَلِك مسحته الكهنة بالدهن المقدس ليُبَارَك له في مُلكه، فكان يسمى مشيحا. فمعناه إما المَلِك وإما المَبَارَك. وقد يظهر من كتبهم أنه «عليه السلام» إنما سُمِّي مشيحا من جهة كون بشارته متضمناً لمُلكه، وأنه سيظهر في بني إسرائيل مَلِكاً عليهم مُنجياً لهم^(١)).

واعتبر العلامة الطباطبائي أن ممَّا يقوِّي هذا القول تعلُّ اليهود في رفضهم لنبوته بأن البشارة التي جاءت من قبل تشتمل على أنه سيملك، بدليل كونه مشيحا، وهذا لم ينطبق على عيسى بن مريم «عليه السلام»، لأنه لم ينل المَلِك أيام دعوته وفي حياته، وأضاف: (ولذلك أيضاً ربّما وجّهته النصارى وتبعه بعض المفسرين من المسلمين بأن المراد بمُلكه المَلِك المعنوي دون الصوري)^(٢).

ثم لم يستبعد العلامة أن كلمة (المسيح = مشيحا) الواردة في البشارة به تتضمن معنى المبارك أيضاً، فإن التدهين عندهم إنما كان للتبريك ويؤيده قوله «تعالى»: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾^(٣).

٩. مسيح = يمسح الأرض، أي يقطعها ويسافر، ومنه مساحة أقسام الأرض^(٤).

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٣، ص ١٩٤.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ٣، ص ١٩٤.

٣. مريم: ٣٠-٣١.

٤. الرازي: التفسير الكبير، ج ٤، ص ٢٠٨.

١٠. مسيح = مُسَح من الأوزار والآثام^(١).

١١. مسيح = ممسوح القدمين^(٢)، لأنه ما كان في قدمه خَمَص Flat Foot.

١٢. مسيح = صديق^(٣).

١٣. وقد اعتبر الطبري في تفسيره أن الكلمة عربية وتعني: (المسوح البدن من الأدناس والآثام). وقال: (وقد زعم بعض الناس أن أصل هذه الكلمة عبرانية أو سريانية مشيحا فُعُربَت، فقليل المسيح، كما عُرِبَ سائر أسماء الأنبياء التي في القرآن مثل إسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى. قال أبو جعفر: وليس ما مثل به من ذلك للمسيح بنظير وذلك أن إسماعيل وإسحاق وما أشبه ذلك، أسماء لا صفات، والمسيح صفة، وغير جائز أن تخاطب العرب وغيرها من أجناس الخلق في صفة شئ إلا بمثل ما يفهم عمّن خاطبها، ولو كان المسيح من غير كلام العرب ولم تكن العرب تعقل معناه ما خوطبت به)^(٤).

وهذا الكلام منه غير دقيق، لأن من الكلمات ما يشترك في اللفظ والمعنى لأن أصل تلك اللغات واحد، أو لاستعارة الكلمة من لغة إلى لغة كما هو معروف ومشهود. وكلمة (مسيح/مشيخ) و(مسيح) تحمل نفس المعنى اللغوي في العبرية والعربية والآرامية، ولكن خصوصية المسح المأخوذة بعين الاعتبار في هذا اللقب نأخذها من التراث العبري، وبحسب (بانر) Benner فإن جذر

١. الرازي: التفسير الكبير، ج ٤، ص ٢٠٨.

٢. الرازي: التفسير الكبير، ج ٤، ص ٢٠٨.

٣. الرازي: التفسير الكبير، ج ٤، ص ٢٠٨.

٤. الطبري: جامع البيان، ج ٦، ص ٤٧.

كلمة משיח = meshiyach هو الفعل mashach الذي يعني (مسح).

وفي الثقافة العبرية القديمة، من المعتاد صبّ الزيت على رأس مَنْ يُمنَح منصباً في السلطة. هذه الممارسة تسمى (الدّهْن/المسح). وتم استخدام الكلمة ٣٩ مرة في (التنخ). وفي حين أن المعنى الأصلي لكلمة مَشِيخ ينطبق على الشخص الممسوح بالزيت بالفعل، فإنه يمكن أن يشير بالتبعية أيضاً إلى أي شخص يشغل منصب سلطة، سواء تمّ مسحه أم لا. ولذا عُرف كوروش، ملك بلاد فارس، في التنخ بأنه مَشِيخ^(١).

وفي كتاب «المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم»: (مسيح في العبرية والآرامية «م ش ي ح» في اليونانية «مسيّا»... تعني الممسوح بالزيت. وتدل على ذلك الذي يحمل هذا اللقب بشكل سام... كان ملوك إسرائيل، شأنهم شأن الملوك الحثيين وعظماء مصر والسوريين التابعين لفرعون، يتلقون كرامتهم الرفيعة في احتفال يُمسحون فيه بالزيت... لهذا سُمّي الملك مسيح أو ممسوح يهوه... أو مسيحه «=مسيح الرب»... وبالنسبة إلى كورش... يتكلم الرب فيقول «مسيحي»... هذه المسحة تخلق علاقة خاصة بين الممسوح والإله كما في النصب العبادية، فيرتدي الممسوح السلطان الإلهي، لهذا يصبح شخصه مصوناً لا يُمسّ... كانوا يمسحون عظيم الكهنة كما يمسحون الملوك.... لهذا سُمّي عظيم الكهنة «الكاهن الممسوح»^(٢).

ولعل الأ صوب في كل ما سبق أن نقول أن الكلمة في العربية تعني الممسوح، وفي

1. <https://www.ancient-hebrew.org/definition/messiah.htm>

٢. الفغالي: المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، ص ١١٩٥.

الاصطلاح العبري تعني المسوح بالزيت كطقس من طقوس المباركة للشخص ليحتل موقعاً مميزاً كالنبوة أو الملك أو الكهانة أو غير ذلك، ولذا فإن مسحه بالزيت يدل على مباركته، أو كونه مباركاً، كما يدل على احتلاله الموقع المتقدم كالمُلك، ليشمل في النهاية بعض المعاني التي مرّت معنا.

• نسب المسيح:

ذُكر اسمه (عيسى) منسوباً لوالدته السيدة مريم في ١٦ مورداً من ٢٥ مورداً في القرآن الكريم. وذكر لقبه (المسيح) منسوباً لوالدته في ٥ موارد من ١١ مورداً لذكر اللقب:

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٣).

حيث يتفرد النبي عيسى «عليه السلام» - في ما نعلم - بأنه الإنسان الوحيد الذي وُلد لأم من دون أب، لذا فإنَّ نسبه يكون من جهة والدته السيدة مريم.

١. المائدة: ١١٢.

٢. المائدة: ١٧.

٣. آل عمران: ٤٥.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد ذكراً لوالدي السيدة مريم، مع تسمية والدها باسم (عمران)، ولا يذكر القرآن عنه أكثر من ذلك: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الْإِسْمُ الْكَبِيرُ﴾ (١).

أما اسمه بحسب بعض المصادر المسيحية فهو: (يواقيم) أو (بوناخير) أو (صادوق) بن يوثام بن لعازر بن اليود بن سليمان بن داود. وقيل أن من أسمائه (هالي) أو (هيلي).

وإذا رجعنا إلى التنخ فسنجد أن نسب النبي سليمان «عليه السلام» كالتالي: سليمان بن داود بن نسي بن عوبيد بن بوعر بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (٢).

وقد شن البعض هجوماً على القرآن الكريم حيث أطلق على الأب اسم (عمران) معتبرين وقوع خلط بين مريم أخت موسى وهارون، ومريم والدة المسيح، على اعتبار أن اسم الأب (يواقيم/يواكيم) أو (هالي/هيلي).

يأتي هذا في الوقت الذي لا يملك فيه المستشكلون دليلاً أكيداً على اسم والد السيدة مريم، بل مرّ وجدناهم قد اختلفوا في تحديد اسمه فيما بينهم.

نعم، ذكرت الموسوعة الكاثوليكية الصادرة باللغة الإنجليزية أن التعارض في تحديد اسمه تعارضٌ ظاهري، وذلك بين ما جاء في إنجيل (لوقا) بأن

١. التحريم: ١٢.

٢. الكتاب المقدس: سفر راعوث ٤، وسفر التكوين ٤٦.

اسمه (هالي/هيلي)^(١) وبين ما جاء في أناجيل أخرى قديمة غير معترف بها من قبل الكنيسة، كإنجيل يعقوب الذي يعود إلى نهاية القرن الميلادي الثاني والذي اعتبر أن اسمه يواكيم.

ثم حاولت الموسوعة الكاثوليكية أن تعالج هذه الإشكالية الظاهرية من خلال القول بأن الاسم (هيلي) هو في الواقع مختصر للاسم (إلياكيم) المكوّن من (إيلي / إلوهميم) و (كيم)، ومن المعلوم أن (إيلي / إلوهميم) بديل عن (يهوه)، وكلها تشير إلى الرب^(٢). وفي محاولتهم هذه نظر.

أما حلمي القمص يعقوب في كتابه: (النقد الكتابي: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها - العهد الجديد من الكتاب المقدس) فقد عالج الإشكالية بقوله: (اسم «يواقيم» في العبرية هو نفسه اسم «هالي» في اليونانية)^(٣).

من جهتي، أرى أن لا تعارض بين الاسم (يواقيم/يواكيم) وبين (عمران)، وذلك وفق التقريب التالي:

أصل الاسم (يواقيم / يواكيم) في اللغة العبرية (يهوياقيم) יהוֹיָכִים وتُرجم إلى اللغة الإنجليزية كالتالي: He whom Yahweh has set up، أي الذي

١. هذا الإنجيل لا يصحح بأن هالي هو والد السيدة مريم بل هكذا استنتجوا من النص. فالذكر في إنجيل لوقا أن يوسف الذي يدعون كونه خطيباً للسيدة مريم هو ابن هالي: (وَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنُ يَوْسُفَ، بِنِ هَالِي) الكتاب المقدس: العهد الجديد: إنجيل لوقا، ٣، ٢٣. ولكن سنسايهم في المدعى.

2. <https://www.newadvent.org/cathen/15464b.htm>

3. <https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/new-testament/159.html>

أقامه (يَهُوه = الله)، أو بمعنى الذي رفعه الله، كما فسّرت بعض النصوص الكنسية. وهذا المعنى متضمّن جزئياً في كلمة عمران وفق التقريب التالي:

أقام - أسّس - شيّد - عمّر ... المعنى متقارب. بل حتى لو اعتمدنا معنى (رفع) فإنه سيدلّ على العمارة أيضاً، ولنلاحظ قوله «تعالى»: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١) إذاً، المعنى متقارب. وعمران تعريب لاسم (يوآقيم).

ولتأكيد ذلك نقرأ النص الكنسي التالي المذكور على موقع (بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأورثوذكس): (اسم يُوَيَاقِيم عبري يتألف من جزئين: «يهوه» أي الكائن «الله» وفعل «قم»، ليصبح «الله أقام» أو أنهض أو أسّس، كما يُستعمل في العمران مثل أقام عمراناً، أو أقام خيمته، أي نصب خيمته)^(٢).

أمّا والدتها، فلا ذكر لاسمها في القرآن الكريم، وقُدِّمت بعنوان (امراة عمران): ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

اسمها بحسب بعض المصادر المسيحية (حنة) وهو اسم عبري ومعناه الحنان والرفاة والنعمة. واسم أمها (مريم) من سبط يهوذا (ابن النبي يعقوب). واسم أبيها ماثان بن لاوي بن ملكي من نسل النبي هارون.

١. البقرة: ١٢٧.

2. <https://www.antiochpatriarchate.org/ar/page/the-holy-righteous-ancestors-of-god-joachim-and-anna/745/>

٣. آل عمران: ٣٥.

وهنا تتبادر إلى الأذهان الآية التالية: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾^(١).

١. فمن المحتمل أن سبب ذكر القرآن الكريم أن اليهود عبّروا عن السيدة مريم بأخت هارون، لأنها من نسبه من جهة الأم، كما يُقال لرجل من قبيلة تميم (أخوتميم) أو من مُضَر (أخو مُضَر)، فالتعبير لغوي استعاري.

٢. أو لاحتمال أن اسمها مريم بنت عمران، وللنبي هارون أخت اسمها مريم بنت عمران، لذا أشبه اسمها اسم مريم أخت هارون، فقليل لها (يا أخت هارون).

٣. أو لأنها تربّت في وسط الكهنة، وهم من ذرية هارون، فصاروا ينظرون إليها على أنها واحدة منهم. وفي ذلك كتب الأستاذ عبد المتعال الصعيدي تحت عنوان (مريم أم عيسى «عليه السلام» أخوتها لهارون، بنوتها لعمران): (وحملتها إلى بيت المقدس ووضعتها عند أحباره من أبناء هارون «عليه السلام»، وكانت كهانة بني إسرائيل لهم متوارثة فيهم، فكانوا يلون من بيت المقدس ما تلي الحجة من الكعبة.... تربّت في بيت من بيوت هارون وهم من سبط لاوي، فاتّصلت نسبُها بهذا البيت وانقطعت نسبُها إلى سبط يهوذا قوم أبيها الذي مات قبل أن تولد، ويظهر أن أمها ماتت وهي في سن الرضاع فشبت لا تعرف لها أباً غير زكريا ولا أمّاً غير زوجه أليصابات. ... عاشت بين الأحبار أبناء هارون كأنها واحدة منهم تشاركهم في وظيفتهم الدينية وتقضي وقتها في عبادة ربها ولا ينظر قومها إليها إلا أنها راهبة من راهبات بيتهم يقيسون بذلك أعمالها ويزنون به ما تفعله منها ويخاطبونها كما يخاطبون واحداً من

أولئك الأخبار، فإذا قالوا له: يا أخا هارون؛ لأنه واحد من أبنائه قالوا لها: يا أخت هارون؛ لأنها أصبحت واحدة منهم، وهذا كما يقال في العرب للتميمي مثلاً: يا أخ تميم وللتميمية يا أخت تميم، فإذا جاور شخص تميمًا وطال عيشه بينهم قيل له أيضاً يا أخا تميم بحكم الجوار، وقيل لزوج أو غيرها من نساءه يا أخت تميم مثله، وكان اليهود يوزعون أنفسهم على أسباطهم كما كان العرب يوزعون أنفسهم على قبائلهم... وقد آثروا خطابها بذلك على غيره ولم يقولوا لها: يا مريم أو نحو ذلك؛ ليشيروا بذلك إلى أن ما أتت به لا يليق بمترهبة مثلها قضت حياتها بين الأخبار حتى صارت كواحد منهم وعُدَّت أختاً لهم، فقولهم يا أخت هارون في قوة قولهم يا أخت الأخبار سواء بسواء... فالمراد بهارون في الآية هارون أخو موسى قطعاً، وقد قال كعب الأخبار لعائشة «رضي الله عنها»: إن هارون فيها ليس أخا موسى. فقالت له: كذبت، فقال لها: يا أم المؤمنين إن كان النبي «صلى الله عليه وآله» قاله فهو أعلم وأخبر، وإلا فإني أجد بينهما ستمائة سنة. فسكتت. والحق مع عائشة (١).

وتذكر بعض المصادر المسيحية أنه: (كانت) حنة (عاقراً، كانت تتوسل إلى الله أن ينزع عنها هذا العار، فرزقها ابنةً بركةً لها ولكل البشر، هي العذراء مريم أم مخلص العالم) (٢).

لا نجد في القرآن تصريحاً بكونها عاقراً، ولكن يمكن أن نحتمل ذلك بالدلالة غير المباشرة من خلال قوله «تعالى»: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ

١. مجلة المنار: المجلد ٢٢، ج ١٠، ص ٧٦٠.

2. https://st-takla.org/Saints/Coptic-Orthodox-Saints-Biography/Coptic-Saints-Story_869.html

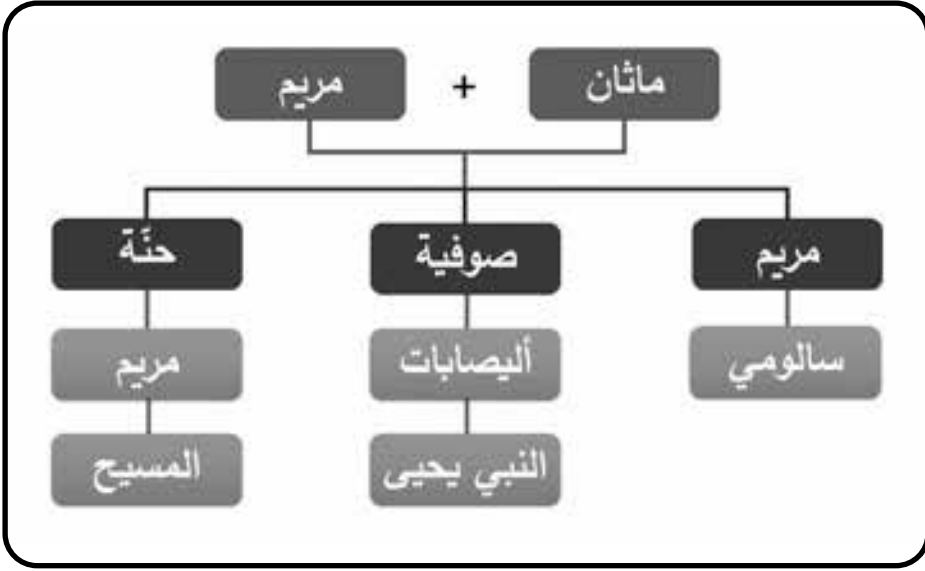
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ^(١)، حيث أن مضمون كلامها يدل على أنها كانت تتطلع بشكل كبير إلى هذا الحمل، مما يضع أمامنا عدة احتمالات، واحدة منها أنها كانت عاقراً، والاحتمال الآخر أنها رُزقت بأبناء ثم توفوا أو أجهضت حملاً سابقاً أو غير ذلك.

أما ابنة أختها بحسب المصادر المسيحية واسمها (أليصابات) وهي والددة النبي يحيى بن زكريا «عليه السلام»، فإن القرآن الكريم يصرح بكونها عاقراً، حيث قال في أجواء الإعجاب الأبوي والنبوي لزكريا «عليه السلام» بالسيدة مريم «عليه السلام» حين صارت في كفالته، ووجد الرعاية الإلهية قد أحاطت بها: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ^(٢) .

ويؤكد القرآن من جديد على هذا الأمر إذ يقول «تعالى»: ﴿ذَكَرْ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا، يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا، قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ

١. آل عمران: ٣٦.

٢. آل عمران: ٣٨-٤٠.



وَكَاثِتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئًا^(١).

في التراث اليهودي، جاءت البشارة بكون المسيح (وليس خصوص عيسى ابن مريم) من نسل داود «عليه السلام»، وصارت جزء من الآمال اليهودية المعقودة للخلاص من الأوضاع الصعبة التي كانوا يعيشونها أحياناً، أو الاضطهاد الذي كان يلحق بهم من حين إلى آخر، وتحوّلت إلى دعاء يومي شبيه بدعاء الفرج بظهور المهدي «عليه السلام». جاء على موقع بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس: (كان اليهود يؤمنون بأن المسيح سيولد من نسل داود بحسب نبوءات الأنبياء في العهد القديم.... كان اليهود

يصلون يومياً في صلواتهم الثابتة أن يجدد الله ملكوت بيت داود على وجه السرعة بإقامة عرشه في أورشليم القدس المبنية من جديد، وأن يرفع سليله المسيح بن داود ويمكّنه من أن يزدهر، لأن قدوم المسيح يجلب السلام^(١).

ومن بين هذه النصوص ما جاء في سفر إرميا ٢٣: (هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بَرٍّ، فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ، وَيَجْرِي حَقًّا وَعَدْلًا فِي الْأَرْضِ. فِي أَيَّامِهِ يُخَلِّصُ يَهُوذَا، وَيَسْكُنُ إِسْرَائِيلُ أَمْنًا، وَهَذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ: الرَّبُّ بَرُّنَا)^(٢).

وهذا ما أكدته بعض نصوص الأناجيل حيث عكست الانتظار اليهودي للمسيح من نسل داود: (فَبِهَتْ كُلُّ الْجُمُوعِ وَقَالُوا: أَلَعَلَّ هَذَا هُوَ ابْنُ دَاوُدَ؟)^(٣). إلا أن الغريب أن إنجيل متى في بدايته حين ذكر نسب عيسى «عليه السلام» فإنه أوصله إلى داود «عليه السلام» ولكن من خلال من يدعى أنه كان خطيباً لها ثم زوجاً، وهو يوسف بن يعقوب (النجار)، على الرغم من أن نفس النص يشير إلى أنه عيسى ابن مريم وليس ابناً ليوسف: (كَتَابَ مِيلَادَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ: إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ... وَيَسَى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ.... وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَوْسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدَ مِنْهَا يَسُوعَ الَّذِي يَدْعَى الْمَسِيحَ. فَجَمِيعُ الْأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبِّي بَابِلَ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ سَبِّي بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ جِيلًا. أَمَّا

1. <https://www.antiochpatriarchate.org/ar/page/668/>

٢. الكتاب المقدس: سفر إرميا، ٢٣، ٥-٦.

٣. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، ١٢، ٢٣.

وَلَاذُهُ يَسُوعَ الْمَسِيحَ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمَعَا، وَجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَيُوسُفُ رَجُلَهَا إِذْ كَانَ بَارًّا، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا. وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ، إِذَا مَلَاكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لِأَنَّ الَّذِي حُبَلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لِأَنَّهُ يَخْلُصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَنْتَمَ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعَوْنَ اسْمَهُ عَمَّا نُوثِيلُ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللَّهُ مَعَنَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ، وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ. وَلَمْ يَعْرِفْهَا (أَي لَمْ يَقَارِبْهَا مَقَارِبَةَ الْأَزْوَاجِ) حَتَّى وَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ^(١).

وأحدث هذا ربكة لدى رجال الدين المسيحيين وأولّوه بطرق مختلفة، من بينها ما جاء على موقع بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأوثوذوكس: (يؤكد الملاك جبرائيل للعذراء مريم: «وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ»، نسبي يسوع الذين تم ذكرهما في متى ١: ١-١٧ وفي لوقا ٣: ٢٣-٣٨. أول هذين النسبين يشير إلى نسبه من يوسف المفترض بأن يكون هو والد يسوع، وهذا يظهر أنه انحدر مباشرة من النسل الملكي للملك داود. وأيضاً من جهة أمّه، مريم العذراء، فتسبها الذي ذكر في لوقا ٣: ٢٣-٣٨ يُظهر أنها كانت ذات نسباً مباشراً لداود. إذاً هو ابن داود من ناحية النسب والشرع)^(٢).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، ١، ١-٢٥.

2. <https://www.antiochpatriarchate.org/ar/page/668/>

ونجد في موقع آخر التمييز بين الأب الحقيقي والأب وفق القانون: (يُقدّم متى الإصحاح الأول الدليل لنسب يسوع في بشريته لداود عن طريق يوسف «أبيه القانوني»)^(١). ولكن هذا لا يعني أنه بذلك ينتسب حقيقةً إلى داود، فكيف تُضاف سلسلة نسب يوسف إلى المسيح؟ وكيف يكون بذلك من نسله؟

أما إنجيل لوقا فينسبه إلى داود «عليه السلام» من جهة الأم وذلك في النص التالي: (وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنُ يَوْسُفَ، بَنٍ هَالِي) وهالي كما ذكرنا من قبل هو والد السيدة مريم بحسب بعض التفسيرات الكنسية (بَنٍ مَتَّاتٍ، بَنٍ لَأَوِي، بَنٍ مَلَكِي، بَنٍ يَنَّا، بَنٍ يَوْسُفَ، بَنٍ مَتَّاثِيَا، بَنٍ عَامُوصَ، بَنٍ نَاحُومَ، بَنٍ حَسَلِي، بَنٍ نَجَّاي، بَنٍ مَآثَ، بَنٍ مَتَّاثِيَا، بَنٍ شَمْعِي، بَنٍ يَوْسُفَ، بَنٍ يَهُوذَا، بَنٍ يُوَحَنَّا، بَنٍ رِيسَا، بَنٍ زَرْبَابَل، بَنٍ شَالْتَيْئِيلَ، بَنٍ نِيرِي، بَنٍ مَلَكِي، بَنٍ أَدِّي، بَنٍ قُصَمَ، بَنٍ أَلُودَامَ، بَنٍ عِيرَ، بَنٍ يَوْسِي، بَنٍ أَلِيعَازَرَ، بَنٍ يورِيمَ، بَنٍ مَتَّاتٍ، بَنٍ لَأَوِي، بَنٍ شَمْعُونَ، بَنٍ يَهُوذَا، بَنٍ يَوْسُفَ، بَنٍ يُونَانَ، بَنٍ أَلِيَاقِيمَ، بَنٍ مَلِيَا، بَنٍ مَيَّانَ، بَنٍ مَتَّاثَا، بَنٍ نَاثَانَ، بَنٍ دَاوُدَ، بَنٍ يَسَّى، بَنٍ عُوْبِيدَ، بَنٍ بُوَعَزَ، بَنٍ سَلْمُونَ، بَنٍ نَحْشُونَ، بَنٍ عَمِينَادَابَ، بَنٍ أَرَامَ، بَنٍ حَصْرُونَ، بَنٍ فَارِصَ، بَنٍ يَهُوذَا، بَنٍ يَعْقُوبَ، بَنٍ إِسْحَاقَ، بَنٍ إِبْرَاهِيمَ)^(٢).

ولكن فلنلاحظ أن الانتساب إلى داود «عليه السلام» هنا مختلف عن السلسلة الخاصة بيوسف، بما يؤكد أن المراد نسبه من جهة والدته، وهذا ما تؤكدُه النصوص التفسيرية المسيحية أيضاً.

1. <https://www.gotquestions.org/Arabic/Arabic-Jesus-Son-David.html>

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، ٣، ٢٢-٣٤.

ولكن تبقى مشكلة أخرى في سلسلتي النسب، فالأولى حين تصل إلى (زربابل بن شالتئييل) جد يوسف، فإنها تنتهي إلى سليمان بن داود، بينما في سلسلة نسب السيدة مريم تنتهي إلى ناثان بن داود!

من جديد ظهرت تفاسير مسيحية لهذا من قبيل أن الاسم المذكور قبل شلتئييل (نيري) في نسب مريم هو اسم والده غير الحقيقي (والد زوجة شلتئييل)، بينما المذكور قبله في نسب يوسف، أي (يكنيا)، فهو الوالد الحقيقي. يقول الدكتور غالي على موقعه: (ونجد بعد هذا أن زربابل بن شالتئييل هو من نسل سليمان من خلال يكنيا أبيه الحقيقي وهو من نسل ناثان من النسب إلى نيري... أما اسم شالتئييل هو نسب إلى نيري لأنه تزوج ابنة نيري ونسب له... فمتى الإنجيلي ذكر أب شالتئييل الحقيقي وهو يكنيا، ولوقا ذكر والده الشرعي بالمصاهرة وهو نيري)^(١).

ولكن، ألا يُحتمل - بعيداً عن كل هذه التأويلات - أن بعض رواة الأناجيل أو نسّاخه أو مترجميه قد وقعوا في الخطأ، مما أدخل الكنيسة في كل هذه الربكة التفسيرية في محاولة منها لرفع التعارض الواضح بين النصوص، خاصة وأن الكنيسة لا تمانع في وقوع شيء من الخطأ أو السهو أو التأثير المعلوماتي لذلك الزمان على النص، بلحاظ أن الأناجيل الأربعة هي (مرويات تاريخية) لأصحابها، متى ولوقا ومرقس ويوحنا، وليست كتاباً سماوياً نازلاً من عند الله «سبحانه وتعالى» على المسيح «عليه السلام» كما يعتقد المسلمون، وهو ما سنتعرّض لبياناه عند الحديث عن الأناجيل ضمن هذا الكتاب بإذن الله.

1. <https://www.drghaly.com/articles/display/10420>

مكانته وصفاته الأخلاقية

مكانته وصفاته الأخلاقية

تحدّث القرآن الكريم عن مكانة المسيح ومقاماته وصفاته الأخلاقية، ونستعرض ما جاء بهذا الصدد من خلال النقاط التالية مع بعض التعليق:

• مُعَاذُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ:

قال «تعالى»: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١).

ويبدو أن يداً من أيادي (المتأولين والمفسرين بالرأي) وجدت في ما جاء في الآية السابقة فرصة لدس رواية على لسان أبي هريرة.. ومن ثمّ النبي «صلى الله عليه وآله».. وفيها بزعمهم (فضيلة ظاهرة لنبيّ الله عيسى عليه السلام) وأُمّه مَرْيَمَ «رضي الله عنها» وتتضمّن تأويلاً للإعازة وأثراً خاصاً لها يحرف الآية عن دلالتها.

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وسلم» يقول: ما من بني آدم مَوْلُودٌ إِلَّا يَمْسُهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرِيَمَ وَابْنَهَا. ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾) (١).

وردت هذه الرواية بألفاظ متقاربة، وفي بعضها إضافة من قبيل ما جاء في رواية أخرى للبخاري: (.... غير عيسى ابن مريم، ذهب يَطْعُنُ، فطَعَنَ في الحجاب) (٢). قيل: (المقصود بالحجاب: الجلدة التي فيها الجنين، وتسمى المشيمة. وقيل: هو الثوب الذي يُلَفُّ فيه المولود. وذلك ببركة دعاء أم مريم). وحيث أن هذا يتعارض والمعطيات العلمية حول سبب بكاء المولود عند خروجه من رحم أمه قيل (٣):

١. (لا يُعارضُ تفسيرُ بكاءِ الطِّفْلِ بِمَسِّ الشَّيْطَانِ أَوْ طَعْنِهِ، بِمَا يُذَكَّرُ مِنْ بَعْضِ الْأَسْبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ، كَتَأَثُّرِ الْوَلِيدِ بِدُخُولِ الْهَوَاءِ إِلَى رِئَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْبُكَاءَ قَدْ يَكُونُ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ سَبَبٍ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَإِنَّمَا يَهْتَمُّ الرَّسُولُ «صلى الله عليه وآله» ببيان ما هو أهم).

٢. (هذا الخبر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر من أمور الغيب، ولا مدخل للعقل في إدراكه أو الوقوف على كنهه، وحظ المؤمن فيه التصديق والتسليم).

١. صحيح البخاري، ح ٣٤٢١.

٢. صحيح البخاري، ح ٣٢٨٦.

وتعليقي على ما سبق أن الإشكالية ليست محصورة في هذا الجانب من الرواية، بل في استثناء المسيح وأمه فقط من هذا التأثير الشيطاني، وشمولية ذلك بالتالي لنبينا «صلى الله عليه وآله» وللخليل إبراهيم «عليه السلام»، بما يشكل فضيلة يمتاز بها عيسى «عليه السلام» تكويناً عليهما وعلى سائر الأنبياء «عليهم السلام» أيضاً.

وقد علّق محمود أبو رية على رواية أبي هريرة السابقة رافضاً مضمونها ومعتبراً إيها من المسيحيات الدخيلة، قائلاً: (وبذلك لم يسلم من طعن الشيطان أحد غيرهما من بني آدم أجمعين، حتى الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم، وخاتمهم محمد صلوات الله عليه وعلى جميع النبيين، فانظر واعجب)^(١).

وذكر في هامش الكلام السابق أن هذه الرواية صارت مطعناً على الإسلام والنبي «صلى الله عليه وآله» من قبل بعض المسيحيين، حيث تتضمن الرواية دلالة على: (أن البشر جميعاً قد سقطوا في الخطيئة واقتراف الآثام إلا عيسى ابن مريم الذي ارتفع عن طبقة البشر. والأخرى نزول عيسى ابن مريم من السماء إلى الأرض ليحكم بين الناس ويجازيهم).

ثم استشهد على صحة مدّعاة بما جاء في كتاب (المسيحية في الإسلام) للقمص إبراهيم لوقا، وفيه:

١. ارتفاع مقام عيسى عن طبقة البشر، فهو وحده قد استحق العصمة والصون من الآثام.

١. أبو رية: أضواء على السنة المحمدية، ص ١٨٥ - ١٨٦.

٢. الجمع بين آيتي: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(١) وآية ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ يعني أن الله قد حفظ العذراء والمسيح من غواية الرجيم.

٣. الاستشهاد مع الآيتين برواية أبي هريرة السابقة قائلاً: (ثم لنقرأ - بعد هذا- الحديث الذي تضمّن هاتين الحقيقتين معاً، سقوط البشر أجمعهم، وعصمة المسيح دون سواه، وهو كما أورده البخاري: «كل ابن آدم يطعنه الشيطان في جنبه بإصبعيه حين يولد، غير عيسى بن مريم، ذهب يطعنه فطعن في الحجاب». فأقرار الإسلام بأن البشر جميعاً قد زاغوا وفسدوا، وأنهم مجرّدون عن العصمة، معرّضون لاقتراف الخطايا والآثام، بجانب إقراره للمسيح وحده بالعصمة، وأنه مصون عن مس الشيطان، يرفع المسيح عن طبقة البشر وبالتالي يقرّ بلاهوته الممجد)^(٢).

ثم علّق أبو رية على ما سبق قائلاً: (وهكذا يثبت راويتنا) أي أبوهريرة (المكثّر من الأحاديث بين الناس ما يكون مشكلاتٍ في ديننا وحججاً لتأييد عقائد غيرنا)^(٣).

وتردّد جار الله الزمخشري (من المعتزلة) في قبول هذه الرواية وناقش فيها قائلاً: (وما يُروى من الحديث) وذكره (فالله أعلم بصحته، فإنّ صحّ فمعناه: أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين،

١. مريم: ٧١.

٢. لوقا: المسيحية في الإسلام، ص ١٢٧.

٣. أبورية: أضواء على السنة المحمدية، ص ١٨٦.

وكذلك كل من كان في صفتيهما كقوله «تعالى»: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾^(١)، واستهلاله صارخاً من مَسَّه تخيل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه... وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلًا، ولو سُلِّط إبليس على الناس ينخسهم لامتلات الدنيا صراخاً وعياطاً مما يبلونا به من نخسه^(٢).

وقد أصابت الفكرة الإجمالية لهذه الرواية بعض كتب الشيعة بدائها ولكن مع تغيير يجعل مضمونها أقبح دلالة بكثير، ففي تفسير العياشي، والرواي مجهول، والسند مرسل: (عن أبي ميثم بن أبي يحيى، عن جعفر بن محمد «عليه السلام» قال: ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالة بحضرته، فإن علم الله أنه من شيعتنا حجه من ذلك الشيطان، وإن لم يكن من شيعتنا^(٣)..... فعند ذلك يبكي الصبي بكاءً شديداً إذا هو خرج من بطن أمه، والله بعد ذلك يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)^(٤) أي قد يغير الشخص ولائه إذا كبر، فيوالي أو يعادي، وأن لا أثر لهذا الحدث في مستقبله.

• الوجهة:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

١. ص: ٨٢-٨٣.

٢. الزمخشري: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ج ١، ص ٤٢٦.

٣. أثرت إلغاء العبارة لشدة قبحها، وهي تشير إلى نوع من التأثير الشيطاني على جسد المولود بما يدفعه إلى البكاء تألماً أو انتهاكاً لحرمة!

٤. المجلسي: بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٢١.

مَرِيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١﴾.

في لسان العرب: (رجل مُوجَّهٌ وَوَجِيهٌ: ذو جاه... وقد وَجَّهَ الرجلُ، بالضم: صار وَجِيهًا أي ذا جاهٍ وَقَدَّرَ) (٢). وَخَصَّصَ البعض هذا المعنى للوجاهة دون دليل، فقد قال الشوكاني في (فتح القدير): (والوجيه ذو الوجاهة: وهي القوة والمنعة، ووجاهته في الدنيا النبوة، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة).

أما العلامة الطباطبائي فقال: (الوجاهة هي المقبولية، وكونه «عليه السلام» مقبولا في الدنيا مما لا خفاء فيه، وكذا في الآخرة بنص القرآن) (٣).

وقال العلامة فضل الله: (﴿وَجِيهًا﴾: ذا جاه وقدر وشرف ومنزلة في الدنيا من خلال واقعه الرسالي، وفي الآخرة جزاءً لجهاده وعطاءه. ويُقال: له وجاهة عند الناس وجاه، أي منزلة رفيعة. والوجيه، الكريم على من يسأله، فلا يردّه لكرم وجهه عنده، خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيُردّ. ويطلق الوجه على صدر الشيء وأوله، أو على الشيء الذي يُتوجّه إليه.. فستكون له الوجاهة في الدنيا من خلال موقعه الرسالي في ما يثيره من قضايا ومواقف، ومن خلال إيمان الناس بنبوته ورسالته، وتبجيلهم وتقديسهم له... وسيحصل على الوجاهة في الآخرة في ما يرفعه الله من درجات جزاءً لجهاده وتضحياته وآلامه القاسية التي تحملها في سبيل الله) (٤).

١. آل عمران: ٤٥.

٢. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٥٨.

٣. الطباطبائي: الميزان، ج ٣، ص ١٩٥.

٤. فضل الله: من وحي القرآن، ج ٣، ص ١٥٥.

• القرب من الله:

قال «تعالى»: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(١).

قال العلامة الطباطبائي عند بيان معنى الآية : (مقرب عند الله، داخل في صفّ الأولياء والمقربين من الملائكة من حيث التقريب كما ذكره «تعالى» بقوله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ «النساء: ١٧٢»).

وحول المراد من التقريب هنا على وجه الخصوص قال: (هذا التقرب -وهو تقرب إلى الله «سبحانه»- حقيقته سبق الإنسان سائر أفراد نوعه في سلوك طريق العود إلى الله الذي سلوكه مكتوب على كل إنسان، بل كل شيء، قال «تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ «الانشقاق: ٦»، وقال «تعالى»: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ «الشورى: ٥٣»).

واستشهد لتأكيد هذا المعنى بقوله «تعالى»: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، إلى أن قال: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾، إلى أن قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢).

واحتمل وجود فارق بين السَّابِقِينَ، فالسَّابِقُ متحقق للإنسان بالعمل، ومتحقق للملائكة بالهبة الإلهية، قال: (وأنت إذا تأملت كون المقربين صفة الأفراد من الإنسان وصفة الأفراد من الملائكة، علمت أنه لا يلزم أن يكون مقاماً

١. آل عمران: ٤٥.

٢. الواقعة: ١-١١.

مكانته وصفاته الأخلاقية

اكتساباً، فإن الملائكة لا يحرزون ما أحرزوه من المقام عند الله «سبحانه» بالكسب، فلعله مقام تناله المقربون من الملائكة بهبة إلهية، والمقربون من الإنسان بالعمل^(١).

• من الصالحين:

قال «تعالى»: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢). وفيه قال العلامة فضل الله: (﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعيش حياة متحركة مع الناس، وسيبقى رمزاً للصّلاح في خطواته وأعماله كما يعيش الصّالحون في الحياة)^(٣).

وقال العلامة الشعراوي: (﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ مقصود بها عمله، أي الحركة السلوكية. لماذا؟ لأنه لا يكفي أن يكون مبلّغاً، ولا يكفي أن يكون حامل آية، بل لا بد أن يؤدي السلوك الإيماني)^(٤).

• كلمة الله:

قال «تعالى»: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٥).

قال العلامة الطباطبائي: (كلمة «كن» التي ألقيت إلى مريم البتول، لم يعمل

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٣، ص ١٩٥.

٢. آل عمران: ٤٦.

٣. فضل الله: من وحي القرآن، ج ٣، ص ١٥٦.

٤. الشعراوي: تفسير الشعراوي، ج ٣، ص ٤٦٨.

٥. النساء: ١٧١.

في تكوّنه الأسباب العادية كالنكاح والأب، قال «تعالى»: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ «آل عمران: ٤٧»، فكل شيء كلمة له «تعالى»، غير أن سائر الأشياء مختلطة بالأسباب العادية، والذي اختصّ لأجله عيسى «عليه السلام» بوقوع اسم الكلمة هو فقدانه بعض الأسباب العادية في تولده^(١).

ثم أحال إلى تعليقه على ما ورد في الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢)، ومن جملة ما قاله هناك: (ويظهر من الآية أن خلقه عيسى كخلق آدم خلقه طبيعية كونية، وإن كانت خارقة للسنة الجارية في النسل، وهي حاجة الولد في تكوّنه إلى والد)^(٣).

وهذا يعني -من جهة- أن خلقه عيسى «عليه السلام» جاءت ضمن قانون طبيعي، ولكنه غير القانون المعتاد حيث يقع التزاوج بين ذكر وأنثى، فيقع التلقيح... إلخ. فهو قانون إلهي ولكنه غير معروف لنا. ومن جهة أخرى، فإن عبارة (كن فيكون) تعبير عن طبيعة الإرادة الإلهية، وهي إرادة لا تتخلف عن المراد، مهما اختلفت الظروف والأوضاع، لأن الله لا يحتاج إلى الأسباب حتى يكون لها مدخلة في التحقق أو مدى صعوبته أو سهولته أو تأخره أو سرعته.

ولذا قال: (إنه «تعالى» لا يحتاج في خلق شيء إلى الأسباب حتى يختلف حال ما يريد خلقه من الأشياء بالنسبة إليه تعالى بالإمكان) أي من حيث الإمكان (والاستحالة والهوان والعسر والقرب والبعد باختلاف أحوال الأسباب

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٢، ص ١٩٥.

٢. آل عمران: ٥٩.

٣. الطباطبائي: الميزان، ج ٢، ص ٢١٢-٢١٣.

الدخيلة في وجوده، فما أرادته وقال له كن كان من غير حاجة إلى الأسباب الدخيلة عادة^(١).

• روح من الله:

قال «تعالى»: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٢). اعتبر العلامة الطباطبائي أن وصف عيسى بذلك يأتي بشكل منطقي وفق البيان التالي:

○ المقدمة الأولى: الروح من الأمر، والدليل قوله «تعالى»: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٣).

○ المقدمة الثانية: عيسى كلمة ﴿كُنْ﴾ التكوينية ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.

○ المقدمة الثالثة: ﴿كُنْ﴾ أمر ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

○ النتيجة: إذا عيسى «عليه السلام» روح.

وأثار العلامة فضل الله جانباً آخر متعلق بالتعبير بأن عيسى روح من الله، وذلك في ما له علاقة بادعاء أن الآية تُقرّ بصورة أو بأخرى وجود درجة من الألوهية في المسيح «عليه السلام»، قال ما مضمونه:

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٢، ص ٢١٣.

٢. النساء: ١٧١.

٣. الإسراء: ٨٥.

١. ليست الكلمة، أو الروح، في الآية، تعبيراً عن الجزء الإلهي أو الحقيقة الإلهية، لأن طبيعة الله لا تتجزأ، فهي بسيطة كل البساطة، ولا يمكن أن تنتقل من مكان إلى آخر.

٢. المراد بالكلمة والروح هو المعنى المجازي منهما، بكونهما مظهر قدرة الله وسرّ إبداعه، في ما أفاضه على جسد آدم الهامد الجامد الخالي من الروح، كما أفاضها على مريم الخالية عن أسباب الولادة الطبيعية. مستشهداً بالآيات التالية: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(١)، ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

٣. القرينة المقامية هي التي تسوّغ لنا رفع اليد عن المعنى الحقيقي والأخذ بالمعنى الكنائي. فقد يقول الأديب أو الشاعر عن القصيدة أو الأثر الفني الذي يصدر عنه: بأنها قطعة من روحه، أو أنه أودع فيها روحه، للتدليل على ما بذله فيها من جهد فني أو صرفه عليها من طاقة.

٤. الذي أوقع بعض المفسرين في الفهم الخاطئ للآية هو الاستنتاج الحريف للكلمات القرآنية والابتعاد عن الجو الذي يحكم الفكرة، فالآية تتحرك في جو القدرة الإلهية بشكل غير مألوف، ممّا يجعلنا نأخذ بالمعنى الكنائي، لا المعنى الحقيقي الذي يدلّ على وجود جزء من الذات أو الحقيقة الإلهية داخل المسيح وفي تكوينه.

١. ص: ٧١-٧٢.

٢. الأنبياء: ٩١.

وبهذا يكون التعبير بالروح التي نفخها الله في الجسد أو اعتبرها المخلوق نفسه، كنايةً عن قدرة الله التي بها يخلق ما يخلق، ويبعد ما يبعد^(١).

• الحكمة:

قال «تعالى»: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(٢).

والحكمة على ما عُرِّفت: وضع الأشياء مواضعها، وفي نصابها، ولذا فسرها البعض بأنها: عمل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي. وستمر معنا بعض الشواهد على الحكمة التي جاء بها المسيح عند دراسة نماذج من الوصايا والأمثلة التي قدّمها.

• عالم بالكتاب والتوراة والإنجيل:

قال «تعالى»: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٣).

وقال «تعالى»: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٤).

١. فضل الله: من وحي القرآن، ج ٤، ص ٤٦٠-٤٦١.

٢. النساء: ١٧١.

٣. آل عمران: ٤٧-٤٨.

٤. المائدة: ١١٠.

ليس المقصود من الكتاب في هذه الآية خصوص الكتاب النازل من عند الله «سبحانه»، كالتوراة والإنجيل، فقد ذكرت هذه الكتب لاحقاً، بل المراد الأحكام الإلهية، أو بتعبير آخر ما كتب الله على الناس. ونظير ذلك ما جاء بحق نبينا «صلى الله عليه وآله»: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١).

ونجد نماذج ذلك في القرآن الكريم بنفس التعبير:

○ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

○ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

○ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤).

○ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥).

١. الجمعة: ٢.

٢. البقرة: ١٧٨.

٣. البقرة: ١٨٠.

٤. البقرة: ١٨٣.

٥. البقرة: ٢١٦.

• مبارك:

قال «تعالى»: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(١). والإنسان المبارك هو الذي يفيض منه الخير إلى من حوله وما حوله، من خلال عظاته وشخصيته وعمل الخير والمعاونة عليه.... إلخ.

قال العلامة فضل الله: (البركة هي نماء الخير في حياة الناس في ما ينفع البلاد والعباد، وعيسى «عليه السلام» كان مباركاً، لما يقدّمه للناس من علم نافع يرفع مستواهم، وعمل صالح يغني وجودهم، وينمي حركتهم، ويحقق لهم مواقع القوة ويحيطها بدائرة أخلاقية تحميها من الانحراف، وتحمي الآخرين من عدوانها)^(٢).

• بارّ بوالدته:

قال «تعالى»: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾^(٣).

ولعل في هذا تعريض بنص في إنجيل يوحنا حيث تظهر منه عبارات مسيئة بحق والدته المكرمة، ومن المفترض بهذا النص أن يمثل أول (معجزة) من معاجزه حيث يقلب الماء إلى خمر جيد! ففي إنجيل يوحنا: (وفي اليوم الثالث كَانَ عُرْسٌ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَكَانَتْ أُمُّ يَسُوعَ هُنَاكَ. وَدُعِيَ أَيْضًا يَسُوعُ وَتَلَامِيذُهُ إِلَى الْعُرْسِ. وَلَمَّا فَرِغَتِ الْخَمْرُ، قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ: «لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «مَا لِي وَلَكَ يَا امْرَأَةٌ؟ لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ») لاحظ القسوة في الأسلوب

١. مريم: ٣١.

٢. فضل الله: من وحي القرآن، ج ١٢، ص ٤٠.

٣. مريم: ٣٢.

والكلمات المستعملة، فهل يتناسب هذا وأدب المسيح وبره بوالدته؟ (قالت أمه للخدّام: «مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ». وَكَانَتْ سِتَّةَ أَجْرَانِ مِنْ حَجَارَةِ مَوْضُوعَةٍ هُنَاكَ، حَسَبَ تَطْهِيرِ الْيَهُودِ، يَسَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مَطْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً. قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «امْلَأُوا الْأَجْرَانَ مَاءً». فَمَلَأُوهَا إِلَى فَوْقَ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «اسْتَقُوا الْآنَ وَقَدِّمُوا إِلَى رَئِيسِ الْمُتَكَا». فَقَدَّمُوا. فَلَمَّا ذَاقَ رَئِيسُ الْمُتَكَا الْمَاءَ الْمُتَحَوِّلَ خَمْرًا، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هِيَ، لَكِنَّ الْخُدَّامَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ اسْتَقَوْ الْمَاءَ عِلْمُوا، دَعَا رَئِيسُ الْمُتَكَا الْعَرِيسَ وَقَالَ لَهُ: «كُلُّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا يَضَعُ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ أَوَّلًا، وَمَتَى سَكِرُوا فَحِينَئِذٍ الدُّونَ. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ إِلَى الْآنَ!». هَذِهِ بَدَايَةُ الْآيَاتِ فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَأَمَنَ بِهِ تَلَامِيذُهُ^(١).

هذا النص الإنجيلي دفع بالكاتب (فراس السواح) في كتابه (الغاز الإنجيل) إلى أن يقول: (ولعل في هذا التعليق من قبل يسوع إشارة خفية إلى أن أسرته لم تكن قد آمنت به بعد. ويؤكد لنا هذا ما أورده إنجيل مرقس من أن أرة يسوع جاءت للقبض عليه، لأنهم اعتبروه فاقد الرشد: «وَلَمَّا سَمِعَ أَقْرَبَاؤُهُ خَرَجُوا لِيَمْسِكُوهُ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّهُ مَخْتَلٌ!». مرقس ٣: ٢١. وبعد بضع فقرات من الإصحاح نفسه يقول لنا مرقس: «فَحِينَئِذٍ جَاءَ إِخْوَتُهُ وَأُمُّهُ وَوَقَفُوا خَارِجًا يَطْلُبُونَهُ»... إلخ ممّا ورد عند متى في المقتبس السابق. مرقس ٣: ٣١-٣٥. ونحن لا نستطيع هنا إلا أن نربط بين الخبر الأوّل وهذا الخبر الثاني. فأسرة يسوع قد خرجت أولاً للقبض عليه، وعندما عرفوا مكانه جاءوا ووقفوا خارج البيت يطلبونه. كما نلاحظ الدفء المفقود بين يسوع وأسرته في مشهد آخر

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢، ١-١١.

مكانته وصفاته الأخلاقية

صدر فيه عن يسوع تعليق مشابه لتعليقه آنف الذكر: «وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ بِهَذَا، رَفَعَتْ امْرَأَةٌ صَوْتَهَا مِنَ الْجَمْعِ وَقَالَتْ لَهُ: طُوبَى لِلْبَطْنِ الَّذِي حَمَلَكَ وَلِلثَدْيَيْنِ اللَّذَيْنِ رَضَعْتَهُمَا. أَمَّا هُوَ فَقَالَ: بَلْ طُوبَى لِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ وَيَحْفَظُونَهُ» (لوقا ١١: ٢٧-٢٨).

ويزيد الكاتب من التشكيك في موقف السيدة مريم من ابنها بلحاظ أنها بعد (عرس قانا) لا تظهر مريم في إنجيل يوحنا إلا في مشهد الصلب: (وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ، أُمُّهُ، وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كُلُوبَا، وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ)^(١). ويتساءل: فأين كانت مريم خلال مدة السنتين اللتين استغرقتهما حياة يسوع التبشيرية في إنجيل يوحنا؟ ولماذا لم تكن بين النسوة اللواتي تبعن يسوع من الجليل ورافقنه في حله وترحاله^(٢)؟

إن مثل هذه الاستنتاجات المرتبطة بعلاقة السيد المسيح بوالدته السيدة مريم والناشئة عن دلالة بعض النصوص الإنجيلية تتعارض مع دلالة الآية القرآنية السابقة المؤكدة على علاقة المسيح بوالدته والتي كانت تتصف بالبر والتواضع والأخلاق الرفيعة... كما أن الآيات التي شهدتها السيدة مريم، قبيل ظهور الملك لها والبشارة بالمسيح ثم ولادتها لابنها من غير رجل، ونطق ابنها وهو في المهد، والآيات التي جاء بها من قبيل إحياء الموتى وإبراء المرضى وغير ذلك لا يمكن وأن تكون نتيجتها إلا إيمانها القطعي والمحتوم بنبوة ابنها ورسالته، كل هذا على فرض بقائها على قيد الحياة عند بعثته، وهو ما لا

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٩: ٢٥.

٢. السواح: ألباز الإنجيل، ص ٤٢-٤٣.

نملك عليه دليلاً قرآنياً، وإن كان محتملاً، بل ويقوى بلحاظ ما جاء في التراث المسيحي المتنوع بما يؤكد ذلك، بل وبما يبين بقاءها على قيد الحياة أيضاً بعد حادثة الصلب والرفع.

• التواضع مع الناس وحسن السلوك:

قال «تعالى»: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾^(١). وهذا التجبر يمكن تصوّره على نحوين:

١. الجبروت النفسي من طغيان الفكر والشعور والسلوك، من موقع الإحساس الأناني بأنّ للذات الحق على الناس، دون أن يكون لأحد الحق عليها.
٢. ما تنتجه الشقاوة من مشاكل للناس في حياتهم وتضغط عليهم بالسوء والعذاب.

وفي هذا الوصف ردٌ بليغ على من وصف المسيح بشدة الفخر بنفسه، وأنه كان يؤكد على علو مكانته، وأنه لم يكن يُظهر التواضع (الزائف) الذي يسم سلوك الفلاسفة والمتفلسفين، مستدلين بتشبيه نفسه بالعريس الذي هو مركز الحدث، والشخصية الرئيسة في الحفل: (وَكَانَ تَلَامِيذُ يُوَحَنَّا وَالْفَرِيسِيِّينَ يَصُومُونَ، فَجَاءُوا وَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا يَصُومُ تَلَامِيذُ يُوَحَنَّا وَالْفَرِيسِيِّينَ، وَأَمَّا تَلَامِيذُكَ فَلَا يَصُومُونَ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعَرَسِ أَنْ يَصُومُوا وَالْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصُومُوا»^(٢)).

وأنه بلغ من فخره بنفسه أنه اعتبر كل من سبقه في التاريخ النبوي اليهودي

١. مريم: ٣٢.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٢، ١٨-١٩.

مكانته وصفاته الأخلاقية

لصوصاً وسارقين، وذلك بالمعنى المجازي لا الحرفي، مستشهداً على ذلك^(١) بما جاء في إنجيل يوحنا: («الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي لَا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخَرَّافِ، بَلْ يَطْلُعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَذَلِكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ. وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ فَهُوَ رَاعِي الْخَرَّافِ. لِهَذَا يَفْتَحُ الْبُؤَابُ، وَالْخَرَّافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيَدْعُو خَرَّافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا. وَمَتَى أَخْرَجَ خَرَّافَهُ الْخَاصَّةَ يَذْهَبُ أَمَامَهَا، وَالْخَرَّافُ تَتَّبِعُهُ، لِأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ. وَأَمَّا الْغَرِيبُ فَلَا تَتَّبِعُهُ بَلْ تَهْرَبُ مِنْهُ، لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ صَوْتَ الْغَرَبَاءِ. »). هَذَا الْمَثَلُ قَالَهُ لَهُمْ يَسُوعُ، وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مَا هُوَ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُهُمْ بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخَرَّافِ. جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سَرَّاقٌ وَلِصُوصٌ، وَلَكِنَّ الْخَرَّافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ..... أَمَّا أَنَا فَإِنِّي الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي»^(٢).

والحال أن المسيح لم يكن يتكلم هنا عن (الأنبياء كما ادّعى الهرطقة، فإنه إذ آمن كثيرون بالمسيح سمعوا للأنبياء واقتنعوا بهم. إنما يتحدث هنا عن ثيداس ويهوذا وغيرهما من مثيري الفتنة)^(٣).

واستشهد أيضاً بما جاء في إنجيل متى حين قارن نفسه بالنبیین یونس وسليمان، فقال: (رِجَالُ نَيْنَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هَذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ،

١. السواح: ألباز الإنجيل، ص ٢٠٣-٢٠٤.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٠، ١-١٤.

3. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Taf-sir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/04-Enjeel-You-hanna/Tafseer-Engeel-Yohanna__01-Chapter-10.html

لَأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ) أي النبي يونس (وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هَهُنَا! مَلَكَةُ التَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ هَذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُ، لِأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ هَهُنَا) ^(١).

والذي يمكن أن يقال في هذا المورد -إن صحَّ صدوره عن المسيح- أنه لم يكن بصدد الترفع على أحد، وإنما بصدد بيان مقامه كأحد الأنبياء من أولي العزم، وهو ما يستدعي من بني إسرائيل أن يسمعوا له ويقبلوا برسالته ودعوته كما أنهم يعظمون سليمان ويونس، والحال أنه أرفع شأنًا منهما.

وهناك موارد أخرى سيقت للدلالة على شعوره بالفخر وعدم تواضعه، بل وعنفه وامتلاكه شخصية غضوبية منفعة منذ طفولته كما سيمر معنا عند الحديث عن طفولته ولعنه لبعض أقرانه وأساتذته، وهو ما يتعارض مع النص القرآني الذي يؤكد على خلاف ذلك، وسأناقش الموضوع لاحقاً عند عرض آيات المسيح، وكيف لعن - بحسب بعض الأناجيل - شجرة تين عديمة الحيلة إذ وجدها عديمة الثمر، والحال أنه كان جائعاً وبحاجة إلى شئ من الطعام!

• مُجَاب الدَّعْوَةِ:

قال «تعالى»: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٢).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٢، ٤١-٤٢.

٢. المائدة: ١١٤-١١٥.

سنتناول هذه القصة لاحقاً بشكل مفصل بإذن الله عند الحديث حول آيات المسيح في القرآن الكريم.

• تعدد الآيات الخاصة به:

قال «تعالى»: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١).

سنتناول موضوع آيات السيد المسيح لاحقاً بشكل مفصل بإذن الله عند الحديث حول آيات المسيح في القرآن الكريم.

• النبوة والرسالة:

قال «تعالى»: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٢).

وقال «تعالى»: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٣).

(النبى) و(الرسول) و(النبوة) و(الرسالة) ليست من المترادفات، ولكل

١. آل عمران: ٤٩.

٢. مريم: ٣٠.

٣. آل عمران: ٤٩.

منها دلالتها الخاصة. ولنلاحظ الآية التالية: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾^(١)، والتمعن في الآيات القرآنية الخاصة بالنبوة والرسالة قد ترشدنا إلى أن عنوان (الرسول) يأتي بلحاظ حمل ذلك الفرد رسالة لتبليغها، أما عنوان (النبي) فبلحاظ اختيار الله له لينبئه ويوحى إليه بأمور من الغيب يختصه بها من سائر الناس:

○ ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾^(٢).

○ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣).

○ ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

فالذين يجتبيهم الله عز وجل من الرسل قد يُطلعهم على الغيب، فيكونون أنبياء بهذا اللحاظ، علماً بأن الرسول في الاستعمال القرآني قد لا يكون من الناس، أما عنوان النبي فلم يُطلق إلا على إنسان: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٥).

بل استدل بعضهم أن من بين الجن رسلاً للجن، بناء على ما جاء في قوله «تعالى»: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا

١. الأعراف: ١٥٧-١٥٨.

٢. آل عمران: ٤٤.

٣. آل عمران: ١٧٩.

٤. هود: ٤٩.

٥. الحج: ٧٥.

عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ^(١). ولم يرتضِ بعض المفسرين هذا المعنى، وقالوا بأن المراد كون الرسل من مجموع الجنسين، فيصدق على أحدهما وهو الإنس.

• مؤيد بروح القدس:

قال «تعالى»: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ^(٢)﴾.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ^(٣)﴾.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ^(٤)﴾.

واعتبر العلامة الطباطبائي في تعليقه على معنى التأييد بروح القدس الخاص بالمسيح أن:

○ التأييد به مشترك بين الرسل جميعاً.

○ ولذا ليس المراد به هنا الوحي بواسطة الروح.

○ بل هو تأييد بنحو خاص، فجميع آياته كولاته بلا أب وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، لها علاقة بالحياة والروح.

١. الأنعام: ١٢٠.

٢. الزخرف: ٦٣.

٣. البقرة: ٢٥٣.

٤. المائدة: ١١٠.

○ الظاهر أن التأييد بروح القدس هو السبب المهيء له لتكليم الناس في المهد وإحياء الموتى وخلق الطير بالنفخ وإبراء الأكمه والأبرص.

قال: (التأييد بروح القدس مشترك بين الرسل جميعا ليس مما يختص ببعضهم دون بعض، قال «تعالى»: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ «الحديد: ٢٥»، وقال «تعالى»: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا﴾ «النمل: ٢»، لكنهما في عيسى بنحو خاص فجميع آياته كإحياء الموتى وخلق الطير بالنفخ وإبراء الأكمه والأبرص، والإخبار عن المغيبات كانت أمورا متكنة على الحياة مترشحة عن الروح، فلذلك نسبها إلى عيسى «عليه السلام» وصرح باسمه، إذ لو لا التصريح لم يدل على كونه فضيلة خاصة كما لو قيل: «وأتينا بعضهم البيئات وأيدناه بروح القدس»، إذ البيئات وروح القدس كما عرفت مشتركة غير مختصة، فلا يستقيم نسبتها إلى البعض بالاختصاص إلا مع التصريح باسمه ليعلم أنها فيه بنحو خاص غير مشترك تقريبا، على أن في اسم عيسى «عليه السلام» خاصة أخرى وآية بيّنة، وهي أنه ابن مريم لا أب له، قال «تعالى»: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ «الأنبياء: ٩١»، فمجموع الابن و الأم آية بيّنة إلهية و فضيلة اختصاصية أخرى^(١).

وقال في موضع آخر: (الظاهر أن التأييد بروح القدس هو السبب المهيء له لتكليم الناس في المهد، ولذلك وصل قوله ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ من غير أن يفصله بالعطف إلى الجملة السابقة إشعارا بأن التأييد و التكليم معا أمر واحد مؤلف

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٢، ص ٣٢١.

مكانته وصفاته الأخلاقية

من سبب ومسبب، واكتفى في موارد من كلامه بذكر أحد الأمرين عن الآخر كقوله في آيات آل عمران المنقولة آنفا: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾، وقوله: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ «البقرة: ٢٣٥». على أنه لو كان المراد بتأييده بروح القدس مسألة الوحي بوساطة الروح لم يختص بعيسى بن مريم «عليهما السلام» وشاركه فيها سائر الرسل، مع أن الآية تأبى ذلك بسياقها^(١).

• قوّة الشخصية:

وبالإضافة إلى العناصر السابقة المهمة، تمتّع المسيح بقوة الشخصية والكاريزما المؤثرة وذلك بحسب ما دلّت عليه القصص والنصوص الإنجيلية، وهو أمرٌ يمكن تأكيده من دون شك، كما أنها صفة من المهم أن تتوافر في نبي ورسول ألقيت على عاتقه مهمّة كبيرة جعلته من أولي العزم.

ففي إنجيل متى: (فَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ الْأَقْوَالَ بُهَتَتِ الْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ)^(٢).

وفي إنجيل مرقس: (فَتَحَيَّرُوا كُلُّهُمْ، حَتَّى سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ: «مَا هَذَا؟ مَا هُوَ هَذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ؟ لِأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ يَأْمُرُ حَتَّى الْأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتَطِيعُهُ»)^(٣).

وفي إنجيل يوحنا: (.... فَأَرْسَلَ الْفَرِيسِيُّونَ وَرُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ خُدَامًا لِيُمَسِّكُوهُ.

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٦، ص ٢٢٠.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٧، ٢٨-٢٩.

٣. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ١، ٢٧.

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا بَعْدُ، ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي.... فَحَدَّثَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَمْعِ لِسَبَبِهِ. وَكَانَ قَوْمٌ مِنْهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُمْسِكُوهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَلْقَ أَحَدٌ عَلَيْهِ الْأَيَادِي. فَجَاءَ الْخُدَّامُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ. فَقَالَ هَؤُلَاءِ لَهُمْ: «لِمَاذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ؟» أَجَابَ الْخُدَّامُ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هَكَذَا مِثْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ!»^(١).

• الوهيّة المسيح:

بعد الحديث حول مقامات المسيح، لابد من التوقف عند الاعتقاد السائد لدى الغالبية العظمى من المسيحيين بألوهيته وبنوته لرب العالمين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ..... لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٧، ٣٢-٤٦.

٢. المائدة: ١١٦-١١٨.

وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَتَى يُؤْفَكُونَ، قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿١﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ، اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢).

هذه النصوص القرآنية تؤكد بطلان ما يُعرف بعنوان ألوهية المسيح، مهما اختلفت الكنائس والطوائف المسيحية في تفسير طبيعة هذه الألوهية وكيفية تحققها، وعلاقتها بالجسد البشري للمسيح، وعلاقة الأبوة والبنوة بين الله والمسيح، تعالى الله عن ذلك.

فالحقيقة التي يجب الإيمان بها أن المسيح إنسان في ذاته وحقيقته، اختلف

١. المائدة: ١٧، ٧٢-٧٧.

٢. التوبة: ٣٠-٣٢.

عن سائر الناس من حيث ولادته - بإرادة إلهية - من أم ولكن من دون أب، ومع هذا يبقى بشراً، خلقه الله، وليس فيه شيء من الذات الإلهية، وليس ولداً لله، ولا تجوز عبادته. ومثل هذه الادعاءات إنما جاءت من بعض المغالين بالمسيح من بعده، ما ادعاها هو، ولا كانت عقيدة المؤمنين به خلال فترة رسالته، بل هي دخيلة على المسيحية الأصلية نتيجة عدة عوامل:

• العامل الأول:

اختطاف الرسالة المسيحية من قبل بولس (شاول الطرسوسي): ولد (شاول/ بولس) في مدينة طرسوس (من سورية). كان أبواه من (الفرّيسيّين)، وهم فرقة يهودية متشددة، واشتهر عن بولس عنفه في خصومته وعدائه للمسيح والمسيحيين، ثم بدّل موقفه بصورة معاكسة تماماً بعد حادثة الصلب حيث ادّعى أن المسيح قد ظهر له في طريق دمشق، فأمن به، وصار رسولاً يقوم بمهام التبشير بالمسيح.

جاء في سفر أعمال الرسل على لسان بولس نفسه أنه قال: (فَحَدَّثَ لِي وَأَنَا ذَاهِبٌ وَمُنْتَقِرٌ إِلَى دِمَشْقَ أَنَّهُ نَحُونَصَفُ النَّهَارِ، بَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلِي مِنَ السَّمَاءِ نُورٌ عَظِيمٌ. فَسَقَطْتُ عَلَى الْأَرْضِ، وَسَمِعْتُ صَوْتًا قَائِلًا لِي: شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهْدُنِي؟ فَأَجَبْتُ: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ لِي: أَنَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهْدُهُ. وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِيَ نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي. فَقُلْتُ: مَاذَا أَفْعَلُ يَا رَبُّ؟ فَقَالَ لِي الرَّبُّ: قُمْ وَاذْهَبْ إِلَى دِمَشْقَ، وَهَنَّاكَ يُقَالُ لَكَ عَنْ جَمِيعِ مَا تَرْتَبُّ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ. وَإِذْ كُنْتُ لَا أَبْصِرُ مِنْ أَجْلِ بَهَاءِ ذَلِكَ النُّورِ، اقْتَادَنِي بِيَدَيِ الَّذِينَ كَانُوا مَعِيَ، فَجِئْتُ إِلَى دِمَشْقَ. ثُمَّ إِنَّ

مكانته وصفاته الأخلاقية

حَنَانِيًّا رَجُلًا تَقِيًّا حَسَبَ النَّامُوسِ، وَمَشْهُودًا لَهُ مِنْ جَمِيعِ الْيَهُودِ السُّكَّانِ أَتَى إِلَيَّ، وَوَقَفَ وَقَالَ لِي: أَيُّهَا الْأَخُ شَاوُلُ، أَبْصِرْ! فَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِلَهُ آبَائِنَا انْتَخَبَكَ لِتَعْلَمَ مَشِيئَتَهُ، وَتُبْصِرَ الْبَارَّ، وَتَسْمَعَ صَوْتًا مِنْ فَمِهِ. لَأَنَّكَ سَتَكُونُ لَهُ شَهِيدًا لَجَمِيعِ النَّاسِ بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ. وَالْآنَ لِمَاذَا تَتَوَانَى؟ قُمْ وَاعْتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ دَاعِيًا بِاسْمِ الرَّبِّ) ^(١).

وقد يكون تبدل موقفه هذا ناشئاً عن عداوته الشديدة بحيث أنه أراد أن يهدم المسيحية من الداخل، فلبس ثوب الرسولية، وصار يبتدع عقائد وأحكاماً لا علاقة لها برسالة المسيح، ونشط في هذا الاتجاه بصورة محمومة بحيث استطاع في نهاية المطاف أن يفرض آراءه المبتدعة على أنها تمثل المضمون الحقيقي لرسالة المسيح.

لا سيما وأن السلطة الرومانية المتمثلة بالامبراطور، وبعد ثلاثة قرون من بدء رسالة المسيح تقريباً تبنت هذه الرؤية (البولسية) للمسيحية واضطهدت كل ما يخالفها بكل عنف، فأصبحت هي الصيغة المقبولة والمدعومة رسمياً، بينما اختفت تدريجياً الاتجاهات الأخرى التي رفضت المسيحية البولسية.

ولربما جاء تبدل موقفه نتيجة قراءته الثاقبة لمستقبل المسيحية، فأراد أن يبرز كشخصية تأتي في المقام الأول والأهم في سلم ترتيب (الرسل)، أي حاملة مسئولية التبشير بالمسيحية وقادتها، حتى غطى في شهرته الحواريين أنفسهم، بل لربما استطاع أن يخدع بعضهم بظهوره بصورة التائب والراغب في تعويض وإصلاح ما مضى منه، ثم سرعان ما كشف عن وجهه الحقيقي

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، سفر أعمال الرسل، الإصحاح ٢٢، ٦-١٦.

بالخروج بصيغة (مخففة) من المسيحية فيها من المداينة والتنازل عن المعتقدات والتشريعات ما يشجع الوثنيين على الإقبال على أطروحته، ويشجع اليهود الراغبين في التخفف من أعباء التشريعات والتحلل منها، في مقابل التزام الحواريين بالشرعية الموسوية وبرسالة المسيح كما كانت من قبل. وقد جاء في رسالته إلى أهل (غلاطية)^(١) في بيان النقطة المتعلقة بعدم الالتزام بالشرعية الموسوية: (الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ) الشرعية، فهو يعتبر الالتزام بالشرعية نوعاً من العقاب (إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا) أي تقبل المسيح أن تقع عليه لعنة الشرعية لأجل المؤمنين به (لأنه مكتوب: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ»)^(٢)، وحيث أن المسيح قد صُلب، لذا فقد اعتبر أن اللعنة قد وقعت عليه، وكأن المسيح قد امتص كل هذه اللعنة (الشرعية) عند الصلب، فتحملها هو عن المؤمنين به، فخلصهم من مسئوليتها تماماً.

والحال أنه جاء في إنجيل متى على لسان المسيح نفسه: («لَا تَظَنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الْإِنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأَكْمِلَ. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نَقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغِيرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا، يَدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يَدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ»)^(٣).

وهذا لا يعني أن رسالة بولس لم تواجه رفضاً من قبل المتمسكين برسالة

١. مدينة تاريخية تقع ضمن حدود تركيا في هذا العصر.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية، الإصحاح ٣: ١٣.

٣. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٥، ١٧-١٩.



المسيح الأصلية، حيث نجد في رسالته الثانية إلى (تيموثاوس^(١)) كما في العهد الجديد: (بُولُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، لِأَجْلِ وَعْدِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ. إِلَى تِيمُوثَاوُسَ الابْنِ الْحَبِيبِ: نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ الْآبِ وَالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.... أَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا أَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ فِي أَسِيَّا ارْتَدُّوا عَنِّي...) (٢).

ولكنه حيث طرح نفسه الناطق الوحيد بلسان المسيح وأنه ليس محتاجاً لسلطة الحواريين إذ أن سلطته تأتي من السماء مباشرة، لذا فقد صال وجال في الابتداع والتبديل والتغيير والتحريف كيف شاء، وساعدته العوامل التي أشرنا إلى بعضها في تحقيق مبتغاه ولو بعد موته.

١. تيموثاوس: اسم يوناني معناه (عابد الله) أو (مكرم من الله) أو (عزيز عند الله). وهذا الشخص كان رفيق بولس ومساعدته، وكان بولس يناديه بعنوان (الابن الحبيب) و(الأمين في الرب).

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس، الإصحاح ١، ١-١٥.

لقد طرح بولس -وبكل جرأة وبحضور الحواريين- أن المسيح ابن الله، وأن الله أرسله إلى الأرض في هيئة بشرية لكي يفدي البشرية عن خطيئة آدم وخطاياهم، فمن يؤمن به يدرك الخلاص الأخرى وإن ارتكب الخطايا، فإن صلب المسيح وآلامه تكون السبب في محوها، وهي العقيدة التي ظهرت بصورة مقاربة منها في العهد الأموي تحت عنوان الإرجاء والمرجئة، حيث قالوا أنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة! ونشوء الإرجاء في الشام يُعدّ أمراً مفهوماً، إذ أنها البيئة الحاضنة للعقيدة البولسية بفعل الحكم البيزنطي الذي تبناها ونشرها.

وأضاف بولس أن المسيح قد قدم نفسه طواعية واختياراً لليهود كي يصلبوه حتى يتحقق هذا الفداء.

مثل هذه التصورات التي دعا إليها بولس كانت منتشرة ومستساغة لدى معاصريه من الوثنيين والمتأثرين بعقائدهم وأساطيرهم، لأن فكرة المنقذين والآلهة المتجسدة والتخلص من تبعات الآثام بطرق ملتوية كانت منتشرة عند الأمم المختلفة، فلم تكن هناك صعوبة في قبولها وتصديقها من قبلهم، مما وفر الأرضية المناسبة لامتداد دعوته المشوّهة للمسيحية. يقول (ول ديورنت) معلقاً على بعض المضامين العقدية في المسيحية البولسية: (وقصارى القول أن المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم)^(١).

وبناء على ما سبق، كان من إفرازات دعوة بولس وأفكاره أن برز في هذه الحقبة من تاريخ المسيحية اتجاهان، أحدهما يعتبر أن الإنجيل لم يُلغِ

١. ديورنت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢٧٦.

مكانته وصفاته الأخلاقية

الناموس (الشريعة الموسوية)، وينبغي الحفاظ على مثل (تشريع الختان)، بينما اعتبر الاتجاه الآخر أن بإمكان (المهتدين الجدد) من الوثنيين أن لا يلتزموا بها.

(لقد كان بولس «رسول الوثنيين» - بوصفه الرائد الحقيقي للكنيسة الجامعة- يعارض أولئك الذي يقولون «هم الآتين من اليهودية»: «إذا لم تكونوا مختونين بحسب شريعة موسى لا يمكنكم أن تحصلوا على الخلاص». وقد جعل وجهة نظره تنتصر في الجمعية التي التقى فيها الرسل والشيوخ في أورشليم، إلا أن «المتحمسين للإيمان» واصلوا تحريضهم في أنطاكية وغلاطية، فبالنسبة إليهم «هم الأنصار المتأخرين لليهودية الفريسية» كانت الأمة اليهودية ستعرف مستقبلاً مجيداً في ظل المسيح-الملك. وقد كانت هذه التوفيقية اليهود-مسيحية بناءً سريع العطب جداً بحيث لن تصمد أمام الاندفاع الظاهر للديانة الكوسموبوليتية^(١) الجديدة)^(٢).

وانقسم الاتجاه الأول بدوره إلى قسمين، الأول منهما عُرفوا باسم (النصرانيين/الناصرين) والتزموا بالجمع بين تعاليم الإنجيل وتعاليم الشريعة الموسوية (الناموس اليهودي)، واتخذوا من أورشليم/القدس مركزاً لهم، وكانت لديهم نسخة خاصة من الإنجيل، واتبَعوا (يعقوب الرسول) وهو المعروف أيضاً بعنوان (يعقوب البار)، وهو ابن يوسف النجار، وبحسب رأي البعض هو أخو السيد المسيح لأمه... بل هناك من اعتبر أن الحوارى يعقوب

١. الكوسموبوليتية هي الأيديولوجية التي تقول إن جميع البشر ينتمون إلى مجتمع واحد، على أساس الأخلاق المشتركة.

٢. ويتلر: الهرطقة في المسيحية، ص ٤٩.

بن حلفي الملقَّب بعنوان (يعقوب الصغير)^(١) هو ذاته يعقوب البار. والمسألة مربكة وغريبة في آن واحد، حيث تتداخل الشخصيات والأسماء والأنساب المتعلقة بشخصيات العهد المسيحي الأول، ولربما كان مرجع ذلك وجود الاختلاف بين نسخ الأناجيل الأربعة، لاسيما بين الثلاثة الأولى من جهة، وبين إنجيل يوحنا من جهة أخرى، وكذلك تشابه الأسماء، إذ يتكرر اسم يعقوب واسم مريم لأكثر من شخصية، ويضاف إلى ما سبق عدم الدقة في نقل أخبار تلك الحقبة، وتنازع الاتجاهات والكنائس المسيحية ومحاولة كل منها الانتساب إلى إحدى الشخصيات البارزة من الرعيل الأول، وإعطائه ما أمكن من مرتبة رفيعة يمتاز بها عن الآخرين، وضياح وتلف وإتلاف على كثير من المصادر الأصلية - كما سيأتي معنا لاحقاً عند دراسة الأناجيل وتاريخها - وغير ذلك من الأسباب.

ويذهب البعض إلى أن النص الوارد في (سفر أعمال الرسل) ضمن العهد الجديد والذي يتحدث عن (الناصريين) وعن انتماء بولس إليهم^(٢) إنما يقصد هذه الجماعة على وجه التحديد، لا عموم أتباع السيد المسيح بلحاظ كونه من مدينة الناصرة ولأنه كان يُطلق عليه عنوان (يسوع الناصري)، والنص كالتالي: (وَبَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ انْحَدَرَ خَنَانِيَّا رَئِيسُ الْكَهَنَةِ مَعَ الشُّيُوخِ وَخَطِيبِ اسْمُهُ تَرْتْلُسُ. فَعَرَضُوا لِلَّوَالِي ضِدَّ بُولُسَ. فَلَمَّا دُعِيَ، ابْتَدَأَ تَرْتْلُسُ فِي الشَّكَايَةِ قَائِلًا: «إِنَّا حَاصِلُونَ بِوَاسِطَتِكَ عَلَى سَلَامٍ جَزِيلٍ، وَقَدْ صَارَتْ لِهَذِهِ

١. انظر بحث الحواريين في هذا الكتاب.

٢. وإن لم يكن هذا الانتماء حقيقياً وصادقاً.

مكانته وصفاته الأخلاقية

الْأُمَّةَ مَصَالِحُ بِتَدْيِيرِكَ. فَتَقَبَّلْ ذَلِكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ فَيَلْكُسُ بِكُلِّ شُكْرٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَكُلِّ مَكَانٍ. وَلَكِنْ لَيْلًا أُعَوِّقَكَ أَكْثَرَ، أَلْتَمَسُ أَنْ تَسْمَعَنَّا بِالْاِخْتِصَارِ بِحِلْمِكَ: فَإِنَّا إِذْ وَجَدْنَا هَذَا الرَّجُلَ مُفْسِدًا وَمُهَيِّجَ فِتْنَةٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي الْمَسْكُونَةِ، وَمَقْدَامَ شِيعَةِ النَّاصِرِيِّينَ، وَقَدْ شَرَعَ أَنْ يُنَجِّسَ الْهَيْكَلَ أَيْضًا، أَمْسَكْنَاهُ وَأَرَدْنَا أَنْ نَحْكُمَ عَلَيْهِ حَسَبَ نَامُوسِنَا^(١).

أما الاتجاه الثاني فهم المعروفون بعنوان (الأيونيين) وهي كلمة مشتقة من الكلمة العبرية ציונים؛ وتُلفظ إيونيم، وتعني «فقير» أو «فقراء».

تواجدت هذه الفرقة المسيحية الملتزمة بالشرعية الموسوية في العصور الأولى للمسيحية، وكانت تُكرر ألوهية السيد المسيح وعقيدة الفداء والخلاص المعروفة لدى المسيحيين اليوم، وتُجَلِّ من بعده خصوص (يعقوب البار) ابن يوسف النجار باعتباره راعي هذا الاتجاه. وتذكر المصادر التي تحدثت عنهم أنهم يعتقدون أن يسوع هو ابن السيدة مريم، ولكن في نفس الوقت هو الابن البيولوجي ليوسف النجار، وهذا يعني اختلاف عقيدتهم من هذه الجهة مع عقيدة المسلمين في كون النبي عيسى «عليه السلام» قد وُلِدَ من أم فقط، ولم يكن له أب على الإطلاق، لا يوسف النجار ولا أحد سواه.

وبالتزامهم بالشرعية الموسوية وتشددهم في هذا الالتزام، لم يتخلوا عن الختان، وأكثروا من العناية بالطهارة المائية التي قد يُعبر عنها بعنوان (الوضوء) -ولربما تكون أقرب للغسل من الوضوء- وهو ما نجده ماثلاً عند الصابئة في العراق، وعند طائفة الأسينيين اليهود المتقشفين الزاهدين

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، سفر أعمال الرسل، الإصحاح ٢٤، ١-٦.

الذين قيل أن النبي يحيى «عليه السلام» عاش بينهم لفترة من الوقت، وقد يكونون الأصول الأولى للصابئة، بل إن المصادر التي تتحدث عن الصابئة تذكر تقديسهم للنبي يحيى بن زكريا باعتباره الأهم في سلسلة الأنبياء الذين يؤمنون بهم، وكل هذا يقوّي احتمال كون الصابئة من بقايا الأسينيين، أو فرعاً منهم، أو أنهم أتباع النبي يحيى وأشبهوا الأسينيين في بعض أعمالهم.

وعلى العموم، فإنّ الالتزام التام بالشرعية الموسوية أو التخلي عن بعضها أو كلها، كانت مسألة مطروحة -وبقوة- نتيجة الطريقة التي اعتمدها بولس ومَن انضمَّ إليه من الحواريين في دعوة غير اليهود (الأمميين) إلى المسيحية، وبين الطريقة التي اعتمدها قسم آخر من الحواريين وممن أصرّوا على أن المسيح لم يأت لينقض الناموس.

والنص التالي من سفر أعمال الرسل يعكس جانباً من الجدل الناشئ عن هذه المسألة: (وَأَنحَدَرَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ، وَجَعَلُوا يَعْلَمُونَ الْإِخْوَةَ أَنَّهُ «إِنْ لَمْ تَخْتَنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى، لَا يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا». فَلَمَّا حَصَلَ لِبُولُسُ وَبَرْنَابَا) وهو أحد الرسل السبعين الذين كلفهم المسيح بمهمة التبشير في عهده (مُنازعةٌ ومُباحثةٌ لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ مَعَهُمْ، رَتَّبُوا أَنْ يَصْعَدَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَأَنَاسُ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الرُّسُلِ وَالْمَشَايخِ إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ).

وهكذا تمّ اتخاذ قرار بعقد جلسة في أورشليم/القدس لحسم المسألة بحضور عدد من كبار الشخصيات المسيحية آنذاك، بمن فيهم من تواجد من الحواريين: (وَلَمَّا حَضَرُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبِلَتْهُمْ الْكَنِيسَةُ وَالرُّسُلُ وَالْمَشَايخُ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِكُلِّ مَا صَنَعَ اللَّهُ مَعَهُمْ. وَلَكِنْ قَامَ أَنَاسُ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا

مَنْ مَذَهَبِ الْفَرِيسِيِّينَ، وَقَالُوا: «إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَنُوا، وَيُوصَوْا بِأَنْ يَحْفَظُوا نَامُوسَ مُوسَى». فَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ وَالْمَشَايخُ لِيَنْظُرُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ).

وبعد مباحثات كثيرة، نهض رأس الحواريين سمعان بطرس فتكلم قائلاً: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِخْوَةُ، أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ اخْتَارَ اللَّهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِفَمِي يَسْمَعُ الْأُمَمُ كَلِمَةَ الْإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ. وَاللَّهُ الْعَارِفُ الْقُلُوبِ، شَهِدَ لَهُمْ مُعْطِياً لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا لَنَا أَيْضًا. وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِشَيْءٍ، إِذْ طَهَّرَ بِالْإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ. فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللَّهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ التَّلَامِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلَا نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟ لَكِنْ بِنِعْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنْ نَخْلُصَ كَمَا أَوْلَيْتُكَ أَيْضًا».

وقام بولس وبرنابا في الأثناء بالاستدلال على صحة موقفهما ومطلبهما من خلال نجاحهما الباهر الذي ما كان ليتحقق لولا (التساهل) في الالتزام بالشرعية، إذ من الصعب على الوثنيين قبول الالتزام بكل ما فيها (فَسَكَتَ الْجُمُهورُ كُلُّهُ. وَكَانُوا يَسْمَعُونَ بَرْنَابَا وَبُولُسَ يُحَدِّثَانِ بِجَمِيعِ مَا صَنَعَ اللَّهُ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ فِي الْأُمَمِ بِوَاسِطَتِهِمْ).

ثم أدلى يعقوب البارّ بدلوهُ مقدماً حلاً وسطاً، فكان فيما قال: (أَنَا أَرَى أَنَّ لَا يَثْقُلَ عَلَى الرَّاجِعِينَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأُمَمِ، بَلْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ نَجَاسَاتِ الْأَصْنَامِ، وَالزَّيْنِ، وَالْمَخْنُوقِ، وَالدَّمِ. لِأَنَّ مُوسَى مُنْذُ أَجْيَالٍ قَدِيمَةٍ، لَهُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ مَنْ يَكْرِزُ بِهِ، إِذْ يُقْرَأُ فِي الْمَجَامِعِ كُلِّ سَبْتٍ)^(١).

وتم الاتفاق على ذلك، وأرسل الخبر إلى أنطاكية، واستبشر الناس، وذهب

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، سفر أعمال الرسل، الإصحاح ١٥، ١-٢١.

بولس وبرنابا لإكمال عملهما فيها، ولكنهما سرعان ما اختلفا وتنازعا وتفرّقا. واليوم، ترتبط العديد من الجماعات المسيحية في الهند، وسوريا، ولبنان، وفلسطين وتركيا ببعض التشريعات الموسوية (مثل الختان وتشريعات الزواج والدفن)، وتُعتبر الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والكنيسة الأنطاكية الأرثوذكسية، وكنيسة الروم الملكيين الكاثوليك من الكنائس المسيحية المعروفة التي تختلف في متبنياتها عن الاتجاه المسيحي العام في بعض المسائل ذات البعد الشرعي، وتعتبر أن هذا مرتبط بأصولها العائدة إلى المسيحية المبكرة.

• العامل الثاني:

تبني المسيحية من قبل الامبراطور قسطنطين الذي حكم روما من (٣٠٦-٣٣٧م)، ويمكن تلخيص الأسباب التي دعت إلى تبني المسيحية بدلاً من اضطهادها، كالتالي:

١. انتشار المسيحية في أرجاء الامبراطورية بشكل واسع جداً، مما خلق ظرفاً شعبياً ضاعطاً، إذ كان المسيحيون في نهاية المطاف من رعايا الدولة. وقد تبني المسيحية بعض القادة العسكريين كالشهيد جرجس^(١)، وبعض أبناء الشخصيات البارزة فيها، كأصحاب الكهف والرقيم، بل أقرب الناس إليه وهي والدته هيلانة.

٢. فشل سياسة الاضطهاد الطويلة والمريرة التي مارسها السلطة الرومانية الوثنية بحق المسيحيين على مدى ثلاثة قرون متواصلة.

١. حول هذه الشخصية انظر كتابي: ميثالوجيا الخضر.

مكانته وصفاته الأخلاقية

٣. تفكك الأغلبية الوثنية، ووقوع الخصومة فيما بينها، وانقسامها إلى عدة شيع دينية، واهتراؤها من الداخل أشد الاهتراء، فكانت في الواقع تتلفظ أنفاسها الأخيرة.

من هنا، وصل قسطنطين إلى قناعة مفادها ضرورة اعتماد النظرة العملية في التعامل مع المسيحية، مما دفعه إلى تغيير موقفه وسياسته تجاههم ومداهنتهم، بل التلبس بلباسهم ومن ثم توظيف ذلك لمصلحته وإمبراطوريته. وهكذا، أصدر قسطنطين مرسوم (ميلانو) سنة ٣١٢م والذي يقضي بالتالي:

١. إضفاء الشرعية على العبادة والشعائر المسيحية.

٢. إلغاء كافة الأحكام ضد المسيحيين.

٣. إعادة الممتلكات المصادرة من المسيحيين أثناء اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس (ديوكلتيانوس) (٢٤٤-٣١١م).

٤. إرجاع كافة الممتلكات المصادرة من الكنائس.

٥. ثم قام في سنة ٣٢٧م بإلغاء عقوبة الصلب في الإمبراطورية لكونه الرمز المقدس للمسيح.

٦. كما قام خلال حكمه بتقديم الأموال إلى المجامع الدينية المسيحية المحتاجة إليها.

٧. شيد عدداً من الكنائس في القسطنطينية وغيرها.

٨. حرّم عبادة الأوثان في عاصمته.

٩. أمر بتدمير معابد الوثنيين ومجامعهم الدينية.
 ١٠. ربّى أبناءه تربية مسيحية.
 ١١. أعان بالمال أعمال البر المسيحية التي كانت تقوم بها أمّه التي صارت قدّيسة في وجهة نظر الكنيسة.
 ١٢. أصدر قانوناً يمنع اليهود من اضطهاد أي يهودي يعتنق المسيحية.
 ١٣. منع اليهود من ختان عبيدهم المسيحيين.
- هذا الاعتراف الرسمي بالمسيحية كدين، علاوة على إظهار حاكم إحدى أقوى امبراطوريتين في تلك الحقبة^(١) بصورة مناصر كبير للكنيسة^(٢)، كل هذا كان نقطة تحوّل في تاريخ المسيحية، ولذا يُعبّر عن هذا الحدث بعنوان (انتصار الكنيسة).
- لقد جاءت كل هذه القوانين والإجراءات المتعاقبة خلال عقدين تقريباً من الزمان بمثابة صفحة جديدة في تاريخ المسيحية بكل المقاييس، سلباً وإيجاباً.
- وقد تساءل ديورانت في موسوعته (قصة الحضارة): (تُرى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً في عمله هذا؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية، أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملت عليها حكمته السياسية؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب)^(٣).

١. الامبراطورية الأخرى المنافسة كانت امبراطورية الفرس.

٢. حتى لُقّب لاحقاً من قبل الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية بالقدّيس والرسول، وجُعِل مثلاً وقدوة لكل (ملك مسيحي)،

٣. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢٨٧.

ويؤكد ديورانت رأيه من خلال رسائل قسطنطين نفسه والتي بعث بها إلى الأساقفة المسيحيين حيث ظهر فيها عدم مبالاته تجاه الفروق في تفاصيل المعتقد المسيحي بين الكنائس والطوائف المختلفة، والتي بدورها خلقت انشقاقاً في الصف المسيحي وبشكل عنيف وتكفيري.

والتصور الذي ينبغي أن نحمله ونحن نطالع هذه الحقبة من تاريخ المسيحية هو أن أصول العقيدة المسيحية - كما هي معروفة اليوم وفق الطوائف المختلفة - كانت قبل (مجمع نيقية)^(١) لا تزال في الطور الضبابي، فلم تكن هذه العقائد قد (أصبحت بعد تلك النجوم الثابتة التي سيشعّ بريقها في القرون اللاحقة، فلقد كان يتم تفسير النصوص المقدسة وفق مشيئة كل من أولئك الذي ينصرفون إلى ذلك، ووسط المشادات والصياح وُلدت -الكريستولوجيا- مجمل النظريات المتعلقة بشخص المسيح وعلاقاته بالله وبالبشر. وسجلات تلك الحقبة كانت لا تزال تنحّي جانباً مسألة الثالوث، التي ستثير لاحقاً جدالات عنيفة جداً)^(٢).

كما أن قسطنطين حافظ على لقب الحبر الأعظم (أو الكاهن الأعظم) والذي يمثل رأس الديانة الرومانية القديمة، وانتظر قبيل وفاته بقليل لكي يعتمد (يفتسل) ويصبح مسيحياً بشكل رسمي، كما جرى على ذلك المسيحيون عند إعلان مسيحيتهم. وعامل قسطنطين الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيين؛

١. نيقية مدينة تاريخية تقع في تركيا الحالية. وسأتحدّث في الصفحات التالية عن سبب عقد هذا الاجتماع لأساقفة الطوائف المسيحية بدعوة من قسطنطين، وما القرارات التي اعتمدت فيه.

٢. ويتلر: الهرطقة في المسيحية، ص ٤٧.

فكان يستدعيهم إليه، ويرأس مجالسهم، ويتعهد بتنفيذ ما تُقرّه أغلبيتهم من آراء، ولو أنه كان مسيحياً حقاً في المقام الأول ثم حاكماً سياسياً في المقام الثاني لكان الأمر خلاف ذلك. لقد كانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية.

ولكن الواقع أن نقطة التحول هذه كانت وبالأعلى المسيحية الحقّة التي جاء بها المسيح «عليه السلام»، إذ قام قسطنطين بتبنيّ فرع من نتائج المسيحية البولسية وإدخال المزيد من المبتدعات، من خلال المزوجة ما بين التصورات والمفاهيم والتشريعات المسيحية والوثنية، واضطهاد من يخالف ذلك بكل عنف وشدة.

وإذا كانت الإمبراطورية الرومانية قد اضطهدت المسيحيين من قبل حين كانت وثنية صرفة، فإنها تضطهدهم الآن وهي مسيحية وباسم الكنيسة... الكنيسة والطائفة التي ارتأت أن تختارها من بين كل الكنائس والطوائف الأخرى، لتُقصي ما عداها وتلاحق أتباعها قتلاً وتعذيباً وتشريداً ومنعاً وإتلافاً لمصنّفاتها.

هذا الأمر أدى إلى إضعاف الاتجاه الأصيل في المسيحية وتقوية المسيحية البولسية بشكل كبير وطغيانها على المشهد العام للمسيحية شيئاً فشيئاً... والناس على دين ملوكهم.

ففي العام ٣١٨م، حيث لم تمض أكثر من خمس سنوات على تبنيّ قسطنطين للمسيحية، ظهر قس من الإسكندرية متبنيّاً بقوة الاتجاه القائل ببشرية المسيح ونفي ألوهيته... إنه آريوس Arius (٢٥٦-٣٣٦م) الذي وصف بأنه كان: (طويل القامة، نحيل الجسم، مكتئب المظهر، ذا منظر تبدو فيه آثار



خشونة العيش. وكان معروفاً بأنه من الزهاد، كما يستدل على ذلك من ملبسه - وهو جلباب قصير من غير كمين تحت ملحفة يستخدمها عباءة وكانت طريقته في الحديث ظريفة، وخطبه مقنعة. وكانت العذارى اللاتي نذرن أنفسهن للدين، وهن كثيرات في الإسكندرية، يبجلنه أعظم التبجيل، وكان له من بين رجال الدين عدد كبير من المؤيدين^(١).

لقد كان آريوس يصرّح بأن المسيح لم يكن -والخالق- شيئاً واحداً، بل كان هو الكلمة. واحتجّ بابا الإسكندرية في وقته (الأسقف الإسكندر = ألكسندروس الأول) على هذا القول، ولكن آريوس أصر على موقفه، ودخلا في سجالات عقدية عديدة.

١. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٣٩٢.

وبلحاح قوّة حُجج أريوس وسرعة انتشار آرائه التوحيدية المتوافقة في إطارها العام مع المسيحية الأصيلة والفطرة السليمة والمنطق السليم، لاسيما بين رجال الدين أنفسهم، لذا فقد دعا الأسقف الإسكندر إلى عقد مجلس للأساقفة المصريين وأقنعهم بإصدار قرار يقضي بالحكم بتجريم أريوس وأتباعه؛ فانقسم الموقف بين الحضور، وامتد الانشقاق في الموقف إلى الولايات الآسيوية، حتى إذا علم قسطنطين بذلك، بعث برسالة إلى أريوس والإسكندر مطالباً إياهما بالوصول إلى توافق في الرأي بصورة سلمية وأن لا يحوّل المسألة إلى نزاع يقع بيد عامّة الناس، وجاء في رسالته: (ولم يكن ثمة حاجة إلى إثارة هذه المسائل أمام الجماهير... لأنها مسائل لا يثيرها إلا من ليس لديهم عمل)^(١) وهذه الكلمة تؤكد عدم تدبّر قسطنطين بالمسيحية حقاً وأنها كانت بالنسبة إليه مجرد وسيلة لتحقيق مآرب سياسية، وإلا فإن حسم مسألة التوحيد وفق رؤية أريوس في مقابل عقيدة التثليث والانتصار لها لا يُعدّ مسألة فرعية سطحية وساذجة، بل تمثل أساس الإيمان المسيحي (يشغلون به أنفسهم، ولا يرجى منها إلا أن تزيد عقول الناس حدة... تلك أعمال سخيفة بالأطفال العديمي التجربة لا برجال الدين أو العقلاء من الناس)^(٢).

وحيث لم تُجدِّ محاولته في إنهاء الانقسام، بل شهدت الساحة المزيد منه، وانتشر الجدل في هذه المسألة، واشتعلت نيران الخلاف في بلاد الشرق اليوناني، اعترم قسطنطين أن يقضي عليه بدعوة أول مجلس عام للكنيسة. ولهذا عقد مجلساً من الأساقفة عام ٣٢٥ في نيقية وأعد ما يلزم من المال

١. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٣٩٣.

٢. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٣٩٤.

مكانته وصفاته الأخلاقية

لنفقاتهم، وحضر الاجتماع قرابة ٣١٨ فرداً منهم، يصحبهم حشد كبير من رجال الدين الأقل منهم درجة. واجتمع المجلس في بهو أحد القصور الإمبراطورية تحت رئاسة قسطنطين، وافتتح هو المناقشات بدعوة موجزة وجهها إلى الأساقفة يطلب إليهم فيها أن يعيدوا إلى الكنيسة وحدتها.

وبرز موقف آريوس بقوة منطقته وحججه، وخاصمه رئيس الشماسية^(١) الذي استعان به الأسقف الإسكندر بلحاظ قدرته الفائقة على الحوار والمجادلة، واسمه أثناسيوس Athanasius، ووصل الأمر في نهاية المطاف إلى قرار يقضي فيه المجلس وبموافقة الامبراطور بالتالي: (نحن نؤمن بإله واحد، وهو الأب القادر على كل شيء، خالق الأشياء كلها ما ظهر منها وما بطن، وبسيد واحد هو يسوع المسيح ابن الله، المولود ... غير المخلوق من نفس جوهر الأب ... وبأنه من أجلنا نحن البشر ومن أجل نجاتنا نزل وتجسد، وصار إنساناً، وتعذب، وقام مرة ثانية في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وسيعود ليحاسب الأحياء والأموات ...) (٢).

ولم يرفض توقيع هذه الصيغة إلا خمسة من الأساقفة، تقلصوا آخر الأمر إلى اثنين. وحكم المجلس على هذين الأسقفين وعلى آريوس الذي لم يتزحزح عن عقيدته أو يتوب عما صدر منه، باللعنة والحرمان، ونفاهم الامبراطور من البلاد. وصدر مرسوم امبراطوري يأمر بإحراق كتب آريوس جميعها ويجعل إخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام.

١. الشماس كلمة سريانية تعني خادم، وتُطلق في العُرف الكنسي على معاون الكاهن.

٢. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٣٩٥.

وهكذا جاءت الغلبة في هذه المجمع لصالح الاتجاه المناهض للتوحيد بمفهومه السليم والحقيقي، وتم ترسيخ عقيدة بنوّة المسيح وألوهيته بنحو من التفسير غير المنطقي إلى يومنا هذا.

واحتفل قسطنطين بهذا (الإنجاز) وطلب من الأساقفة الذين حضروا وليمته الملكية الحفاظ على وحدة الصف، ولكن ما جرى كان على خلاف ذلك، فقد كان هذا الاجتماع بمثابة السنّة السيئة التي دفعت ببعض الأساقفة إلى الطمع في توظيفها مجدداً لصالح قناعاتهم وفرضها بالقوة، فشبت النزاعات فيما بينهم، واندفعوا لعقد المزيد من المجمع التي كانت تؤدى في كل مرة إلى إقرار بعض العقائد والمفاهيم وفرضها على الكنيسة، ورفض ما يخالفها واضطهاد أصحابها بشدة.

ومن جهة أخرى نجد أنّ قسطنطين قد عمل على تقديم صورة هجينة من المسيحية تتضمن بعض الاحتفاليات والمظاهر والأعياد والأساطير الوثنية، ومن شواهد ذلك أنه قام ببناء قوس نصر في سنة ٣١٥ - أي بعد سنتين من مرسوم ميلانو- يخلد من خلاله انتصاره في معركة جسر (ميلفيو)، حيث ظهرت فوق القوس صور للآلهة فكتوريا وأبولو وديانا وهرقل، ليتم تقديم القرابين لها، في حين خلي القوس من أي رمز مسيحي.

وفي سنة ٣٢١، أمر قسطنطين بتقديس يوم الأحد وأن يكون يوم راحة لكل مواطني الامبراطورية، في حين كان فيه يوم السبت هو اليوم المخصص للعبادة والراحة من العمل بحسب الشريعة الموسوية التي استمر عليها المسيح، ولكن حيث كان الأحد يوماً مخصصاً للشمس كإله Sunday فقد تم إقحامه

كيوم عبادة في الكنيسة وراحة من العمل بديلاً عن السبت، واستمر الأمر إلى هذا العصر.

ويذكر د. القس فهم عزيز، العميد الأسبق لكلية اللاهوت الإنجيلية في كتابه (المدخل إلى العهد الجديد): (يؤخذ من دراسة كتابات الآباء -جيروم، رسالة ١٠٧- أنّ من كان ينضم إلى جماعة مثرا/ميترا^(١) لا يستطيع أن يدخل دفعة واحدة، بل عليه أن يمرّ في سبع درجات متتالية، هي سبع أبراج الكواكب، تمر فيها الروح حتى تصل إلى نهاية الرؤيا والمجد الأعظم. وهذه الدرجات حسب ترتيبها هي: الغراب - العريس - الجندي - الأسد - الفارس - مخدع الشمس - الآب. وعلى المؤمن، عندما يصل إلى درجة معينة، أن يلبس لباساً خاصاً بها، فمثلاً عندما يصل إلى برج الجندي فإنه يلبس لباس الجندي ثم يدخل إلى كهف عسكري ويمسك بسيف يضعه على رأسه، ثم يرفعه ويضعه على كتفه ليظهر أن مثرا هو تاجه ومجده، وأنه هو جنديّه وشهيده إذا لزم الأمر، ثم يُسام على جبهته بعلامة بقضيب محمي بالنار، وبعد ذلك يُسمّى بالخادم. وعندما يصل إلى برج الشمس فإنه يُسمّى شريكاً، وعندما يصل إلى النهاية يدخل في عهد السرية التام. وإلى جانب هذه الرحلة الدينية عليه أن يقوم بطقوس أخرى. فهناك المعمودية بالتغطيس لإزالة ثقل الخطية والتطهير من الشر، وبعد المعمودية يولد الإنسان ولادة ثانية. وهناك مائدة مثرا وهي مائدة مقدسة يأكل منها مع الإله مثرا ليشترك في خبرة الإله.... موته وقيامته. وعندما

١. مثرا اسم لإله الشمس المجلوب من عند الفرس.



قوس النصر

يصل إلى برج الأسد فإنه يتناول الخبز والخمر المقدس^(١). وعيد مِثْرا هو يوم ٢٥ ديسمبر وهو عيد قيامة الشمس، فإن الناس قديماً كانت تظن أن الشمس تسير في طريقها إلى الموت حتى تصل إلى أقصى الضعف يوم ٢١ ديسمبر ثم تبدأ بعد ذلك في الحياة. هذه هي ديانة مِثْرا وفيها نجد التشابه الكبير بينها وبين المسيحية في الطقوس: المعمودية والولادة الثانية والأكل مع الإله واختبار الموت والقيامة مع الإله^(٢).

١. سيدخل هذا المفهوم وهذه الممارسة إلى الكنيسة من خلال ما يُعرف بعنوان (سر الأفخارستيا أو الأوخارستيا) ويتم فيه تناول قطعة صغيرة ورقيقة من الخبز مع تذوق أو غمس قطعة الخبز في القليل من الخمر. وسأتحدث عن هذا الطقس الكنسي ضمن بحث آيات المسيح.

فترة-ما-بين-العهدين/2021/03/https://epcear.com

بالطبع، فإن كاتب السطر السابقة -كقس مسيحي- لم يتوقف عند هذا الحد في الكلام عن هذا التشابه (المحرج)، بل برّر ذلك بأن الفرق عظيم بين المسيحية والمثرائية، لأن المسيحية ديانة بُنيت على حقيقة تاريخية ملموسة.. ومركزها هو شخص عاش في التاريخ مات وقام... عرفوه ورأوه ولمسوه وشهدوا له بحياتهم. أما ديانة مثرا وغيرها فهي ديانة طقسية بُنيت على أسطورة لا أساس تاريخي لها... هي من خيال الإنسان الذي يريد الخلاص^(١).

ولكن يبقى الإشكال، أن المسيحية -بصورتها الحاضرة التي لا نعتقد أنها الصورة الحقيقية لها- جاءت بعد المثرائية، فكيف وقع التشابه بين الإثنين إن لم نفسّر ذلك بأن طرفاً ما قام بالتوفيق بين الديانتين، المثرائية الوثنية، والمسيحية التوحيدية، فأدخل في المسيحية ما لم تكن تتبنّاه، وتداخلت معها معتقدات وطقوس وعادات غير أصيلة؟

• العامل الثالث:

يمكن اعتبار الفلسفات القائمة في عصر ظهور المسيح وما بعده بعقود، ولاسيما الفلسفة اليونانية (الهلينية)، من العوامل المؤثرة في تكوين صورة المسيحية وتشكل معتقداتها بالصورة التي نراها اليوم في الكنائس المختلفة، فقد كانت الفلسفة اليونانية متغلغلة بقوة ومؤثرة بشكل كبير في المجتمعات التي عايشت بدء ظهور المسيحية وانطلقت من أجوائها، ومع محاولات تقديم المسيحية -بصورتها المخففة- للوثنيين، وجدت بعض مفردات هذه الفلسفة طريقها إلى العقيدة والثقافة المسيحية كنتيجة طبيعية لعدم الحسم في

1. <https://epcear.com/2021/03/> فترة-ما بين-العهدين

المسألة ووضع خط فاصل ما بين الأمرين. لقد سعى اليهود من قبل -وبكل طاقتهم- لمقاومة التأثير بالفلسفة والثقافة الهلينية اليونانية التي اجتاحت المنطقة ابتداء من عهد الإسكندر المقدوني، ولكن التيار كان أقوى منهم بكثير، وأسفر الصراع العنيف بين الطرفين لدخول عدة عناصر غريبة إلى أعماق الفكر اليهودي، فهل سلمت المسيحية منها؟

في البين من ينكر ذلك إنكاراً تاماً، بينما أفرطت جماعة فادّعت أن ليس في المسيحية شئ سوى التفكير الهليني، ولكن بصيغة خاصة، فالمسيحية التي نعرفها اليوم - بحسب أصحاب الرأي الثاني - هي بنتٌ بولس الرسول، وهي ديانة أممية انتقلت إليها العقائد من المعبد الوثني إلى الكنيسة المسيحية، وعلى ذلك فقد كان الفكر الهليني هو الأساس الذي بُنيت عليه المسيحية الحاضرة في صورتها العامة.

وهناك اتجاه وسطي يرى أنه لا يمكن الفصل بين المسيحية واليهودية، كما لا يمكن التغاضي عن التأثير الكبير للتيار الضخم العظيم الذي غطّى العالم كله في تلك الفترة وهي الثقافة الهلينية.

يقول د. القس فهم عزيز: (لا يستطيع أي دارس أن ينكر أن هناك علاقة ما بين العهد الجديد وبين تيار الثقافة الهلينية الذي ساد ذلك العصر. ولا يُعقل أن الكنيسة المسيحية التي نبتت في وسط ذلك التيار الجارف ظلت بمنأى عنه غير متأثرة به. ومن يفتح العهد الجديد ويقرأه لأول مرة وهو يعرف بيئة ذلك العصر، لا يخفى عليه ذلك الأثر الذي تركته تلك البيئة عليه. إن الاختلاف بين دارسي الكتاب لا ينصبّ على الارتباط بين العهد الجديد والمسيحية

من جانب والهلينية من جانب آخر، فغالبيتهم تقريباً متفق في ذلك، ولكن الاختلاف يكمن في تحديد نوع ذلك التأثير ومداه^(١).

وبحسب (شارل جنيبير) في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها) فإنه لا جدال في أن الفلسفة اليونانية قد فرضت نفسها ووجدت طريقاً إلى المسيحية، حيث أننا نجد المؤثرات الدينية الهلينية تتفاعل فيها - على أساس من المبادئ اليهودية الواضحة كل الوضوح - مع المفاهيم الفلسفية اليونانية التي نزلت إلى مستوى العامة بطرق غير مباشرة، فقد كان في ذلك المجتمع فلاسفة محترفون أبدوا استعداداً كبيراً للبحث في مسائل الإيمان، ولأن يُصبحوا من الباحثين في علوم اللاهوت، فكانوا يمضون - كل بحسب مذهبه - إلى نشر التعاليم، فيلتقي بهم المسيحيون ويناقشونهم^(٢).

لقد كان بولس (الرسول) نفسه يهودياً ذا ثقافة هلينية، وأدخل من متبنياته هذه ما شاء في المسيحية بنسختها (البولسية) المخففة لجعل المسيحية مقبولة على أوسع نطاق، إلا أن مواطني الإمبراطورية الرومانية المتأثرين بالثقافة الهلينية - بحسب برتراند راسل في كتابه حكمة الغرب - لا يفهمهم أن يُقال عن المسيح إنه (ابن) إله اليهود لكي يدخلوا في الدين الجديد، بل كان لابد من وجود ما هو أكثر من ذلك، وكان الحل لدى بعض الغنوصيين^(٣) الذين كانت لهم حظوة في ذلك العصر، في مصر وخارجها، فكان من أقوالهم - التلفيقية - أن العالم المادي المحسوس خلقه «يَهُوَه»، ثم جاء ابن الإله الأعلى ليعيش بين البشر على

1. <https://epcear.com/2021/03/فترة-ما بين-العهدين>

٢. جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها، ص ١٥٢.

٣. أي العرفانيين أتباع التفسيرات الباطنية، وسنتحدث عنهم لاحقاً في بحث صلب المسيح.

هيئة إنسانٍ فان؛ حتى يُفند التعاليم الزائفة للعهد القديم^(١).

وهكذا، لم يتجنّب الأوائل من أصحاب الصورة الجديدة للمسيحية تأثيرات الفلسفة ولم ينكروها، بل حاولوا منذ بدء اتصالهم بها إخضاع أحكامها العقلية إلى مقتضيات فروضهم الدينية. وهذا يعني أن الإيمان المسيحي - بثوبه الجديد - لم يناوئ الفلسفة الهلينية، وإنما وجد فيها الدعم (العقلي) والسند (المنطقي) لجملة عقائده وتنظيماته.

لقد استهوتهم الأفكار الفلسفية والنظم العقلية كثيراً، وكان يعجبهم منها: القول بعالم المحسوس، وبإله هو الخير بالذات، وشمس العالم المعقول وصانع العالم المحسوس بما فيه خير وجمال وبنفس إنسانية روحية هابطة من العالم المعقول تائقة العودة إليه، وبتحقير الجسم، والإشادة بالزهد والتطهير والخلود والاتحاد بالله، وغيرها من المفاهيم والأفكار التي رأوا أنها تجيب عن كثير من القضايا والمعاني المبهمة التي لم يجدوا لها معنىً خارج أطر التفلسف والمنطق وفق هذه المدرسة.

وتؤكد الباحثة الجزائرية (سعدية بن دنيا) في كتابها (المسيحية وإشكاليات اللاهوت الفلسفي: جدل العقل والإيمان) على أن التقاء المسيحية بالفكر الفلسفي اليوناني لم يقف عند حدود الإعجاب والإشادة، بل تعدّاها إلى التعاطي مع هذه الأفكار، إذ تناول المسيحيون كل المفاهيم التي من شأنها زيادة المسيحية الأولى (عمقاً وجمالاً)، كما لم يدخروا أدنى جهد في تطويعها وتحويلها إلى خدمة اللاهوت.

وهكذا استعارت المنظومة المسيحية من الفلسفة الغنوصية الأفلوطينية^(١) الكثير من المفاهيم والأفكار التي طعّمت بها نصوصها الأصلية، حيث أنها أدخلت في العقائد الإيمانية ألفاظاً فلسفية استقتها من اليونانية السائدة آنذاك، وذلك من قبيل مصطلحات (الأقنوم - الشخص - الطبيعة - الجوهر)، وقد كان لهذه الألفاظ بالغ الأثر في السجال اللاهوتي الشائك الذي دار حول طبيعة المسيح، هل هي إلهية أم إنسانية؟ أم تشتمل الاثنين معاً؟ إذ وضّحت هذه المفاهيم المستعارة من الفلسفة أصلاً، كيف يمكن أن يتّحد العنصران الإنساني والإلهي في شخص، هو يسوع المسيح، وذلك وفق العقيدة التي تأسست بعد المسيح نفسه.

وقد برزت الحاجة إلى الفلسفة أكثر بغرضالدفاع عن العقيدة المسيحية (المحدثة) بوجه خصومها ومنكريها، ذلك أن أتباعها - وفي ظل فوضى المذاهب والملل التي شهدتها المسيحية منذ انبعاثها الأول - تعرّضوا للتضييق الشديد من قبل العديد من أتباع ومناصري العقائد والديانات المنافسة، ولحق بهم الكثير من العذاب والاضطهاد، ومن ثم وجّهوا جلّ اهتمامهم للدفاع عن عقيدتهم وتصحيح الصورة غير المقبولة عند الآخرين، وهذا ما أدى إلى ظهور جماعة من الكتاب المدافعين الذين انتشروا في النصف الثاني من

١. الأفلوطينية، أو (الأفلاطونية المحدثة) هي التسمية التي أطلقت منذ القرن التاسع عشر على مدرسة للصوفية الفلسفية والتي تكونت في القرن الثالث مبنية على تعاليم أفلاطون وتابعيه الأوائل. ويعد أفلوطين وأستاذه أمونيوس سكاس من المساهمين الأوائل في تلك الفلسفة. تركز الأفلاطونية المحدثة على الجوانب الروحية والكونية في الفكر الأفلاطوني مع مزجها بالديانتين المصرية واليهودية.

القرن الميلادي، وخصّصوا كتاباتهم للدفاع عن هذه الصورة من المسيحية. وهكذا جاءت الحاجة إلى الفلسفة، إذ أعارت المسيحيين أدوات المنطق والمحااجة، وسلّحتهم بالأدلة والبراهين، وهذا يعني أنهم نجحوا في تحويل الفلسفة إلى علم للدفاع عن الدين.

ولما كانت بيئة المسيحيين بيئة يهودية ووثنيّة بالدرجة الأولى، وجّه هؤلاء المدافعون دفاعاتهم إلى اليهود والوثنيين، وكان عليهم أن يبيّنوا أن المسيحية -وفق رؤيتهم- هي الفلسفة الأكثر عقلانية، فأقاموا العديد من المناقشات التي اتخذت من حوارات (أفلاطون) و(شيشرون)^(١) مثلاً لها، وكان يُحتذى بها دون سواها في مبناها ومنطقها الفلسفي والأخلاقي، فكثيراً ما أعجب المسيحيون (من أتباع المدرسة البولسية) بالأفلاطونية، وخصّوها بأكبر التقدير والثناء لمواءمة الكثير من أفكارها ونظرياتها العقلية مع منطلقات عقيدتهم الإيمانية.

وهكذا نجد أن التفكير الفلسفي العقلاني لا يتناقض مع مقتضيات الدين المسيحي بصورته المعهودة، وإنما يسير معه في اتجاه واحد، ويعمل لصالحه جنباً إلى جنب^(٢).

١. ماركوس توليوس شيشرون (١٠٦ ق.م - ٤٣ م). فيلسوف وقنصل ومحامي وكاتب وخطيب روماني.

٢. للمزيد، انظر: المسيحية وإشكاليات اللاهوت الفلسفي: جدل العقل والإيمان، سعدية بن دنيا، ص ١١٤-١١٧.

صفاته الْخَلْقِيَّة

صفاته الخلقية

لم تذكر نصوص الإنجيل صفات السيد المسيح «عليه السلام» وهيئته الجسدية، ولم يعن القرآن الكريم عموماً بشئ من هذا في آياته الشريفة، وإن تحدّث عن حمل والدته به ومولده وما تبع ذلك من أحداث جرت بينها وبين كهنة وشيوخ بني إسرائيل، وذلك لما لهذه المسألة من علاقة بأغراض القرآن بخلاف هيئته وملامح وجهه الشريف.

والى غموض هذا الأمر يشير ول ديورانت حيث يقول: (ليست لدينا صورة واحدة له، ولم يترك لنا أتباعه وصفاً دقيقاً له). ثم استدرك فقال: (الذي لا شك فيه أنه كان وسيماً بعض الوسامة، كما كان ذا روح جذابة، استطاع بفضلهما أن يجمع حوله كثرات من النساء وكثيرين من الرجال. وفي وسعنا أن نستدل من بعض العبارات المتفرقة على أنه كان يلبس، كما كان يلبس أهل زمانه، عباءة فوق جلباب، وخفين في قدمه، ولعله كان يضع على رأسه غطاء ينزل على كتفيه ليقيه حر الشمس)^(١). أي ما يشبه الشماغ أو الغترة.

١. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢١٨.

○ في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: (حِينَ أُسْرِيَ بِي وَلَقِيتُ عِيسَى، فَتَعَتَهُ النَّبِيُّ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فَإِذَا رُبْعَةٌ أَحْمَرٌ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، يَعْنِي حَمَامًا) (١).

قال علوي بن عبد القادر السقاف معلقاً على الرواية السابقة: («رجل رُبْعَةٌ»، يعني: لا طويل ولا قصير، ووصفه بأن لونه يميل إلى الحمرة، وقيل: الأحمر عند العرب الأبيض، «كأنما خرج من ديماس» وهو البيت أو النفق في الأرض. وقيل: الحمام، والمراد وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه، وفي الصحيحين: «يقطر رأسه ماء») (٢).

○ في صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال في خبر الإسراء: (رَأَيْتُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرٌ جَعْدٌ) جَعْدٌ، أَي فِي شَعْرِهِ انْتِشَاءٌ (عَرِيضُ الصِّدْرِ) (٣).

○ في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر عن النبي «صلى الله عليه وآله»: (... وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمٌ، كَأَحْسَنَ مَا يُرَى مِنْ آدَمَ الرِّجَالِ، تَضَرَّبُ لِمَتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجُلٌ الشَّعَرُ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...) (٤).

قال علوي بن عبد القادر السقاف: (رأى رجلاً آدم، أي: أسمر، كأحسن ما

١. صحيح مسلم، ح ١٦٨.

2. <https://www.dorar.net/hadith/sharh/14996>

٣. صحيح البخاري: ٣٤٣٨.

٤. صحيح البخاري: ٣٤٣٩.

يرى من الرجال المتصفين بالسمر، «تضرب لمتة بين منكبيه». اللَّمَّة: هي الشعر إذا جاوز شحم الأذنين، والمنكب هو أعلى الظهر ما بين الكتف والعنق، «رَجَل الشعر»، أي: قد سَرَّحه، وقد كان رأسه يقطر ماءً).

وحيث أن هذا الوصف يتعارض تماماً مع الوصف السابق الوارد في رواية أبي هريرة، قال السقاف: (وقد ورد عن النبي «صلى الله عليه وسلم» عن أكثر من واحد من الصحابة في الصحيحين وغيرهما أنه قال في وصف عيسى: إنه أحمر، وهذا يدل على أن ابن عمر «رضي الله عنه» أخطأ في حفظه).

ثم تدارك وحاول أن يجمع بين الروایتين بتأويل غير مقبول حيث قال: (ويجوز أن يُتَأَوَّل الأحمر على الآدم، ولا يكون المراد حقيقة الأدمة والحمرة، بل ما قاربها)^(١).

أما موسوعة التفسير الموضوعي فإنها ذهبت إلى توجيه آخر للجمع بين الروایتين، فقالت: (الأحمر عند العرب: الشديد البياض مع الحمرة، والآدم: الأسمر، ويمكن الجمع بين الوصفين بأنه أحمر لونه بسبب، كالتعب، وهو في الأصل أسمر). وللتوفيق بين كونه جعداً وسبط الرأس، قالت: (وقوله «جعد»، «سبط الرأس»: فصفة الجعودة هنا في الجسم لا في الشعر، لأنه وصف الشعر بالسبط، والسبط من الشعر المنبسط المسترسل، وهو ضد الجعد، وأما الجعد في الجسم فهو المجتمع الشديد)^(٢).

إلا أن هذه التأويلات - برأبي - ليست في محلها.

1. <https://dorar.net/hadith/sharh/6803>

٢. موسوعة التفسير الموضوعي، ج ٢٥، ص ١٢.

○ في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي «صلى الله عليه وآله»: (... وقد رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ... وَإِذَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبْهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ...»^(١). وهذه الرواية لا تفيدنا بشيء لأننا -اليوم- لا نعرف كيف كان يبدو عروة الثقفي، كل هذا على فرض صحة الرواية والتشبيه الوارد فيها.

○ في سير أعلام النبلاء للذهبي خبر عن هشام بن العاص الأموي^(٢) قال فيه: (بُعِثْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ إِلَى هِرْقُلٍ نَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ) وذلك على عهد أبي بكر (فَنَزَلْنَا عَلَى جَبَلَةٍ بَنِ الْأَيْهَمِ الْغَسَانِي) ملك الغساسنة (فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ عَلَى سَرِيرٍ لَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا بِرَسُولٍ نَكَلِمُهُ، فَقُلْنَا: وَاللَّهِ لَا نَكَلِمُ رَسُولًا، إِنَّمَا بُعِثْنَا إِلَى الْمَلِكِ، فَأَذِنَ لَنَا وَقَالَ: تَكَلَّمُوا. فَكَلِمَتُهُ وَدَعْوَتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَإِذَا عَلَيْهِ ثِيَابٌ سَوَادٌ، قُلْنَا: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: لِبَسْتُهَا وَحَلَفْتُ أَنْ لَا أَنْزِعَهَا حَتَّى أَخْرِجَكُمْ مِنَ الشَّامِ. قُلْنَا: وَمَجْلِسُكَ هَذَا، فَوَاللَّهِ لِنَأْخُذَنَّهُ مِنْكَ، وَلِنَأْخُذَنَّ مُلْكَ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) أي قيصر الروم (أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ نَبِيُّنَا. قَالَ: لَسْتُ بِهُمْ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَصُومُونَ بِالنَّهَارِ، فَكَيْفَ صَوْمُكُمْ؟ فَأَخْبَرَنَاهُ، فَمَلَأَ وَجْهَهُ سَوَادًا وَقَالَ: قَوْمُوا، وَبُعِثْ مَعَنَا رَسُولًا إِلَى الْمَلِكِ) أي قيصر الروم (فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ، قَالَ الَّذِي مَعَنَا: إِنَّ

١. صحيح مسلم، ح ١٧٢.

٢. هشام بن العاص بن وائل السهمي صحابي، أبوه العاص بن وائل السهمي وأخوه عمرو بن العاص وخاله أبو جهل. أسلم بمكة قديماً، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية. عاد إلى مكة حين علم بهجرة النبي إلى المدينة للحاق به، لكن سجنه أبوه، وقومه. رحل إلى المدينة بعد غزوة الخندق. استشهد في معركة اليرموك (١٥هـ/٦٣٦م)، وقيل في غيرها.

دوابكم هذه) الإبل (لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم حملناكم على براذين وبغال؟ قلنا: والله لا ندخل إلا عليها. فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون، فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا، حتى انتهينا إلى غرفة له، فأنخنا في أصلها، وهو ينظر إلينا، فقلنا: لا إله إلا الله والله أكبر. والله يعلم لقد تنقضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق) نخلة أو غصن شجرة (تصفقه الرياح، فأرسل إلينا: ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم، وأرسل إلينا أن ادخلوا، فدخلنا عليه، وهو على فراش له، وعنده بطارقه من الروم) البطارقة جمع بطرق/ بطريق/ بطرك، وكانت تعني في لغة الروم والشام: القائد، وصارت تمثل رتبة خاصة برجال الدين المسيحي (وكل شيء في مجلسه أحمر، وما حوله حمرة، وعليه ثياب من الحمرة، فدنوا منه، فضحك وقال: ما كان عليكم لو حييتموني بتحيتكم فيما بينكم. فإذا عنده رجل فصيح بالعربية، كثير الكلام، فقلنا: إن تحييتنا فيما بيننا لا تحل لك، وتحيتك التي تحيا بها لا يحل لنا أن نحيك بها. قال: كيف تحيتكم فيما بينكم؟ قلنا: السلام عليكم. قال: فبم تحيون ملككم؟ قلنا: بها. قال: وكيف يرد عليكم؟ قلنا: بها. قال: فما أعظم كلامكم؟ قلنا: لا إله إلا الله والله أكبر. فلما تكلمنا بها قال: والله يعلم لقد تنقضت الغرفة، حتى رفع رأسه إلينا فقال: هذه الكلمة التي قلتموها حيث تنقضت الغرفة كلما قلتموها في بيوتكم تنقض بيوتكم عليكم؟ قلنا: لا، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك. قال: لوددت أنكم قلتم تنقض كل شيء عليكم، وأني خرجت من نصف ملكي. قلنا: لم؟ قال: لأنه كان أيسر لشأنها، وأجدر ألا يكون من أمر النبوة، وأن يكون من حيل الناس. ثم سألنا عما أراد، فأخبرناه، ثم قال: كيف صلاتكم

وصومكم؟ فأخبرناه، فقال: قوموا، فقمنا، فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثير، فأقمنا ثلاثاً، فأرسل إلينا ليلاً فدخلنا عليه، فاستعاد قولنا، ثم دعا بشيء كهيئة الرُّبعة) نوع من الصناديق (العظيمة، مُذهَّبة فيها بيوت صغار، عليها أبواب، ففتح بيتاً وقُفلاً، واستخرج حريرة سوداء فنشرها، فإذا فيها صورة حمراء، وإذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الأليتين، لم أر مثل طول عنقه، وإذا ليست له لحية، وإذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا آدم «عليه السلام»، ثم فتح لنا باباً آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها صورة بيضاء، وإذا له شعر كشعر القطط، أحمر العينين ضخمة الهامة حسن اللحية، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا نوح «عليه السلام»، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين) واضح الجبين واسعه (طويل الخد أبيض اللحية كأنه يتبسم، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إبراهيم «عليه السلام»، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء، فإذا فيها صورة بيضاء وإذا والله رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال: أتعرفون هذا؟ قلنا: نعم، محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبكىنا. قال: والله يعلم أنه قام قائماً ثم جلس وقال: والله إنه لهُو؟ قلنا: نعم إنه لهو، كأنما ننظر إليه، فأمسك ساعة ينظر إليها، ثم قال: أما إنه كان آخر البيوت، ولكنني عَجَّلْتُه لكم لأنظر ما عندكم) واستمر في إخراج الرسومات إلى أن انتهى برسمة للنبي عيسى (ثم فتح باباً آخر، فاستخرج صورة، وإذا شاب أبيض، شديد سواد اللحية، كثير الشعر، حسن العينين، حسن الوجه فقال:

هذا عيسى «عليه السلام» فقلنا: من أين لك هذه الصورة؟ لأننا نعلم أنها على ما صُوِّرت، لأننا رأينا نبينا «صلى الله عليه وآله» وصورته مثله، فقال: إن آدم سأل ربه «تعالى» أن يريه الأنبياء من ولده، فأنزل عليه صورهم، وكانت في خزانة آدم عند مغرب الشمس، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس، فدفعتها إلى دانيال «عليه السلام»، يعني فصورها دانيال في خرق من حرير، فهذه بأعيانها التي صورها دانيال. ثم قال: أما والله لوددت أن نفسي طابت بالخروج من مُلكي، وأني كنت عبداً لَشَرِّكُمْ مَلَكَةً حتى أموت. ثم أجازنا بأحسن جائزة وسرَّحنا. فلما قدمنا على أبي بكر «رضي الله عنه» حدثناه بما رأيناه، وما قال لنا، فبكى أبو بكر وقال: مسكين، لو أراد الله به خيراً لفعل، ثم قال: أخبرنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنهم واليهود يجدون نعت محمد «صلى الله عليه وآله» عندهم).

ثم علّق الذهبي على الخبر قائلًا: (وهذه القصة قد رواها الزبير بن بكار، عن عمه مصعب بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن أبيه مصعب، عن عبادة بن الصامت: بعثني أبو بكر الصديق في نفر من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى هرقل ملك الروم لندعوه إلى الإسلام، فخرجنا نسير على رواحلنا حتى قدمنا دمشق. فذكره بمعناه. وقد رواه بطوله علي بن حرب الطائي فقال: حدثنا دلهم بن يزيد قال: حدثنا القاسم بن سويد قال: حدثنا محمد بن أبي بكر الأنصاري، عن أيوب بن موسى قال: كان عبادة بن الصامت يُحدِّث، فذكر نحوه^(١)).

1. https://islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookcontents&id-from=6417&idto=6417&bk_no=60&ID=6244

وهذا الخبر لا يعدو أن يكون من قصص القصاصين، وهو يشتمل على ما لا يمكن تصديقه من كيفية نزول الصور من عند الله «سبحانه وتعالى» ثم تحويلها إلى رسومات وتناقلها عبر الأجيال واستخراجها من مغرب الشمس على يد ذي القرنين ووصولها إلى قيصر الروم، فضلاً عن اهتزاز القصر عند ذكر الله وأمثال ذلك. وقد انتقل مضمون هذا الخبر إلى تفسير القمي مع المحافظة على الفكرة العامة وتغيير في بعض الشخصيات والتفاصيل.

• محاولات فنية:

وقد حاول الفنانون الشرقيون والغربيون منذ قرون عديدة تقديم لوحات وتمائيل ومنحوتات للسيد المسيح «عليه السلام»، فجاءت وفق مخيلاتهم وبتأثيرات من بيئاتهم، ونتاج تعصباتهم العرقية في بعض الأحيان، فتضاربت في ما بينها بشكل كبير. وفي ما يلي نماذج من تخيلاتهم:



صورة لوحة للنبي عيسى «عليه السلام» وهو يشفي المفلوج. وجدت هذه اللوحة على جدار كنيسة (دورا يوروبس) ويعود تاريخها إلى ٢٣٢ م تقريباً. وهي أقدم اللوحات المرئية المكتشفة للمسيح حتى اليوم.

وهذا تقريب وتوضيح للوحة السابقة التي تم العثور عليها في سورية بين عامي ١٩٢٨-١٩٣٧، ونُقلت إلى معرض الفنون بجامعة بيل في نيو هافن في الولايات المتحدة الأمريكية.



لوحة من سقف سراديب الموتى في سان كاليستو الواقعة في روما حالياً، وتصور فكرة شائعة من الفن المسيحي المبكر: المسيح عندما كان شاباً وعلى كتفيه حمل، تمثيلاً لفكرة الراعي الصالح المستعد للتضحية بكل شيء من أجل خرافه.



وقد شُيِّدت سراديب الموتى في سان كاليستو في وقت ما بعد عام ١٥٠ م، وسمّيت على اسم البابا المسيحي كاليكستوس الأول (استلم البابوية حوالي ٢١٨-٢٢٣ م). أما اللوحة فتعود إلى منتصف القرن الثالث. ابتداء من القرن الثاني للميلاد، حُفرت أنفاق الدفن الشاسعة المعروفة باسم (سراديب الموتى) في الصخور البركانية الناعمة -المحيطة بروما آنذاك- إذ كان يُحظر وفق القانون الروماني أن يتم دفن الموتى داخل حدود المدينة.



تعود هذه اللوحة التي تصوّر المسيح بين بطرس وبولس إلى القرن الرابع للميلاد. وهي مرسومة في سراديب الموتى لمارسيلينوس وبيتر. ونشاهد في أسفل اللوحة الشهداء الأربعة - جورجونوس، وبيتر، ومارسلينوس، وتيبورتوس، وبينهم

تصوير للحمل الإلهي واقف على الجبل. وهذه اللوحة من أوائل اللوحات التي أظهرت المسيح أكبر سناً وملتحياً، وهذا ما كان يُصوّر في كثير من الأحيان في الفن المسيحي في أواخر القرن الرابع.

لوحة جدارية من سراديب لدفن الموتى وتقع حالياً في حديقة عامة تحمل اسم (كوموديلا) في روما.

Parco di Commodilla

تعود اللوحة إلى أواخر القرن الرابع.



منظر من داخل سرداب دفن الموتى في كوموديلا.



لوحة فسيفساء في أقدم كنيسة في روما وتعود اللوحة إلى ما بين ٤١٠ و ٤١٧ م. يُعتقد أن فسيفساء كنيسة سانت بودينزيانا هي أقدم فسيفساء من نوعها. في اللوحة ، يظهر المسيح كشخصية بشرية يرتدي ثوباً ذهبياً بزخرفة أرجوانية، ويجلس على عرش مرصع بالجواهر، وكلها مستوحاة ومتأثرة بالسلطة الإمبراطورية الرومانية. تم ترميم الفسيفساء بشكل كبير في القرن السادس عشر وتم تغيير أجزاء منها أو إزالتها. أثناء الترميم، تمت إزالة اثنين من الرسل بالإضافة إلى الجزء السفلي بالكامل من الفسيفساء.



تم الكشف مؤخراً عن اللوحات الجدارية الموجودة في سراديب الموتى في سانت دوميتيلا في روما حالياً، وذلك بتقنية التنظيف بالليزر، والتي تستخدم الليزر لإزالة الطبقات المتراكمة فوقها. تُظهر اللوحة الجدارية الموجودة في سراديب الموتى المسيح بلا لحية وبهيئة رومانية جالساً على العرش بين مجموعتين من الرسل يُقبَلان شخصين متوفين في مملكة السماء، وهي تعود إلى بدايات القرن الخامس الميلادي.



لوحة فسيفسائية تمثل الراعي الصالح، وتقع في ضريح غاللا بلاسيديا، في روما حالياً، وتعود إلى سنة ٤٢٥م، وتمثل واحدة من أجمل اللوحات التي تم الحفاظ عليها بشكل جيد. يظهر المسيح «عليه السلام» في شكل ملكي أكثر من لوحات الراعي الصالح المبكرة الأخرى، وبلا لحية، والطابع الروماني يغلب على هيئته. وبدلاً من وضع حمل على كتفه، جلس بين قطيعه وهو يرتدي رداءً ذهبياً وأرجوانياً.



هذه اللوحة تُظهر المسيح كإمبراطور يرتدي الزي العسكري، ويسحق الحيّة التي ترمز إلى الشيطان. ويبيده كتاب وفيه: (أنا الطريق والحق والحياة) وهي عبارة موجودة في إنجيل (يوحنا ١٤: ٦) يعود تاريخ اللوحة إلى ما بعد سنة ٥٠٠م، وتوجد في كنيسة (متحف حالياً) واقعة في مدينة رافينا شمال شرق

روما Archiepiscopal Museum، Ravenna.



تعود هذه اللوحة إلى القرن السادس أو السابع للميلاد، في دير سانت كاترين في صحراء سيناء بمصر. ويظهر فيها المسيح بصورة قريبة جداً من الانطباع المتداول حالياً لصورته وملامحه الجسدية. يظهر قسماً الوجه غير متطابقين، ولربما للإشارة إلى البعدين الإلهي والبشري فيه بحسب العقيدة الدارجة.



وعند عمل انعكاس مرآتي لكل جهة من الوجه تظهر اللوحة بهذه الصورة.



تعود اللوحة إلى ما بين نهايات القرن التاسع وبدايات العاشر الميلادي. ومن الواضح أن معالم الوجه تختلف عن الصبغة الرومانية الغربية.



المسيح في لوحة فسيفسائية في (كنيسة/مسجد) آيا

صوفيا - إسطنبول وتعود إلى القرن ١١م.



المسيح في لوحة جدارية في
(كنيسة/مسجد) آيا صوفيا
في إسطنبول، وتعود إلى
١٢٦١م تقريباً.



المسيح في هيئة ملكية، وبلا
لحية، واللوحة في كتاب من
إنجلترا يعود إلى القرن ١٢
الميلادي. ونلاحظ ملامح
الوجه المختلفة تماماً عن
تلك الموجودة في اسطنبول.



لوحة من المينا على التاج المجري الذي كان يرتديه ملوك هنغاريا، ويظهر المسيح بهيئة أقرب إلى الملامح الشرقية.



وتعود لوحات المينا فيه إلى سنة ١٠٧٠م وقد صنعت في القسطنطينية/إسطنبول.



هيئة مختلفة تماماً للمسيح
وتعود إلى سنة ١١٢٣م، في
برشلونة بأسبانيا.



لوحة تعود إلى سنة ١٣١٠م
في فلورنسا بإيطاليا وتظهر
المسيح طفلاً مع والدته،
وبملاح غير متناسبة مع
اللوحات الإيطالية السابقة.



لوحة مخلص العالم

Salvator Mundi

للفنان الإيطالي ليوناردو دافنشي

١٤٩٠-١٥٠٠ م.



هذه آخر لوحة رسمها الفنان الإيطالي رافائيل وبغنوان (التجليّ)

The Transfiguration

وعمل عليها حتى وفاته سنة ١٥٢٠ م. ويظهر المسيح بملامح أوروبية.



لوحتان للمسيح

للهولندي رامبرانت فان راين

Rembrandt van Rijn

تعودان إلى منتصف القرن

السابع عشر





المسيح ووالدته في تصوير أثيوبي يعود إلى القرن ١٥ م، ومن الواضح انعكاس الملامح الأثيوبية على تصوير الشخصيات.



تصوير أثيوبي آخر
للمسيح وهو أكبر سنًا
ووالدته في تصوير ويعود
إلى القرن ١٥ م.



المسيح وفق التصور الأثيوبي الأفريقي.
واللوحة تعود إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادي.



لوحة غربية معاصرة تظهر المسيح
بملامح أوروبية واضحة.



فف عام ٢٠٠١ ، ابتكر الفنان الطبقف رفشارف نفف Richard Neave جنباً إلى جنب مع فرقق من علماء الأنثروبولوجفا الشرعفف الإسرائفلفف والبرفطافففف ومبرمجب الكمبفوتر تصوراً للمسفح؁ اسفنأافاً إلى السماف النمؤجبفة للففوف الفلفسطفففففف فف القرن الأول؁ فكانف كما فف الصؤرة أعلاه! وفءعف القائفون على المشروع أنها الصؤرة الأكثر فطابقاف مع صفافه الجسءفة.. ولكن كفف عرفوا هؤة الصفاف؟ وهل ففوف فلفسطففف -فعلاف- بهؤة الملامح؟

صفاته الخاقية

خلاصة ما سبق أننا لا نملك وصفاً يمكن الاعتماد عليه لملامح السيد المسيح «عليه السلام»، بما في ذلك الروايات الإسلامية التي لا نملك دليلاً على صحة صدورها عن النبي «صلى الله عليه وآله». على العكس من ذلك، فإننا نملك وصفاً تفصيلياً لملامح النبي «صلى الله عليه وآله» في بعض الروايات الإسلامية وهي مروية عن بعض أهل بيته وأصحابه من الرجال والنساء، ولكن الامتناع عن تصويره -فقهياً وأدبياً- منع من تحويل الوصف إلى لوحة تقريبية، وهو الأمر الذي لا يشكّل عائقاً أمام تصوير المسيح عند المسيحيين ولكنهم -في المقابل- يفتقدون إلى الوصف البياني الذي يمكنهم من تقديم لوحة تقريبية حقيقية لذلك الوصف.

٥

والدة السيد المسيح

والدة السيد المسيح

ليس في الأناجيل الأربعة ضمن العهد الجديد أي ذكر لولادة السيدة مريم وعلاقتها بالنبي زكريا بالصورة المبيّنة في القرآن الكريم، ولكننا نجد في سفر (إنجيل) يعقوب الذي لا تعترف به الكنائس، بعض التفاصيل والأحداث القريبة في صورتها العامة بما جاء في القرآن الكريم، وإن اختلفت في بعض الخصوصيات كما سيتبيّن ذلك في الأسطر التالية.

فسفر يعقوب يذكر في بدايته أن والد السيدة مريم كان ثرياً جداً، ولكنه حُرِم من الذرية، فلما شاخ هو وزوجته، تطلّع إلى سيرة إبراهيم الخليل وزوجته، حيث رزقهما الله -وهما في سن الشيخوخة- ولدهما إسحاق، ومن إسحاق تفرّع الأسباط الاثنا عشر بكل نسلهم الممتد من بني إسرائيل. وقد دفعه حزنه هذا للذهاب إلى الصحراء، ونصب خيمته، وصام أربعين يوماً وليلة، معاهداً نفسه أن لا يعود لبيته حتى يستجيب الله له، وأن تكون الصلاة -خلال هذه المدّة- هي طعامه وشرابه.

وفي المقابل، فقد خرجت والدة السيدة مريم من بيتها، وجلست عند مغارة، وصلت ودعت الله قائلة: (يا إله آبائنا، باركني واسمع دعائي، كما باركت رحم سارة، وولدت لها ابناً، هو إسحاق).

فظهر لها الملك وبشرها، ثم ظهر لزوجها ملكان وبشراها وطلبوا منه العودة إلى بيته، فقدّم القرايين: عشرة خراف غير معيبة، واثنى عشر عجلاً تُخصّص للكهنة والشيوخ. ومائة تيس توزع على الناس.

وبعد مضيّ تسعة أشهر، ولدت حنة مولودها، فإذا بها أنثى، فأسمتها مريم، حتى إذا بلغت المولودة ستة أشهر نذرتها أمّها لتخدم في الهيكل (المعبد)، وهيأت لها مكاناً خاصاً في بيتها، وأبعدت عنها كل ما يمكن أن ينجّسها إلى أن بلغت الثالثة من عمرها، فأدخلت الهيكل وفاءً للنذر، فإذا بالطفلة لا تستدير نحو والديها وتكمل طريقها نحو مكانها المخصّص لها فيه، وهو ما جعل والداها في حالة من الدهشة إذ أنّ ذلك جاء على خلاف المتوقع والمعهود من تصرف عامّة الأطفال، ولكنّ مريم صارت -كحمامة المعبد- تنتقل في أرجائه بكل ارتياح وسعادة، ثم صارت تتلقّى الطعام من يد أحد الملائكة.

ولما بلغت الثانية عشرة من عمرها^(١) انعقد مجلس للكهنة قائلين: ها مريم قد بلغت سن الثانية عشرة في هيكل الرب، فماذا نصنع بها لئلا تُتجّس المعبد المقدس الرب^(٢)؟ وظهر الملك لذكريا، وطلب منه أن ينادى في الناس ويجمعهم

١. وهو السن الذي يتوقع فيه أن تبلغ الفتاة.

٢. في إشارة إلى أنها ستري ما تراه الفتاة من الدم عند بلوغها، ولا يجوز لها المكوث في المعبد وهي على تلك الحالة، وهذا يتوافق مع الحكم الإسلامي بخصوص مكث الحائض في المسجد.

للاقتراع، ومن أظهر له الرب آية خلال الاقتراع فستكون مريم زوجة له.

وحيث أخذ يوسف (النجار) واحدة من أعواد الاقتراع، خرجت من العود حمامة وحلقت فوق رأس يوسف، فاعتبرت تلك هي الآية المنتظرة، وقال له الكاهن: (لقد وقع عليك الاختيار بالقرعة كي ترعى عذراء الرب).

لكن يوسف رفض قائلًا: (لي أولاد، وأنا شيخ، وهي بنت صغيرة. أخشى أن أصبح أضحوكة لبني إسرائيل). فحذره الكاهن من العصيان، فخاف يوسف وجعل مريم في كفالته^(١).

ولنقارن ما سبق مع ما عرضه القرآن الكريم من قصة الحمل بالسيدة مريم وولادتها وما تبع ذلك من أحداث: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ، ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾^(٢).

1. <https://www.newadvent.org/fathers/0847.htm>

وهكذا نجد في ما سبق مجموعة من المشتركات مع القصة القرآنية:

١. دعاء والدة السيدة مريم لحملها.

٢. النذر بتحرير المولود، وإن اختلفت التفاصيل من حيث التوقيت، بين وقوع ذلك أثناء الحمل أو بعد الولادة. فالآية القرآنية تصرّح بأن النذر أطلق خلال فترة الحمل، بلحاظ قول والدتها: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ بينما يُصرّح سفر يعقوب أن ذلك تمّ حين بلغت المولودة ستة أشهر من عمرها.

٣. رعاية الله للسيدة مريم وهي في المعبد بإطعامها، وإن لم يصرح القرآن الكريم بأن ذلك كان يتم عن طريق ملك من الملائكة، على خلاف ما جاء في سفر يعقوب حيث يصرّح بذلك، وسنناقش هذه النقطة لاحقاً.

٤. الاقتراع على كفالة مريم. وهنا نقطة تحتاج إلى توضيح، فالفكرة الشائعة أن القصة القرآنية تذكر بأن الاقتراع على تكفل السيدة مريم جاء من نصيب النبي زكريا، وأن ما جاء حول تكفلها في بدء دخولها المعبد كما جاء في الآية ٣٧ من سورة آل عمران، هو نفس التكفل المذكور لاحقاً والذي تمّ بالاقتراع كما في الآية ٤٤ من نفس السورة، أي أن هذه الآية الأخيرة قد بينت كيف صارت السيدة مريم تحت كفالة النبي زكريا على وجه التحديد دون سائر الكهنة.

إلا أن هذا التصوّر الشائع قد لا يكون صحيحاً، إذ في البين كفالتان، كفالة أولى في طفولتها، وقد تبرّع بها النبي زكريا، ثم كفالة أخرى لاحقة عند انتهاء مدة بقائها في المعبد مع قرب بلوغها الطبيعي، إذ لا يصلح للمرأة حال (دورتها

الشهرية) أن تمكث في المعبد، بل عليها أن تدخل بيت الزوجية كأية فتاة أخرى في مثل عمرها آنذاك، وقد تمّ ذلك عن طريق الاقتراع بالأقلام (الأعواد)، فجاءت القرعة -بحسب سفر يعقوب- من نصيب يوسف النجار، الذي غدت زوجة له فيما بعد، مع ملاحظة أن القرائن تُشير إلى وفاة والديها خلال المدة السابقة، فلم يُعد احتمال عودتها إلى بيتها أمراً مطروحاً.

ويقوّي هذا التّصوّر -الذي قدّمه سفر يعقوب- أنّ افتراض التخاصم فيما بين الكهنة على كفالتها والاقتراع على ذلك حال كونها طفلة صغيرة يعدّ أمراً غير مفهوم^(١)، فإسكان (طفلة) أنثى لتخدم في المعبد/الهيكل كان أمراً غير مسبوق، وغريب، وقد تترتب عليه بعض السلبيات كما لا يخفى بلحاظ الأنوثة، وهو أمر حساس عند الكهنة، ولكن يبدو أنهم صاروا ملزّمين بقبول النذر وبقاء الطفلة مريم في المعبد لوقوع النذر سلفاً وحرمة مخالفته.

أما التنافس في ما بينهم -إلى درجة التخاصم بحسب التعبير القرآني- على كفالتها والزواج بها وقد كبرت وأصبحت صبيّة يافعة وتبلورت شخصيتها الإيمانية وعُرفت بطهرها وعبادتها وإخلاصها وتقواها، فهو أمرٌ مفهوم ومعقول جداً.

وإن صّح هذا التّصور، فهذا يعني إمكانية تصحيح مسألة زواج السيدة مريم من يوسف (النجار) كما هو مذكور في التراث المسيحي عموماً، وفي الأناجيل الأربعة خصوصاً، بل وفي بعض الموروث التراثي الإسلامي كما سيمرّ معنا لاحقاً بإذن الله «تعالى».

١. وإن برّرت بعض المرويات أنهم شاهدوا عليها آثار الصّلاح، فتنافسوا عليها.

• نذر الضر (التحريم):

تحدثت التوراة عن هذا النوع من النذور، والذي يُطلق عليه بالعبرية נִזְרָא وتنطق (na: 'zi:r = نَزِير = نَذِير)، وتعني (المُكْرَس أو المَخْصَص) وهي مشتقة من الفعل נִזַּר وتنطق (nizár = نَزَر = نَذَر).

وبحسب التعاليم اليهودية، فإنَّ النذير هو المُكْرَس للرب (يَهْوَه) أو المَخْصَص له، ليكون في خدمته. وبحسب ما ورد في الإصحاح السادس من سفر العدد من التوراة يجب على النذير فعل التالي:

١. أن يصبح خادماً للرب - بكل وسعه - طوال فترة نذره ويُقبل على عبادته.
٢. عدم شرب الخمر أو أيِّ مُسكر، والامتناع عن كل ما له علاقة بالخمر كأكل العنب والزبيب.

٣. إعفاء شعر الرأس والامتناع عن حلقه خلال فترة النذر، كصورة من صور الزُّهد بالدنيا وعدم الانشغال بالعناية بالمظهر الخارجي، بل بالعبادة والخدمة، وهي حالة شبيهة بحرمة إزالة الشعر حال الإحرام في العمرة أو الحج عند المسلمين.

٤. عدم الانشغال بالشئون الخاصة بدفن الأموات من أقربائه (الأب - الأم - الأخ - الأخت)، والغرض من ذلك تأكيد تكريس نفسه لخدمة الله لا للعباد^(١).

ويبدو أن نذر الجنين ليكون (محرراً) وهو في بطن أمه كان أمراً معهوداً

١. انظر الإصحاح ٦ من سفر العدد من التوراة، الكتاب المقدس.

عند اليهود منذ ألف سنة قبل ميلاد المسيح، ولعل أول حالة تمثلت في القصة التالية الواردة في سفر القضاة (الأسباط) حول حمل والدة (شمشون) به^(١)، وهو أحد الأسباط الذين عملوا على إعادة بني إسرائيل إلى توحيد الله ونبتد الشرك، وجاء فيها أن الملك أرشد الأم العاقر إلى أن تنذر فيما لو حملت، ليكون الحمل (نذيراً = مكرساً = مخصصاً للعبادة وخدمة بيت الله)، أي (محرراً) بحسب التعبير القرآني: (وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ صُرْعَةٍ مِنْ عَشِيرَةِ الدَّانِيِّينَ اسْمُهُ مَنُوحٌ، وَامْرَأَتُهُ عَاقِرٌ لَمْ تَلِدْ. فَتَرَاءَى مَلَاكُ الرَّبِّ لِلْمَرْأَةِ وَقَالَ لَهَا: «هَآ أَنْتِ عَاقِرٌ لَمْ تَلِدِي، وَلَكِنَّكَ تَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا. وَالْآنَ فَاحْذَرِي وَلَا تَشْرَبِي خَمْرًا وَلَا مُسْكِرًا، وَلَا تَأْكُلِي شَيْئًا نَجَسًا. فَهَآ إِنَّكَ تَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا، وَلَا يَعْلُ مُوسَى رَأْسَهُ، لِأَنَّ الصَّبِيَّ يَكُونُ نَذِيرًا لِلَّهِ مِنَ الْبَطْنِ)»^(٢).

وهذا ما جرى لوالدة السيدة مريم (حنة بنت ماثان)، حيث حررت ذلك الجنين، وكأنها كانت تتطلع إلى أن يكون الحمل ولداً ذكراً تماماً كشمشون ليقوم بالنهوض بمسئولية ما خدمة لله وللدين وإعادة بني إسرائيل إلى جادة الصواب بعد أن انحرفوا عنها كثيراً، كما قام شمشون بهذا الدور: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

وهذا الحمل وإن تبين لاحقاً -عند الولادة- أنه أنثى، إلا أن هذه السيدة

١. لمعرفة المزيد عن القضاة وشمشون انظر كتابي (فك لغز الأسباط) وكتابي الآخر (في عمق التاريخ - الجزء الأول).

٢. الكتاب المقدس، سفر القضاة، الإصحاح ١٣، ٢-٥.

٣. آل عمران: ٣٥.

الجليلة وفّت بنذرهما، ثم تحقّق مرادها بصورة غير مباشرة، حيث رزق الله «تعالى» ابنتها مريم بولدٍ ذَكَرٍ واصطفاه ليكون نبياً ورسولاً ومن أولي العزم من الرسل، وآتاه كتابه الإنجيل، وجعله مباركاً أينما كان، وأنزل عليه من آياته ما شاء، فكان هو المسيح الذي انتظرتّه الأجيال المتعاقبة من بني إسرائيل ليخلصها مما كانت تعاني منه على مستوى الدين وعلى مستوى الأوضاع الحياتية الصعبة بسبب الاحتلال الروماني وظلم الحكّام والملوك المحليين والكهنة الفاسدين والتجار المرابين.

هذا، وقد اعتبر العلامة الطباطبائي أن المراد من التحرير هنا هو التخليص من: (قَيْدِ الولاية التي للوالدين على الولد من حيث تربيته واستعماله في مقاصدهما وافتراض طاعتهما، فبالتحرير يخرج من تسلّط أبويه عليه في استخدامه، وإذا كان التحرير منذوراً لله «سبحانه»، يدخل في ولاية الله يعبدّه ويخدمه، أي يخدم في البيع والكنائس والأماكن المختصة بعبادته «تعالى» في زمان كان فيه تحت ولاية الأبوين لولا التحرير)^(١). وهو استخلاص حسن من مفهوم هذا النوع من النذور ونتائجه، ولكنه ليس بالضرورة أن يكون كذلك دائماً، فربما قام الكبير الذي لا ولاية عليه بمثل هذا النذر بحسب الشريعة الموسوية، وحينئذ لن يكون لما ذكره العلامة أي محل من الإعراب.

ويذكر (جيمس طابور) في كتابه (سلالة يسوع) وهو يتحدث عن النبي يحيى (يوحنا المعمدان) أنه لا توجد إشارة إلى أنه تزوج أو مارس حرفة، فقد كان (ناذرياً) أي منعزلاً أطلق شعره، وترك لحيته تنمو طويلاً، ولم يشرب

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٢، ص ١٧٠.

الخمرة مطلقاً، وارتدى ثوباً خشناً مصنوعاً من وبر الجمال، مع حزام من الجلد، وأضاف أن هذا النمط من الحياة تأسس على تعاليم التوراة المتعلقة بنذر خاص وتعهّد بالانفصال عن المجتمع كما جاء في الإصحاح السادس من سفر العدد من التوراة^(١)، وهو ما أشرنا إليه مسبقاً.

واحتمل البعض أن قيام والدة السيدة مريم بالنذر دون ذكر لموقف زوجها من الأمر - وهو وليّ الطفل - يأتي بمثابة إشارة إلى وفاته خلال فترة الحمل، وأضافوا أن تنازع الكهنة على كفالة السيدة مريم كما جاء في سورة آل عمران، ووقعها في كفالة زكريا يؤيد هذا الاحتمال، إذ لو كان أبوها حياً لما كان لهذه الكفالة معنى.

ولكنّ هذا التفسير قد لا يكون سليماً، فلربما جاءت القصة القرآنية بصورة الاختصار فلم تذكر دور الأب، كما لا حاجة لافتراض ذلك فيما لو قرأنا الأحداث بصورة مغايرة، ووفق الترتيب الذي مرّ معنا عند مقارنة القصة القرآنية بالقصة الواردة في سفر يعقوب، حيث أشرنا إلى وجود كفالتين، إحداها ترتبط بالطفولة المبكرة للسيدة مريم فصارت في رعاية النبي زكريا، والكفالة الثانية التي جاءت بالاقتراع عند بلوغها سن الثانية عشرة.

• الرعاية الإلهية:

لمزيد من العناية بها، جعل الله «تعالى» السيدة مريم في طفولتها وهي في المعبد/ الهيكل في كفالة نبي ذلك الزمان، زكريا «عليه السلام»، لا تحت كفالة سائر الكهنة والأخبار الذين عُرف عن كثير منهم الانحراف والجشع والنفاق،

١. طابور: سلالة يسوع، ص ١٦٤.

وقد عبّر النبي زكريا عن ذلك بقوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾^(١) في إشارة إلى عدم كفاءة أولئك الأحبار للقيام بالمسؤوليات الرسالية.

وما جاء في سفر يعقوب من أنها كانت في الثالثة من عمرها حين دخلت المعبد أمر معقول جداً، إذ لا يتصور أن والدتها قد تركتها هناك وهي رضيعة وبحاجة إلى رعاية خاصة جداً كطفلة في المهد، وسنّ الثالثة سن يتصور فيه حدٌ من الاستقلالية تُكملها كفالة زكريا لها. وأما عدم كفالة والدتها لها في هذه الظروف فليس بالضرورة أن يكون إشارة إلى موتها، بل لأنّ تحقق ذلك متعذر داخل المعبد/ الهيكل.

وكانت الكفالة الإلهية للسيدة مريم بمستوى انبهر معه النبي زكريا نفسه: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

وهذا الانبهار بشخصية السيدة ومريم وطهارتها وعبادتها وروحانيتها دفع زكريا لأن يكرّر طلب الذرية الصالحة من الله «تعالى»: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(٣).

وشفع ذلك بالدافع الإيماني الرسالي الذي لا يتطلّع فيه الإنسان إلى تحقيق

١. مريم: ٥.

٢. آل عمران: ٣٧.

٣. آل عمران: ٣٨.

رغبة شخصية فحسب، بل يكون الدافع الأساس من ورائه هو مصلحة الرسالة وامتداد النبوة لضمان استمرار مَنْ يحمل المسؤولية الإلهية من ذرية النبي يعقوب «عليه السلام»: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾^(١)

وقد أثنى الله «عز وجل» على والدة السيد المسيح «عليهما السلام» في مواضع عديدة من القرآن الكريم ووصفها بصفات عديدة:

١. ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾^(٢). فقد يرفض المهدى إليه الهدية لعلمه بخبث نية المعطي، أو عدم سلامة الهدية من حيث المصدر مثلاً، أو لأن المعطي يريد غرضاً شخصياً في المقابل، ولم يكن الإهداء تقديراً للصداقة مثلاً.

وقد يتقبل المهدى إليه الهدية على مضض وتردد خوفاً من نية المهدى، وذلك بسبب غموض الدافع الحقيقي من وراء ذلك. كما قد يتقبلها قبولاً غير حسن، لأنها ممن لا يحب، أو لأن هذه الهدية أقل بكثير من المتوقع بحسب شأنه ومقامه، أو بحسب ظرف الإهداء كالاعتذار.

أما الهدية التي قدّمتها والدة السيدة مريم فقد تقبلها الله قبولاً حسناً، بلحاظ النية والدافع وقيمة الهدية وسائر خصوصياتها.

٢. ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾^(٣). فهو - في المقام الأول - ربّها، والربّ هو الذي

١. مريم: ٤-٦.

٢. آل عمران: ٣٧.

٣. آل عمران: ٣٧.

يدبر الأمور ويدير شئونها ويحافظ عليها ويؤمن لها احتياجاتها، ولذا يقال رب الأسرة. وهذا الرب ليس كأى رب، بل هو الله «سبحانه وتعالى»، خالق ومالك كل شيء، وهو على كل شيء قدير، وهو الرحمن الرحيم العليم السميع المجيب. وهو -ثانياً- الجواد الكريم الذي يقابل الصالحات من أعمال عباده بأضعاف مضاعفة من العطاء الدنيوي والأخروي: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١).

٣. ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٢). هذا الكلام وإن صدر من والدة السيدة مريم ولسان الدعاء، إلا أن الجواب الإلهي بتقبل الهدية قبولاً حسناً، وإنباتها نباتاً حسناً يُرشد إلى أن الله «سبحانه» حقق لها ذلك، فصارت السيدة مريم تحت رعاية إلهية تُسددها وتُهديها وتُبعد عنها تأثيرات وساوس الشيطان الرجيم.

٤. ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾^(٣)، لتكون تحت رعاية وعناية نبي زمانها الذي أثنى الله عليه في مواضع عديدة من القرآن الكريم، وهذا جزء من استجابة دعاء والدتها، وحسن تقبل الله لذلك النذر الذي قدّمته.

٥. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٤).

١. البقرة: ٢٤٥.

٢. آل عمران: ٣٦.

٣. آل عمران: ٣٧.

٤. آل عمران: ٣٧.

وهذا جزء آخر من العناية الإلهية بها، فهي كانت تتعبد الله في المحراب ويأتي وقت الطعام، ويغلبها إحساسها بالجوع، وتأبى أن تفارق محرابها لتأكل، لأنها لا تريد أن تفارق مناجاتها الحبيبة لله، فيرسل الله إليها برزقه المتمثل بالطعام الذي تفوح منه الرائحة الطيبة - كما تقول بعض الروايات - أو الطعام الذي لا يتناسب والموسم الذي كانت فيه، حيث تأتيها ثمار الصيف في الشتاء، وثمار الشتاء في الصيف. وحيث يدخل عليها زكريا في بعض هذه الحالات فإنه يفاجأ بذلك ويتساءل عن مصدر الطعام وهو المتكفل بها، ولم يكن قد أتاها بشئ منه، فتجيبه بأنه من عند الله!

وقد يلاحظ على الروايات التي تقول أنها كانت تحصل على فاكهة الشتاء في الصيف، والعكس صحيح، بأن هذا مخالف للحكمة الإلهية من تنوع الفاكهة بحيث تناسب محاصيل كل موسم حاجات ذلك الموسم. فحيث يحتاج الإنسان إلى (الفيتامين سي) خلال موسم البرد وتقلب الهواء، تكثر الحمضيات وما شابهها لغناها بذلك. وحيث يحتاج الإنسان إلى السوائل خلال فترة الصيف، تكثر الفواكه الريانة كالبطيخ.

ويكفي أن نقول - في تأويل الآية - بأن السيدة مريم كانت تحصل على ما تحتاج إليه من الطعام قبل أن يأتيها به زكريا «عليه السلام»، وهو المتكفل بها، وأن هذا الأمر كان يتكرر على الدوام بلحاظ قوله ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ فكان الأمر بمثابة المفاجأة والباعث على التعجب وتعظيم هذه الفتاة في نفس الوقت.

أما من الذي كان يأتيها بالرزق؟ الأمر غير واضح، لأن الآية لم تتكلم عن

هذا الجانب، وليس بالضرورة أن يكون قولها ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ بمعنى أنَّ الملائكة تأتيها به، وإنَّ كان هذا ممكناً ومقبولاً، ومؤيِّداً برواية سفر يعقوب كما مرَّ معنا، ولكن عندما يُسَخَّرُ الله من الناس مَنْ يوفِّر لها الطعام دون أن تطلبه، فهذا أيضاً من عند الله.

فعندما نقرأ قوله «تعالى» في أجواء غزوة بدر الكبرى: ﴿..... وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، هل هذا يعني أنه حصل بصورة غيبية محضة، أم بيد مَنْ سَخَّرَهُمُ اللهُ لتحقيق النصر بالإضافة إلى العامل الغيبي الخفي؟ من الواضح أنَّ الأمر لم يكن بالصورة الأولى.

ولكن في البين بعض المقولات التي تتحدث عن طبيعة غيبية تتعلق بإيجاد الرزق لمريم بتلك الصورة، فلنستعرض بعضاً مما جاء من هذا الباب:

○ في تفسير الطبري عن الحسن، قال: (وجد عندها رزقاً من السماء من الله، ليس من عند الناس)^(٢).

○ وفي سفر يعقوب نص آخر يؤكِّد هذه الفكرة، إذ نجد أن السيدة مريم عندما جاءت بمولودها أمام الكاهن قال لها: (لماذا فعلت هذا؟ ولماذا أذلت نفسك ونسيت الربَّ إلهك؟ أنت التي تربيت في قدس الأقداس، وأخذت طعاماً من يد ملاك ...) ^(٣).

○ وبالغ البعض في الأمر كما في المروي في تفسير الطبري عن ابن عباس أنه

١. الأنفال: ١٠.

٢. الطبري: جامع البيان، ج ٣، ص ٣٢٤.

3. <https://www.newadvent.org/fathers/0847.htm>

قال: (وجد عندها ثمار الجنة) ^(١).

○ وبالع آخرون فقالوا بلا دليل: (وقيل: إنها لم ترضع قط، وإنما كان يأتيها رزقها من الجنة) ^(٢).

○ وبالع محمد بن إسحاق حيث قال: (ضمَّها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شَبَّتْ وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد وجعل بابها في وسطها لا يُرقى إليها إلا بسلم مثل باب الكعبة، ولا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كلَّ يوم) ^(٣).

○ وزاد البعض مبالغة في الأمر، ففي تفسير الطبري عن الربيع، قال: (جعل زكريا دونها عليها سبعة أبواب، فكان يدخلها عليها، فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء) ^(٤).

٦. ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٥).

قال العلامة الطباطبائي: (﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ إخبارٌ لها بما لها عند الله «سبحانه» من الكرامة والمنزلة، فاصطفأوها تقبلها لعبادة الله، وتطهيرها اعتصامها بعصمة الله، فهي مصطفاة معصومة، واصطفاكِ على نساء العالمين... الاصطفاء المتعدي بعلَى يُفيد معنى التقدم... وعلى هذا

١. الطبري: جامع البيان، ج٣، ص ٣٣٤.

٢. الطبرسي: مجمع البيان، ج٢، ص ٢٨٤.

٣. الملجسي: بحار الأنوار، ج١٤، ص ١٩٦.

٤. الطبري: جامع البيان، ج٣، ص ٣٣٤.

٥. آل عمران: ٤٢.

فاصطفأوها على نساء العالمين تقديم لها عليهن^(١).

ثم اعتبر العلامة أن حملها وولادتها بالصورة العجيبة في القرآن الكريم هو وجه اصطفاؤها وتقديمها على النساء من العالمين، مستدلاً بقوله «سبحانه»:

١. ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢).

٢. ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

٣. ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِنِينَ﴾^(٤).

وقال العلامة فضل الله محتملاً أن تكرار الاصطفاء للدلالة على الاختيار من بين النساء لهذه المهمة الاستثنائية، ليلتقي بذلك مع ما ذكره العلامة الطباطبائي: (أخبرتها الملائكة بأن الله اختارها لكرامته وجعلها طاهرة من الدنس، ليتعمق في إحساسها الشعور بالطهر، فلا يداخلها أي وهم طارئ بسبب ما ينتظرها من موقف غير مألوف، لأن ذلك هو معنى عملية الاصطفاء من خلال ما توحى به من التمييز والتقدم. وربما كان في تكرار كلمة

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٢، ص ١٨٨.

٢. آل عمران: ٤٥-٤٦.

٣. الأنبياء: ٩١.

٤. التحريم: ١٢.

«الاصطفاء» تأكيد للفكرة وإيحاء بأن ما يحدث لها لم يحدث ولن يحدث لغيرها من نساء العالمين... فهنّ لا يحملن إلاّ بالوسائل الطبيعية للحمل، أمّا هي فستحمل بوسيلة جديدة من وسائل القدرة الإلهية لولادة الإنسان، الذي سيكون مميّزاً ومعجزة في طريقة خلقه ونموه العقلي والروحي. وربما أثار هذا النداء في نفسها شعوراً بالحيرة أمام هذا السرّ الخطير الذي يلفه الغموض والإبهام، فهي تعرف أنّه سرّ عظيم، ولكنها تجهل كنهه، وتريد أن تعي ماذا يجب عليها أن تفعله من فروض الشكر له على هذه الكرامة الخفية؟ وحدّتها الملائكة أنّ عليها أن تبقى في أجواء عبادة الله لتبقى في الأجواء الروحية التي تبتعد بها عن حدود المادة، فتقنت في ما يمثله القنوت من معنى الطاعة عن خضوع، وتركع وتسجد لله، في ما يمثله هذا الانحناء من الشعور بالانسحاق الذاتي أمام عظمة الله... فذلك هو الذي يحميها من كلّ مشاعر الضعف والقهر والاضطهاد مع الآخرين، وهو الذي يُساعدنا على الانتظار في ظلّ الغموض الشاحب^(١). وهو يشير بذلك إلى الآية اللاحقة: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٢).

٧. ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣)، ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^(٤). جعلها الله «سبحانه» -وابنها معها- بهذا الحمل الذي جاء

١. فضل الله: من وحي القرآن، ج٤، ص ١٤٥.

٢. آل عمران: ٤٣.

٣. الأنبياء: ٩١.

٤. المؤمنون: ٥٠.

بصورة غير اعتيادية وغيبية آية للعالمين:

(١) آية على أن الله «سبحانه وتعالى» على كل شيء قدير.

(٢) وآية على أنه كما خلق عيسى بن مريم بهذه الصورة لقادر على أن يعيد الناس يوم القيامة إلى الحياة بعد أن صاروا رميمًا ليحاسبهم، فيثيبهم أو يعاقبهم. وهذا قريب من قوله «تعالى» عن المسيح ابن مريم: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ..... وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(١). فمعنى كونه علماً للساعة أنه آية ودليل وحجة تثبت من خلالها إمكانية البعث الأخروي. وفي الأحاديث أيضاً ما يدل على علو شأنها ومقامها الرفيع عند الله وبعض صفاتها كما سيأتي.

• خيريتها على سائر النساء:

○ عن أبي الحسن الأول -الإمام موسى الكاظم- «عليه السلام» قال: (قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن الله «عز وجل» اختار من النساء أربعاً: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة)^(٢).

○ عن أنس بن مالك أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد «صلى الله عليه وسلم» وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)^(٣).

○ عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: وجدت في كتاب أبي بخط يده... عن

١. الزخرف: ٥٧-٦١.

٢. المجلسي بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢٠١.

٣. المجلسي بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٥١.

عروة قال: (قالت عائشة لفاطمة «رضي الله عنها» بنت رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: ألا أبشرك إني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، وخديجة بنت خويلد، وآسية»^(١)).

• حسن خلقتها:

في الروضة من الكافي: (عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله «عليه السلام» يقول: تؤتى بالمرأة الحسنة يوم القيامة التي قد افتتنت في حسنها، فتقول: يا رب، حسنت خلقي حتى لقيت ما لقيت، فيجاء بمريم «عليها السلام» فيقال: أنت أحسن أم هذه؟ قد حسنها فلم تفتتن)^(٢).

بالطبع لا نستطيع أن نقبل بالمعنى الحرفي لهذه الرواية إن صح صدورها عن الإمام «عليه السلام»، إذ أن هذا يعني أن تكون السيدة مريم «عليه السلام» معرضة للاستدعاء للحضور أمام كل امرأة افتتنت بجمالها، وما أكثرهن! ولك أن تتخيل المنظر... وفي هذا امتهان للسيدة مريم من دون شك، ومن هنا قد يكون المعنى -لوصحنا الرواية- أن صورتها تظهر لهن، أو شيئاً من هذا القبيل، لا أنها تُستدعى بشخصها من حين لآخر.

• زواجها:

وفي البين مسألة تحتاج إلى وقفة، وهي مسألة زواج السيدة مريم... هل تزوجت خلال حياتها أم بقيت عزباء بتولاً حتى توفاهها الله، علماً بأننا لا نعلم

١. الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، ح ٤٩٠٥.

٢. الكليني: الروضة من الكافي، ص ٢٢٨.

متى توفيت بالضبط، هل كانت على قيد الحياة بعد حادثة الصلب، أم أنها توفيت قبل نبوة المسيح، أم بعد ذلك، فالقرآن الكريم لا يذكر شيئاً عن حياتها بعد ولادة ابنها ونطقه في المهد، وما في الروايات وكتب التفسير أخبار ظنية لا نستطيع الجزم بمضمونها ولو صحت أسانيدها، وفي العهد الجديد حديث عن حضورها حادثة الصلب، وأنها كانت على قيد الحياة بعد رفع ابنها المسيح، وهذا ممكن ولكنه يبقى خبراً ظنياً أيضاً.

يخلو القرآن من أي ذكر لزواجها خلال حياتها، وإن بين أنها لم تُمس من قبل رجل إلى حين نزول الروح لإبلاغها بأنها سترزق بصبي: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾^(١).

ثم الإشارة ضمناً إلى استمرار ذلك إلى حين ولادتها للمسيح «عليه السلام» والإتيان به أمام جمع من الناس: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾^(٢). ولكننا احتملنا أن الحديث عن كفالتها الثانية التي تمت عن طريق القرعة بالأقلام كانت تتعلق بخروجها من المعبد/الهيكل بعد بلوغها الثانية عشرة من عمرها وانتهاء مدة بقائها فيه، ومن ثم احتمال زواجها لاحقاً كأية فتاة في مثل عمرها ووضعها، وهو احتمال معقول في نفسه، بغض النظر عن الأدلة التاريخية والنصية على ذلك.

١. مريم: ٢٠-١٩.

٢. مريم: ٢٧-٢٨.

أما الأخبار والروايات الإسلامية وأقوال المفسرين ففيها ما يدلّ على وجود يوسف النجار في حياة السيدة مريم، مع اختلاف في كونه قد تزوج بها أم لا، وفي ما يلي بعض نماذج هذه المرويات والأقوال.

○ في تفسير الطبري بالسند عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه -وبذا تكون الرواية من الإسرائيليات- يقول: (لما اشتملت مريم على الحمل، كان معها قرابة لها، يقال له يوسف النجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون، وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم، فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد، في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغباً في ذلك، فكانا يليان معالجته بأنفسهما، تحبيره وكناسته وطهوره، وكل عمل يعمل فيه، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهاداً وعبادة منهما، فكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف، فلما رأى الذي بها استفظعه، وعظم عليه، وفضع به، فلم يدر على ماذا يضع أمرها، فإذا أراد يوسف أن يتهمها، ذكر صلاحها وبراءتها، وأنها لم تغب عنه ساعة قطّ، وإذا أراد أن يبرئها، رأى الذي ظهر عليها، فلما اشتدّ عليه ذلك كلمها، فكان أول كلامه إياها أن قال لها: إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته، وقد حرصت على أن أميته وأكتمه في نفسي، فغلبنني ذلك، فرأيت الكلام فيه أشفى لصدري، قالت: فقل قولاً جميلاً قال: ما كنت لأقول لك إلا ذلك، فحدثيني، هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم، قال: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم، قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، والبذر يومئذ إنما صار من الزرع

الذي أنبته الله من غير بذر، أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منهما وحده، أم تقول: لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال يوسف لها: لا أقول هذا، ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون، قالت مريم: أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر؟ قال: بلى، فلما قالت له ذلك، وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك، ثم تولى يوسف خدمة المسجد، وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه، وذلك لما رأى من رقة جسمها، واصفرار لونها، وكلف وجهها، ونتو بطنها، وضعف قوتها، ودأب نظرها، ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك، فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن أخرجي من أرض قومك، فإنهم إن ظفروا بك عيرونك، وقتلوا ولدك، فأفضت ذلك إلى أختها، وأختها حينئذ حُبلى، وقد بشرت ببيحيى، فلما التقيا وجدت أم يحيى ما في بطنها خر لوجهه ساجدا معترفا لعيسى، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف شيء، فانطلق يوسف بها حتى إذا كان متاخما لأرض مصر في منقطع بلاد قومها، أدرك مريم النفاس، ألجأها إلى آري حمار، يعنى مذود الحمار، وأصل نخلة، وذلك في زمان أحسبه بردا أو حرًا - الشك من أبي جعفر - فاشتد على مريم المخاض، فلما وجدت منه شدة التجأت إلى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة، قاموا صفوفًا محدقين بها^(١). وخبر وهب

ابن منبه مشابه في السبك العام للرواية الإنجيلية.

○ ونقل ابن كثير عن محمد بن إسحاق أنه قال: (فلما حملت به وملأت قَلْبُهَا^(١)) ورجعت، استمسك عنها الدم وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب والترحم وتغير اللون، حتى فطر لسانها، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا^(٢)، وشاع الحديث في بني إسرائيل، فقالوا: «إنما صاحبها يوسف»، ولم يكن معها في الكنيسة غيره، وتوارت من الناس، واتخذت من دونهم حجاباً، فلا يراها أحد ولا تراه^(٣).

○ وفي بحار الأنوار عن: الأمالي للصدوق بالسند عن صالح بن علقمة عن الصادق «عليه السلام»: أنه قال في حديث طويل: (ألم ينسبوا مريم بنت عمران إلى أنها حملت بعبسى من رجل نجار اسمه يوسف؟...)^(٤).

بالطبع، فإن كتاب العهد الجديد يؤكد زواجها، ويحدد اسم الزوج ونسبه، ونجده حاضراً في العديد من الأحداث المتعلقة بالسيد المسيح «عليه السلام»، لاسيما في فترة الحمل به وولادته وطفولته، بل إن النصوص المسيحية تؤكد أن للمسيح إخوة من جهة الأم، وتذكر أسماءهم، وتنسب إليهم أدواراً لاحقة في الدعوة للمسيح، وإن كانت نصوص أخرى -لا تعترف بها الكنيسة- تذكر أنهم من ذرية زوج السيدة مريم من زيجة سابقة... فما هي الحقيقة؟

جاء في إحدى الموسوعات الكاثوليكية تحت عنوان (القديس يوسف) ما ترجمته أن من المحتمل أنه خطب السيدة مريم ثم تزوجها في الناصرة، ولكن

١. القلة: أنية فخارية يوضع فيها الماء.

٢. لحراجة الموقف.

٣. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ١٩٧.

٤. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢١٩.

من الصعب البتّ في تحديد متى تم الزواج، هل كان ذلك قبل تجسّد المسيح أم بعده^(١)؟ وقد اختلف في هذا الأمر كبار المفسرين طوال التاريخ. معظم المفسرين المحدثين -وتبعاً لقول القديس توما- يذهبون إلى القول بأن السيدة مريم كانت فقط مخطوبة ليوسف حين جاءتها البشارة بالحمل، وأن هذا الرأي هو الأوفق بنصوص الأناجيل.

وتضيف الموسوعة الكاثوليكية أنّ في البين تفاصيل كثيرة في الأناجيل والكتب المنحولة - أي غير المعترف بها كنسياً - ولا يمكن الاعتماد عليها، وهي تذكر أن يوسف حين بلغ الأربعين من عمره تزوج امرأة اسمها (ملكا) أو (إسكا) أو (سالومي) على اختلاف الأقوال وعاشا معاً لمدة ٤٩ سنة، ورزقا بستّة أبناء، ابنتين وأربعة أولاد، وكان يعقوب أصغرهم.

وبعد عام من وفاة زوجته، وبموازاة إعلان الكهنة في اليهودية - أي وسط وجنوب فلسطين - أنهم يرغبون في أن يجدوا في سبط يهوذا - أي ممن ينحدرون من ذرية يهوذا ابن النبي يعقوب والذين فيهم المُلْك - رجلاً محترماً يكون زوجاً لمريم، والتي كان يتراوح سنّها بين الثانية عشرة والرابعة عشرة.

في ذلك الوقت كان يوسف قد جاء إلى أورشليم - وهو في التسعين من عمره - وعرض نفسه كأحد المرشّحين للزواج بها. وتحقّق ذلك بصورة إعجازية إذ اختار الله يوسف ليكون زوجها. وبعد ذلك بعامين، جاءت البشارة بالمولود (المسيح).

هذه التفاصيل -بحسب الموسوعة الكاثوليكية- اكتسبت بعض الشعبية على مرّ العصور، ولكنها غير قانونية إذ لم تعترف بها الكنيسة، ولكن وجود أسماء

١. المقصود بالتجسد هنا ظهور المسيح في صورة جنين بشري، وبمعنى آخر الحمل.

إخوة المسيح في الإنجيل مع ما هو منتشر بين عامة الناس وما انعكس في اللوحات الفنية من تصاوير لشخصية يوسف، جعل بعض الكتاب الكنسيين يواجهون صعوبة في تفسير زواج مريم من يوسف بينما هو رجل عجوز.

وتحدثت الموسوعة أيضاً عن الأحداث التي تواجد فيها يوسف ضمن قصة ولادة المسيح والهروب إلى مصر ثم العودة إلى الديار، ثم فقدان المسيح بعد زيارة قامت بها العائلة لأورشليم إذ كان المسيح في الثانية عشرة من عمره. ثم أضافت أن هذا هو آخر ما نسمعه عن القديس يوسف في الكتابات المقدسة، وقد نفترض أن يوسف، وهو والد يسوع بالتبني، مات قبل بداية حياة المسيح المخلص العامة، أي قبل بداية بعثته. وأضافت أن الأناجيل تتحدث عن والدة المسيح وإخوته في المرحلة اللاحقة - أي التي أعقبت بعثته - وذلك في عدة مواضع:

ففي إنجيل متى: (وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُ الْجُمُوعَ إِذَا أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوهُ) ^(١).

وفي إنجيل مرقس: (فَجَاءَتْ حِينَئِذٍ إِخْوَتُهُ وَأُمُّهُ وَوَقَفُوا خَارِجًا وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَدْعُوهُ) ^(٢).

وفي إنجيل لوقا: (وَجَاءَ إِلَيْهِ أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ) ^(٣).

وفي إنجيل يوحنا: (فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «انْتَقِلْ مِنْ هُنَا وَادْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ،

١. الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٢، ٤٦.

٢. الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٣، ٣١.

٣. الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٨، ١٩.

لَكَيْ يَرَى تَلَامِيذُكَ أَيُّضًا أَعْمَالَكَ الَّتِي تَعْمَلُ^(١).

لكن لا نجد ليوسف ذكراً بعد حادثة ضياعه وهو صبي، وكل ما في الأمر أن الأناجيل تذكر أنه كان يشار إلى المسيح على أنه (ابن يوسف):

ففي إنجيل يوحنا: (فِيلِبُّسُ وَجَدَ ثَثَائِيلَ وَقَالَ لَهُ: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ يَسُوعَ ابْنَ يَوْسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ»)^(٢).

وفيه أيضاً: (وَقَالُوا: «أَلَيْسَ هَذَا هُوَ يَسُوعَ بْنَ يَوْسُفَ، الَّذِي نَحْنُ عَارِفُونَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ؟ فَكَيْفَ يَقُولُ هَذَا: إِنِّي نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ؟»)^(٣).

وفي إنجيل لوقا: (وَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ، وَيَقُولُونَ: «أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ يَوْسُفَ؟»)^(٤).

وفي إنجيل متى: (أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟)^(٥).

وما يؤكد وفاة يوسف قبل هذه الأحداث -بحسب بالموسوعة الكاثوليكية- أن يسوع حين وُضع على الصليب وكان على وشك الموت أوكّل أمّه إلى يوحنا، ولو كان يوسف حياً لما كان لهذا الطلب معنى.

أما بحسب سفر (قصة يوسف النجار) وهو من الكتب المنحولة، فإن يوسف

١. الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٧، ٣.

٢. الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١، ٤٥.

٣. الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٦، ٤٢.

٤. الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٤، ٢٢.

٥. الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٣، ٥٥.

بلغ ١١١ سنة عندما توفي في العشرين من يوليو سنة (١٨ أو ١٩ م). في الحقيقة لا نعلم متى مات القديس يوسف، ومن المحتمل أنه مات ودُفن في الناصرة^(١). في المقابل، تذكر الكنيسة الأرثوذكسية القبطية في (قاموس الكتاب المقدس: دائرة المعارف الكتابية المسيحية) عند حديثها عن شخصية يوسف، أنه خطيب مريم العذراء، ومن بيت داود من بيت لحم. هاجر إلى (الناصرة)، ومارس فيها مهنة النجارة. والكنيسة تؤمن كعقيدة بأن مريم ظلت عذراء حتى بعد ولادة يسوع، بمعنى أن يوسف لم يقاربها مقارنة الأزواج وبقيت عذراء إلى وفاتها. وكذلك فإنه عندما علم بحالة مريم فكر في فسخ الخطوبة دون أن يفضح الأمر، ودون أن يلحق بها أي أذى، وعندما أدرك الحقيقة أخذ مريم معه إلى (بيت لحم) للاكتتاب - أي الزواج منها رسمياً - لينقذها من السنة الناس وثرثرة الجيران.

ويضيف القاموس بأنه لما كنا لا نسمع إلا عن أعمال مريم بعد ظهور يسوع للخدمة الجهارية بين الناس، يغلب على ظننا أن يوسف مات قبل أن يشرع يسوع في خدمته العلنية - أي التبليغ والتبشير - وقد أوصى يسوع تلميذه يوحنا^(٢) بمريم وهو على الصليب، فلو كان يوسف حياً في ذلك الحين، لما كان من داع لمثل هذه الوصية^(٣).

وحول وجود إخوة من الأم للمسيح «عليه السلام» تجيب الكنيسة الأرثوذكسية

1. <https://www.newadvent.org/cathen/08504a.htm>

٢. سيأتي معنا عند الحديث عن الحواريين أنه قد يكون ابن خالة النبي عيسى، مريم خالته.

3. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/28_E/E_304_1.html

القبطية نقلاً عن كتاب (سنوات مع أسئلة الناس: أسئلة لاهوتية و عقائدية لقداسة البابا شنودة الثالث) بأن العذراء مريم لم تلد غير المسيح، وعاشت بتولاً طول حياتها، ومن يُذكرون على أنهم «إخوة المسيح» ليسوا أولادها، وإنما أولاد أختها. فيعقوب «الملقب بالصغير تمييزاً له عن الحواري يعقوب بن زبدي» ويوسي وسالومة، أبناء الخالة مريم زوجة كلوبا «المسمى أيضاً حلفي» لم يكونوا إخوان المسيح من حيث النسب، بل كانوا كالأخوة، فقد كانوا أبناء خالته، وأولاد الخالة كانوا يُعتبرون أخوة لشدة القرابة، حسب عادات اليهود في التحدث عن هذه القرابة^(١).

ويؤكد هذه الفكرة الأخيرة أسقف القيصريّة^(٢) يوسابيوس (أوزيب) القيصري Eusebius of Caesarea (٢٦٥ - ٣٣٩م) الذي يشار إليه على أنه (أبو التاريخ الكنسي) بسبب نشاطه الكبير في تسجيل تاريخ الكنيسة المسيحية في وقت مبكر، لا سيما وقائع التاريخ الكنسي.

فقد ذكر القيصري أن يعقوب (الصغير) كان نذيراً للرب وهو في بطن أمه^(٣)، والتزم بهذا العنوان في حياته بحسب ما جاء في التعاليم اليهودية، فلم يشرب الخمر، ولم يخلق شعر رأسه، ولم يتطيّب. وبعد موته، اجتمع عدد

1. https://st-takla.org/FAQ-Questions-VS-Answers/01-Questions-Related-to-The-Holy-Bible__Al-Ketab-Al-Mokaddas/042-Brothers-of-Jesus-Sons-of-which-Mary.html

٢. هي حالياً من مدن تركيا.

٣. مرّ معنا معنى النذير وحُكمه في الشريعة اليهودية في هذا الباب تحت عنوان (نذر الفرز التحرير)، فراجع.

من كبار الشخصيات المسيحية واختاروا «ابناً آخر لكلوبا أخي يوسف، يُدعى سِمعان» ليحل محلّ يعقوب. وقد عاش سِمعان هذا حتى سن متأخرة، وحكم عليه الرومان بالصلب في عهد الامبراطور تراجان^(١). ومحلّ الشاهد أن يعقوب كان ابناً لكلوبا زوج خالة المسيح، وبالتالي فيعقوب هو ابن خالته لا أخوه بالمعنى الحقيقي.

أما بحسب البروتستانت، فإنّ مريم في اعتقادهم كانت عذراء عندما حملت ييسوع، ولكن بعد ولادته، أنجبت من يوسف أطفالاً، فيسوع هو البكر والأخ الأكبر لستة أبناء - على الأقل - وهم يعقوب ويوسي وسيمون ويهوذا، بالإضافة إلى أختين - على الأقل - لم يتم ذكر اسميهما في العهد الجديد.

وعلى كل حال، فإنّ من الصعب حسم مسألة زواجها، سلباً أو إيجاباً، ونوكل علم ذلك إلى الله «تعالى»، مع التنبيه إلى أن كل هذا التأكيد في التراث المسيحي على وجود هذه الشخصية في حياة السيدة مريم والسيد المسيح أمرٌ يصعب تجاوزه.

1.Hugh Schonfield, The Passover Plot, Element, PP. 279, 241.

الحمل به ومولده

الحمل به ومولده

تضاربت روايات إنجيلي (متّى) و(لوقا) في تحديد تاريخ سنة ولادة السيد المسيح «عليه السلام» والظروف المحيطة بذلك وعدة تفاصيل أخرى متعلقة بها، وإنّ اتّفقاً على أن الولادة تمّت على عهد الملك هيرودس.

ولم يأت إنجيلا (يوحنا) و(مرقس) على ذكر الولادة. وهذه إحدى الإشكالات التي توجّه إلى الأناجيل، وأنّ بعضاً منها -على الأقل- لا تمثّل الأنجيل الأصلي، وإلا لما كان ينبغي أن نجد بينها هذا التهاافت في المعلومات أو الفوارق في المسائل التي تذكرها.. والأمثلة عديدة.

وسياّتي معنا عند البحث حول الأناجيل أن الكنيسة لا تعتبر الأناجيل وحيّاً من الله «عز وجل» للمسيح «عليه السلام»، بل هي روايات سيرة المسيح قدّمها أصحابها، مرقس، متّى، لوقا، يوحنا، بنوع من التأييد والوحي والإلهام إلهي، وتدخلت في صياغتها وإخراجها بالصورة المعروفة -وبشكل كبير- العناصر الشخصية والنفسية والتاريخية والمعلومات المتوفرة عند أصحابها.

في إنجيل متى نجد النص التالي الذي يحدد زمن ولادة المسيح بعصر حكم هيرودس: (وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودَسَ الْمَلِكِ...) (١).

ونجد في إنجيل لوقا النص التالي الذي يحدد زمن ولادته بعصر حكم هيرودس أيضاً: (كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودَسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ...) وسط وجنوب فلسطين (فَوَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ وَقَمَّطَتْهُ...) (٢).

تاريخياً هناك أكثر من شخصية تحمل عنوان (هيرودس) في تلك الفترة التي وُلد فيها المسيح «عليه السلام» أو ما يقاربها:

١. هيرودس الأول/الكبير (٧٣ / ٧٤ ق.م - ٤ ق.م) إدومي الأب، نبطي الأم (عربية) (٣). عُيِّنَ حاكماً على الجليل (شمال فلسطين) ثم أصبح ملك يهوذا (اليهودية). كان حليفاً للرومان، وأربعة من أولاده حملوا نفس اللقب. وبعد وفاته تم تقسيم مملكته بين ثلاثة من أولاده، وهم:

٢. هيرودس أرخيلائوس (٢٣ ق.م - ١٨ م) الابن الكبير لهيرودس الأول. عيَّنه الرومان حاكماً على (اليهودية) و(السامرة). قُتل ثلاثة آلاف يهودي من المتمردين في بدايات حكمه. خلعه الامبراطور الروماني أغسطس بسبب سوء إدارته للحكم، ونقل السلطة في اليهودية والسامرة إلى ولاية رومانيين.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢، ١.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ١، ٥، والإصحاح ٢، ٧.

٣. إدوم مملكة قديمة كانت تقع جنوب البحر الميت. ومعظم أراضيها في الأردن وفلسطين المحتلة، وتعتبر البتراء جزء منها. قامت في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وانهارت في القرن الثاني قبل الميلاد.



٣. هيرودوس أنتيباس (٢٢ ق.م - ٣٩ م): ابن هيرودس الأول. عيّنه الامبراطور الروماني أغسطس حاكماً على الجليل وبيريا (شرقي الأردن) من سنة (٤ ق.م - ٣٩ م). هو الأمر بقتل النبي يحيى «عليه السلام».

٤. فيلبس، أو هيرودس فيلبس الثاني (٤٣ ق.م - ٣٤ م)، ثالث أبناء هيرودس الأول. حكم المناطق الجنوبية من سورية، فشمّل حكمه البقاع اللبناني والجلولان السوري وغير ذلك. حكم في الفترة بين (٤ ق.م - ٣٤ م).

ويبدو أن (هيرودس) كان لقباً، أو تحوّل إلى لقب من بعد الأب هيرودس الأول/ الكبير، حملة بعض الحكام من هذه الأسرة الإدومية، بما يشبه لقب فرعون وقيصر وكسرى الذي تم تعميمه على حكام كثيرين. والاسم في الأصل إغريقي. وكان هيرودس الكبير على دين اليهود وإن لم يكن إسرائيلياً. وعندما يُطلق اللقب من دون تقييد - كما في النص الإنجيلي - فهو ينصرف إلى الأب.

يقول بركات إمحيميد في دراسته حول حكم هيرودس الكبير: (بدأ هرودس حكمه الفعلي على أورشليم خاصة وعلى فلسطين عامة عام ٣٧ ق.م، واستمر حتى عام ٤ ق.م)^(١)، وهي سنة وفاته، وعلى ذلك عدة مصادر أجنبية وعربية، لذا فقد طُرح تحديد سنة ولادة المسيح والتاريخ الميلادي على ما هو معهود كإشكال، لأن النص الإنجيلي يذكر أن ولادة المسيح كان في عهده.

وأكد ديورانت هذه الإشكالية إذ قال: (يحدّد متى ولوقا ميلاد المسيح في الأيام التي كان فيها هيرودس ملكاً على بلاد اليهود، أي قبل العام الثالث ق.م)^(٢).

وحمل بعض الباحثين الراهب دنيسيوس الصغير (٤٧٥-٥٤٤م) مسؤولية هذا الخطأ في تحديد سنة الميلاد، لأنه أوّل من خطرت له فكرة تقسيم التاريخ إلى ما قبل ميلاد السيد المسيح وما بعده، فوضع أوّل تقويم يعتمد على ذلك، واعتبر أن سنة ميلاد المسيح متطابقة مع سنة وفاة الملك هيرودس الأول (الأب)، ولكنه أخطأ في حساب تاريخ وفاته ودفعه إلى الأمام أربع سنوات.

١. إمحيميد: حكم هيرودس الكبير على فلسطين ٤٠ - ٤ ق.م، ص ٢٨.

٢. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢١٢.

وعندما قامت الدراسات اللاحقة بتصحيح تاريخ وفاة هيرودس وجعلته عام ٤ ق. م، بقي التقويم على حاله^(١).

وقد ردت بعض المصادر المسيحية هذه الإشكالية بادّعاء أن حكم هيرودس الكبير استمرّ إلى السنة الثانية للميلاد، لذا فلا تعارض بين المعطى التاريخي وبين النص الكتابي.

من جهته، أضاف ديورانت نصاً إنجيلياً آخر يثبت من خلاله وجود إشكالية في تحديد سنة ولادة المسيح، إذ ذكر لوقا أن المسيح كان في حوالي الثلاثين من العمر حين عمّده يوحنا، وأن ذلك كان في السنة الخامسة عشرة من حكم الامبرطور الروماني (تيبيريوس/طباريوس)، والنص كالتالي: (وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ سَلْطَنَةِ طَبْيَارِيُوسَ قَيْصَرَ.... كَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ عَلَى يُوْحَنَّا بْنِ زَكَرْيَا فِي الْبَرِّيَّةِ، فَجَاءَ إِلَى جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْأُرْدُنِّ يَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفَرَةِ الْخَطَايَا... وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضًا. وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةِ جَسْمِيَّةٍ مِثْلَ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرَرْتُ». وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سَنَةً)^(٢).

وحيث أن تيبيريوس استلم منصبه كإمبراطور في ١٨ سبتمبر ١٤م، ونضيف عليها ١٥ سنة، فسيكون المجموع ٢٩ سنة، بينما يذكر لوقا أن عمر المسيح كان نحو ثلاثين سنة، وهذا يجعل ميلاد المسيح في عام ٢ - ١ ق. م.

١. السواح: ألباز الإنجيل، ص ١٦٩.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٣، ١-٢٣.

ولكن هذه الإشكالية ليست قوية، إذ قد يقال أن لوقا ذكر العمر التقريبي،
وكون المسيح في عمر ٢٩ سنة وبضعة أشهر ينطبق على كلامه.

ثم تحدّث ديورانت عن النص الثالث المتناقض مع ما سبق، قال: (ويضيف
لوقا إلى هذا قوله: «وفي تلك الأيام صدر مرسوم قيصر أغسطس يقضي بأن
تُقرَضَ ضريبة على العالم كله) وتعميم الضريبة يستدعي إحصار النفوس
(حين كان كويرنيوس والياً على سوريا». والمعروف أن كويرنيوس كان حاكماً
لسوريا بين عامي ٦ - ١٢ م)^(١).

والنص في إنجيل لوقا كالتالي: (وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أَوْغُسْطُسَ
قَيَّصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. وَهَذَا الْاِكْتَتَابُ الْأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينْيُوسُ
وَالِي سُورِيَّةَ. فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. فَصَعِدَ يَوْسُفُ
أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى
بَيْتَ لَحْمَ، لِكُونِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرِيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ
وَهِيَ حُبْلَى. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ وَقَمَطَتْهُ
وَأَضَجَعَتْهُ فِي الْمَذْوَدِ...)^(٢).

ثم ذكر ديورانت المصادر التاريخية التي تتحدّث عن الإحصاء الذي
أُجري في ذلك العهد: (ويذكر يوسفوس أنه أُجري إحصاء في بلاد اليهود،
ولكنه يقول إن هذا الإحصاء كان في عام ٦ - ٧ م، ولسنا نجد ذكراً لهذا
الإحصاء) الصادر بإشراف كويرنيوس (إلا هذه الإشارة). وهذا يعني أن

١. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢١٢.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢، ١-١٢.

ولادة المسيح «عليه السلام» كانت بعد السنة المحددة في التاريخ الميلادي بست سنوات تقريباً. نعم، جرى إحصاء سابق خاص باليهود ولكنه كان قبل الميلاد: (ويذكر ترتليان إحصاءً لبلاد اليهود قام به سترنينس حاكم سوريا في عام ٧ - ٨ ق. م، فإذا كان هذا هو الإحصاء الذي يشير إليه لوقا فإن ميلاد المسيح يجب أن يؤرخ قبل عام ٦ ق. م)^(١). وهذا يعني أن ولادة المسيح كانت على عهد هيرودس الكبير فعلاً، ولكن قبل السنة المحددة في التاريخ الميلادي بسبع سنوات تقريباً.

وخلاصة القول أن من الصعب التيقن من صحة ما هو معهود من سنة ولادة المسيح، ولكن فرض حصوله قبل ست سنوات من السنة المعتمدة كسنة ميلاده سيكون الأوفق بوصفه في القرآن الكريم بأنه بلغ سن الكهولة ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمَنْ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، وهو السن الذي يُطْلَق على من دخل في عشرة الأربعين بحسب بعض المفسرين.

ولربما يختزن هذا الفرض أيضاً الإجابة على تساؤل بعض المفسرين عن سر وصف المسيح بأنه يكلم الناس في كهولته، والحال أنه أمر طبيعي على خلاف كلامه وهو في المهد، فكأن الآية تشير إلى الخطأ التاريخي الذي وقع في تحديد سنة ولادة المسيح وتكليفه بالرسالة وما استتبع ذلك من أحداث انتهت بالمؤامرة لقتله صلباً، إذ يُفترض أن نعود بتاريخ الولادة بضع سنوات إلى الوراء. وسنناقش هذه المسألة ضمن الفصل المخصص للحديث عن سيرته.

١. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢١٢.

٢. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢١٢.

• تحديد يوم الولادة:

وكما أربكتنا النصوص الإنجيلية ومقارنتها بالنصوص التاريخية بخصوص سنة ولادته «عليه السلام»، فإنَّ ليوم ولادته نصيباً من الإرباك أيضاً، وما يُعْهَد عند البعض بكونه في الخامس والعشرين من ديسمبر، وعند آخرين في السادس من يناير لا يستند إلى دليل قوي.

وإلى هذا أشار ديورانت حيث قال: (ولسنا نعرف اليوم الذي وُلِدَ فيه بالتحديد، وينقل لنا كلمنت الإسكندري «حوالي ١٠٠م») هكذا ورد في الترجمة العربية، وهو خطأ، وبالعودة إلى النص الإنجليزي للكتاب وجدت الرقم ٢٠٠ بدلاً من ١٠٠، وهو الصحيح، لأن إكليمندس/كلمنت الإسكندري Clemens، أحد أبرز معلمي مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، قد ولد سنة ١٥٠م تقريباً، وتوفي بين ٢١١-٢١٥م (آراء مختلفة في هذا الموضوع كانت منتشرة في أيامه)^(١). ثم نقل ديورنت تلك الآراء والمقولات وهي كالتالي:

١. التاسع عشر من إبريل.

٢. العاشر من مايو.

٣. السابع عشر من نوفمبر من العام الثالث قبل الميلاد.

ثم يذكر ديورنت أن إكليمندس كان يتبنَّى الرأي الثالث، بينما كان المسيحيون الشرقيون يحتفلون بمولد المسيح في اليوم السادس من شهر يناير منذ القرن الثاني بعد الميلاد.

١. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢١٢.

وفي عام ٢٥٤ احتفلت بعض الكنائس الغربية ومنها كنيسة روما بذكرى مولد المسيح في اليوم الخامس والعشرين من نوفمبر^(١)، وكان هذا التاريخ قد عُدَّ خطأً يوم الانقلاب الشتوي الذي تبدأ الأيام بعده تطول.

وأصل الاحتفال بيوم الخامس والعشرين من ديسمبر يعود إلى الفرس الذين كانوا يؤمنون بالإله مِثرا الذي يرمز للشمس التي لا تُقهر، ويعتقدون أنه وُلد في هذا اليوم، ويطلقون على العيد المخصَّص له (شَب يِلدا) أي ليلة الولادة، فالكلمة مكوّنة من قسمين (شَب = ليلة) و(يِلدا = الولادة) وهي كلمة سريانية الأصل، وتقترب من كلمة (يِلد = ولادة) العربية. علماً بأن الإيرانيين -إلى هذا الزمان- يحتفلون بهذه الليلة بنفس المسمّى القديم، ويتناولون فيها أطعمة خاصة ترتبط بتغيّر الفصل، ومنها البطيخ الأحمر والرمان.

وباحتكاك اليونان، ومن ثمّ الرومان، بالفرس نتيجة الحروب الممتدة عبر قرون، ومن خلال الاحتلال المتبادل وعامل التأثير والتأثير، فقد تبَنّى كثير من الرومان عبادة مِثرا الذي صار يُطلق عليه عندهم اسم مِثراس، وبذلك انتقل إليهم الاحتفال بمولد هذا الإله في ٢٥ ديسمبر من كل عام.

وعندما اعتنق الامبراطور قسطنطين المسيحية في القرن الرابع للميلاد، رغب -كما ذكرنا من قبل- في أن يقدم لشعبه توليفة بين الوثنية التي عهدوها وبين المسيحية كدين وافد وجديد بالنسبة إليهم، وطموحه إلى تحقيق الوحدة

١. هكذا في النص المترجم، والصحيح ديسمبر، والانقلاب الشتوي (عيد منتصف الشتاء) هو ظاهرة سنوية تحدث في ٢١ أو ٢٢ ديسمبر ويكون فيها أقصر نهار وأطول ليل، وكان الأقدمون يحسبون أن يوم ٢٥ من ديسمبر هو ذلك اليوم.

الدينية كما نجح في تحقيق الوحدة السياسية، وأية خطوة سريعة وكبيرة في اتجاه المسيحية قد تُربك هذا الطموح... أو أنه واجه تحدياً كبيراً في ما يتعلق بتحويل أتباع امبراطوريته من الوثنية إلى المسيحية، لذا كانت مسيرته في تغيير الديانة الوطنية مسيرة حذرة بلحاظ حالة الترقّب التي كانت يعيشها كثيرٌ من رعاياه الوثنيين والمسيحيين على حدٍّ سواء، ولربما يعود السبب إلى أن قسطنطين نفسه كان متردداً فكرياً، ولم يكن من السهل عليه أن يتخلّى عن معتقداته التي شبَّ عليها قبل مسيحيتها، لاسيما عبادة الشمس.

وأياً كان السبب، فإنّ هذه النزعة التوفيقية بين الديانتين عبّرت عنها التماثيل التذكارية التي نصبها قسطنطين، ومن ذلك مثلاً التمثال الذي أمر بنصبه على عمود (بورفيري) في عاصمته الجديدة القسطنطينية، والذي يمثل الإمبراطور على صورة إله الشمس (هيليوس) وهو يحمل بيده كرة العالم التي ارتفع عليها الصليب، وعلى قاعدة العمود نقشٌ يقول: (قسطنطين الذي يضيء مثل الشمس)، وكان نظر التمثال يتجه نحو الأعلى إلى الشمس الطالعة. وهناك ميداليات ذهبية يظهر عليها الإمبراطور وإله الشمس كتوأمين. ومنذ عام ٣٢٤ أقرّ قسطنطين سكّ نقود معدنية عليها صورته وهو رافع يديه نحو الشمس، أو صورة إله الشمس وهو يظلل القيصر الذي يحمل بيده لواء الصليب، أو صورة الشمس منفردة وهي ترسل أشعتها في كل اتجاه. كما ونجد على قوس النصر الذي شيّده إله الشمس إلى جانب الإلهة (فيكتوريا) إلهة النصر، وأمامهما يقف القيصر^(١).

١. السواح: ألباز الإنجيل، ص ٨٢.

وتناغمًا مع هذا كله، أبقى قسطنطين الاحتفال بيوم الخامس والعشرين من ديسمبر كيوم عيد، وصار يوم ولادة مِثْراس إله الشمس هو ذاته يوم ولادة المسيح ابن الله بحسب معتقده. كما أنه جعل يوم الأحد (Sunday = يوم الشمس) هو يوم الإجازة الدينية الأسبوعية للمسيحيين.

لقد ساعده على ذلك، إعلان السلطات الكنسيّة رسمياً ألوهية المسيح في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م، فقد أقر المجتمعون من كبار رجال الدين المسيحي أن يسوع المسيح هو اللوغوس، أو الكلمة الصادرة عن الله.

ولكي نفهم مرادهم من ذلك لابد من الاطلاع على مضمون فلسفتين انتشرت أفكارهما في ذلك العهد وأثّرت في تقديم التصرّو المعروف عن الثالوث (الآب، الابن، روح القدس) عن المسيحيين.

١. الأفلاطونية المحدثة: أسسها (أفلوطين الإسكندري) (ت ٢٧٠م). اعتبرت هذه الفلسفة أن الموجودات تدرجت في وجودها من (المبدأ الأول = الواحد الخير) الذي يمثّل الكمال المطلق. وعنه صدور الموجود الثاني (وهو العقل) كصدور فيض النور عن الشمس والماء عن النبع، فالمصدر الأول محتفظ بوحدته الأصلية وإن صدر عنه الموجود الثاني (العقل) الموصوف بأن (المبدأ الأول الواحد يرى ذاته من خلاله). وعن (العقل) صدرت (النفس) ذات الطبيعة المزدوجة، ففي جانبها الداخلي تتجه إلى الأعلى حيث (العقل) بينما في مظهرها الخارجي تتجه إلى الأسفل حيث (عالم الحس والمادة) وهي في نفس الوقت الخالق للعالم المادي السفلي الذي نعيش فيه. وهكذا يظهر الثالوث الأفلوطيني (المبدأ الأول) (العقل) (النفس).

٢. الفلسفة الرواقية المتأخرة: التي اعتبر بعض أتباعها أنّ الإله الحق الأعلى والمتحكّم بالكون هو العقل الذي يتخلل الفراغ الكوني، وما هو إلا فلك النجوم الثابتة الحاوي على كل شيء، وتحتة سبعة أفلاك تتحرك في اتجاه معاكس لحركته. في وسط هذه الأفلاك تظهر الشمس سيدة الأنوار كلها، وهي العقل والمبدأ المتحكّم بالكون. ومن هنا نجد أنفسنا أمام ألوهيتين رئيسيتين، ألوهية العقل المتمثل في (فلك النجوم الثابتة)، وألوهية الشمس حاكمة العالم. وهما ألوهية واحدة من حيث الجوهر، وقد صدرت إحداها (الشمس) عن الأخرى (فلك النجوم الثابتة)، وصارت الشمس صورتها المرئية في العالم، وقوّتها الفاعلة في الوجود.

وبمزج هاتين الفلسفتين مع المسيحية، ظهر عندنا الثالوث المسيحي، واندمج الإيمان بألوهية الشمس بالإيمان بألوهية المسيح، وصار الإيمان المسيحي قائماً على الإيمان بالتوحيد ضمن التصوّر التالي:

١. (الآب) الذي يوازي (المبدأ الأول والواحد الخير) في الفلسفة الأفلوطينية و(فلك النجوم الثابتة) في الرواقية المتأخرة.

٢. (الابن=المسيح) الموازي لـ (العقل) بحسب الفلسفة الأفلوطينية وهو (الشمس) بحسب الفلسفة الرواقية المتأخرة، وهو (الصورة المرئية لله) وقوته الفاعلة في الوجود.

٣. (الروح القدس) الذي يوازي (النفس) ذات الطبيعة المزدوجة المتّجهة إلى الأعلى حيث العقل، وإلى الأسفل حيث العالم المادي الذي نعيش فيه.

من هنا، جاء اتّخاذ يوم الأحد يوم عيد أسبوعي ومخصّص في الأساس لعبادة الشمس، وليُصبح -بعد التحوّل للمسيحية- يوم التعبّد في الدين الجديد أمراً مقبولاً و(توافقياً)، وكذلك صار إعلان يوم الخامس والعشرين من ديسمبر يوم ولادة المسيح أمراً مقبولاً و(توافقياً)، وهو في الأساس يوم ولادة الشمس بلحاظ أنه يوم الانقلاب الشتائي، وفيه أقصر نهار وأطول ليل بحسب تصوّرهم في ذلك الزمان.

وإذا كانت الكنائس الشرقية انسجمت مع قضية التثليث، إلا أنها اتّهمت الكنيسة الغربية بالوثنية وعبادة الشمس حين اعتبرت الخامس والعشرين من ديسمبر يوم ولادة المسيح، وأبقت على يوم السادس من يناير باعتباره يوم مولد السيد المسيح «عليه السلام»، وما زالت متمسّكة به إلى هذا اليوم. وبالإضافة إلى إشكالية الكيفية التي تم فيها تعيين يوم ٢٥ من ديسمبر كيوم مولد للمسيح، فإنّ في البين إشكالين آخرين يشملان تحديد المولد بشهر يناير أيضاً، وهما كالتالي:

١. جاء في إنجيل لوقا ما نصه: (فَوُلِدَتْ) أي السيدة مريم (ابْنَهَا الْبَكْرَ) أي المسيح (وَقَمَطَتْهُ وَأَضَجَعَتْهُ فِي الْمَدْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزَلِ. وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ)^(١). والإشكال المطروح هو أن هذا الوصف لا يكون في ليلة من شهر ديسمبر، ولا يناير، حيث يتوجّب على الرعاة خلال أشهر الشتاء الباردة إبقاء ماشيتهم في مكان دافئ ومحمي ومغطّى، وإلا فإنها ستكون معرضة للهلاك.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢، ٧-٨.

٢. جاء في إنجيل لوقا ما نصه: (وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أَوْغُسْطُسَ قَيْصَرٍ بَأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. وَهَذَا الْاِكْتِتَابُ الْأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينْيُوسُ وَالِي سُورِيَّةَ. فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. فَصَعِدَ يَوْسُفُ) النجار وهو المدعى أنه زوج السيدة مريم (أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ) (١).

والإشكال المطروح هو أن المؤرخات الرومانية القديمة تذكر أن هذا الإحصاء كان يتم عند اعتدال الجو، لا في فصل الشتاء، حيث تكون درجات الحرارة في كثير من الأحيان منخفضة، وإلى ما دون الصفر والطرق في حالة سيئة نتيجة الأمطار، ولربما بعض الثلوج. وهذا منطقي، ولذا فإن وقوع ولادة السيد المسيح «عليه السلام» في ديسمبر أو يناير أمر مستبعد.

ويُضاف إلى الإشكاليين السابقين أن وجود الرطب الجني -كما جاء في الوصف القرآني لأحداث ولادة المسيح- في فصل الشتاء البارد أمر غير معهود إلا إذا قلنا أن الأمر برمته كان مسألة إعجازية.

• تحديد مكان الولادة:

اتفق إنجيلا متى ولوقا حول تحديد مكان الولادة، وهو مدينة (بيت لحم)، التي تبعد ٩ كم عن المسجد الأقصى، لأنها -كما مر معنا في نص سابق- الموطن الأصلي لأسرة يوسف النجار زوج السيدة مريم بحسب المدعى، وقد

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢، ١-٦.



ذهبا للتسجيل في تعداد النفوس (الإحصاء السكاني).

جاء في إنجيل لوقا ما نصه: (فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمَ، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ، فَوَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ)^(١).

أما متى في روايته للإنجيل فلم يذكر مسألة الإحصاء ولا سبب تواجد السيدة مريم في بيت لحم: (وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ.....)^(٢). ويضيف متى أن البشارة حول ولادة المسيح «عليه السلام» والتي جاءت سابقاً

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢، ٣-٧.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢، ١.

على لسان بعض الأنبياء «عليهم السلام» تذكر أن المسيح سيولد في بيت لحم، وهذا ما تحقق فعلاً.

وحيث تتفق المصادر المسيحية وغالبية المصادر الحديثية والتاريخية الإسلامية على مكان ولادة المسيح وكونها في أرض فلسطين، إلا أن في التراث الإمامي ما يوافق ذلك أحياناً، وما يخالفه أحياناً أخرى.

أما الروايات المؤيدة فهي من قبيل ما رواه العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن تفسير القمي: (علي بن إبراهيم: أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله «عليه السلام» في حديث طويل في صفة المعراج وساق الحديث إلى أن قال: ثم قال لي جبرئيل: انزل فصل، فنزلت وصليت، فقال لي: تدري أين صليت؟ فقلت: لا، فقال: صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليماً، ثم ركبت فمضينا ما شاء الله، ثم قال لي: انزل فصل، فنزلت وصليت، فقال لي: أتدري أين صليت؟ فقلت: لا، فقال: صليت في بيت لحم، وبيت لحم بناحية بيت المقدس حيث ولد عيسى بن مريم «عليه السلام»^(١).

وأما الروايات المخالفة فكما جاء في بحار الأنوار أنها كانت في النجف في العراق، فعن قصص الأنبياء للراوندي: (الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن يحيى بن عبد الله قال: كنا بالحيرة فركبت مع أبي عبد الله عليه السلام فلما صرنا حيال قرية فوق الماصر قال: هي هي، حين قرب من الشط وصار على شفير الفرات، ثم نزل فصلى ركعتين، ثم قال: أتدري أين ولد

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢٠٨.

عيسى «عليه السلام»؟ قلت: لا، قال: في هذا الموضع الذي أنا فيه جالس، ثم قال: أتدري أين كانت النخلة؟ قلت: لا، فمد يده خلفه فقال: في هذا المكان، ثم قال: أتدري ما القرار وما الماء المعين؟ قلت: لا، قال: هذا هو الفرات، ثم قال: أتدري ما الربوة؟ قلت: لا، فأشار بيده عن يمينه فقال: هذا هو الجبل إلى النجف، وقال: إن مريم ظهر حملها وكانت في واد فيه خمسمائة بكر يتعبدن، وقال: حملته تسع ساعات، فلما ضربها الطلق خرجت من المحراب إلى بيت دير لهم فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة فوضعتة فحملته فذهبت به إلى قومها، فلما رأوها فزعوا فاختلف فيه بنو إسرائيل فقال بعضهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: هو عبد الله ونبيه، وقالت اليهود: بل هو ابن الهنّة، ويقال للنخلة التي أنزلت على مريم: العجوة). قال المجلسي في بيان بعض الكلمات من الرواية: (المأصر بالمد جمع الماصر كمجلس أي المحبس، ولعل المراد محابس الماء، والماصر بغير مد: الحاجز بين الشيئين. والحد بين الأرضين. وابن الهنة كناية عن ولد الزنا، بأن يكون المراد بالهنّة الشر والقبيح كما تطلق عليه كثيراً، وقد يكنى به عن كل جنس، فالمعنى ابن رجل)^(١).

ولمعرفة قيمة كتاب قصص الأنبياء للراوندي نستعرض ما ذكره المحقق الشيخ محمد آصف محسنی في كتابه (بحوث في علم الرجال)^(٢) تحت عنوان

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢١٦.

٢. طبع الكتاب سنة ١٣٩٩ هـ في مدينة مشهد في إيران باسم (الفوائد الرجالية)، ثم طبع في قم سنة ١٤٠٢ هـ - مع تصحيح وتكميل - باسمه الحالي، وصدر مجدداً في إسلام آباد الباكستانية وبضميمة كتاب (عدالة الصحابة) سنة ١٤١٧ هـ بعد إضافات وتغييرات للمؤلف. ويشتمل الكتاب على ٤٦ بحثاً في علم الرجال وتشتمل على قواعد كلية ومعايير لإحراز وثيقة وصدق الراوي، وضوابط للتصديق والتضعيف، وأمارات للتوثيق والجرح، وغيرها.

(حول أسناد قصص الأنبياء) حيث قال: (ألف الشيخ قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي «رحمه الله» كتاباً ربّما ينهأه^(١) بعضهم إلى ستّة وخمسين كتاباً، منها كتابه في قصص الأنبياء، وقد أكثر فيه النقل عن الشيخ الصدوق «رضي الله عنه» لكنّه لم يذكر تفصيلاً أسناده إلى الصدوق في كلّ رواية، ولم يذكر أيضاً في أوّل كتابه سنداً عاماً لجميع ما ينقله عن الصدوق، حتّى يتّضح حال الروايات المعتبرة سنداً من قبل الصدوق، وأنها معتبرة أو ضعيفة؛ لأجل من بعد الصدوق «رحمه الله»، بل ذكر في بعض الروايات سنده تفصيلاً، وفي بعضها إجمالاً، وفي الأكثر قال: «عن ابن بابويه» أو «وعن ابن بابويه»، بزيادة كلمة: الواو العاطفة. وربّما يقول «بأسناده عن فلان»، والضمير المجرور في الكلّ أو في الأكثر يرجع إلى الصدوق، وربّما يقول غير ذلك. وهذا الكتاب لم يُطبع ظاهراً، وبقي مخطوطاً إلى قبل عشرة أشهر، فتصدّى بعض الفضلاء - شكر الله سعيه - لطبعه في شهر رجب عام ١٤٠٩).

وبعد أن بيّن محسنّي توثيقاته للرواة المذكورة أسماؤهم في الكتاب ورأيه في الروايات المرسلة قال: (ثمّ إنّ هنا بحثاً أعمق وأسبق، وهو اعتبار أصل الكتاب وإحراز اتّصاله إلى مؤلّفه بالسند المتّصل المعتبر).

وقام ببحث ذلك في فصل آخر، جاء فيه: (قال الشيخ منتجب الدّين^(٢) في فهرسته: الشيخ الإمام قطب الدين أبو الحسين سعد - قيل: سعيد - ابن هبة الله بن الحسن الراوندي، فقيه عين صالح ثقة له تصانيف ... ثمّ ذكر كتبه.

١. الأصح أن يقال: يُنهيه بعضهم، أو أنهاء بعضهم.

٢. الشيخ أبو الحسن علي بن عبيد الله بن الحسن القمي المعروف بمنتجب الدين (٥٠٤هـ - ٥٨٥هـ). عالم ومحدث. من مصنفاته (فهرست أسامي علماء الشيعة ومصنّفاتهم).

وقال ابن شهر آشوب^(١) في معالم العلماء في حقّه : شيخي أبو الحسين سعد بن هبة الله له كتب فذكر كتابين له. وهذان الفاضلان لم يذكرنا كتاب قصص الأنبياء له. وقال الحر العاملي^(٢) في تذكرة المتبحرين في ترجمته: وقد رأيت له كتاب قصص الأنبياء أيضاً.... ونسب المجلسي قصص الأنبياء المذكور أولاً إليه على ما يظهر من أسانيد الكتاب واشتهر أيضاً، ثم قال: ولا يبعد أن يكون تأليف فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسني الراوندي^(٣)، كما يظهر من بعض أسانيد السيد ابن طاووس، وقد صرح بكونه منه في رسالة النجوم، وكتاب فلاح السائل. والأمر فيه هيّن؛ لكونه مقصوراً على القصص، وأخباره جلّها مأخوذة من كتب الصدوق «رحمه الله».

ولم يرتضِ المحقق محسني كلام المجلسي بأنّ الأمر هيّن، قال: (وعندي أنّ الأمر ليس فيه هيّن؛ لحرمة انتساب الشيء إلى الأئمة «عليهم السلام» وإلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإلى الله «تعالى» ما لم يثبت صحّته بالعلم الوجداني أو التعبدّي، وإن كان هذا الشيء المنسوب من أهون الأشياء).

١. محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني (٤٨٨هـ - ٥٨٨هـ). فقيه ومحدّث. له مصنفات كثيرة، منها: (مناقب آل أبي طالب)، (معالم العلماء).

٢. محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين المعروف بالشيخ الحر العاملي (١٠٣٢ - ١١٠٤هـ)، محدث وفقه إمامي. من مصنفاته (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) المعروف بكتاب وسائل الشيعة، وهو مصدر للأحاديث التي يُعتمد عليها في الاستنباط الفقهي.

٣. السيد ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي الحسني الراوندي (ت ٥٥١هـ)، فقيه وأديب. من مصنفاته (ضوء الشهاب في شرح الشهاب)، (مقاربة الطيبة إلى مقارنة النية)، (الأربعين في الأحاديث)، (نظم العروض للقلب المروض)، (الكافي في التفسير).

ثم أضاف: (وذكر صاحب الوسائل، هذا الكتاب في ضمن مصادر وسائله في الفائدة الرابعة من خاتمة كتابه واعتمد عليه، ولكن الظاهر إن الكتاب لم يصل إليه وإلى المجلسي «رحمهما الله» بسند متصل، فلا بد من إثبات شهرة الكتاب بين العلماء في الزمان الفاصل بين مؤلفه وبينهما).

وختم محسني رأيه بإثارة إشكالية أخرى تواجه الكتاب حيث قال: (ثم إنَّ المسلم أنَّ جُلَّ أخبار القصص رويت عن الصدوق «رحمه الله»؛ وأمَّا أنَّها مأخوذة من كتبه، فهو محتاج إلى شاهد أو تتبع. والثمرة بين القولين كبيرة جداً؛ إذ على الثاني لا يحتاج الحكم باعتبار الروايات إلى إحراز وثاقة الوسائط بين مؤلف القصص والصدوق، وعلى الأول يحتاج، ويضرَّ جهالتهم باعتبار الروايات؛ وأمَّا البحث عن أسانيد مؤلف القصص إلى الصدوق، فقد تقدّم في بعض البحوث السابقة. وهنا شيء آخر وهو عدم وجود تلك الروايات بتمامها في كتب الصدوق، وهذا أمر عجيب^(١)).

وفي رواية أخرى أن الولادة وقعت في كربلاء من العراق، فقد نقل المجلسي في بحاره عن تهذيب الشيخ الطوسي بالسند: (.... عن الثمالي، عن علي بن الحسين «عليه السلام» في قوله «تعالى»: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾^(٢). قال: خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء فوضعت في موضع قبر الحسين «عليه السلام» ثم رجعت من ليلتها^(٣)).

١. محسني: بحوث في علم الرجال، ص ٤٣٦-٤٣٧.

٢. مريم: ٢٢.

٣. المجلسي: بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ١١٦.

وفي رواية رابعة أن الولادة وقعت في نواحي بغداد حيث مسجد (براثا) الحالي. ففي بحار الأنوار عن: (أمالى الطوسي: المفيد، عن علي بن بلال، عن إسماعيل بن علي بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عيسى بن حميد الطائي، عن أبيه حميد بن قيس، عن علي بن الحسين «عليهما السلام» قال: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء، فقال للناس: إنها الزوراء فسيروا وجنبوا عنها، فإن الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة، فلما أتى يمنا السواد إذا هو براهب في صومعة له، فقال له الراهب: لا تنزل هذه الأرض بجيشك قال: ولم؟ قال: لأنها لا ينزلها إلا نبي أو وصي نبي يقاتل في سبيل الله «عز وجل» هكذا نجد في كتبنا، فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنا وصي سيد الأنبياء، وسيد الأوصياء فقال له الراهب: فأنت إذن أصلع قريش، ووصي محمد، فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنا ذلك، فنزل الراهب إليه فقال: خذ علي شرائع الاسلام، إني وجدت في الإنجيل نعتك وأنتك تنزل أرض براثا بيت مريم وأرض عيسى «عليه السلام»، فأتى أمير المؤمنين «عليه السلام» موضعاً فلكره برجله فانجست عين خراة، فقال: هذه عين مريم التي أنبت لها، ثم قال: اكشفوا ههنا على سبعة عشر ذراعاً، فكشف فإذا بصخرة بيضاء، فقال «عليه السلام»: على هذه وضعت مريم عيسى «عليه السلام» من عاتقها وصلت ههنا، ثم قال: أرض براثا هذه بيت مريم «عليها السلام»^(١).

والذي يمكن أن يقال في هذا المقام أن مثل هذه الروايات لا تصمد أمام

المعطيات والنصوص المختلفة والكثيرة جداً، الدينية منها والتاريخية، الإسلامية منها وغير الإسلامية، والتي تؤكد أن الأحداث جرت في أرض فلسطين لا في العراق، ولعله بالتحديد في بيت لحم، لا في النجف ولا كربلاء ولا بغداد، ولا غيرها من مناطق العراق.

ولربما يتمسك البعض للدلالة على ما سبق بأن ولادة المسيح في بيت لحم الواقعة بالقرب من القدس أمر غير محسوم، حيث ظهرت مؤخراً بعض الأقوال التي ترجح أن تكون بلدة بيت لحم المشار إليها في النصوص المسيحية عبارة عن بلدة كانت تقع في الجليل، شمال فلسطين، لا بيت لحم المعهودة الواقعة بالقرب من القدس، حيث أن إنجيلا مرقس ويوحنا لم يذكر بيت لحم كمسقط رأس المسيح، بل اعتبروا أن موطنه هو الناصرة في الجليل، وبجمع هذه المعطيات قال هؤلاء أن التوفيق بين القولين يتحقق بالقول بأنه وُلد في بلدة بيت لحم، ولكن تلك البلدة الواقعة في الجليل لا بالقرب من القدس.

ولربما تحججوا أيضاً برأي (جون ماير) الباحث في تاريخ المسيح، إذ يقول أن (ولادة يسوع في بيت لحم يجب ألا تؤخذ على أنها حقيقة تاريخية) بل مجرد (تأكيد لاهوتي يوضع في شكل سرد تاريخي على ما يبدو)^(١).

كما وقد صرح بعض الباحثين بأن الاعتقاد بأن يسوع كان من نسل الملك داود هو الذي أدى إلى تطور قصة ولادة يسوع في بيت لحم، لأنها مسقط رأس النبي/الملك داود، وأن هذا الادعاء كان صنعة متى ولوقا اللذان أرادا تأكيد تحدر يسوع من داود وانتسابه إليه.

1. <https://daqaeq.net/ميلاد-يسوع>

ولكن يجب أن نلتفت أن أصحاب هذه المقولات لم يخرجوا عن نطاق أرض فلسطين في تحديد مكان ولادة المسيح، ولم يدَّعِ أيُّ منهم أن الولادة تمّت في العراق مثلاً أو في دمشق مثلاً كي نُصحّ تلك الروايات من خلالها. وسواء أ كان مولده في بيت لحم أم في الناصرة أم في موضع آخر من الجليل، فالمهم أن ولادته كانت في حدود أرض فلسطين، لا في العراق كما جاء في تلك المرويات.

هذا، وقد شكّك البعض في صحة كون الولادة قد وقعت على أرض فلسطين بلحاظ أن القرآن الكريم تحدّث عن وجود نخلة ورطب جنّي، ومن غير المعروف وجود النخيل في أرض فلسطين، ولذا فإن العراق يمثّل الأرض المرشّحة لأن تكون مهد المسيح ومكان ولادته، لاسيّما بلحاظ التعبير الوارد في الآيات من أن السيدة مريم اتخذت مكاناً شرقياً وقصياً: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا، فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾^(١) وهذا يتطابق مع العراق من حيث الموقع بالنسبة إلى فلسطين حيث عاشت في الأصل.

إلا أن هذا الإشكال لا يستقيم أيضاً، ولنلاحظ المقالة التالية على موقع (مركز المعلومات الفلسطيني - وفا) حول زراعة النخيل في فلسطين، حيث جاء فيها أنه: (عرفت زراعة النخيل في فلسطين منذ آلاف السنين، وحظيت

باهتمام المزارع الفلسطيني؛ كونها شجرة ذات قيمة اقتصادية كبيرة، ومنزلة دينية عظيمة، تعيش مئات السنين، ولقدرتها على تحمل العديد من الظروف المناخية، بالإضافة لقدرتها على النمو في التربة المالحة. تنتشر زراعة النخيل في فلسطين في منطقة أريحا والأغوار وقطاع غزة، لا سيما في مدينتي: دير البلح، وخان يونس. ومن المعروف أن مدينة أريحا تاريخياً أطلق عليها اسم مدينة النخيل؛ لكثرة مزارع النخيل فيها) والمسافة بين أريحا وبيت لحم ٤٧ كم فقط.

وأضاف المركز: (...) يعتبر قطاع التمور في فلسطين أحد ركائز الاقتصاد الزراعي، فحسب إحصاءات وزارة الزراعة في أيلول ٢٠٢١ بلغ عدد مزارع النخيل في فلسطين ٥٧١ مزرعة، تحتوي على ٣١١ ألف شجرة نخيل، ويعمل فيها أكثر من ٥٠٠٠ عامل، ويبلغ قيمة صادراتها بنحو ٣٥ إلى ٤٠ مليون دولار سنوياً، ويقدر إنتاج التمور للموسم ٢٠٢١ بحوالي ١٣ ألف ونصف طن^(١).

وأعلنت كذلك اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم عن إدراج نخلة التمر الفلسطينية ضمن لائحة التراث الثقافي غير المادي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، وذلك في ديسمبر ٢٠١٩^(٢).

كما ونجد أن العملة التي سُكَّت إبان ثورة اليهود بقيادة (باركوبخا) على

1. https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=8701&__cf_chl_f_tk=Z3ZmV.AZmwLRSd5pZkkDZ.RFH2EbDm.8Na2FSbd8U-LA-1642259774-0-gaNycGzNBqU

2. <https://safa.ps/post/272989/> إدراج-نخلة-التمر-الفلسطينية-بالائحة-التراث-الثقافي-غير-المادي-اليونسكو



عملة (بار كوخبا) -الوجه الأمامي- عنب، وكُتب حوله: (السنة الأولى لفداء إسرائيل). الوجه الخلفي: نخلة، وكُتب حولها: (العازار الكاهن).

السلطة الرومانية في الأراضي الفلسطينية ما بين سنة ١٣٢ - ١٣٦ م تشتمل في إحدى وجهيها على صورة النخلة، وفي الوجه الآخر على عنقود من العنب، بما يعكس نوعية الشجر والثمر المتوافر والمنتج في تلك الأراضي.

يضاف إلى ما سبق أن المسافة التي يتحدث عنها أصحاب هذا الادّعاء ما بين فلسطين والعراق هي مئات الكيلومترات، سواء قطعتها بخط مستقيم أم بمحاذاة نهر الفرات، وهو ما يستدعي منها مسير قرابة الشهر، ولك أن تتخيل حصول ذلك من قبل فتاة وحيدة! وما الداعي لذلك؟ ووفق أي منطق يمكن قبوله؟ وكيف قطعت هذه المسافة؟ وبمعنيّة من؟ ثم كيف رجعت مجدداً كل هذه المسافة إلى موطنها في فلسطين فشاهدها من شاهدها، وجرى معها الحوار

الذي نقله القرآن؟ نعم، قال البعض أن الأمر تم بصورة خارقة وإعجازية بحيث طُويت لها الأرض، أو سُخِّر لها ما ينقلها... ولكن السؤال يعود مجدداً: ما الداعي لذلك؟ وهل الآيات (المعاجز) تحدث بلا سبب؟ وكون الحمل وولادة المسيح آية من آيات الله لا يعني أن يكون موضع ولادته تم في ظرف إعجازي أيضاً، لأن هذا الأمر لا غاية منه، على خلاف أصل الحمل والولادة، مع التنبيه على أن الآيات (المعاجز) حالة استثنائية وليست الأصل في ما يجري في هذا الوجود كي نعتمد عليه في تفسير الأمور متى شئنا.

• المجوس الثلاثة:

رواية متى حول الولادة تذكر أن ثلاثة من المجوس القادمين من جهة الشرق تصادف وجودهم بالقرب من القدس عند ولادة المسيح، وكانوا يعلمون مسبقاً اقتران ولادة (ملك اليهود) بظهور نجمة في السماء، وهذا ما تحقق فعلاً في تلك الليلة، ولذا فقد دخلوا أورشليم/القدس وبدأوا يبحثون عن المولود المبشر به: (وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ، قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكَ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَآتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ». فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ. فَجَمَعَ كُلُّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكُتَبَةَ الشَّعْبِ، وَسَأَلَهُمْ: «أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟» فَقَالُوا لَهُ: «فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ. لِأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: (أَيُّ النُّبُوءَةِ) (وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ، أَرْضُ يَهُودَا لَسْتَ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُودَا، لَأَنَّ مِنْكَ يَخْرُجُ مَدَبَّرٌ يَرَعَى شُعْبِي إِسْرَائِيلَ)»^(١).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢، ١-٦.

وتضيف الرواية أن هيرودس - بعدما استدعى أيضاً المجوس الثلاثة واستمع إلى روايتهم - طلب منهم الذهاب إلى بيت لحم للتحقق من الأمر وإخباره بنتيجة هذا البحث: (ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمَ، وَقَالَ: «اذْهَبُوا وَأَفْحَصُوا بِالتَّحْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي، لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضًا وَأَسْجُدَ لَهُ». فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقَ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. فَلَمَّا رَأَوْا النَّجْمَ فَرَحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جَدًّا. وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا. ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنَّ لَا يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ، انْصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى كُورَتِهِمْ^(١).

وحين علم هيرودس بعدم التزام المجوس الثلاثة بوعدهم: (غَضِبَ جَدًّا. فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصَّبْيَانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمَ وَفِي كُلِّ تَخُومِهَا، مِنْ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونَ، بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ)^(٢).

وفي المقابل، فقد رأى يوسف النجار في المنام ملكاً يطلب منه الخروج من بيت لحم: (فَقُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لِأَنَّ هِيرُودُسَ مَزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ». فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلًا وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ)^(٣).

ويضيف متى أيضاً بأن انتقال المسيح إلى مصر وعودته منها إلى أرض فلسطين كان أمراً إلهياً مقدراً، إذ اشتملت البشارة على لسان أحد الأنبياء

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢، ٨-١٢.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢، ١٦.

٣. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢، ١٣-١٥.

السابقين على أنه سيفد عليهم من مصر، وهذا ما تحقق: (وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي»^(١)). وهكذا نجا السيد المسيح «عليه السلام» بحسب هذه القصة الإنجيلية من التصفية الجسدية على يد الطاغية هيرودس. وسيمر معنا عند الحديث عن طفولة المسيح أن رواية الهجرة إلى مصر لا تتوافق مع رواية لوقا في إنجيله، حيث يظهر منها بقاء الثلاثة، مريم ويوسف والمسيح، في فلسطين ثمانية أيام، ثم انتقالهم من بيت لحم إلى الجليل حيث كان يسكن يوسف.

وقد اختلف الباحثون في قومية المجوس الثلاثة وبلادهم، فادّعى البعض أنهم قد قدموا من العراق الحالية، وقيل بل من إيران الحالية، وذهب آخرون إلى أنهم وفدوا من الجزيرة العربية، أو كانوا من السبئيين، وقيل بل الأردن. ومنهم من ذهب إلى أن كلمة (مجوسي) وكذلك كلمة (كلداني) في ذلك الوقت كانت تُطلق على المنجمين بغض النظر عن دينهم وقوميتهم. وفي ذلك يقول (موفق نيسكو) الباحث والمؤرخ في التاريخ السرياني إن كلمة كلداني تقابل لقب المجوس (ماجو)، وتعني الكاهن، والعالم بالفلك، والحكيم، والمفسر، وأن اسم المجوس شاع استعماله في فترة الكلدان منذ بروز الديانة الزرادشتية بقوة منتصف القرن السابع قبل الميلاد تقريباً، لأن وظائف وطقوس المجوس لها علاقة مع التنجيم والسحر، فجاء مصطلح (ماجيا، المجوس) اليونانية لها $\mu\alpha\gamma\epsilon\acute{\iota}\alpha \mu\alpha\gamma\epsilon\acute{\upsilon}\omega\nu$ mageuon ليدل على التنجيم والسحر.

ونقل عن المتخصص والأستاذ في الأديان واللغة الفارسية المؤرخ ورئيس

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢، ١٥.

الجمعية الإيطالية في قضايا الأديان الشرقية (كونلي جيراردو) في كتابه (زاردشت في التاريخ) أن حقيقة ارتباط استخدام عبارة المجوس و الكلدان في الأدب اليوناني هو لأن أنشطة الكهنة البابليين والمجوس متشابهة في بعض الجوانب، وتم الحفاظ على بعض الأدلة حول بقاء المجوس في أثينا خلال زمن أفلاطون^(١). وفي (العهد القديم) من الكتاب المقدس اقترن اسم الكلدان بالمجوس والفلكيين والسحرة أيضاً. كما ونجد في (العهد الجديد) -المكتوب أغلبه باليونانية- أن كلمة (مجوس) مرتبطة بالعرافة والسحر والخداع وديانة شعب عدو مهزوم، لذا أطلقت باللغة اليونانية على الساحرين: (سيمون) و(بار يشوع) عنوان (مجوسي)^(٢).

• نجمة الولادة:

العنصر الآخر الذي يستوقفنا في الرواية الإنجيلية للولادة، ظهور النجمة والاستدلال بها على ولادة المسيح، فقد أشار إليها من قبل وبصورة نبوءة -بحسب التفسير المسيحي- (بلعام بن بعور)^(٣) المعاصر للنبي موسى حين تحدّث عن نبوءة ظهور (نجم من يعقوب) قبل ١٢ قرن أو أكثر من الحدث.

وهذا هو النص المدّعى أنه البشارة الصادرة على لسان بلعام بن بعور قبل أن ينحرف ويهلك جاءت وهو مشرف من الأعلى على بني إسرائيل وبمعيته الملك

1. Gherardo Gnoli, Zoroaster in History New York, 2000, p57.

2. http://aramean-dem.org/Arabic/Tarikh_Skaf/Mowafak_Nisko/3/Ar.htm

٣. تناولت هذه الشخصية في الجزء الثاني من كتابي (في عمق التاريخ) وبيّنت أهميتها في التراثين اليهودي والمسيحي، فراجع.

بالاق الذي كان يضغط عليه من أجل أن يلعن النبي موسى «عليه السلام» ومن معه: (ثُمَّ نَطَقَ بِمَثَلِهِ وَقَالَ: «وَحْيِي بَلْعَامَ بْنِ بَعُورَ. وَحْيِي الرَّجُلِ الْمَفْتُوحِ الْعَيْنَيْنِ. وَحْيِي الَّذِي يَسْمَعُ أَقْوَالَ اللَّهِ وَيَعْرِفُ مَعْرِفَةَ الْعَلِيِّ. الَّذِي يَرَى رُؤْيَا الْقَدِيرِ سَاقِطًا وَهُوَ مَكْشُوفُ الْعَيْنَيْنِ: أَرَاهُ وَلَكِنْ لَيْسَ الْآنَ. أَبْصَرُهُ وَلَكِنْ لَيْسَ قَرِيبًا. يَبْرُزُ كَوَكَبٍ مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ، فَيَحْطِمُ طَرِيفَ مُوَابَ، وَيَهْلِكُ كُلُّ بَنِي الْوَعْيِ. وَيَكُونُ أَدُومٌ مِيرَاثًا، وَيَكُونُ سَعِيرٌ أَعْدَاؤُهُ مِيرَاثًا. وَيَصْنَعُ إِسْرَائِيلُ بِيَّاسَ. وَيَتَسَلَّطُ الَّذِي مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَهْلِكُ الشَّارِدُ مِنْ مَدِينَةٍ»^(١)).

فالكوكب المذكور في النص السابق هو إشارة إلى النجمة التي شاهدها المجوس الثلاثة فدلّتهم على ولادة المسيح «عليه السلام».

ولكنّ الإنصاف أن لا دلالة واضحة على ذلك، بل ربما يُقال أن الحديث عن تحطيم (موآب) وغيرها لا يتناسب وسيرة السيد المسيح «عليه السلام»، ويمكن أن تنطبق على داود وسليمان مثلاً - بلحاظ سيرتهما - أكثر من انطباقها على المسيح.

وحاول بعض المؤمنين بهذه البشارة التوفيق بين النص وبين حدث سماوي وقع في تلك الفترة، ولربما بربط ما جرى بخصوص النجم/العلامة وبين أحداث فلكية غير عادية وقعت في تاريخ قريب من الحدث، مثل اقتران كوكب المشتري وزحل، ولكن لا يوجد في البين ما يمكن أن يُطمأن إليه، هذا علاوة على التشكيك في أصل القصة وأنها من مخترعات كاتب هذا الإنجيل أو أضيفت عليه لاحقاً.

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٢٤، ١٥-١٩.

فالأكاديميان الفرنسيان تشارلز فرانسوا دوبوي (١٧٤٢-١٨٠٩ م)، وكونستانتين فرانسوا تشاسيبيوف دي فولني (١٧٥٧-١٨٢٠ م) قاما في خضم اندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م، والتمرد على الكنيسة الكاثوليكية المتحالفة مع الملك، بادعاءات (مثيرة) بخصوص القصة وتمثالها مع قصة الإله مِثرا/مثراس، حيث ادّعى أن في الأسطورة الفارسية التي انتقلت إلى اليونان فالرومان حول ولادة مِثرا ما يُشبه رواية متى حول ولادة المسيح.

تقول الأسطورة -بزعمهما- أنه قبل مئات السنين من ظهور المسيح وعند ولادة مثراس، زار هذا الوليد ثلاثة من الحكماء، وجلبوا معهم هدايا ومصوغات ذهبية وقدموها إلى أم الوليد تبرّكاً بقدومه إلى العالم. كان يوم ولادة مثراس هو الخامس والعشرين من شهر ديسمبر -كما مر معنا من قبل- ووفقاً لمؤرخي الديانة المثراسية، فإن مثراس مات على الصليب، وقبل موته بأيام اجتمع على العشاء مع أولاده الاثني عشر، وسُمّي ذلك العشاء بالعشاء الأخير. صُلب الجميع لاحقاً، وتحول مثراس شمساً، وأصبح أولاده الأبراج الاثني عشر ضمن المنظومة الشمسية. وبعد موت مثراس على الصليب وُضع جسده في تابوت صخري. وفي فصل الربيع وبعد صلبه صعد مثراس إلى السماء في اليوم الذي تساوى فيه طول وقت الليل مع وقت النهار، وهو تاريخ عيد الفصح (عيد القيامة = قيامة المسيح)!

فهل لهذا الادعاء الذي ذكره الأكاديميان الفرنسيان ما يؤيده؟ المسألة في موضع إثبات ونفي، ومن المثبتين المعاصرين من احتملوا بقوة أن بولس الرسول هو الذي أقحم هذه القصة، وذلك في محاولة منه لجذب الوثنيين إلى دعوته،

إذ قام بإدراج عناصر من الميثولوجيا الميثراوية في أطروحته الخاصة بالمسيحية التي قدّمها لغير اليهود.

وفي إنجيل لوقا أن عدداً من الرعاة أيضاً شهدوا حدث ولادة السيد المسيح بعد وقوعه بزمان قليل، وأنهم أرشدوا إلى مكان الولادة بواسطة ملاك ظهر لهم: (وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلَاكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجَّدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَاكُ: «لَا تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أَبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لَجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وَلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقْمَطًا مُضْجَعًا فِي مَذُودٍ». وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلَاكِ جُمُهورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ»).

وبمجرد مغادرة الملائكة، توجه الرعاة نحو بيت لحم: (وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمَذُودِ. فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلَامِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هَذَا الصَّبِيِّ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعَاةِ. وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذَا الْكَلَامِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا. ثُمَّ رَجَعَ الرُّعَاةُ وَهُمْ يَمَجِّدُونَ اللَّهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ)^(١).

• الولادة في مذود:

ذكرت النصوص الإنجيلية بأن المسيح وُلد في مذود (مكان وضع علف الحيوانات/ حظيرة)، إلا أننا نجد (جوستن الشهيد) -وهو فيلسوف عاش

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢، ٨-٢٠.

في القرن الثاني وكان من أسرة وثنية آمن بالمسيحية ودافع عنها وقتل بسبب ذلك - قد ذكر أن يسوع وُلد في كهف (مغارة) خارج المدينة.

ونجد مثل هذا الادعاء أيضاً في سفر يعقوب/ جيمس، وهو من الأناجيل غير المعترف بها من قبل الكنيسة^(١)، إذ ذكر أن الولادة تمت في كهف قريب. وتحتوي كنيسة المهدي داخل المدينة، على موقع الكهف المشار إليه.

ويمكن التوفيق بين ما جاء في القصة الإنجيلية من أن الولادة تمت في مذود وبين كون موضع الولادة كان كهفاً، حيث أن الكهوف استُعملت أحياناً كحظائر للحيوانات في ذلك الزمان.

وسنناقش هذه الجزئية لاحقاً بشء من التفصيل حين نستعرض القصة القرآنية التي يظهر منها أن الولادة تمت في ظروف مختلفة تماماً عن هذه الروايات التي تحدّثت عن وقوعها في مذود أو كهف.

• قصة الولادة في القرآن:

في مقابل كل ما سبق، فإن القرآن الكريم تحدّث عن الولادة المباركة بصورة مختلفة من نواح عديدة، ولم ترد بعض تفاصيلها في نص الولادة في الرواية

١. في عام ٣٧٩م في مجمع قرطاج تم إقرار الأسفار المكوّنة للكتاب المقدس لدى النصارى، ولم يُعترف بما سواها، وهي التي يُطلق عليها عنوان الأسفار المنحولة أو الأبوكريفا Apocrypha، فالأناجيل التالية على سبيل المثال لا يعترف بها أي مذهب مسيحي معاصر: وهي إنجيل بطرس، وإنجيل توما، وإنجيل فيلبس، وإنجيل مريم المجدلية، وغيرها بالعشرات. وتعتبر البروتستانتية أن بعضاً من أسفار العهد الجديد من الأبوكريفا أيضاً، بينما تعترف بها الكنيسة الكاثوليكية كجزء من الكتاب المقدس. وسنتحدث عن ذلك في الفصل المخصص حول الأناجيل.

الإنجيلية: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لِكَ غُلَامًا زَكِيًّا، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلَتَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا، فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا، فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهَزَى إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا، فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾^(١).

ويمكننا تدوين الملاحظات التالية على ما جاء في النص القرآني:

أولاً: لا حديث في الآية عن تحديد موقع الولادة سوى أن مريم: ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي ابتعدت عن أهلها عازلةً نفسها في مكان شرقي من موقع مسكنه أهلها، فوق الحمل حيث ظهر لها الملك بعد أن استقرت هناك: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾.

أما أين يقع هذا المكان القصي عن موقع الحمل؟

وكم يبعد؟

وكم استغرق الحمل حتى ولدت؟

وهل عادت إلى أهلها بعد الحمل وقبل الولادة وقد ظهرت عليها آثار الحمل أو دون ظهور؟

لا دلالة أكيدة في الآيات على شئ من ذلك، كل ما ترشد إليه الآيات أنها لما ابتعدت أكثر: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ ثم وقعت الولادة.

ثم لماذا ابتعدت عن أهلها؟

ولماذا اتجهت ناحية الشرق؟

ولماذا ذكر القرآن خصوصية اتجاهها نحو الشرق؟

استعرض الفخر الرازي آراء المفسرين حول سبب ابتعادها وعزلتها:

(أ) أنها لما رأت الحيض، تباعدت عن مكانها المعتاد للعبادة لكي تنتظر الطهر فتغتسل وتعود، فلما طهرت جاءها جبريل «عليه السلام».

(ب) أنها طلبت الخلوة لئلا تشتغل عن العبادة.

(ج) قعدت في مشرقة (الموضع الذي تشرق عليه الشمس) للاغتسال من الحيض محتجة بشيء يسترها.

(د) أنها كان لها في منزل زوج أختها زكريا محراب على حدة تسكنه، وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها، فتمنت على الله أن تجد خلوة في الجبل لتقلى

رأسها، فانفرج السقف لها فخرجت إلى المفازة فجلست في المشرق وراء الجبل فأتاها الملك.

(هـ) عطشت فخرجت إلى المفازة لتستقي.

ثم علق الرازي قائلاً: (واعلم أن كل هذه الوجوه محتمل، وليس في اللفظ ما يدل على ترجيح واحد منها)^(١).

والواقع أنها كلها من تأويلات المفسرين بلا مستند، ومن التفسير بالرأي بحسب تعبير بعض الروايات، وهو تصرف منهى عنه.

من جهته، اعتبر العلامة فضل الله أن (خروجها جاء تماماً كما تخرج أي فتاة لتخلو بنفسها لغرض التأمل أو العبادة أو ممارسة أي نشاط خاص بشكل طبيعي لم يثر انتباه أحد، كما توحى أجواء الآية)^(٢).

أما سبب اختيارها لجهة الشرق فقد جاء في تفسير الطبري دون تحديد القائل: (وقيل: إنها إنما صارت بمكان يلي مشرق الشمس، لأن ما يلي المشرق عندهم كان خيراً مما يلي المغرب، وكذلك ذلك فيما ذكر عند العرب)^(٣).

وروى الطبري أيضاً عن ابن عباس سبباً آخر يدل على عناية منها في اختيار الموقع، حيث أن أشعة الشمس القوية ستكون عاملاً إضافياً في حجبها عن أعين الناس بالإضافة إلى الحاجب الذي اتخذته كما ذكرت الآية ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾: (عن ابن عباس، قوله: ﴿أَنْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾

١. الرازي: التفسير الكبير، ج ٢١، ص ١٩٧.

٢. فضل الله: من وحي القرآن، ج ١٢، ص ٢٩.

٣. الطبري: جامع البيان، ج ٨، ص ٣١٩.

قال: مكاناً أظلتها الشمس أن يراها أحد منهم^(١). فإنَّ صحَّ هذا، فسيكون السبب وراء عناية القرآن الكريم بذكر اتجاه الشرق في الآية هو التأكيد على مدى حرص السيدة مريم على التستر عن الرجال الأجانب. كما وقد يقال أن الوقت كان شتاءً، فاحتاجت إلى الدفء من خلال أشعة الشمس المشرقة.

وفي البين توجيه آخر لسبب عناية القرآن الكريم بذكر الجهة، فقد رُوي عن ابن عباس قوله: (إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة؟ لقول الله: ﴿اُنْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ فاتَّخذوا ميلاد عيسى قبلة)^(٢).

أي أن القرآن الكريم -بحسب العلامة ابن عاشور- أراد التنبيه على أصل اتخاذ النصارى الشرق قبلة لصلواتهم إذ كان حمل مريم بعيسى في مكان من جهة مشرق الشمس. قال ابن عاشور: (أي أنَّ ذلك الاستقبال) الذي يقوم به النصارى حال صلاتهم (ليس بأمر من الله «تعالى»). فذكر كون المكان شرقياً نكتة بديعة من تاريخ الشرائع^(٣).

وهل قبلة المسيحيين هي الشرق فعلاً؟ نجد هذا السؤال الموجه لبطيركية بابل للكلدان: (ما هو سبب جعل أبواب الكنائس تتجه نحو الشرق؟) وجاء في ضمن الجواب: (يشير جوزيف راتسنجر في كتابه الشهير «روح الليتورجية»، حددت اتجاه الصلاة نحو الشرق: «فبالرغم من كل التغييرات، شيء واحد ظل واضحاً لفكر المسيحية كلها: الصلاة باتجاه الشرق هي من ضمن التقليد من بدء المسيحية، وهي تعبر عن ميزة الحصيـلة المسيحية التي تدمج الكون

١. الطبري: جامع البيان، ج ٨، ص ٣١٩.

٢. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٣٠.

٣. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٣٠.

بالتاريخ، الماضي والعالم العتيد في الاحتفال بسرّ الخلاص. ففي الصلاة نحو الشرق، نعبّر إذاً عن أمانتنا نحو الهبة التي تلقيناها في التجسد واندفاع مسيرتنا نحو المجيء الثاني». «كتاب روح الليتورجية، ترجمة الاب البير ابونا، صفحة ٦٥، عنكاوا ٢٠١٦... الاكتشافات الأثرية القديمة دلت على أن معظم الكنائس التي بنيت منذ القرن الثاني الميلادي في الشرق تحديداً اعتمدت بشكل دقيق على المفهوم اللاهوتي الاسكاتولوجي للمجيء الثاني، وأن كل مذبج في كنائسنا هو نقطة المركز الكونية التي تنطلق منها ونتجه نحوها. وأن روح الليتورجية في جميع الأسرار يتطلب أن نشرك جسدنا في الصلاة باتجاه ما سيحمله المذبج من أسرار تدل على حضور الله من أجلنا»^(١).

وجاء على موقع www.christian-dogma.com والمعروف بعنوان (الحق والضلال) وهو موقع مهتم بالشأن القبطي المصري في مقال تحت عنوان (الأسباب التي تجعل المسيحيون^(٢) يُصلّون اتجاه الشرق): (لاشك أن الصلاة تجوز في كل مكان، وأن الله مألئ الكون، فأينما اتجهنا فإنه يوجد). أما الأسباب فهي كالتالي:

١. الكنائس الرسولية قد اصطلحت على التوجه في الصلاة ناحية الشرق.
٢. قال القديس أثناسيوس الرسولي إن المسيح صُلب ووجهه ناحية الغرب فوجب أن نصلي إلى جهة الشرق لنرى وجهه، لننظر الى الفردوس المفقود بسبب الخطيئة ونتمنى الرجوع إليه.

1. <https://saint-adday.com/?p=21325>

٢. هكذا والصحيح «المسيحيين».

٣. غرس الرب الإله جنة فى عدن شرقاً.
٤. المسيح فى مجيئه الثانى سيأتى من المشارق ونحن ننتظره ناظرين الى ناحية الشرق، لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب.
٥. قد جاءت فى العهد القديم آيات عديدة تؤكد على أهمية الصلاة ناحية الشرق، منها: (فى المشارق مجّدوا الرب، ليكون اسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد من مشرق الشمس إلى مغربها اسم الرب مسبح، هكذا قال السيد الرب باب الدار الداخلية المتجه للمشرق يكون مغلقاً ستة أيام العمل. وإذا بمجد إله إسرائيل جاء من الشرق، تطلعى يا أورشليم من حولك نحو المشرق وانظرى المسرة الوافدة إليك من عند الرب، ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها).
٦. نجم السيد المسيح ظهر فى المشرق، قال المجوس: (فإننا رأينا نجمة فى المشرق وأتينا لنسجد له).
٧. حتى نتطلع ناحية الفردوس (الشرق) الذى خرجنا منه، وإذا كان لابد من أن يتفق على جهة ينظمون إليها فى الصلاة اتفقوا على الاتجاه للشرق حتى نتطلع ناحية الفردوس الذى خرجنا منه، وكأنما نحن فى موقفنا هذا نلتمس من الله باشتياق أن يعيدنا إلى رتبنا الأولى. وفى هذا يقول مار افرام (راهب سريانى ت٣٧٣): (إن اليهود كانوا يستقبلون أورشليم فى صلاتهم لأنها مدينة مقدسهم، ونحن مقدسنا الفردوس مسكننا القديم من حيث إنه كان فى الشرق، أمرنا أن نجعله قبلتنا فى صلاتنا).
٨. إن السيد المسيح بعد قيامته جمع تلاميذه على جبل الزيتون، وهو فى

ناحية المشرق قبالة أورشليم. ويذكر ذلك زكريا النبي: (وَتَقِفْ قَدَمَاهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى جَبَلِ الرِّيتُونِ الَّذِي قُدَّامَ أُورُشَلِيمَ مِنَ الشَّرْقِ)^(١)، وكما صعد السيد المسيح في ناحية المشارق كذلك أيضاً سيأتي من ناحية المشارق.

٩. نتّجه إلى الشرق لنتميّز عن اليهود الذين يصلّون إلى جهة الغرب.

١٠. جاء في كتاب السُّنن، وهو مجموع القوانين التي وضعها الرسل وهم مجتمعون في العلية قبل أن ينتشروا للكراسة ما نصه: (أن تكون صلاتهم نحو المشرق وقبالتة، واستشهدوا في ذلك بما قاله الرب أن الله) المراد هنا خصوص المسيح «عليه السلام» (عند مجيئه من السماء في آخر الأيام يأتي كالبرق الذي يلمع في المشرق فيرى في المغرب).

١١. تاريخ أباء الكنيسة يؤيد عادة الاتجاه إلى الشرق في الصلاة، فقد ذكر عن الأب ارسانيوس أنه كان يقف خارج قلايته في ليلة الأحد والشمس من ورائه ويبسط يديه للصلاة حتى تطلع أمامه (ناحية الشرق)^(٢).

ثانياً: ذكرت الآيات الشريفة أن الله أرسل إليها رسولاً، عبّر عنه بعنوان (الروح) ونسبه إلى ذاته العلية ﴿رُوحَنَا﴾ للتشريف مع إشعار بالتعظيم، وأن هذا الرسول لم يكن من البشر، ولذلك ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٣).

أكثر المفسرين على أن الروح هنا هو خصوص جبريل «عليه السلام»، وقد عبّر القرآن الكريم عنه في موارد أخرى بمثل هذا العنوان.

١. الكتاب المقدس: سفر زكريا، الإصحاح ١٤، ٤.

٢. <https://www.christian-dogma.com/t1252185/--الاسباب-التي-تجعل-المسيحيون-2>
[index.html](https://www.christian-dogma.com/t1252185/--الاسباب-التي-تجعل-المسيحيون-2/index.html) يصلون-اتجاه-الشرق

٣. مريم: ١٧.

قال «تعالى» بشأن نزول القرآن على نبينا «صلى الله عليه وآله»: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

وقال «تعالى» بشأن القرآن الكريم أيضاً: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢).

وإذا كانت الآيات السابقة لم تصرّح باسم جبريل «عليه السلام»، فإن الآية التالية صرّحت بذلك: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن الروح في قصة السيدة مريم هو خصوص جبريل، إذ لعله يمثل عنواناً يشمل صنفاً من الملائكة أو خلقاً سماوياً آخر: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(٤).

وروى الرازي عن (أبي مسلم) وهو أحد المفسرين الأوائل أن المراد بالروح خصوص الروح الذي تصوّر في بطن السيدة مريم بشراً، وهذا يعني أن الروح الذي تكلمت معه هو ذاته الذي تجسّد بصورة المسيح «عليه السلام»!

يأتي هذا على الرغم من أن الروح قد: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾^(٥) لا أنه هو يصبح ذلك الحمل والوليد لاحقاً.

١. النحل: ١٠٢.

٢. الشعراء: ١٩٢-١٨٥.

٣. البقرة: ٩٧.

٤. النبأ: ٣٨.

٥. مريم: ١٩.

كما وبقي الروح معها إلى لحظات الولادة: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهُرِّي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِظُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾^(١).

قال الطباطبائي: (وإذ لم يكن بشراً وليس من الجن، فقد كان ملكاً، بمعنى الخلق الثالث الذي وصفه الله «سبحانه» في كتابه وسمّاه ملكاً، وقد ذكر «سبحانه» ملك الوحي في كلامه وسمّاه جبريل بقوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ «البقرة: ٩٧» وسمّاه روحاً في قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ «النحل: ١٠٢» وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ﴾ «الشعراء: ١٩٣-١٩٤»، وسمّاه رسولاً في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ «الحاقة: ٤٠»، فبهذا كله يتأيد أن الروح الذي أرسله الله إليها إنما هو جبريل)^(٢).

وإذا كانت هذه الآيات تتحدّث عن الروح، فإنّ في القرآن الكريم آية أخرى تتحدّث عن هذا الموقف بصورة مختلفة: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٣). فالحديث هنا عن جمع من الملائكة، وهو من جهة يؤكّد أنّ هذا الخلق (الروح) الوارد ذكره في آيات سورة مريم من الملائكة، ومن جهة أخرى

١. مريم: ٢٤-٢٦.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ٣٥.

٣. آل عمران: ٤٥.

يمكن القول أن نسبة قول الروح إلى الملائكة -بحسب العلامة الطباطبائي- (من قبيل نسبة قول الواحد من القوم إلى جماعتهم لاشتراكهم معه في خلق أو سنة أو عادة، وفي القرآن منه شيء كثير كقوله «تعالى»: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ «المنافقون: ٨»، والقائل واحد)^(١). أي عبد الله بن أبي بن أبي سلول.

ويؤكد أن المتحدث من الملائكة واحد فقط -وهو الروح- ما جاء لاحقاً بصيغة المفرد: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

ولعل الروح قد نزل مع مجموعة من الملائكة، وتمثل هو لوحده بهيئة بشرية، فكان بمثابة المتحدث بلسانهم، بينما بقي سائر الملائكة في هيئتهم الحقيقية غير مرئيين بدلالة أنها إنما خافت منه، وتعوذت بالله منه فقط، ولم تتحدث الآيات عن خوفها من مخلوقات بهيئة غيبية، وهو الأجدر بالخوف: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾^(٣). وأما خصوصية عنونته بـ (الروح) في القصة القرآنية فلربما لأن الحياة تتحقق من خلال الروح، لذا ناسب المقام أن يُطلق ذلك العنوان على الملك المرسل لأنه جاء بمهمة هي أن يهب السيدة مريم وليداً (كائناً ذا روح).

ووقع الاختلاف بين المفسرين في كيفية تمثّل الروح ببشر سوي، ومن أقوالهم:

١. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ٣٥.

٢. آل عمران: ٤٧.

٣. مريم: ١٧-١٨.

١. ظهر لها على صورة شاب أمرد حسن الوجه سويّ الخلق.

٢. ظهر لها على صورة تَرْبٍ لها (مماثل في السن) اسمه يوسف من خدم بيت المقدس.

ولكن الواقع أن لا دليل عندهم على ما سبق. ويبدو لي أن وصفه بأنه شاب أمرد متناسب مع ذهنية صاحب هذا الادعاء وتصوّره عن معيار الجمال لدى الذكور. وقد تمثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه، فلو ظهر لها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه.

ثالثاً: يتّضح من الآيات القرآنية أنه لم يكن معها في لحظة الحمل ولا الولادة أحد من البشر: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فُكِّلَ وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا، فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾^(١) وهذا يخالف قصة إنجيل لوقا والتي مرّت معنا وتذكر أن الولادة حصلت بحضور يوسف، المدّعى أنه زوجها.

رابعاً: في قولها ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾^(٢) المقابلة بين نفي المسّ والبغاء تدلّ على أنها نفت النكاح الشرعي، كما نفت الزنا من خلال البغاء.

وتعبيرها عن الكون بغياً بصيغة الماضي ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ لبيان أنها ما كنت بغياً فيما مضى فهل تُعدّ بغياً فيما يستقبل؟! كما أن استعمال الماضي لبيان أن الأمر بمثابة الشيء المفروغ منه. واعتبر العلامة ابن عاشور أن نفي النكاح

١. مريم: ٢٢-٢٧.

٢. مريم: ٢٠.

الشرعي جاء بلحاظ أنها: (كانت مخطوبة ومراكنة ليوسف النجار ولكنه لم يبن بها) لم يقاربها بعد مقارنة الأزواج (فإذا حملت بولد اتهمها خطيبها وأهلها بالزنى)^(١).

خامساً: يبدو لي من مضمون وسياق الآيات أن الولادة تمت بعد فترة زمنية قصيرة جداً من لقاءها بالروح والحوار الذي دار بينهما، فما هو إلا أن غادرت المكان الشرقي وابتعدت نحو مكان قصي حتى جاءها المخاض وولدت. وهذا أنسب للتصور، لطبيعة ظهور الحمل على البطن لو أن الأمر استغرق أشهر كما هو حال الحمل المعهود عند النساء من البشر، الأمر الذي كان سيؤدي إلى طرح التساؤلات من قبل من حولها عن التغير الطارئ عليها.

وهناك احتمال آخر، وهو أنها اعتزلت قومها لمدة أشهر، فلم يرها منهم أحد، ثم عادت لاحقاً بالوليد. ولكن لو كان الأمر كذلك، لأشير في كلامهم إلى اختفائها كل هذه المدة، ولا نجد مثل ذلك في الحوار الذي دار بينها وبين قومها: ﴿فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾^(٢).

ولربما ضعفت حجتها في كون الحمل قد تم بأمر إلهي وبصورة غيبية فيما لو هربت لأشهر، إذ ستبدو وكأنها هربت حين اكتشفت حملها وعادت بعد أشهر ومعها الوليد كما قد يحدث لغيرها من النساء، ولذا فإنني أرجح قصر مدة الحمل كجزء من تمامية هذه الآية (المعجزة).

١. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١١، ص ١٠٠.

٢. مريم: ٢٧-٢٩.

وفي بعض الروايات أنَّ حملها كان لستة أشهر، ومنها:

○ في الكافي عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: (لم يولد لستة أشهر إلا عيسى بن مريم، والحسين بن علي)^(١). والرواية بالإضافة إلى ضعف سندها بمجهولية الراوي، هي غير متوافقة مع الواقع، فما أكثر من يولدون لستة أشهر، وقد استشهد أمير المؤمنين «عليه السلام» لحالة المرأة التي اتُّهمت بالزنا حين ولدت بعد ستة أشهر بالقرآن الكريم، وأنقذ المرأة من العقوبة.

ففي مصنف عبد الرزاق بالسند عن أبي حرب بن الأسود الديلي، عن أبيه قال: (رُفِعَ إلى عمر امرأة ولدت لستة أشهر، فأراد عمر أن يرجمها فجاءت أختها إلى علي بن أبي طالب «رضي الله عنه» فقالت: إن عمر يرجم أختي، فأُنشِدك الله إن كنت تعلم أن لها عذراً لما أخبرتني به، فقال علي: إن لها عذراً. فكبرت تكبيرة سمعها عمر من عنده، فانطلقت إلى عمر فقالت: إن علياً زعم أن لأختي عذراً، فأرسل عمر إلى علي: ما عذرها؟ قال: إن الله «عز وجل» يقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وقال: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ فالحمل ستة أشهر، والفصل أربعة وعشرون شهراً. قال: فخلّى عمر سبيلها قال: ثم إنها ولدت بعد ذلك لستة أشهر)^(٢).

○ وفي رواية علل الشرائع للصدوق بالسند: (عن عبد الرحمن بن المثنى الهاشمي، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: لم يعيش مولود قط لستة أشهر

١. الكليني: الكافي، ج ١، ص ٤٦٥.

٢. الصنعاني: المصنف، ح ١٣٤٤٤.

غير الحسين وعيسى بن مريم «عليه السلام»^(١). والتعبير بقوله (لم يعش) لا يخفف ولا يغير من خطأ المعلومة في الرواية.

وجاء في القرآن الكريم وصف للمكان القصي بالصورة التالية: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾^(٢). ففي هذا المكان:

١. (سَرِيًّا): جدول ماء، نهر صغير. ولعل في وصف الماء بأنه (سَرِيًّا) دون أي وصف آخر للإشارة ضمناً إلى تأثير هذا الماء على المكان نفسه، فقد قال الأصمعي: (السَّرُّ من الأرض... أكرمها)^(٣).

٢. هذا الماء قريب منها جداً ﴿تَحْتَكِ﴾ فلا تحتاج إلى بذل الجهد للحصول عليه.

٣. نخلة ذات رطب جني طري، وليس من الرطب الذي مرّ عليه زمن فجفّ، ولربما يفقد شيئاً من خصائصه.

٤. وجاء وصف المكان القصي في قوله «تعالى»: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^(٤). بأنه مكان مرتفع (ربوة)، وهذه الربوة يمكن الاستقرار فيها لمدة طويلة لأنها مستوية وسبعة ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾. ولربما تشير هذه الكلمة إلى معنى آخر ضمنى وهو أن فيها ثمر، وهو الرطب

١. الصدوق: علل الشارئع، ج ١، ص ٢٠٦.

٢. مريم: ٢٤-٢٦.

٣. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ١٦٧.

٤. المؤمنون: ٥٠.

الجنّي المذكور في سورة مريم، علاوة على المعين (وهو الماء الجاري = السري)، بما يتناسب ووصفها بأنها ذات قرار، أي قابلة للاستقرار فيها، فما قيمة الأرض المستوية والوسيلة إن كانت معدومة الماء والطعام.

سادساً: اختلف المفسّرون مجدداً، وهذه المرة حول سبب قول قومها: ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ﴾، وقد تعرّضت لهذه المسألة بشكل موجز عند الحديث عن نسب السيد المسيح ووالدته، ولمزيد من البيان أنقل جملة من أقوالهم:

١. لأنها من نسل هارون «عليه السلام». قال ابن عاشور: (الأخت مؤنث الأخ... ويطلق على من تكون من أبناء صاحب الاسم الذي تضاف إليه إذا كان اسم قبيلة كقولهم يا أخت العرب)^(١).

وقد مرّ معنا أن أمها حنة بنت ماثان كانت من نسل النبي هارون أخي موسى «عليه السلام»، فهي من بني هارون.

٢. لها أخ اسمه هارون، (كان صالحاً في قومه، خاطبوها بالإضافة إليه زيادة في التوبيخ، أي ما كان لأخت مثله أن تفعل فعلتك)^(٢). ولا دليل على ذلك، بل ولربّما قيل أن القرائن تدلّ على كونها وحيدة والديها، وقد أشرت إلى ذلك عند الكلام حول نسب السيد المسيح «عليه السلام». وقد حاول البعض التخلص من هذا الإشكال بادّعاء أنه كان أخاً لها من أبيها فقط، وهو أيضاً تأويل بلا دليل.

٣. هارون الذي نُسبت إليه رجل صالح من بني إسرائيل يُنسب إليه كلُّ من

١. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٩٥.

٢. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٩٥.

عُرف بالصلاح، قال الفخر الرازي: (والمراد أنك كنت في الزهد كهارون، فكيف صرت هكذا، وهو قول قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة ذكر أن هارون الصالح تبع جنازته أربعون ألفاً كلهم يسمّون هارون تبرّكاً به وباسمه)^(١) وهذا تأويل بلا دليل.

٤. وعلى عكس التأويل الثالث، فإن أصحاب القول الرابع اعتبروا -وبلا دليل أيضاً- أن هارون هذا كان رجلاً معلناً بالفسق، فنُسبت إليه، بمعنى التشبيه لا بالمعنى النسبي.

٥. قالوا لها ذلك لأنها أصبحت واحدة من الأخبار حيث عاشت في وسطهم منذ طفولتها المبكرة، وليشيروا بذلك إلى أن الذي أتت به لا يليق بمترهبة مثلها قضت حياتها بين الأخبار حتى صارت كأحدهم، وحتى عُدَّت أختاً لهم، وقد مر معنا هذا القول حين تناولنا نسبها ونسب السيد المسيح.

٦. وأضيف بدوري احتمال أن اسمها مريم بنت عمران، وللنبي هارون أخت اسمها مريم بنت عمران، لذا أشبه اسمها اسم مريم أخت النبي هارون، فقليل لها (يا أخت هارون).

سابعاً: كان نطق عيسى «عليه السلام» وهو صبي في المهد، وبكلام ذي مضمون إيماني تفصيلي، آية من آيات الله دون شك ولا موارد، وهي آية كافية لكي يؤمن قوم مريم بمصداقيتها وبصحة مضمون كلامه الدال على نبوته. لقد تضمّن كلامه ما يلي:

١. إعلان عبوديته لله «تعالى». فنطقه ليس ضرباً من السحر أو ما شابه،

والأما كان منه مثل هذا الإعلان. كما أنه يتضمّن سداً لباب الغلو بحقه بالنفي المسبق لأي دعوى تتضمن شيئاً من نسبة الألوهية، ككونه ابناً لله. فقد أنطقه الله بذلك ليُبطل به غلوّ الغالين، وتتمّ الحجة عليهم.

٢. آتاه الله الكتاب، فهو ليس بمولود اعتيادي، بل صاحب مشروع ورسالة.

٣. جعله الله «تعالى» نبياً.

٤. جعله الله «تعالى» إنساناً مباركاً يفيض منه الخير حيثما حلّ، وهذا الخير قد يكون مرتبطاً بالدنيا، كما سيأتي بخصوص بعض آياته في إحياء الموتى وشفاء المرضى، وما يقدّم لهم من حكم ووصايا ونصائح، أو مرتبطاً بالآخرة من حيث هداية الناس بعد أن قست قلوبهم وغيّروا من دينهم. ثم إن الله أرسله برحمة لبني إسرائيل ليحلّ لهم بعض الذي حُرّم عليهم، وإن وافق في المجمل شريعة موسى ولم يبدّلها، وسنبحث هذه النقطة لاحقاً.

٥. تلقّيه وصايا إلهية بالصلاة والزكاة، الأمر الذي يعني التزامه بذلك مستقبلاً.

٦. برّه بوالدته.

٧. تواضعه وحُسن سلوكه. وقد مرّ معنا الحديث حول بعض هذه العناوين عند الكلام حول صفاته الخلقية.

والسؤال الذي يُطرح هنا: هل بُعث نبياً وهو في المهد صبيّاً؟ وهل آتاه الله الكتاب منذ ولادته؟

قال العلامة الطباطبائي: (ظاهر الكلام أنه كان أوتي الكتاب والنبوة، لا أن

ذلك إخبار بما سيقع^(١). وعلى هذا الرأي عدد من المفسرين وأهل الكلام.

ولكن في المقابل، ذهبت مجموعة إلى القول بأنه أراد حصول ذلك في المستقبل عندما يكبر، منهم العلامة ابن عاشور الذي قال: (التعبير عن إيتاء الكتاب بفعل الماضي مراد به أن الله قدّر إيتاءه إياه، أي قدّر أن يوتياني الكتاب.. ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٢)... القول في التعبير عنه بالماضي كالقول في قوله و ﴿آتَانِي الْكِتَابَ﴾^(٣)).

وقال الطبري: (يقول القائل: أو آتاه الكتاب والوحي قبل أن يخلق في بطن أمه فإن معنى ذلك بخلاف ما يظنّ، وإنما معناه: وقضى يوم قضى أمور خلقه إليّ أن يؤتيني الكتاب)^(٤).

الفخر الرازي أيّد القول بالنبوة وإيتاء الكتاب في صغر المسيح، وطرح نقاشاً كلامياً على لسان المعارضين، والرد عليهم:

١. أن النبي لا يكون إلا كاملاً، والصغير ناقص الخلقة بحيث يُعدّ هذا التحدي من الصغير منفراً، بل هو في التنفير أعظم من أن يكون امرأة.

وأجيب عن الإشكال بأن كون الصبي ناقصاً ليس لذاته بل الأمر يرجع إلى صغر جسمه ونقصان فهمه، فإذا أزال الله «تعالى» هذه الأشياء لم تحصل النفرة، بل تكون الرغبة إلى استماع قوله وهو على هذه الصفة أتم وأكمل.

١. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ٤٧.

٢. مريم: ٣٠.

٣. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٩٨.

٤. الطبري: جامع البيان، ج ١٥، ص ٥٢٩.

٢. لو كان نبياً في هذا الصغر لكان كمال عقله مقدماً على ادعائه للنبوة، إذ النبي لا بد وأن يكون كامل العقل، لكن كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متقدماً على التحدي، وهذا غير جائز.

وأجيب عن الإشكال بأن لا مانع من القول بإكمال عقله وهو صبي في المهد، وما حصل معجزة تُحسب لذكريا الذي كان في موقع التحدي، أو أنه ليس بمعجزة بل إرهاباً لنبوته أو كرامة لمريم، وهذا ممكن قبل التحدي.

٣. لو كان نبياً في ذلك الوقت لوجب أن يشتغل ببيان الأحكام، وتعريف الشرائع، ولو صدر عنه ذلك فعلاً لاشتهر ولنقل، وحيث لم يحصل ذلك علمنا أنه ما كان نبياً في ذلك الوقت.

وأجيب عن الإشكال بأن لا مانع من القول بأنه أخذ هذه الشرائع ولكنه لم يبلغها إلا لاحقاً حين كبر. ثم إن ظاهر الآية يدل على كونه نبياً في ذلك الوقت، فوجب إجراء اللفظ على ظاهره.

ولكن برأيي أنه يمكن أن نقول أن النبوة إذا كانت بمعنى الإخبار عن الغيب عن طريق الوحي فهذا قد تحقق للمسيح «عليه السلام» وهو صبي في المهد، أما كيفية ذلك فأمر خاف علينا، وله بُعد غيبي. أما الرسالة بمعنى تحمّل مسؤولية إيصال الرسالة الإلهية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يتحقق إلا عندما كبر وأمر بالنهوض بها.

وهنا أمر آخر، ففيما عرضه القرآن الكريم من تفاصيل حول الحمل بالمسيح وولادته، ولاسيما ما يخص نطقه وهو في المهد ما يطرح تساؤلاً مهماً جداً، ويتعلق بعدم ورودها في أي من الأنجيل الأربعة، ولو بصورة تلميح أو إشارة،

وهذا غريب. لأن من المفترض أن تكون المسألة أول آية للدلالة على مصداقية المسيح «عليه السلام»، الأمر الذي يقوّي موقف النصارى في مقابل اليهود. وقد أكد القرآن على هذا الحدث ثلاث مرات:

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١).

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾^(٢).

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾^(٣).

ولكن الواقع أن في البين إنجيل قديم لم تعترف به الكنائس المسيحية يذكر مسألة نطق المسيح في مهده، وإن اشتمل النص المترجم على كلمات لا تتوافق والعقيدة الإسلامية في المسيح.

جاء في ما يُعرف بعنوان (إنجيل الطفولة الأول/العربي) أن (رئيس الكهنة يوسف في زمن يسوع المسيح -ويدعوه البعض قيافا- حيث يقول أن يسوع تكلم حين كان موضوعاً في مذودة، وقال لأمه السيدة مريم: أنا الذي ولدته، أنا يسوع، ابن الله، الكلمة، كما أعلن لك الملاك جبرائيل، وأنّ أبي أرسلني لخلاص العالم)^(٤).

١. آل عمران: ٤٦.

٢. المائدة: ١١٠.

٣. مريم: ٢٩.

4. <http://www.orthodox.cn/patristics/apostolicfathers/infancy1.htm>
<https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-012-Father-Abdel-Messih-Basiet-Abo-El-Kheir/010-Anageel-Al-Tofoola/New-Testament-Apocrypha-l-54-Childhood-Gospel.html>

وسياتي معنا لاحقاً عند دراسة الفارق ما بين النظرة القرآنية إلى الإنجيل والنظرة الكنسية أن القرآن يعتبر الإنجيل كلام الله الموحى إلى المسيح، فليس بالضرورة أن يشتمل على ذكر ولادته، كما لا نلاحظ شيئاً عن ولادة النبي محمد في القرآن، بينما ترى الكنيسة أن الأناجيل الأربعة هي روايات أصحابها عن سيرة المسيح، ولذا كتب كل منهم روايته بحسب معرفته ومعلوماته وبتأييد من الوحي الإلهي، فجاءت الروايات مختلفة، ولم تغط كل الأحداث، لاسيما فترة طفولة المسيح التي تُعتبر (غامضة) بحسب الموروث الكنسي، وإن تناولها إنجيل الطفولة الأول/العربي، وكذلك إنجيل الطفولة لتوما.

وما جاء في إنجيل الطفولة الأول/العربي يفتح الباب أمام احتمال قوي أن مسألة التكلم في المهد كانت معروفة في ذاتها، بغض النظر عن التفاصيل، ولكنها اختفت تدريجياً بسبب عدم اعتراف الكنيسة بكثير من المؤلفات الصادرة في ذلك الوقت، والأمر بإحراقها على أنها كتب (هرطقة/بدع) لأنها تتضمن من العقائد والتفاصيل ما لا يتناسب والمتبنى الكنسي، فاختفت معها القصة الحقيقية لولادة المسيح وبقيت القصة المعتمدة في (العهد الجديد) ثم جاء القرآن وأحيا القصة من جديد.

ثامناً: المسألة الأخرى المهمة تدور حول رأي الكنيسة في كيفية تخلص السيدة مريم من عقوبة الاتهام بالزنا حيث حملت بالطفل قبل زواجها من يوسف النجار بحسب معتقدهم. وقد أكد القرآن الكريم على أن اليهود اتهموها بهذا الشيء: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾^(١)، قال العلامة

الطباطبائي: (وهو قذفها «عليه السلام» في ولادة عيسى بالزنا) (١).

أما القرآن الكريم فقد حلَّ الإشكالية من خلال بيان أن المسيح تكلم في المهد وهو صبي، وبين ما بين في كلامه، وبذا سُدَّ الباب أمام أحبار اليهود للتجروُّ على معاقبة السيدة مريم «عليها السلام» بناءً على الاتهام بالباطل، بينما العهد الجديد بأناجيله وملحقاتها لم تعالج هذه المسألة.

ولو قبلَ المسيحيون بما جاء في إنجيل الطفولة الأول من نطق المسيح وبما يتوافق مع النص القرآني، لحُلَّت المشكلة بالنسبة إليهم عن طريق هذه الحادثة. وفي البين نص آخر يُقدِّم حلاً مغايراً. ففي (سفر/إنجيل يعقوب) -وهو من الأناجيل التي لم تعترف بها الكنيسة- نجد ما ترجمته كالتالي: (فأتوا بها مع يوسف إلى مكان القضاء. فقال الكاهن: يا مريم، لماذا فعلتِ هذا؟ ولماذا أذلتِ نفسك ونسيتِ الربَّ إلهك؟ أنت التي تربيتِ في قدس الأقداس، وأخذتِ طعاماً من يد ملاك وسمعتِ التراتيل وشهدتِ الراقصين أمامَ الرب. لماذا فعلتِ هذا؟ لكنها بكت بمرارة قائلة: حيُّ الربُّ إلهي، أنا طاهرة أمامه ولا أعرف رجلاً. فقال الكاهن ليوسف: لماذا فعلتِ هذا؟ فقال يوسف: حيُّ الربُّ إلهي أنا طاهر منها. فقال الكاهن: لا تشهد زوراً بل قل الحق: لقد تزوجتها خلسة ولم تُخبر بذلك بني إسرائيل، ولم تُحَنِّ رأسك لصاحب اليد القوية) لعله يقصد الكاهن نفسه إذ لم يتم الزواج رسمياً على يده (ليتبارك نسلُك. وسكت يوسف. فقال الكاهن: رُدَّ العذراء التي أخذتها من هيكل الرب. وكان يوسف يبكي بشدة) (٢).

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٥، ص ١٣٢.

ثم يذكر النص كيف قام الكاهن بتنفيذ ما جاء في سفر العدد من التوراة حول المرأة المتهمة بالزنا، وهي عملية اختبار ضمن مراسيم معينة وتُتلى فيها بعض اللعنات وتُكتب وتُذاب في ماء تستقيه المتهمة، وينتظر الكاهن النتيجة، وتفصيل هذا التشريع كالتالي: (وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِذَا زَاغَتْ امْرَأَةٌ رَجُلٌ وَخَانَتْهُ خِيَانَةً، وَاضْطَجَعَ مَعَهَا رَجُلٌ اضْطِجَاعَ زَرْعٍ، وَأَخْفَى ذَلِكَ عَنْ عَيْنَيْ رَجُلِهَا، وَاسْتَتَرَتْ وَهِيَ نَجِسَةٌ وَلَيْسَ شَاهِدٌ عَلَيْهَا، وَهِيَ لَمْ تَتَّخِذْ، فَاعْتَرَاهُ رُوحُ الْغَيَرَةِ وَغَارَ عَلَى امْرَأَتِهِ وَهِيَ نَجِسَةٌ، أَوْ اعْتَرَاهُ رُوحُ الْغَيَرَةِ وَغَارَ عَلَى امْرَأَتِهِ وَهِيَ لَيْسَتْ نَجِسَةً، يَأْتِي الرَّجُلُ بِامْرَأَتِهِ إِلَى الْكَاهِنِ، وَيَأْتِي بِقُرْبَانِهَا مَعَهَا: عُسْرُ الْإِيفَةِ مِنْ طَحِينِ شَعِيرٍ، لَا يَصُبُّ عَلَيْهِ زَيْتًا وَلَا يَجْعَلُ عَلَيْهِ لُبَانًا، لِأَنَّهُ تَقْدِمَةٌ غَيْرَةٌ، تَقْدِمَةٌ تَذَكَارُ تَذَكُّرُ ذَنْبًا. فَيَقْدِمُهَا الْكَاهِنُ وَيُوقِفُهَا أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مَاءً مُقَدَّسًا فِي إِنَاءٍ خَرْفٍ، وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنَ الْغُبَارِ الَّذِي فِي أَرْضِ الْمَسْكَنِ وَيَجْعَلُ فِي الْمَاءِ، وَيُوقِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَكْشِفُ رَأْسَ الْمَرْأَةِ، وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْهَا تَقْدِمَةَ التَّذَكَارِ الَّتِي هِيَ تَقْدِمَةُ الْغَيَرَةِ، وَفِي يَدِ الْكَاهِنِ يَكُونُ مَاءُ اللَّعْنَةِ الْمُرَّةِ. وَيَسْتَحْلِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ وَيَقُولُ لَهَا: إِنْ كَانَ لَمْ يَضْطَجِعْ مَعَكَ رَجُلٌ، وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَزِيغِي إِلَى نَجَاسَةٍ مِنْ تَحْتِ رِجْلِكَ، فَكُونِي بَرِيئَةً مِنْ مَاءِ اللَّعْنَةِ هَذَا الْمُرَّةِ. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتَ قَدْ زُغْتَ مِنْ تَحْتِ رِجْلِكَ وَتَنَجَّسْتَ، وَجَعَلَ مَعَكَ رَجُلٌ غَيْرُ رَجُلِكَ مَضْجَعَهُ. يَسْتَحْلِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ بِحَلْفِ اللَّعْنَةِ، وَيَقُولُ الْكَاهِنُ لِلْمَرْأَةِ: يَجْعَلُكَ الرَّبُّ لَعْنَةً وَحَلْفًا بَيْنَ شَعْبِكَ، بَأَنْ يَجْعَلَ الرَّبُّ فَخْذَكَ سَاقِطَةً وَبَطْنَكَ وَارِمًا. وَيَدْخُلُ مَاءُ اللَّعْنَةِ هَذَا فِي أَحْشَائِكَ لَوْرَمِ الْبَطْنِ، وَلَا سَقَاطَ الْفَخْذِ. فَتَقُولُ الْمَرْأَةُ: آمِينَ، آمِينَ. وَيَكْتُبُ الْكَاهِنُ هَذِهِ اللَّعْنَاتِ فِي

الْكِتَابُ ثُمَّ يَمْحُوهَا فِي الْمَاءِ الْمُرِّ، وَيَسْقِي الْمَرْأَةَ مَاءَ اللَّعْنَةِ الْمُرِّ، فَيَدْخُلُ فِيهَا مَاءُ
اللَّعْنَةِ لِلْمَرَّارَةِ. وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ تَقْدِمَةَ الْغَيْرَةِ، وَيُرَدِّدُ التَّقْدِمَةَ أَمَامَ
الرَّبِّ وَيَقْدِمُهَا إِلَى الْمَذْبَحِ. وَيَقْبِضُ الْكَاهِنُ مِنَ التَّقْدِمَةِ تَذْكَارَهَا وَيُوقِدُهُ عَلَى
الْمَذْبَحِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَسْقِي الْمَرْأَةَ الْمَاءَ. وَمَتَى سَقَاهَا الْمَاءَ، فَإِنْ كَانَتْ قَدْ تَنَجَّسَتْ
وَخَانَتْ رَجُلَهَا، يَدْخُلُ فِيهَا مَاءُ اللَّعْنَةِ لِلْمَرَّارَةِ، فَيَرْمِي بَطْنَهَا وَتَسْقُطُ فَخْذُهَا،
فَتَصِيرُ الْمَرْأَةُ لَعْنَةً فِي وَسْطِ شَعْبِهَا. وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ قَدْ تَنَجَّسَتْ بَلْ كَانَتْ
طَاهِرَةً، تَتَبَرَّأُ وَتَحْبِلُ بِزَرْعٍ^(١).

هذا، وتشير التعاليم اليهودية إلى أنه إذا كانت المرأة بريئة، كانت تزداد
جمالاً ويبارك حياتها ويرفع الله رأسها أمام شعبها ويستكمل حملها حتى نهايته
وتفرح بمولودها.

ونجد في القرآن الكريم ما يقرب من هذا التشريع حيث يقول «عز وجل»:
﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ
شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ، وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ،
وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢).

نعود إلى ما جرى للسيدة مريم، ففي ترجمة النص (فقال الكاهن:
سأسقيك من ماء قضاء الرب «=ماء الإدانة» فيظهر خطاياك أمام عينيك.
أخذ الكاهن الماء وأمر يوسف بأن يشربه، ثم أرسله إلى الجبل، فعاد سليماً.

١. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٥، ١١-٢٨.

٢. النور: ٦-٩.

وأمر الكاهنُ مريم بأن تشرب من الماء أيضاً، ثم أرسلها إلى الجبل، فعادت سليمة. وتعجب كل الشعب إذ لم تظهر عليهم آثار الخطيئة. فقال الكاهن: إن لم يكن الرب الإله قد أظهر خطيئتك، فلا أدينك. وتركهم يذهبون. وأخذ يوسف مريم ومضى إلى بيته فرحاً وممجداً إله إسرائيل^(١).

• قصة الحمل والولادة في الروايات:

أما المرويات الإسلامية فقد اشتمل بعضها على تفاصيل منكّرة لا يمكن قبولها، ولا يُعلم مصدرها الحقيقي، فقد يكون لليد الإسرائيلية أو للزنادقة دور في ذلك بغرض تشويه التراث الإسلامي، أو أن ذلك تم على يد القصاصين النفعيين الذين كانوا يرون رغبة الناس في الاستماع إلى التفاصيل الغريبة والمغالية، فاخترعوا ما شاءوا من قصص وأضافوا ما شاءوا من تفاصيل.

○ في بحار الأنوار نقلاً عن قصص الأنبياء للراوندي بالإسناد إلى الشيخ الصدوق، عن أبيه، عن سعد رفعه قال: (قال الصادق «عليه السلام» في قوله «تعالى»: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قال: أحصنت فرجها قبل أن تلد عيسى خمسمائة عام، قال: فأول من سوهم عليه مريم ابنة عمران، نذرت أمها ما في بطنها محرراً للكنيسة، فوضعتها أنثى فشبت فكانت تخدم العباد تناولهم حتى بلغت، وأمر زكريا «عليه السلام» أن يتخذ لها حجاباً دون العباد، فكان زكريا «عليه السلام» يدخل عليها فيرى عندها ثمرة الشتاء في الصيف، وثمره الصيف في الشتاء، ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ «تعالى»، وقال: عاشت مريم بعد عمران خمسمائة سنة).

وعلق المجلسي على الرواية بقوله: (لا يخفى ما في هذا الخبر من الشذوذ والغرابة والمخالفة لسائر الأخبار والآثار)^(١).

○ وفي نفس المصدر عن قصص الأنبياء للراوندي أيضاً: (وقال الباقر «عليه السلام»: «أنها بشرت بعيسى «عليه السلام» فبينما هي في المحراب إذ تمثل لها الروح الأمين بشراً سوياً» ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لِكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾. فتفل في جيبها، فحملت بعيسى «عليه السلام» فلم يلبث أن ولدت، وقال: لم تكن على وجه الأرض شجرة إلا يُنفع بها، ولها ثمرة ولا شوك لها، حتى قالت فجرة بني آدم: كلمة السوء) أي اتهام السيدة مريم بالفاحشة (فاقشعرت الأرض وشاكت الشجرة، وأتى إبليس تلك الليلة، ف قيل له: قد وُلد الليلة ولد لم يبق على وجه الأرض صنم إلا خرّ لوجهه، وأتى المشرق والمغرب يطلبه، فوجده في بيت دير قد حفّت به الملائكة، فذهب يدنو فصاحت الملائكة: تنحّ، فقال لهم: من أبوه؟ فقالت: فمثله كمثل آدم. فقال إبليس: لأضللن به أربعة أخماس الناس)^(٢).

○ وروى أيضاً عن كتاب قصص الأنبياء: (بإسناده عن ابن أورمة، عن أحمد بن خالد الكرخي، عن الحسن بن إبراهيم، عن سليمان الجعفي، قال: قال أبو الحسن «عليه السلام»: أتدري بما حملت مريم؟ قلت: لا، قال: من تمر صَرفان) نوع من التمر أحمر اللون نحو البرنية وقيل أنها من العجوة (أتاها به جبرئيل «عليه السلام»)^(٣).

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢٠٣.

٢. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢١٥.

٣. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢١٦-٢١٧.

o في الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري تفاصيل كثيرة يبدو من بعض عباراتها أن ابن كثير نفسه غير مقتنع بها لاسيما وأنها بلا مصدر واضح يُطمأن إليه: (..... وكانت مريم إذا نفذ ماؤها وماء يوسف ابن عمها أخذ كل واحد منهما قُلَّتَه^(١)، وانطلق إلى المغارة التي فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان إلى الكنيسة، فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل نفذ ماؤها فقالت ليوسف ليذهب معها إلى الماء، فقال: عندي من الماء ما يكفيني إلى غد، فأخذت قُلَّتَهَا وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة، فوجدت جبرائيل قد مثله الله لها بشراً سوياً، فقال لها: يا مريم إن الله قد بعثني إليك لأهب لك غلاماً زكياً. ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾ أي مطيعاً لله، وقيل: هو اسم رجل بعينه، وتحسبه رجلاً، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ أي زانية ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ﴾ إلى قوله ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله، ونفخ في جيب درعها ثم انصرف عنها وقد حملت بالمسيح، وملاّت قُلَّتَهَا وعادت، وكان لا يعلم في أهل زمانها أعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار، وكان معها، وهو أوّل من أنكر حملها، فلما رأى الذي بها استعظمه ولم يدّر على ماذا يضع ذلك منها، فإذا أراد يتهمها ذكر صلاحها وأنها لم تغب عنه ساعة قط، وإذا أراد يبرئها رأى الذي بها، فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه لها أن قال لها: إنه قد وقع من أمرك شيء قد حرصت على أن أميته وأكتمه فغلبني. فقالت: قل قولاً جميلاً. فقال: حدثيني هل ينبت زرع بغير بذرة؟ قالت: نعم. قال: فهل ينبت شجر بغير غيث يصيبه؟ قالت: نعم. قال: فهل يكون ولد بغير ذكر؟ قالت له: نعم، ألم تعلم أن الله أنبت الزرع

١. القلة حاوية تصنع من الفخار ولها عنق طويل ويُحفظ فيها الماء.

يوم خلقه بغير بذر! ألم تعلم أن الله خلق الشجر من غير مطر! وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعدما خلق كل واحد منهما وحده! أو تقول لن يقدر الله على أن ينبت حتى يستعين بالبذر والمطر! قال يوسف: لا أقول هكذا ولكني أقول إن الله يقدر على ما يشاء ، إنما يقول لذلك كن فيكون. قالت له: ألم تعلم أن الله خلق آدم وحواء من غير ذكر ولا أنثى! قال: بلى، فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله لا يسعه أن يسألها عنه لما رأى من كتمانها له. وقيل: إنها خرجت إلى جانب الحجرات لحيض أصابها فاتخذت من دونهم حجاباً من الجدران فلما طهرت إذا برجل معها، وذكر الآيات، فلما حملت أتها خالتها امرأة زكرياء ليلة تزورها، فلما فتحت لها الباب التزمتها، فقالت امرأة زكرياء: إني حبلى. فقالت لها مريم: وأنا أيضاً حبلى. قالت امرأة زكرياء: فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك. وولدت امرأة زكرياء يحيى. وقد اختلف في مدة حملها، فقيل: تسعة أشهر، وهو قول النصارى، وقيل ثمانية أشهر، فكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعيش مولود لثمانية أشهر غيره^(١)، وقيل: ستة أشهر، وقيل ثلاث ساعات، وقيل: ساعة واحدة، وهو أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله «تعالى»: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ عقبه بالفاء. فلما أحست مريم خرجت إلى جانب المحراب الشرقي فأتت أقصاه ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ﴾ - وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس - ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ يعني نسي ذكري وأثري فلا يرى لي أثر ولا عين. قالت مريم: كنت إذا خلوت حدثني عيسى وحدثته، فإذا كان عندنا إنسان سمعت تسبيحه في بطني ﴿فَنَادَاهَا﴾ جبرائيل ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ - أي من أسفل الجبل -

١. مرّت معنا من قبل روايات في مصادر إمامية ادعت أنه لم يعيش من قبل حمل لسته أشهر.

﴿أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ من تحتها وهو النهر الصغير، أجراه تحتها، فمن قرأ: من تحتها، بكسر الميم، جعل المنادي جبرائيل، ومن فتحها قال إنه عيسى، أنطقه الله، ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ كان جذعاً مقطوعاً فهزته فإذا هونخلة، وقيل: كان مقطوعاً فلما أجهدا الطلق احتضنته فاستقام واخضر وأرطب، فقيل لها: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ فهزته فتساقط الرطب فقال لها: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾، وكان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي. فلما ولدته ذهب إبليس فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشددون بدعوتها، ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ وقيل: إن يوسف النجار تركها في مغارة أربعين يوماً ثم جاء بها إلى أهلها، فلما رأوها قالوا لها: ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ فما بالك أنت؟ وكان من نسل هارون أخي موسى، كذا قيل^(١).

○ وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (وقد سمعت أن مريم «عليها السلام» سمعت نداء من يقول: اخرج يا من يُعَبَدُ من دون الله!) لاحظ هنا تدخل بعض المتأولين كيف يفسدون معنى الآيات ويدخلون في القصة القرآنية ما لم نقله (فحزنت لذلك). ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ النسي في كلام العرب الشيء الحقير الذي شأنه أن يُنسى ولا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر ونحوه. وحكي عن العرب أنهم إذا أرادوا الرحيل عن منزل قالوا: احفظوا أنساءكم؛ الأنساء جمع نسي وهو الشيء الحقير يغفل فيُنسى....

١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٧٤-٢٧٧.

وقال الفراء: النسبي ما تلقى المرأة من خرق اعتلالها) أي التي تستعملها
 للتحفظ من دم العادة الشهرية! فما أقبح هذا المعنى الذي ادّعاه الفراء،
 وحاشا السيدة مريم العذراء أن تقول مثل هذا الكلام القبيح (فقول مريم:
 ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ أي حيضة ملقاة!!!... وقد حكى
 الطبري في قصصها أنها لما حملت بعيسى «عليه السلام» حملت أيضاً أختها
 بيحيى، فجاءتها أختها زائرة فقالت: يا مريم أشعرت أنت أني حملت؟ فقالت
 لها: وإني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك؛ فذلك أنه روي أنها أحسّت
 بجنينها يخرّ برأسه إلى ناحية بطن مريم! قال السدي: فذلك قوله: ﴿مُصَدِّقًا
 بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهذا تأويل بلا دليل ومن
 خيالات المتأولين (وذكر أيضاً من قصصها أنها خرجت فارّة مع رجل من بني
 إسرائيل يقال له يوسف النجار، كان يخدم معها في المسجد وطول في ذلك.
 قال الكلبي: قيل ليوسف - وكانت سميت له أنها حملت من الزنا - فالآن يقتلها
 الملك، فهرب بها، فهمّ في الطريق بقتلها، فأثاه جبريل «عليه السلام» وقال
 له: إنه من روح القدس؛ قال ابن عطية: وهذا كله ضعيف) ويا ليتهم لم يرووا
 ذلك كله وجعلوه نسياً منسياً (وهذه القصة تقتضي أنها حملت، واستمرت
 حاملاً على عُرف النساء، وتظاهرت الروايات بأنها ولدته لثمانية أشهر.
 قاله عكرمة؛ ولذلك قيل: لا يعيش ابن ثمانية أشهر حفظاً لخاصة عيسى.
 وقيل: ولدته لتسعة. وقيل: لستة. وما ذكرناه عن ابن عباس أصح وأظهر. والله
 أعلم^(١).

١. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١١، ص ٢٠-٢١.

طفولة المسيح

طفولة المسيح

لا نملك تفاصيل كثيرة عن طفولة المسيح من خلال ما جاء في العهد الجديد. وبهذا الصدد جاء في كتاب (سلالة يسوع.. أسرة يسوع الحاكمة) لجيمس طابور، وهو يهودي تحامل كثيراً على السيد المسيح ووالدته واتهمها بالحمل سفاحاً أو نتيجة اغتصاب: (وأشار العلماء بشكل صحيح وموائم إلى الثلاثين سنة الأولى من حياة يسوع تحت عنوان «السنون الضائعة»، ولدى كتابات أخرى قد بقيت حيّة خارج العهد الجديد، غالباً ما عُرفت باسم «أناجيل الطفولة»، ومع هذه الكتابات بعض القطع الصغيرة الطافية من التقاليد، حيث تقدّم لنا قليلاً من قصص الطفولة، ولكن هذه القصص متأخرة وأسطورية من القرن الثاني إلى القرن الرابع للميلاد، وهي تصلح أكثر لخدمة التسلية ولمنح السمة الميثولوجية، ولا تقدّم المعلومات إلى القارئ الناقد... ولعل الأعظم إثارة وإدهاشاً الحكايات التي تحدّثت عن سفر يسوع وهو طفل مع يوسف الذي كان من الرامة، إلى بريطانيا العظمى! وتبعاً لهذه الحكايات، لقد قيل بأن يوسف كان خال -عم- مريم، وأنه كان تاجر قصدير،

وقد قام برحلات تجارية منتظمة إلى كورونوول Cornwall وما تزال بلدة غلاستونبري Glastonbury في جنوبي غربي إنكلترا، على جزيرة أفالون Avalon السالفة، حيث كان الملك آرثر قد دُفن، ما تزال تحتفل بهذا التقليد في هذا اليوم، حتى أنها قد غدت مركزاً شعبياً للحج. وقد أعطى المؤرخون مثل هذه الأساطير قليلاً من الموثوقية، وإن علينا أن نواجه حقيقة أن ثلاثين عاماً من حياة يسوع هي مفقودة بكل بساطة، والمحاولات لملء هذه الأعوام بأساطير وحكايات مخترعة لا تساعد مطلقاً على تقدّم بحثنا عن يسوع التاريخي^(١).

وسيتبين معنا لاحقاً عند عرض مجموعة من نصوص بعض هذه الأناجيل كيف أن وصف طابور لهذه القصص يمكن اعتباره وصفاً صحيحاً، ولكن صحته نسبية وليست مطلقة.

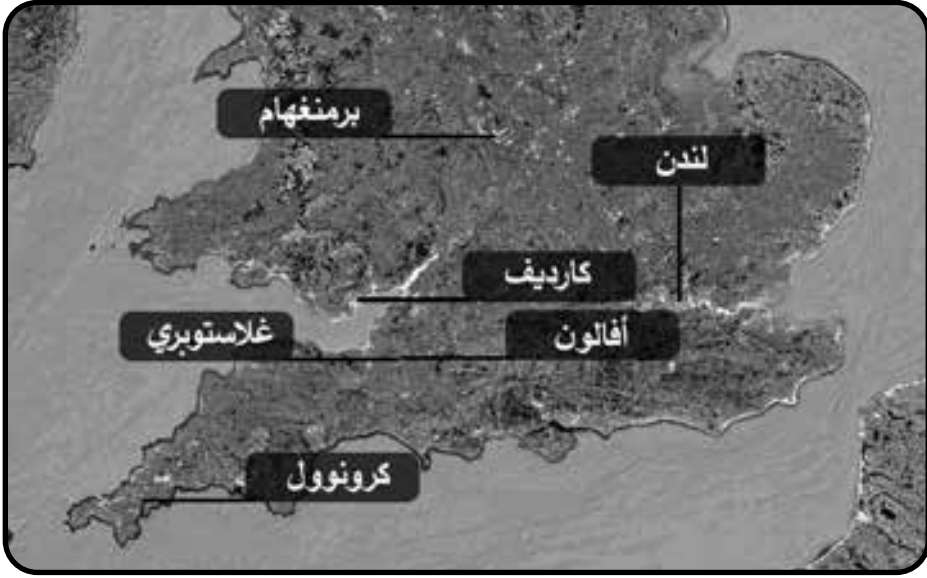
ويمكن عرض ما جاء في العهد الجديد من أحداث قليلة ونادرة عن طفولة السيد المسيح كالتالي:

١. قضى طفولته في مصر، وكان ذلك تطابقاً -بحسب الكنيسة- مع الكلمة التي جاءت على لسان النبي (هُوشَعَ بْنَ بِيئِرِي) من قبل، ففي سفر هوشع من التناخ: (لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلَامًا أَحَبَّبَتْهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي)^(٢).

وحيث أن هذه الآية إذا قرأناها في سياقها فسنجد أنها تتحدث عن بني إسرائيل وخروجهم من مصر قبل المسيح بأكثر من ١٢٠٠ سنة، قال بعض شراح العهد الجديد أنها تتحدث أيضاً عن رجوع المسيح من مصر إلى أرض

١. طابور: سلاله يسوع، ص ١١٢-١١٣.

٢. الكتاب المقدس: سفر هوشع، الإصحاح ١١. ١.



كنعان. فبعد أن ذكر متى في روايته للإنجيل أن المجوس الثلاثة شاهدوا المسيح وسجدوا له، ولم يأخذوه إلى هيرودس على خلاف وعدهم له من قبل، رأى يوسف النجار في المنام أن عليه المغادرة فوراً إلى مصر.

(وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا) المجوس الثلاثة (إِذَا مَلَأَ الرَّبُّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لِأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ». فَقَامَ وَآخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلًا وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ أَبْنِيَّ»^(١)).

على إثر عدم وفاء المجوس الثلاثة بالوعد واختفاء الوليد، قام هيرودس بإصدار أمر بقتل المواليد: (حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ سَخِرُوا بِهِ

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢، ١٣-١٥.

غَضِبَ جَدًّا. فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تَحُومِهَا، مِنْ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونَ، بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ^(١).

وتذكر رواية متى أيضاً أن هذه الجريمة التي ارتكبتها هيرودس كانت مذكورة ضمن البشارات والعلامات الخاصة بولادة المسيح بحسب ما جاء على لسان النبي إرميا: (حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «صَوْتُ سُمِعَ فِي الرَّأْمَةِ، نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلَادِهَا وَلَا تَرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ»^(٢)).

وراحيل المشار إليها هنا هي زوجة النبي يعقوب وهي مدفونة في بيت لحم، وهي تبكي على أولادها (أحفادها) من أجل قسوة قلب هيرودس عليهم. والنص في سفر إرميا من التنخ كالتالي: («هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: صَوْتُ سُمِعَ فِي الرَّأْمَةِ، نَوْحٌ، بُكَاءٌ مُرٌّ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلَادِهَا، وَتَأْبَى أَنْ تَتَعَزَّى عَنْ أَوْلَادِهَا لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ»^(٣)). ويبدو من السياق أن النص الأصلي يتكلم عن الأحداث المرتبطة بغزو وسبي نبوخذ نصر، ولكن تم تطبيقه كعلامة من علامات ولادة المسيح «عليه السلام».

ووقع جدل بين الباحثين في روايات العهد الجديد، بين مؤيد لقصة ذبح الأطفال وبين رافض، وذلك بلحاظ تفرّد متى في نقلها، وعدم نقل يوسيفوس^(٤)

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢، ١٦.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢، ١٧-١٨.

٣. الكتاب المقدس: سفر إرميا، الإصحاح ٣١، ١٥.

٤. يوسيفوس فلافيوس Josephus Flavius عاش تقريباً من ٢٧ إلى ١٠٠ م، وكان أديباً مؤرخاً، يهودي وحاصل على الجنسية الرومانية، وسنتحدث عنه لاحقاً بشئ من التفصيل.

المؤرَّخ لحدث من هذا القبيل، وقد أرَّخ تلك الحقبة وكان قريب العهد بها، ومن المفترض لأمر بهذه الجسامة أن تسترعي انتباهه، كل هذا يستدعي رفض القصة، بينما يذهب فريق ثالث إلى القول بصحتها على اعتبار أن عدد سكان بيت لحم آنذاك كان قليلاً جداً، وأن عدد الأطفال المتوقع أنهم ذُبحوا ليس أكثر من دزينة أو نحو ذلك، ولذا فلم يكن الأمر بمقاييس ذلك الزمان بالأمر الجلل الذي يسترعي انتباه مؤرخ كيوسيفوس.

ثم إن الرواية تحكي عن عودة المسيح برفقة والدته وزوجها بعد موت هيرودس، وحيث أن موته بالرواية التاريخية قبل ٤ سنوات من السنة المعتمدة فعلياً للميلاد، وبعد سنتين من ميلاد المسيح بحسب التصور الكنسي، وحيث أن تاريخ ولادة المسيح مرددة بين ٧ سنوات قبل السنة التي يؤرَّخ وفقها، أو بعدها بسنتين أو أكثر، لذا فإنه من الصعب تحديد عمره عند عودته لكثرة الاحتمالات... هذا كله على فرض صحة وقوع هذه الهجرة.

وجاء في (شرح الكتاب المقدس)^(١) أن يسوع عاش في الناصرة حوالي ٢٨ عاماً حتى بلغ سن الثلاثين. وهذا يعني أنه كان في الثانية من عمره حين عاد من مصر^(٢).

ويحكي متى في روايته للإنجيل كيف اتخذ يوسف قرار العودة بالمسيح إلى أرض كنعان: (فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلَكَ الرَّبُّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ

١. ضمن الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد: كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة .

2. <https://st-takla.org/bible/commentary/ar/nt/church-encyclopedia/matthew/chapter-02.html#23>

طفولة المسيح

فِي مَصْرَ قَائِلًا: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَادْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ». فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ^(١).

وأراد الذهاب أولاً للسكن في (اليهودية) ولربما خصوص بيت لحم أو القدس أو ما جاورهما (ولكن لما سَمِعَ أَنَّ أَرْخِيْلَآوُسَ يَمْلِكُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ عَوْضًا عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ، خَافَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ. وَإِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي حُلُمٍ، انْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي الْجَلِيلِ. وَآتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالْأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا»^(٢)).

والرأي الكنسي يقوم على أن الإشارة إلى كونه (ناصرياً) جاء في التناخ (العهد القديم) بشكل رمزي، بلحاظ أن كلمة ناصرة تعني (غصن) وأن إشعياء وإرميا وذكريا اعتبروا أن المسيح سيُدعى الغصن.

ففي سفر إشعياء: (وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَى) والد النبي داود (وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أَصُولِهِ، وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ)^(٣).

وفي سفر إرميا: (فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَفِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَنْبَتُ لِدَاوُدَ غُصْنُ الْبَرِّ، فَيَجْرِي عَدْلًا وَبِرًّا فِي الْأَرْضِ)^(٤).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢، ١٩-٢١.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢، ٢٢-٢٣.

٣. الكتاب المقدس: سفر إشعياء، الإصحاح ١١، ١-٢.

٤. الكتاب المقدس: سفر إرميا، الإصحاح ٢٣، ١٥.

وفي سفر زكريا: (فَاسْمَعْ يَا يَهُوشَعَ الْكَاهَنُ الْعَظِيمُ أَنْتَ وَرُفَقَاؤُكَ الْجَالِسُونَ أَمَامَكَ، لَأَنَّهُمْ رِجَالُ آيَةٍ، لِأَنِّي هَانَذَا آتِي بِعَبْدِي «الْغُصْنِ»)^(١).

ولا يهمنا هنا مناقشة مدى دقة هذا التطبيق والتأويل.

• رواية مختلفة للوقا:

أما لوقا فيروي رواية أخرى مختلفة عن طفولة المسيح، ولا تتفق في تفاصيلها مع رواية متى، ونقدمها في نقاط مع بعض التعليق:

١. (وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سَمِيَّ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلَائِكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ. وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا) من النفاس (حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعَدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنْ كُلُّ ذَكَرٍ فَاتِحٍ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُوسًا لِلرَّبِّ. وَلَكِي يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: زَوْجٌ يَمَامٌ أَوْ فَرَخِي حَمَامٍ)^(٢).

ولنفهم سبب تقديم زوج يمام أو فرخي حمام نعود إلى التنخ حيث نجد ضمن آداب وأحكام الولادة وختان المولود ونفاس المرأة ما يلي: (وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: إِذَا حَبَلَتِ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَرًا، تَكُونُ نَجَسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كَمَا فِي أَيَّامِ طَمَثِ عِلَّتِهَا تَكُونُ نَجَسَةً. وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ. ثُمَّ تُقِيمُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا^(٣). كُلُّ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ

١. الكتاب المقدس: سفر زكريا، الإصحاح ٣، ٨.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢، ٢٢-٢٤.

٣. هل لهذا علاقة بما هو شائع بين كثير من النساء المسلمات أن النفاس أربعون يوماً، بينما لا نجد في التشريع الإسلامي مثل ذلك؟

لَا تَمَسُّ، وَإِلَى الْمَقْدِسِ لَا تَجِيَّ حَتَّى تَكْمَلَ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا. وَإِنْ وَلَدَتْ أُنْثَى، تَكُونُ نَجِسَةً أَسْبُوعَيْنِ كَمَا فِي طَمْثِهَا. ثُمَّ تُقِيمُ سِتَّةَ وَسِتِّينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا).

لا أدري إن كان هذا التشريع المميز بين نفاس الولد والأنثى أصيل في الشريعة الموسوية أم طالته يد التحريف (وَمَتَى كَمَلَتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا لِأَجْلِ ابْنٍ أَوْ ابْنَةٍ، تَأْتِي بِخُرُوفٍ حَوْلِيٍّ مُحَرَقَةً، وَفَرَخَ حَمَامَةٍ أَوْ يَمَامَةٍ ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ إِلَى بَابِ خِيَمَةِ الْجَمَاعِ، إِلَى الْكَاهِنِ، فَيَقْدُمُهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ وَيَكْفِّرُ عَنْهَا، فَتَطْهَرُ مَنْ يَنْبُوعِ دَمِهَا. هَذِهِ شَرِيعَةُ الَّتِي تَلِدُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى. وَإِنْ لَمْ تَلِدْ يَدُهَا كَفَايَةً لَشَاةٍ تَأْخُذُ يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرَخِي حَمَامٍ، الْوَاحِدَ مُحَرَقَةً، وَالْآخَرَ ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ، فَيَكْفِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ فَتَطْهَرُ)^(١).

وهذا ما التزمت به السيدة مريم تجاه مراسيم ولادة ابنها، وقد استدلل جيمس طابور من تقديمها زوجي حمام (أو يمام) أنها كانت في ذلك الوقت من الطبقة الفقيرة، قال: (نحن نعرف بأن يسوع وأسرته قد نشأوا فقراء، حيث يعطينا لوقا إشارة مثيرة للصدمة تبين مدى فقرهم الكبير، فتبعاً للقانون اليهودي، وحسبما ورد الأمر في التوراة أو شريعة موسى، كان كل أول ولد ذكر يجري قبوله طقوسياً في داخل الجماعة اليهودية من خلال احتفال قديم كان يُدعى «فداء الولد» Pidyonho-ben ذلك أن الرب قد أعلن «لأن لي كل بكر في بني إسرائيل من الناس ومن البهائم» (العدد: ١٧ / ٨)، فعوضاً عن تضحية الطفل إلى الآلهة حسبما كان ممارساً في بعض الثقافات القديمة، دفع الأبوان إلى الكهنة خمسة مثاقيل من فضة كجزء من احتفال طقوسي «يحرر» الطفل

١. الكتاب المقدس: سفر اللاويين، الإصحاح ١٢، ١-٨.

من الموت^(١)، وكان هذا الاحتفال الطقوسي يجري العمل به لمدة ثلاثين يوماً بعد ولادة الطفل، وفي يوم الأربعين كان هناك واجب آخر من أجل أم أيّ ولد ذكر، سواء أ كان المولود هو الأول ولادةً أو لم يكن، وكان الطفل يُجلب إلى المعبد المقدّس، وكان يُطلب من الأم تقديم قربان، خروف محرقة^(٢)، وحمامة كتقدمة ذنب^(٣) إلى الكهنة الرسميين، وفي حالات الفقر الشديد، رَسَم التوراة وقرر: «وإن لم تتل يدها كفاية لشاة، تأخذ يمامتين أو فرخي حمام، الواحد محرقة، والآخر ذبيحة خطية، فيكفّر عنها الكاهن فتطهر». «لاويون: ١٢ / ٨»، ولقد كان لوقا هو الذي أخبرنا أن مريم ويوسف قاما كيهوديين متمسّكين بالدين، فأخذا يسوع إلى المعبد لأداء هذه الواجبات الطقوسية، وقدمت هناك أضحية «ذبيحة كما قيل في ناموس الرب»^(٤)، زوج يمام أو فرخا حمام «لوقا: ٢ / ٢٤»، وليس هناك ذكر لشاة حيث من الواضح أنه لم يكن باستطاعتها دفع ثمن حتى مثل هذه التقدمة المتواضعة^(٥).

وعموماً، فإن رواية لوقا التي بدأنا بها هذه النقطة تعني -وعلى خلاف رواية متى- أن يوسف ومريم لم يهربا بالطفل إلى مصر فور مغادرة المجوس الثلاثة بل بقيا في أرض فلسطين في خصوص أورشليم / القدس أو بالقرب منها.

١. هذا يشبه الصدقة التي تُعطى لدفع البلاء.

٢. يُحرق هذا الخروف بعنوان القربان إلى الله ولا يؤكل. في العبرية تأتي بلفظ לֶחֶם عולה = يعلو أو يصعد، إشارة بأنها تُرفع بتمامها على المذبح وتُحرق بكاملها (ما عدا الجلد) ولا يؤكل منها شيء، وسُميت أيضاً (كليل) بالعبرية وهي تعني الكل، أي أنها تقدم كلها للرب.

٣. يتم اقتطاع جزء معين من مقدمة الذنب ويعطى للكاهن، ويحرق الباقي.

٤. أي شريعة الله.

٥. طابور: سلالة يسوع، ص ١١٤.

طفولة المسيح

٢. (وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سَمْعَانُ، وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعَزِيَةَ إِسْرَائِيلَ^(١)، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ. وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لَا يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ. فَاتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ، أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللَّهَ وَقَالَ: «الآن تَطْلُقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلَامٍ، لِأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرْتَا خَلَاصَكَ، الَّذِي أَعَدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورٌ إِعْلَانٌ لِلْأُمَمِ، وَمَجْدًا لَشُعْبِكَ إِسْرَائِيلَ». وَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ. وَبَارَكَهُمَا سَمْعَانُ، وَقَالَ لِمَرْيَمَ أُمُّهُ: «هَذَا إِنْ هَذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطٍ وَقِيَامٍ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلَّامَةٍ تُقَاوَمُ. وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكَ سَيْفٌ، لِنُتْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ»^(٢). وهذا يعني إيمان سِمعان -وهو غير الحواري سِمعان بطرس الذي سنذكره لاحقاً- بالمسيح في طفولته، وهو ما لم يُذكر في إنجيل متى المليء بالتفاصيل مقارنة بسائر الأناجيل.

٣. (وَكَانَتْ نَبِيَّةٌ، حَنَّةُ بِنْتُ فَنُوَيْلَ مِنْ سَبْطِ أَشِيرَ، وَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ، قَدْ عَاشَتْ مَعَ زَوْجٍ سَبْعَ سِنِينَ بَعْدَ بُكُورِيَّتِهَا. وَهِيَ أَرْمَلَةٌ نَحْوَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، لَا تَفَارِقُ الْهَيْكَلَ، عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطَلِبَاتٍ^(٣) لَيْلاً وَنَهَارًا. فَهِيَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ، وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ)^(٤). وهذا يعني إيمان هذه السيدة أيضاً بالمسيح في نفس الوقت،

١. أي ينتظر خلاص بني إسرائيل بظهور المسيح.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢، ٢٥-٣٥.

٣. أدعية ومناجيات تُقدَّم فيها الطلبات بصيغ معينة.

٤. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢، ٣٦-٣٨.

وأنها بيّنت الحقيقة للذين كانوا ينتظرون ولادة المسيح «عليه السلام»، وهو ما لا ذكر له أيضاً في إنجيل متى.

٤. (وَلَمَّا اكْمَلُوا كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ نَامُوسِ الرَّبِّ، رَجَعُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتِهِمُ النَّاصِرَةِ. وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَّقَوِي بِالرُّوحِ، مُمْتَلِئًا حِكْمَةً، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ. وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ) (١).

ويظهر من هذا النص أن المسيح عاش في الناصرة طوال هذه الفترة ولم يذهب إلى مصر، فلو كان الثلاثة قد غادروها لكان لزاماً الإشارة إليه للأهمية، خاصة وقد ادّعى متى وجود بشارة بذلك في التنخ وأن الثلاثة غادروا إلى مصر ولم يعودوا إلا بعد موت هيرودس.

• المسيح في الهيكل:

وقدّم لنا لوقا قصة فقدان المسيح وهو في الثانية عشرة من عمره، وكيف أنه بين علمه -الذي يفوق عمره- للأخبار في الهيكل/المعبد بما أدهشهم وحيرهم، فهي الأذهان أكثر للتصديق بأن لهذا الصبي شأنًا عظيمًا.

وقد غابت هذه القصة عن رواية متى وسائر الأناجيل، قال لوقا: (وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ. وَبَعْدَمَا اكْمَلُوا أَيَّامَ بَقْيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا. وَإِذْ ظَنُّوا بَيْنَ الرُّفْقَةِ، ذَهَبًا مَسِيرَةَ يَوْمٍ، وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ الْأَقْرَبَاءِ وَالْمَعَارِفِ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ، جَالِسًا فِي وَسْطِ

المُعَلِّمِينَ، يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بَهَتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجُوبَتِهِ. فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ أَنْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «يَا بُنَيَّ، لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذِّبَيْنِ» فَقَالَ لَهُمَا: «لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لِأَبِي؟»^(١). فَلَمْ يَفْهَمَا الْكَلَامَ الَّذِي قَالَهُ لَهُمَا. ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعًا لَهُمَا. وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي قَلْبِهَا. وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنُّعْمَةِ، عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٢).

• رواية مرقس:

وعلى الرغم من أن الباحثين اعتبروا أن إنجيل مرقس هو المرجع الأصلي لرواية كل من متى ولوقا لإنجيليهما، إلا أننا نجد أن مرقس قد بدأ روايته بمرحلة متأخرة نسبياً من حياة المسيح، وهي الموازية لبداية بعثته، ولم يذكر شيئاً عن الحمل والولادة وطفولة المسيح.

وقد ردّ جيمس طابور ذلك إلى أن متى ولوقا قاما بالاعتماد على رواية مرقس كبنية أساسية لإنجيليهما، ولكنهما اعتمدا بعد ذلك على مصدر (أو مصادر) لسدّ الفراغات التي وجدا بأنهما بحاجة إلى سدّها.

قال مرقس في بداية روايته للإنجيل: (بَدَأَ إِنْجِيلُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَنْبِيَاءِ: «هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلَائِكِي، الَّذِي يَهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً».)^١ كَانَ يُوحَنَّا يَعْمِدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا (ثم يسرد

١. أي أن يكون متواجداً في المعبد الذي هو بيت الله، بادعاء أنه ابن الله!

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٢، ٤٢-٥٢.

شيئاً من قصة النبي يحيى وكيفية وفود المسيح عليه (وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ جَاءَ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَاعْتَمَدَ مِنْ يُوحَنَّا فِي الْأَرْدُنِّ) ^(١) ثم بدء رسالته بعد مروره باختبار من قبل الشيطان لمدة أربعين يوماً، وهو ما سنذكره لاحقاً عند عرض سيرة المسيح.

• رواية يوحنا:

وهكذا فعل يوحنا في روايته للإنجيل حيث بدأ بقصة يحيى «عليه السلام» ووفود المسيح «عليه السلام» عليه، ثم البعثة وما بعد ذلك، ولم يتطرق إلى الحمل والولادة وطفولة المسيح، قال يوحنا: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ، هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ). وبعد الحديث قليلاً عن الله والنبوة يبدأ بالحديث عن النبي يحيى: (وَهَذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا، حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلَاوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يَنْكِرْ، وَأَقْرَأَ: «إِنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحُ»...) ويكمل الحوار.

ثم ينتقل النص بعد الحوار لبيان وفود المسيح على يحيى وشهادته له بأنه المسيح المنتظر: (وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ! هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: يَأْتِي بَعْدِي، رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي، لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي. وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ. لَكِنْ لِيُظْهَرَ لِإِسْرَائِيلَ لِدَلِيلِكَ جِئْتُ أَعْمِدُ بِالْمَاءِ» ^(٢)).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ١، ٩-١.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١، ١-٣١.

• طفولة المسيح في إنجيل توما:

ما سبق كان استعراضاً سريعاً لما جاء في أناجيل العهد الجديد حول طفولة المسيح. أما خارج نطاق هذه الأناجيل الأربعة المعترف بها من قبل الكنيسة فإننا نجد في (إنجيل الطفولة لتوما) قصصاً وأحداثاً كثيرة تختص بمرحلة الطفولة وتتضمن ما يمكن اعتبارها من الآيات أحياناً، وتصرفات غريبة لا تتناسب وشخصية نبي -ولو في طفولته- أحياناً أخرى، والهدف من ورائها بيان أن المسيح في طفولته كان يمتلك قوى خارقة لأنه (ابن الله).

ولعل البعض قد أساء إلى المسيح من حيث أراد تعظيمه، وقد يكون الأمر مفتعلاً عن عمد من مبغض -ولا يبعد أن يكون يهودياً- للإساءة للمسيح تحت عنوان إتيانه بالآيات والمعاجز، وهو ما يستهوي عامة الناس، بل وحتى العلماء منهم! لتبدأ بعد ذلك رحلة مريرة في عالم التبرير والبحث عن مخارج لإقناع المشككين والمترددين.

كما يمكن أن تكون هذه الأساطير قد وُضعت إرضاءً أو تأثراً بالثقافة الوثنية والأساطير المنتشرة بين الناس في تلك الحقبة من الزمن حول الآلهة وأبنائها. يبدأ هذا الإنجيل بقصة تحويل الطين إلى هيئة طير ثم جعله طيراً، وهو ما سنتوقف عنده لاحقاً ضمن عرض الآيات (المعاجز) العيسوية المذكورة في القرآن الكريم.

ثم روى توما رواية غريبة لا تتناسب وشخصية المسيح، بل وتصوره وكأنه يملك قوة سحرية يحقق من خلالها ما يريد ولو بإيذاء الأطفال الأبرياء، وأنه



لوحة قديمة تمثل المسيح - طفلاً - يخلق الطير من الطين

لا يسيطر على غضبه ويسئ إلى طفل آخر لسبب تافه فيشتمه ويلعنه مما يؤدي إلى موت الطفل على الفور.

فقد جاء في الفصل الثالث من الكتاب ما ترجمته عن اليونانية فالإنجليزية: (وأما ابن حنّان الكاتب^(١) فكان واقفاً هناك مع يوسف، وأخذ غصن الصفصاف ونثر المياه التي جمعها يسوع، فلما رأى يسوع ما حدث، اغتاظ وقال له: أيها الملعون، الشرير، الجاهل، ما الذي فعلته لك البرك والمياه؟

١ . كانت مهمة بعض رجال الدين اليهود هي نسخ النسخ والكتب الدينية، ولذا يُعرفون بعنوان الكتبة، وكانوا بالإضافة إلى ذلك يقومون بمهمة التعليم الديني..

طفولة المسيح

هوذا الآن أنت أيضاً مثل شجرة يابسة ولا تصنع أوراقاً ولا أصلاً ولا ثمرًا. وللوقت جفَّ ذلك الغلام تماماً، فمضى يسوع وذهب إلى بيت يوسف. لكن والدا الطفل الذي ذبل حملوه نأحين على شبابه وأتوا به إلى يوسف واتهموه «لأن لك مثل هذا الولد الذي يعمل مثل هذه الأعمال»^(١).

هذا التصوير للطبيعة العنيفة للسيد المسيح «عليه السلام» سيتكرر معنا، ولكن بعد أن يصبح نبياً رسولاً، ومن نماذج ذلك لعن شجرة التين الواردة في العهد الجديد، وذلك قبيل حادثة الصلب بأيام، إذ تذكر الرواية الإنجيلية أن المسيح كان جائعاً، فمرَّ على شجرة تين في غير موسم ظهور الثمرة، وحيث وجدها بلا ثمر، لعنها، فبيست!

وكما لا نقبل ولا نصحَّ قصة إنجيل توما حول ما جرى للطفل وأهله، كذلك لا نقبل ولا نصحَّ رواية شجرة التين.

ولعل ما جاء في القرآن الكريم من نفي كونه جباراً شقيماً حيث قال الله «تعالى» ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾^(٢) هو في مقام الرد - بصورة غير مباشرة - على مثل هذه القصص.

ويأتي توما بقصة أخرى مسيئة لشخصية المسيح في طفولته، وتكرّر صورة شخصيته العنيفة: (بعد هذا، ذهب يسوع ليتمشى في أرجاء القرية، فأتى أحد الأطفال جرياً وصدّم كتفه، فاستفز هذا يسوع، فقال له: «إنك لن تكمل طريقك»، فسقط الطفل ميتاً لوقتته، لكن عندما رأى البعض ما حدث، قالوا:

1. <http://gnosis.org/library/inftoma.htm>

٢. سورة مريم: ٢٢.



لوحتان تمثلان قصة لعن شجرة التين

«من أين أتى هذا الصبي، حتى إن كل كلمة منه بمثابة عمل قد اكتمل؟». ثم جاء أهل الصبي الميت إلى يوسف، ولاموه قائلين: «بما إنك تربى مثل هذا الصبي لا يمكنك إذن أن تعيش معنا في القرية، إلا بأن تعلمه أن يبارك ولا يلعن، لأنه يميت أولادنا». فدعا يوسف الصبي الصغير على انفراد ولامه قائلاً: «لماذا تفعل هذه الأشياء التي تجعلهم يكرهونا ويضطهدوننا؟» ولكن يسوع قال: «أنا أعرف أن هذه الكلمات ليست لك، ورغم ذلك من أجلك سوف أؤثر السلامة، ولكنهم سينالون عقابهم»، وللحال أصيب الذين اتهموه بالعمى! والذين رأوه خافوا جداً وصاروا في حيرة من أمرهم وقالوا فيه أن كل كلمة قالها سواء كانت حسنة أو سيئة تحققت وصارت أعجوبة. وعندما رأى يوسف أن يسوع قد فعل



الأطفال يشتكون على المسيح عند عدد من الرجال اليهود

ذلك، قام وأمسك أذنه وعصرها عصراً مؤلماً. فاغتاظ الصبي....).

ثم يضيف توما قصة تحقير المسيح لمعلمه: (الآن، وقف هناك معلم معين، اسمه زكاوس، وسمع جزئياً كلام يسوع لأبيه، وقد تعجب كثيراً من صدور مثل هذا الكلام عن طفل صغير، وبعد أيام قلائل تقدم إلى يوسف وقال له: لك ولد حكيم وفهيم، تعال سلّمه لي حتى يتعلم الحروف الأبجدية، وسأعلمه معها العلوم كلها، حتى يُحيي ويكرم الشيوخ وجميع الأجداد والآباء ويحبهم).

وبعد أن وفى المعلم بوعده وعلم يسوع الحروف الأبجدية وسائر العلوم نظر يسوع (إلى «زكا» المعلم وقال له: أنت الذي لا تعرف الألف وفقاً لطبيعته كيف يمكنك أن تعلم الآخرين البيتا؟ لذا -أيها المنافق- علم الألف أولاً إذا كنت تعرف ذلك، وبعد ذلك سنصدقك فيما يتعلق بالبيتا)^(١).

1. <http://gnosis.org/library/inftoma.htm>

وبدأ يسوع يُربك الأستاذ الذي عَجَزَ عن مجاراته، ثم بدأ يشرح أمام سائر التلاميذ ما حقيقة حرف الألف ودلالات رموزه الباطنية.

وحيث وقف الأستاذ مندهشاً وحائراً وعاجزاً أمام علم الصبي قال: (ويل لي، أنا البائس، أنا المرتبك، لقد جلبت العار لنفسي إذ جئت بهذا الصبي). ثم خاطب يوسف قائلاً: (خذه بعيداً، أتوسل إليك يا أخي يوسف، لا يمكنني تحمّل نظرتة القاسية، ولا أستطيع بيان كلامي بوضوح. هذا الطفل الصغير لم يولد على الأرض، هذا الطفل يمكنه ترويض حتى النار، كن مثل هذا الطفل المولود قبل صنع العالم. أي بطن تحملت هذا؟ وأي رحم رعاها؟ لا أعلم. الويل لي، يا صديقي، لقد أخرجني عن طوري، لا أستطيع متابعة ما يدرك. لقد خدعت نفسي، أنا البائس ثلاث مرات: لقد جاهدت أن أحضر لي تلميذاً بينما وجدت أن لدي سيّداً. أعتقد، يا أصدقائي، أنّ العار لحق بي، إذ أن طفلاً تغلّب علي -أنا الشيخ- وأنا مستعد حتى للإغماء والموت بسبب هذا الصبي، لأنني غير قادر في هذه الساعة على النظر إلى وجهه. وعندما يقول كل الرجال أن طفلاً صغيراً تغلّب عليّ، فبماذا أجيب؟ وماذا أستطيع أن أقول عن رموز الحرف الأول التي ألقاها عليّ؟ أنا جاهل يا أصدقائي، لأنني لا أعرف بدايتها ولا نهايتها، لذلك أطلب إليك يا أخي يوسف أن تأخذه إلى بيتك لأنه بنحو ما عظيم، سواء كان إله أو ملاكاً، أو لا ما لا أعلم).

ويُكمل النص تصوير المشهد وردّة فعل الطفل يسوع على كلمات «زكايرس» المعلم وأقرانه: (وبينما كان اليهود ينصحون زكايرس، ضحك الطفل بشدة وقال: فليأتوا بثمار غير ناضجة، وليكتشفوا عمى قلوبهم. إنني أتيت من فوق

لألعنهم، وأدعوهم إلى أمور علوية، كما أمر الذي أرسلني من أجلكم). وما أن صمت الصبي حتى برئوا جميعاً من اللعنة التي أصابتهم، وما عاد أحد يتجراً على استفزازه لئلا يلعنه فيتشوه^(١).

هذه القصة انتقلت إلى الموروث الشيعي، حيث نجد المجلسي ينقل لنا الرواية التالية عن الصدوق في كتبه (معاني الأخبار) (أمالى الصدوق) (التوحيد): (الطالقاني، عن أحمد الهمداني، قال: حدثنا جعفر بن عبد الله ابن جعفر بن محمد بن أبي طالب، قال: حدثنا كثير بن عياش القطان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر «عليهما السلام» قال: لما وُلد عيسى ابن مريم «على نبينا وآله وعليه السلام» كان ابن يوم كأنه ابن شهرين، فلما كان ابن سبعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به إلى الكتاب، وأقعده بين يدي المؤدب فقال له المؤدب: قل: بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى «على نبينا وآله وعليه السلام»: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال له المؤدب: قل: أبجد فرفع عيسى - على نبينا وآله وعليه السلام - رأسه فقال: وهل تدري ما أبجد؟ فعلاه بالدرة ليضربه، فقال: يا مؤدب لا تضربني إن كنت تدري، وإلا فاسألني حتى أفسر ذلك، فقال: فسر لي، فقال عيسى - على نبينا وآله وعليه السلام - : أما الألف: آلاء الله، والباء: بهجة الله، والجيم: جمال الله، والداال: دين الله. هوز: الهاء هي هول جهنم، والواو: ويل لأهل النار، والزاي: زفير جهنم. حطي: حطت الخطايا عن المستغفرين. كلمن: كلام الله لا مبدل لكلماته. سغفص: صاع بصاع، والجزاء بالجزاء، قرشت: قرشهم

1. <http://gnosis.org/library/inftoma.htm>

فحشروهم. فقال المؤدب: أيتها المرأة خذي بيد ابنك فقد علم، ولا حاجة في المؤدب^(١).

نعود مجدداً إلى رواية توما، حيث يذكر أنه بعد أيام من الحادثة السابقة مع الأستاذ، وبينما كان يسوع يلعب في الطابق العلوي لإحدى البيوت، فإذا بولد من الأولاد الذين كانوا يشاركونه اللعب يسقط من عل ويموت، فهرب سائر الأطفال، وبقي يسوع وحده، فجاء والده الطفل الميت واتهما يسوع بأنه هو الذي طرحه أرضاً، فأنكر ذلك وقفز من السطح -بينما كانوا يشتمونه- ووقف بجانب جسد الطفل وصرخ بصوت عالٍ وقال: (زينو «هكذا كان اسمه»، قم وأخبرني، هل رميتك أرضاً؟ وللوقت قام وقال: لا يا رب، أنت لم تطرحني على الأرض، بل أقمتني. فلما رأوا ذلك اندهشوا: ومجد والده الطفل الرب من أجل الآية التي حدثت، وعبدوا يسوع)^(٢)!

بعد أيام قلائل، أصيب شاب كان يقطع الخشب، إذ سقط وفقد الكثير من الدم، وكان على وشك الموت، فإذا بيسوع يركض ويشق طريقه بقوة بين المتجمهرين، ويمسك قدم الشاب، وفي الحال شُفيت، وطلب منه أن يقوم فوراً ليكمل عمله في قطع الخشب: (فلما رأى الجموع ما حدث سجدوا للصغير قائلين: إن روح الله تسكن في هذا الطفل الصغير)^(٣).

ولما صار يسوع في السادسة من عمره، أرسلته أمه ليستقي الماء ويدخله إلى

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣١٦-٣١٧.

2. <http://gnosis.org/library/inftoma.htm>

3. <http://gnosis.org/library/inftoma.htm>

البيت، وأعطته جرّة، إلا أنها كُسرت، فمدّ يسوع الثوب الذي يرتديه وملأه ماء وأتى به إلى أمه. ولما رأت أمه ما حدث قبّلته، واحتفظت في داخلها بالأسرار التي رآته يفعلها.

ويتحدث توما عن آية من نوع آخر جرّت له وهو في الثامنة من عمره، ففي موسم نثر بذور القمح للزراعة، خرج يسوع مع يوسف، وزرع حبة قمح واحدة أنتجت مائة كر (كل كر يساوي ٢٧٠٠ كجم تقريباً) ودعا جميع فقراء القرية إلى البيدر وأعطاهم الحنطة. وأخذ يوسف ما تبقى من الحنطة.

وذات مرة، وبينما كان يوسف يعمل في النجارة، فإذا بإحدى العارضتين أقصر من الأخرى، فما كان من يسوع إلا أن أمسك بالعارضة القصيرة ومدّها، فإذا بها تصبح متساوية في الطول مع الأخرى. (ورأى يوسف والده ذلك وتعجّب، وعانق الطفل الصغير وقبّله قائلاً: «أنا سعيد لأن الله قد وهبني هذا الطفل»^(١)).

وبعد سنوات، قرر يوسف تسليم الصبي لمعلم آخر، فكرّر يسوع سؤاله حول حرف الألف، فاغتاظ المعلم وضربه على رأسه، فأصيب، فشتمه، وفي الحال أغمى على المعلم وسقط على وجهه على الأرض. ورجع الولد إلى البيت، (فحزن يوسف وأمر أمه قائلاً: لا يخرج إلى خارج الباب، لأن كل من يغيظه يموتون)^(٢).

وقرّر معلم آخر أن يجرب حظه مع الصبي، فتبعه ودخل المدرسة بجرّة، فوجد كتاباً على المنبر وأخذه، ولم يقرأ الحروف الموجودة فيه، (بل فتح فمه وتكلم

1. <http://gnosis.org/library/inftoma.htm>

2. <http://gnosis.org/library/inftoma.htm>



المسيح يعلم أستاذه أسرار الحروف - المسيح يأتي بالماء لوالدته

بالروح القدس، وعلم الشريعة للحاضرين. فاجتمع خلق كثير ووقفوا هناك يسمعون، ويتعجبون من جمال تعاليمه وقدرته على البيان وهو ما زال طفلاً).

ركض يوسف بمجرد أن سمع بأن يسوع في محضر معلم آخر، ولكنه تفاجأ من ردة فعل المعلم إذ قال: (الآن أطلب إليك أيها الأخ أن تأخذه إلى بيتك، فلما سمع الصبي ذلك ابتسم وقال له: بما أنك تكلمت بكلام طيب، وشهدت بالحق، فمن أجلك يشفى المضروب)^(١). وعلى الفور شفى المعلم الآخر. وأخذ يوسف الصبي ومضى إلى بيته.

1. <http://gnosis.org/library/inftoma.htm>

وذات مرة إذ كان يسوع برفقة أخيه لأمه - يعقوب - لدغته أفعى، فما كان من يسوع إلا أن نفخ على الموضع، فتوقف الألم فوراً وشُفي الأخ، وانفجرت الحية. ومات طفلٌ، فمسَّ يسوع صدر الطفل وقال: (أقول لك، يا بني، لا تموت، بل عش وكن مع أمك. وعلى الفور نظر إلى الأعلى وضحك. فقال للمرأة: احمليه وأعطيه لبناً واذكريني). وحيث رأى المتجمهرون ما جرى، تعجبوا وقالوا: (حقاً إن هذا الطفل إما إله أو ملاك الله، لأن كل كلمة منه تتحقق بحذاقها). ثم انصرف يسوع من هناك ولعب مع أطفال آخرين^(١).

ووجد يسوع رجلاً ميتاً في موقع للبناء، فأمسك بيده وقال: (يا رجل، أقول لك، قم وأنجز عملك. وفي الحال قام وسجد له. فلما رأى الجمع ذلك اندهشوا وقالوا: هذا الولد من السماء، لأنه خلص نفوساً كثيرة من الموت، وله القدرة على إنقاذها طوال حياته)^(٢).

ثم يذكر توما قصة تخلف يسوع في أورشليم وهو في الثانية عشرة، بصورة مشابهة لما جاء في إنجيل لوقا، وكيف وُجد لاحقاً في الهيكل (جالساً في وسط الأطباء يسمعهم ويسألهم الأسئلة. واهتم به جميع الرجال وتعجبوا كيف أنه عندما كان طفلاً صَغُرَ شيوخ الشعب ومعلميه، موضحاً رؤوس الشريعة وأمثال الأنبياء. فتقدمت مريم أمه وقالت له: يا بني، لماذا فعلت بنا هكذا. ها نحن قد طلبناك حزناً. فقال لهم يسوع: لماذا تطلبونني؟ أستم تعلمون أنني يجب أن أكون في بيت أبي)^(٣) أي الله.

1. <http://gnosis.org/library/inftoma.htm>

2. <http://gnosis.org/library/inftoma.htm>

3. <http://gnosis.org/library/inftoma.htm>



المسيح يُحيي الطفل زينو بعد سقوطه - المسيح يُحيي رجلاً ميتاً

إلى هنا يشترك النصان في المضمون ثم يضيف توما: (فقال الكتبة والفريسيون) أتباع مذهب يهودي سلفي متشدد (أأنت أم هذا الولد. فقالت: أنا. فقالا لها: طوبى لك في النساء، لأن الله قد بارك ثمر بطنك. لم نر مثلاً هذا المجد والامتياز والحكمة ولم نسمع بمثله في أي وقت).

ثم يعود النص ليشترك مع رواية لوقا في المضمون: (فقام يسوع وتبع أمه وخضع لوالديه، ولكن أمه كانت تذكر كل ما حدث. وزاد يسوع في الحكمة والمنزلة والنعمة)^(١).

1. <http://gnosis.org/library/inftoma.htm>

ويبدو أن مؤلف هذا السّفر قد أخذته مخيلته بعيداً مع آيات المسيح «عليه السلام» التي سيأتي بها بعد إعلان رسالته للدلالة على مصداقيته، فصنع منها هذه القصص المتعلقة بزمن طفولة المسيح، ليُكمل الفراغ في سيرته، وهو أشبه بالدور الذي مارسه القصاصون في العهد الإسلامي لتحقيق التشويق ونيل رضا المستمعين والحصول على شئ من حطام الدنيا، وقد تكون في البين -كما ذكرت من قبل- يد خبيثة أرادت العبث بسيرته عن قصد كما فعل اليهود والزنادقة في التراث الإسلامي الروائي.

أسطورية شخصية المسيح

أسطورية شخصية المسيح

قد يبدو هذا العنوان غريباً، إلا أن هذه المسألة طُرحت في القرن الثامن عشر إبان الثورة الفرنسية نتيجة حالة الغضب العام التي اجتاحت الثائرين على الملكية وعلى الكنيسة الكاثوليكية بسبب تحالفها معها، والفساد المستشري على كافة الأصعدة نتيجة ذلك.

فكان من انعكاسات هذا الغضب أن طرح بعض فلاسفة الثورة ومفكرها وجماعة من مثقفي تلك الحقبة مجموعة من التساؤلات حول المسيحية ومعتقداتها ومتبنياتها، ومن بينها التساؤل حول حقيقة وجود شخص باسم يسوع المسيح، وُلد وعاش وصُلب.

ويصف لنا ديورانت المشهد في موسوعته (قصة التاريخ) فيقول: (هل وجد المسيح حقاً؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثمره أحزان البشرية، وخيالها، وآمالها- أسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشنا، وأوزيريس، وأتيس، وأدنيس، وديونيشس، ومثراس؟ لقد كان بولنجبروك والملثفون حوله، وهم جماعة ارتاع لأفكارهم فلتير نفسه، يقولون في مجالسهم الخاصة إن

المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق، وجهر فلني Volney ^(١) بهذا الشك نفسه في كتابه «خرائب الإمبراطورية» الذي نشره في عام ١٧٩١؛ ولما التقى نابليون في عام ١٨٠٨ بفييلاند Wieland -العالم الألماني^(٢) - لم يسأله القائد الفاتح سؤالاً تافهاً في السياسة أو الحرب، بل سأله هل يؤمن بتاريخية المسيح؟^(٣).

ومن هنا ظهرت كتابات في ثلاثة اتجاهات:

١. اتجاه نقد الكتاب المقدس والقول بأسطورية شخصية المسيح ابن مريم.
 ٢. والاتجاه المضاد المدافع عن الكتاب المقدس والرد على منكري تاريخية المسيح وحقيقة وجوده.
 ٣. والاتجاه الثالث المشكك في الكثير من تفاصيل حياة المسيح ومعجزاته أو تأويلها، إما بالتشكيك بأصل ما ورد في الكتاب المقدس أو في دلالاته.
- من بين الجهود القائلة بأسطورية المسيح السلسلة التي بدأ بإصدارها في عام ١٨٤٠، برونو بور Bruno Bauer وهو فيلسوف ولاهوتي ألماني (ت ١٨٨٢م)، وحاول أن يثبت فيها أن يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة من الأساطير، وأن المسيحية ليست سوى طقس من الطقوس نشأ في القرن الثاني من مزيج من المعتقدات اليهودية، واليونانية، والرومانية.

١. قسطنطين فرانسوا قولني فيلسوف ومؤرخ ورحالة ومستشرق وسياسي فرنسي (ت ١٨٢٠م).

٢. كريستوف مارتين فيلاند كاتب وشاعر ألماني ت ١٨١٢م.

٣. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢٠٢.

وفي عام ١٨٦٣ أخرج المؤرخ والكاتب الفرنسي إيرنس رينان Ernest Renan (ت ١٨٩٢ م) كتابه (حياة يسوع) جمع فيه نتائج النقد الألماني لحقيقية وجود المسيح ابن مريم، وعرض الملاحظات المسجلة على الأناجيل والعقائد المسيحية. وفي أواخر القرن التاسع عشر تبنت بعض المدارس الفكرية الهولندية من قبيل مدرسة بيرسن Pierson ونابر Naber، ومثناس Matthas القول بأسطورية يسوع المسيح ابن مريم.

ثم جاء في سنة ١٩٠٦ م الكاتب والمؤرخ والفيلسوف الألماني آرثر دروز Arthur Drews (ت ١٩٣٥ م)، وتبنى أسطورية المسيح أيضاً. وهكذا فعل البريطانيان البروفيسور الرياضي وليام بنجامين سيمث William Benjamin Smith (ت ١٩٣٤ م) ومعه جون ماكينون روبرتسن John Mackinnon Robertson (ت ١٩٣٣ م) إذ قدما ما اعتبراه حججاً لإنكار وجود عيسى ابن مريم.

ولاشك أن المسلم المؤمن بسماوية القرآن الكريم وأنه كتاب الله «عز وجل» لا يحتاج إلى دليل أوضح وأقوى مما جاء في كتاب الله «سبحانه وتعالى»، لاسيما بلحاظ عدم إمكانية القول برمزية قصة المسيح وأنه ضُرب كمثل فحسب دون أن يكون للقصة واقعاً خارجياً، حيث أن التعبير بكلمة (قول الحق) تلغي أي تأويل في الباب: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾^(١).

أسطورية شخصية المسيح

واسم الإشارة في الآية الأخيرة ﴿ذَلِكَ﴾ يعود إلى مجموع ما قصّ من أمره وشرح من وصفه، والمعنى: ذلك الذي ذكرنا كيفية ولادته وما وصفه هو للناس من عبوديته وإيتائه الكتاب وجعله نبياً هو عيسى بن مريم.

بل إن إيمان الفرد لا يكتمل دون الإيمان بوجود المسيح عيسى ابن مريم «عليه السلام» ونبوّته، حيث يقول «سبحانه وتعالى»: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

وتمّ التأكيد على نبوّته وأنه موحى إليه مرات عديدة، ومن ذلك قوله «سبحانه وتعالى»: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾^(٢).

ثم هناك الدليل العقلي الذي يمكن عرضه في النقاط التالية:

١. وجود المسيحية منذ ألفي عام تقريباً وبهذه التفاصيل الاعتقادية والتشريعية والأخلاقية والتاريخية، وآثار ذلك الفكرية والفلسفية وغيرها، كلها تحتم وجود رجل حمل عنوان يسوع (عيسى)، وأنه المسيح ولو على مستوى الادعاء.

١. البقرة: ١٣٦-١٣٧.

٢. النساء: ١٦٣.

٢. الآثار المختلفة في بلدان عدّة والتي تعود إلى المسيح ووالدته وتلاميذه والمؤمنين برسائلته والمأخوذ بها منذ العهد القريب لتاريخ حياته إلى هذا اليوم، كموضع ولادته، والصلب، وموضع إحياء الميت، وإشفاء المريض وغير ذلك مما تحوّل إلى كنائس أو ما شابه من مقامات معروفة ومذكورة ومتوارثة عبر التاريخ.

٣. عدم إنكار اليهود لوجود شخصه -وهم ألدّ أعدائه وأعداء رسالته- وإنّ أنكروا كونه المسيح الذي ينتظرونه، وهذا من أقوى الأدلة التي يمكن سوقها في المقام.

٤. عدم الحديث عن أسطوريّته إلا بعد مرور أكثر من ١٧٠٠ سنة، على الرغم من كل الصراعات التاريخية التي عاشتها المسيحية مع خصومها من الرومان وغيرهم.

٥. الظروف التي انطلقت فيها هذه المزاعم، وهي النقمة الكبيرة على الكنيسة في فرنسا إبان الثورة، بل وعموم أوروبا نتيجة التعسّف الكنسي بصوره المختلفة، وانطلاق موجة من الإلحاد واللا دينية في العالم الغربي، كلها تدفع إلى التشكيك في استقامة الادّعاء بعدم تاريخانية المسيح عيسى بن مريم والقول بأسطوريّته.

ولو أردنا أن نتناول بعض الأدلة على وجوده بغض النظر عن القرآن الكريم، والأدلة العقلية، فإننا سنجد أمامنا المعطيات التاريخية والوثائقية التالية التي تؤكد وجود شخصه «عليه السلام» وعدم أسطوريّته:

• شهادة يوسفوس:

١. الإشارة إلى المسيح «عليه السلام» من قبل المؤرخ اليهودي يوسفوس فلافيوس Josephus Flavius واسمه العبري الأصلي يوسف بن ماتيتياهو، عاش تقريباً من ٢٧ الي ١٠٠ م، وكان أديباً مؤرخاً وعسكرياً، يهودي الأصل وحاصل على الجنسية الرومانية، وهذا في حد ذاته امتياز في ذلك الوقت، إذ كان يكتسب صاحب هذه الجنسية نوعاً من الحصانة على خلاف من عاشوا تحت حكم الرومان ولم يحصلوا عليها.

وهو من جهة الأب ينتسب إلى سلالة الكهنة من ذرية هارون «عليه السلام»، ومن جهة الأم ينتسب إلى الحشمونيين الذين كانوا يحكمون مملكة يهوذا إلى سنة ٤٤م.

شارك في التمرد على الرومان، ولكنه أُسر، ونجا من الإعدام بفضل الصداقة التي نشأت بينه وبين قائد القوات الرومان (فسبازيان) الذي أصبح قيصرًا لاحقاً. كذلك تعاون يوسفوس مع الرومان تعاوناً كاملاً وساعدهم في قمع التمرد عندما كان أسيراً، ثم أُطلق سراحه في سنة ٦٩ للميلاد.

في سنة ٧١، وصل إلى روما وأصبح مواطناً رومانياً. وبموجب القانون الروماني تبنى يوسفوس اسم عائلة وليّه فاسبازيان الذي حرّره من الأسر، فصار اسمه الرسمي في روما: (تيتوس فلافيوس يوسيبوس)، ولكن عرض نفسه في كتبه المدوّنة باللغة اليونانية على أنه (يوسيبوس ابن لماتياس).

صدرت كتابات يوسفوس في أواخر الثمانينيات من القرن الميلادي الأول

واستمرت حتى وفاته. وليوسفوس مؤلف يخصص شئون اليهود ما قبل وأثناء تدمير (القدس) الذي جرى سنة ٧٣م على يد الرومان وعنوانه (الحرب اليهودية) The Jewish War، ومؤلف آخر بعنوان (الآثار اليهودية) Jewish Antiquities الذي يبدأ مع قصة الخلق ويتناول حياة اليهود إلى سنة ٦٦م، وكتبه ما زالت محفوظة إلى هذا اليوم، وتتضمن تفاصيل دقيقة بسبب تبني الأباطرة الرومانيين لمشروعه، مما سمح له بالاطلاع على معلومات كثيرة وتدوينها.

أشار يوسيفوس إلى أمور كثيرة متعلقة بالمسيحيين، وتحدث عن النبي يحيى (يوحنا المعمدان) ويعقوب (المدعى أنه أخو المسيح لأمه من زوجها من يوسف النجار)، وذكر يسوع المسيح مرتين.

والنص بالترجمة عن الترجمة الإنجليزية من كتاب (الآثار اليهودية) Jewish Antiquities أو Antiquities of the Jews كما يلي: (الآن، كان هناك في هذا الوقت تقريباً يسوع، الرجل الحكيم، إذا كان من الجائز أن نطلق عليه عنوان رجل، لأنه كان يأتي بأعمال مبهرة، ومعلم لرجال كهؤلاء ممن يتلقون الحق بسرور. وجذب إليه كثير من اليهود ومن الأمم. كان هو المسيح. وعندما حكم عليه بيلاطس بالصلب، بناءً على اقتراح من رؤسائنا، لم يتخل عنه أولئك الذين أحبوه منذ البداية؛ لأنه ظهر لهم حياً في اليوم الثالث، كما تنبأ له بذلك الأنبياء الإلهيون ولعشرة آلاف أمر رائع آخر يتعلق به. وجماعة المسيحيين الذين أخذوا اسمهم منه لم ينقضوا في هذا اليوم)^(١).

1. Josephus, Flavius, Jewish Antiquities, 18, 3.

أسطورية شخصية المسيح

وهذه أقدم إشارة في مصدر يهودي، وتأتي أهميتها بلحاظ أنها دُوِّنت في عصر قريب من الأحداث، حيث أن يوسفوس قد وُكِّد بعد حادثة الصلب بقليل، وأنها جاءت من مؤرخ يهودي، ونعرف ما لليهود من موقف متصلّ وعنيف تجاه عيسى المسيح «عليه السلام»، كما أنه كتب ما كتب من أجل الرومان الذين كانوا أعداء للمسيح والمسيحيين أيضاً، وأهميتها كذلك بلحاظ شخص الكاتب نفسه.

ولكن -بحسب ديورنت- فقد شكَّك البعض بهذا النص معتبرين أنه مدسوس على يوسفوس، فكيف يكتب مثل هذه الكلمات الدالة المشتملة على الثناء على يسوع وهو اليهودي -عدو المسيحية والمسيحيين- والمتزلف للرومان؟

وفي المقابل اعتبر البعض الآخر أن ذكر يسوع في الكتاب غير مدسوس، إلا أن بعض المسيحيين أضافوا إليه شيئاً من التعابير والمصطلحات لتفخيم شأنه، وهو ما انعكس سلبياً على شهادة يوسفوس الأصلية وأفقدتها مصداقيتها.

ومما يؤكد كلام هؤلاء ما جاء في مقال بعنوان (يوسفوس ويسوع) Josephus and Jesus للأستاذ الفخري لمادة التاريخ القديم بجامعة غرب ميتشغان (بول مائير) Paul L. Maier وذكر فيه أنه في عام ١٩٧٢، أعلن البروفيسور (شلومو باينز) من الجامعة العبرية في القدس Shlomo Pines of the Hebrew University in Jerusalem عن اكتشافه لنسخة أخرى من المقطع السابق في كتاب يوسفوس، وهي لا تتضمن أية إشارات تعظيم وتفخيم ليسوع، مما يجعل هذا النص الأقرب لأن يكون النص الأصلي الذي دُوِّنه يوسفوس قبل أن تمتد إليه يد التحريف فتثير عليه الشبهات.

والنص في ترجمتيه الإنجليزية والعربية كالتالي: (في ذلك الوقت كان هناك رجل حكيم يدعى يسوع ، وكان سلوكه حسناً ، وكان معروفاً أنه فاضل. أصبح الكثير من اليهود والأمم الأخرى من تلاميذه. حكم عليه بيلاطس بالصلب والموت. لكن أولئك الذين أصبحوا تلاميذه لم يتخلوا عن تلمذته. وذكروا أنه ظهر لهم بعد صلبه بثلاثة أيام وأنه على قيد الحياة. وعليه ، ربما كان هو المسيح الذي ذكر عنه الأنبياء عجائب. وجماعة المسيحيين المسمون تبعاً لقبه لم ينقرضوا حتى يومنا هذا)^(١).

علّق ماثير على النص السابق بأن من الواضح أن هذه هي اللغة التي كان يمكن أن يكتبها اليهودي دون أن يتحول إلى المسيحية^(٢).

أما النص الثاني في كتاب (الآثار اليهودية) فهو يتحدث عن محاكمة لأخ المسيح، جاء في ترجمته عن الترجمة الإنجليزية: (لكن أنانوس الأصغر) الكاهن الأكبر لليهود في تلك الفترة حنانيا بن حنانيا، أو أنانوس بن أنانوس أو حنانيا/حنان الثاني وهو ابن الكاهن الأكبر حنانيا/حنان الذي كان له دور في مؤامرة قتل السيد المسيح (الذي، كما قلنا، حصل على الكهنوت الأعظم، كان ذا شخصية عنيفة وجريئة بشكل استثنائي... فجمع مجلساً من القضاة، وأحضر أمامه أخو يسوع المدعو بالمسيح، واسمه يعقوب، مع آخرين، واتهمهم

1. <http://khazarzar.skeptik.net/books/pines01.pdf>

Schlomo Pines, An Arabic Version of the Testimonium Flavianum and its Implications [Jerusalem: Israel Academy of Sciences and Humanities, 1971.]

2. <https://www.namb.net/apologetics/resource/josephus-and-jesus/>

بأنهم مخالفون للقانون، وسلّمهم لرجمهم بالحجارة^(١).

الترجمة عن الترجمة الإنجليزية الأخرى للنص السابق كما ذكره ماثي (بوجود مثل هذه الشخصية - الجريئة كما تبدو من خلال السياق - اعتقد حنانا أنه مع موت فيستوس وقرب موت ألبينوس، ستكون لديه الفرصة المناسبة. فدعا قضاة السنهدريم، وأحضر أمامهم أخو يسوع الملقب بالمسيح، واسمه يعقوب، وآخرين. واتهمهم بانتهاك الناموس وسلمهم للرجم. لكن سكان المدينة الذين اعتبروا أكثر إنصافاً والذين كانوا صارمين في احترام القانون شعروا بالإهانة من ذلك. وبناءً عليه، اتصلوا سراً بالملك - هيرود أغريبا الثاني -، وحثّوه على أن يأمر حنانا بالكف عن أية أعمال أخرى من هذا القبيل، لأنه فعلاً لم يكن له ما يبرر أفعاله. حتى أن بعضهم ذهب للقاء ألبينوس، الذي كان في طريقه من الإسكندرية، وأبلغه أن حنانا لا يملك سلطة عقد السنهدريم دون موافقته. مقتنعاً بهذه الكلمات، كتب ألبينوس في غضب إلى حنانا، وهدده بالعقاب. ولهذا السبب عزله الملك أغريباس من الكهنوت الأعظم الذي حكم فيه ثلاثة أشهر)^(٢).

• شهادة التلمود:

تمّت الإشارة إلى المسيح «عليه السلام» في التلمود البابلي في عدة مواضع أنقلها بعد ترجمتها عن النص الإنجليزي، نسخة (ويليام ديفيدسون) William Davidson وذلك من قبيل:

1. <https://www.drghaly.com/articles/display/11515>

2. <https://www.namb.net/apologetics/resource/josephus-and-jesus/>

١. سِدِر (منظومة) نزيقين = الأضرار: (قال له الحاخام اليعازر: عكيفا، أنت على حق، كما ذكرتني أنني ذات مرة كنت أسير في السوق العلوي في تسيبوري، ووجدت رجلاً من تلاميذ يسوع الناصري، وكان اسمه ياعكوف كفار سخانية. قال لي: إنه مكتوب في التوراة: «لا تدخل عاهرة أو بئس كلب إلى بيت الرب إلهك» «تثنية ١٩: ٢٣» قال لي: يسوع الناصري علمني ما يلي: يجوز، كما هو مستمد من الآية: «من أجره البغاء جمعتهم ، ودفَعُوا البغايا يعودون» (ميخا ١ : ٧). بما أن القطع النقدية أتت من مكان قذارة ، فدعها تذهب إلى مكان قذارة وتستخدم في بناء حمام..... وبخصوص اشتقاق الآية على يد السيد المسيح الناصري، يسأل الجمارا: وماذا يستمد الحكماء من هذه العبارة: «دفع لعاهرة»؟ تجيب جمارا: لقد شرحوا ذلك وفقاً لرأي رافيسدا ، كما يقول رافيسدا: أي عاهرة تستأجر نفسها للآخرين من أجل المال ستصبح مرتبطة بهذه الممارسة في النهاية ، عندما لا يرغب الآخرون في توظيفها ، سوف توظف آخرين للدخول في الجماع معها. كما قيل: «وَأَنْكُمْ دَفَعْتُمْ ، وَلَمْ يَدْفَعُوا لَكُمْ فَأَنْتُمْ عَارِضُونَ» «حزقيال ١٦ : ٣٤»^(١).

٢. سِدِر قداشيم = المقدسات: (علم الحكماء: اجعل يدك اليسرى تبتعد دائماً عن الخطاة واليمين تقربهم، حتى لا ييأس الخاطئ تماماً من الكفارة. هذا على عكس أليشع، الذي أبعد جيحزي بيديه وفقد حصته في العالم الآخر، وعلى عكس يهوشوا بن برخيا الذي دفع يسوع الناصري بيديه)^(٢).

1. https://www.sefaria.org/Avodah_Zarah.17a.1?ven=William_Davidson_Edition_-_English&lang=bi

2. <https://www.sefaria.org/Sanhedrin.107b.4?lang=bi>

أسطورية شخصية المسيح

٣. سِدِرِ قداشيم = المقدسات: (أليست تُدرس في الباريتا: عشية الفصح علقوا جثة يسوع الناصري بعد أن قتلوه رجماً بالحجارة. وخرج المنادي لمدة أربعين يوماً معلناً: يسوع الناصري سيُرجم لأنه مارس السحر، وحرّض الناس على عبادة الأوثان، وضللّ الشعب اليهودي. يجب على من يعرف سبباً لتبرئته أن يتقدم ويعلمه نيابة عنه. ولم تجد المحكمة سبباً لتبرئته، فرجموه بالحجارة وعلقوا جثته عشية عيد الفصح)^(١).

٤. سِدِرِ نشيم = النساء: (ثم ذهب أونكيلوس وأقام يسوع الناصري من القبر من خلال استحضار الأرواح. قال له أونكيلوس: من هو الأهم في هذا العالم حيث أنت الآن؟ قال له يسوع: شعب اليهود. سأله أونكيلوس: هل يجب أن أعلق بهم في هذه الدنيا؟ قال له يسوع: ستسعى إلى مصلحتهم، ولن تبحث عن مصائبهم، لأن كل من يمسهم يُنظر إليه كما لو كان يلمس حدقة عينه «انظر زكريا ١٢: ٢». قال له أونكيلوس: ما هي عقوبة ذلك الرجل، كناية عن يسوع نفسه، في العالم الآخر؟ قال له يسوع: يعاقب بغلي البراز. كما قال السيد: من يسخر من كلام الحكماء يحكم عليه بغليان البراز. وكانت هذه خطيته إذ يستهزئ بكلام الحكماء. ويعلق الجمارا: تعال وانظر الفرق بين خطاة إسرائيل وأنبياء أمم العالم. كما تمنى بلعام، وهونبي، لإسرائيل الأذى، في حين أن يسوع الناصري، الذي كان يهودياً مذنباً، سعى إلى رفاههم)^(٢).

٥. سِدِرِ زرعين = الزراعة: (لا ينبغي أن يكون لدينا طفل أو تلميذ يفرض

1. <https://www.sefaria.org/Sanhedrin.107b.4?lang=bi>

2. <https://www.sefaria.org/Gittin.57a?lang=bi>

في تناول طعامه في الأماكن العامة، أي أنه يخطئ في الأماكن العامة ويجعل الآخرين يخطئون، كما في حالة يسوع الناصري المعروفة^(١).

ولا يلتفت إلى قول البعض بأن هذه نصوص متأخرة زمنياً بعدة قرون على زمن يسوع المسيح، كما أشار إلى ذلك ديورانت إذ قال: (ولكنها من عهد متأخر جداً يجعلها مجرد ترديد الأصداء والأفكار المسيحية)^(٢)، لأنها لو صدرت من أنصاره ومؤيديه والمؤمنين به لصحّ هذا الإشكال، ولكنها قد صدرت عن الّد أعدائه والساعين للطعن في شخصه وسيرته ونبوته ومعجزاته، وأصحاب العلم منهم على وجه التحديد، أي كبار حاخامات اليهود على مدى قرون، ولا يمكن تفسير ذلك إلا أنهم يعترفون ضمناً بوجوده الخارجي الحقيقي، وإلا لرفعوا أصواتهم عاليةً منكرين أصل وجوده مع أقل احتمال لأسطوريته.

• في التراث الوثني:

بالإضافة إلى ما جاء في المصادر اليهودية المختلفة من اعتراف بوجود المسيح «عليه السلام»، نجد أن في التراث الوثني المعاصر أو القريب من عهده ما يتحدث عن شخصية حقيقية، هو يسوع الناصري، وذلك من قبيل:

١. السيناتور الروماني بليني الأصغر، واسمه (غايوس بلينيوس كاسيليوس سيكوندوس) Gaius Plinius Caecilius Secundus (٦١-١١٣ م)، وهو ابن أخ الكاتب بليني الأكبر وابنه بالتبني. شغل بليني الأصغر عدّة مناصب إدارية هامة، سيناتوراً ومحامياً بارزاً في روما، وربما كان أشهر إداريّ مدنيّ

1. <https://www.sefaria.org/Berakhot.17b.1-11?lang=bi>

٢. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢٠٥.

أسطورية شخصية المسيح

في عهد الإمبراطورية. وقد حُفظت كتابات بليني الأصغر شهرته الواسعة، فقد نُشر تسعة كتب رسائل بين عامي ١٠٠ و١٠٩ م. الرسالة ٩٦ من الكتاب ١٠ تتناول المسيحيين كما تأتي على ذكر المسيح. وبما أن رسائل هذا الكتاب مرتبة وفق تسلسلٍ زمنيٍّ فيما يبدو، فإن الرسالة ٩٦ قد تعود إلى عام ١١٢ للميلاد. يقوم بليني في هذه الرسالة -التي يستشير فيها تراجان حول كيفية معاملة المسيحيين- ببيان شكوكه حول محاكمات المسيحيين، ويقدم عدداً من الأسئلة: ما هي الطريقة لمعاقبة المسيحيين؟ ما هي أسس التحقيق؟ ولأيّ درجة يجب استعجال التحقيق؟ هل يشكّل العمر أو التبرؤ من المسيحية أيّ فارق؟ هل يجب معاقبة المسيحيين لمجرد كونهم مسيحيين؟ أي لمجرد الاسم فقط، حتّى ولو لم يكونوا مذنبين بجرائم متعلّقة بهذا الاسم.

وفي هذا السياق فإنه يذكر المسيح ثلاث مرّات: (منذ أن بدأت التعامل مع هذه المشكلة، أصبحت التهم أكثر شمولاً وتنوعاً، كما هو الحال غالباً. تمّ نشر قائمة اتهاميّة تحمل أسماء العديد من الناس. وقد قررت أن أطلق سراح كلّ من يُنكر كونه أو أنه كان في يوم من الأيام مسيحياً، وذلك بالتكرار من بعدي صيغةً تُمجّد الآلهة، وتقديم قرابين الخمر والبخور لصورتك، التي أمرت بإحضارها إلى قاعة المحكمة مع أيقونات الآلهة لهذا السبب، وعندما يقوم المتّهم بلعن المسيح، فقد علمت أنه لا يمكن لأيّ مسيحيٍّ حقيقيٍّ أن يقوم بهذه الأشياء. أمّا أولئك الذين أعطيت أسماءهم لي عن طريق بعض المخبرين فكانوا بدايةً يقولون إنهم مسيحيون ومن ثمّ ينكرون ذلك، وقالوا إنهم لم يعودوا مسيحيين منذ سنتين أو أكثر، والبعض منهم منذ عشرين عاماً. وقاموا

كلّهم بتبجيل صورتك وصور الآلهة كما فعل الآخرون، كما قاموا بلعن المسيح أيضاً. كما أكّدوا أن مجمل ذنبهم أو خطيئهم لم يكن أكثر مما يلي: فقد كانوا يجتمعون على نحو منتظم قبيل الفجر في يوم محدّد، ويفنّون ترنيمةً للمسيح كما لو كان إلهاً. كما أنهم أقسموا على عدم ارتكاب أيّ جريمة، وبالابتعاد عن السرقة والنهب والزنا، وألاً يخلفوا عهداً أو يحجبوا أمانةً حان موعد تسليمها^(١).

٢. الكاتب الروماني سوتونيوس، واسمه (غايوس سوتونيوس ترانكيلوس) Gaius Suetonius Tranquillus (حوالي ٧٠-١٤٠م). مارس مهنة المحاماة في روما، وكان صديقاً لبليني الأصغر، وكان سكرتيراً للإمبراطور (هارديان) لفترة وجيزة ثم صرّفه. كتبه (حياة القيصرية) كان الوحيد مما بقي من أعماله سليماً بشكل رئيسي. يغطّي هذا الكتاب الذي نُشر عام ١٢٠م، حياة وسيرة أول اثني عشر إمبراطوراً رومانياً. في الجزء الخامس من كتابه (حياة القيصرية)، يحدّد باختصار القرارات التي اتخذها الإمبراطور (كلاوديوس) الذي حكم ما بين ٤١-٥٤م، تجاه مختلف الشعوب التابعة خلال فترة حكمه، ومن بين ما كتب: (طرد كلاوديوس اليهود من روما، حيث غالباً ما كانوا يثيرون القلاقل بسبب «كريستوس المحرّض»)^(٢)، الذي قد يكون يسوع المسيح. وشكك البعض في ذلك بلحاظ عدم ذهاب المسيح إلى روما في عهد كلاوديوس، بل إن هذا التاريخ يعتبر بعد رفع المسيح.

1. <https://www.difa3iat.com/26905.html> بليني-الاصغر يسوع-التاريخي-في-المصادر

2. <https://www.difa3iat.com/26906.html>

٣. المؤرخ الروماني تاسيتوس. يُعدّ (بابليوس كورنيليوس تاسيتوس) Publius Cornelius Tacitus بشكل عام أعظم مؤرخ روماني، (حوالي ٥٦ - ١٢٠ م)، وشغل عدداً من المناصب الإدارية المهمة، بما فيها القنصل الروماني لآسيا ما بين ١١٢-١١٣ م، حيث كان قريباً من صديقه بليني الأصغر. تناول كتابه (التاريخ) الفترة من سنة ٦٩ إلى ٩٦ ميلادية.

تحدث تاسيتوس عن اضطهاد نيرون لـ (الكرستيان) Christiani في روما، وعن إعدام المسيح من قبل على يد تايريوس بأمر من الامبراطور الروماني بيلاطس البنطي. كما ذكر في الأثناء أن المسيحيين في ذلك الوقت كان لهم أتباع في جميع أنحاء أوروبا.

قال في ضمن كلامه حول حريق روما على عهد الإمبراطور الروماني الخامس «نيرون» في عام ٦٤ م وآثار ذلك: (لم تُفلح الجهود البشرية ولا كرم الإمبراطور ولا حتى استرضاء الآلهة بإنهاء الاعتقادات المشينة أن الحريق كان مفتعلاً. وبالتالي، ولإخماد الشائعات، قام «نيرون» بتحويل الاتهام إلى أولئك الذين كُرهوا لأعمالهم المشينة، ومعاقتهم بأكثر الطرق غرابةً، والذين كانت العامة تدعوهم المسيحيين. وقد أُعدم هذا الاسم «المسيح»، في فترة حكم «تايريوس» على يد وكيل الإمبراطور «بيلاطس البنطي»^(١).

٤. المؤرخ السامري تالوس/ثالوس Thallus كتب ثلاثة مجلدات حول تاريخ بلاد البحر الأبيض المتوسط، من قبل حرب طروادة إلى النسخة ١٦٧ من الأولمبياد (١١٢-١٠٨ ق.م). فقدت معظم أعماله، مثل الغالبية العظمى من

١. فورست: يسوع المسيح خارج العهد الجديد مدخل إلى الأدلة القديمة، ص ٥٥.

الأدب القديم، وتم اقتباس بعضها من قبل سيكستوس يوليوس أفريكانوس Sextus Julius Africanus (١٦٠-٢٤٠م) في كتابه (تاريخ العالم) الذي فُقد بدوره أيضاً، إلا أن المؤرخ البيزنطي (جورجوس سينسلوس) أورد ذلك في كتابه (التاريخ) حوالي عام ٨٠٠ م.

لا يُعرف متى عاش تالوس على وجه الدقة، ولكن ثيوفيلوس الأنطاكي Theophilus of Antioch الذي توفى حوالي عام ١٨٥ بعد الميلاد اقتبس من عمله، ومعظم العلماء يؤرخون كتاباته بالعام ٥٠ بعد الميلاد تقريباً.

ونقل يوليوس أفركانس في كتابه عن تالوس قوله: (إن الظلمة العجيبة التي يُقال إنها حدثت وقت موت المسيح، كانت ظاهرة طبيعية محضة، ولم تكن أكثر من مصادفة عادية)^(١). وهذا يدل على أن وجود المسيح عند هذا الكاتب قضية مسلّم بها ومفروغ من صحتها.

٥. الأديب الساخر والفيلسوف السوري لوقيان السميساطي Lucian of Samosata (١٢٥-١٦٠م) ارتحل بين بلدان البحر الأبيض المتوسط، واشتهر في الغرب كأحد أكبر الفلاسفة الذين عرفهم التاريخ.

ذكر في كتابه حول الفيلسوف اليوناني بروتوس بيرغرينوس Peregrinus Proteus (حياة وموت بيرغرينوس): (خلال هذه الفترة ربط بيرغرينوس نفسه بكهنة وكتبة المسيحيين في فلسطين، وتعلّم حكمتهم المذهلة. بالتأكيد، جعلهم يبدو بوقت قصير مثل الأطفال، كان نبيّهم وقائدهم ورئيس كنيسهم، وكل شيء بالنسبة لهم. قام بشرح بعض من كتاباتهم المقدسة والتعليق عليها،

١. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢٠٦.

أسطورية شخصية المسيح

وحتى أنه كتب البعض منها بنفسه. تطلعوا إليه كأنه إله، وجعلوه مشرّعهم واختاروه الراعي الرسمي لمجموعتهم، أو على الأقل نائبه. لقد كان الثاني فقط بعد ذلك الذي ما زالوا يعبدونه اليوم، ذلك الرجل الفلسطيني الذي صُلب لأنه أحضر هذه الصيغة الجديدة من الشعائر إلى العالم، سُجن بيريفرينوس، وذهب المسيحيون لمساعدته، وبيدؤون عبادة ذلك السفسطائي المصلوب، ويعيشون بناءً على قوانينه. فهم يحتقرون كل الملكيات دونما تمييز ويعتبرونها ملكيات شائعة، ويتقبلون كل هذه الأشياء على أساس العقيدة فقط دون أي دليل. وبالتالي إذا جاءهم شخص محتال ومخادع يعلم كيف يستغل الوضع، سيستطيع أن يجعل من نفسه غنياً في وقت قصير، بينما هو يضحك على هؤلاء الناس الحمقى^(١).

٦. المفكر اليوناني المعادي للمسيحية كلسس (صلسس) الأبيقوري Celsus. عاش في القرن الثاني للميلاد، وكان من أتباع الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، ألف ما بين سنة ١٧٥-١٧٨م كتاباً هجوماً على المسيحية حمل عنوان (العقيدة الحقّة) True Doctrine.

ومع أن الكتاب فُقد إلا أن جزءاً كبيراً منه موجود ضمن كتاب صدر عن (أورجين) حوالي ٢٥٠م، يردّ فيه بشدة وتفصيل على أطروحات (كلسس).

ذكر (كلسس) في كتابه (العقيدة الحقّة) العقائد المسيحية وتحدّث عن الأصل اليهودي للمسيحية، وقادتها الأوائل، وتعاليمها وممارستها، وهاجمها هجوماً عنيفاً.

1. <https://www.difa3iat.com/26906.html/>

وهذا بحد ذاته اعتراف بوجود المسيحية في زمن متقدم نسبياً^(١).

وقد علق ديورانت على بعض ما سبق - حيث لم يذكر كل من ذكرناهم - معتبراً أن هذه الإشارات كلها تثبت وجود المسيحيين لا المسيح نفسه!

والحقيقة أن بعضها يذكر المسيح بنفسه، ولربما لم يطلع عليها ديورانت الذي أضاف لاحقاً أننا إذا لم نسلم بوجود المسيح فلا مناص لنا من أن نأخذ بالفرض الضعيف جداً وهو أن شخصية يسوع قد اخترعت اختراعاً في جيل واحد؛ ولا بد لنا من أن نفترض فوق ذلك أن الجالية المسيحية وُجدت في روما قبل عام ٥٢ ببضع سنين، وإلا لما كانت خليفة أن يصدر بشأنها مرسوم إمبراطوري. ثم صرح ديورانت بأن نكران ذلك الوجود لم يخطر على ما يظهر لأشد المخالفين لليهودية أو لليهود المعارضين للمسيحية الناشئة في ذلك الوقت، وأن من يطلع على هذه المناظر لا يشك قط في أن وراءها شخصية تاريخية حقة. ولو أن عدداً قليلاً من الرجال السذج قد اخترعوا في مدى جيل واحد هذه الشخصية الجذابة، وهذه المبادئ الأخلاقية السامية، وهذه النظرية الأخوية الملهمة، لكان عملهم هذا معجزة أبعد عن العقول من أية معجزة تسجلها الأناجيل، وإن الخطوط الرئيسية في سيرة المسيح، وأخلاقه، وتعاليمه لتبقى بعد قرنين من النقد الشديد واضحة معقولة؛ لتكون أروع ظاهرة في تاريخ الغربيين وأعظمها فتنة للألباب^(٢).

1. https://st-takla.org/Saints/Coptic-Orthodox-Saints-Biography/Coptic-Saints-Story_1217.html

٢. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢٠٦-٢١١.

سيرة السيد المسيح

سيرة السيد المسيح

لو أردنا تقديم ملخّص لسيرة المسيح عيسى ابن مريم «عليه السلام» كما عرضتها الأناجيل الأربعة في العهد الجديد فسنصل إلى التّصوّر الذي سنقدّمه في هذا الباب، مع ملاحظة أن الاعتماد الأكبر في تقديم التّصور الأوّل يقع على إنجيل متّى بلحاظ أنه ولوقا أخذوا روايتهما عن رواية مرقس وأضافا إليها بعض التفاصيل والأحداث.

أما يوحنا فقد انفرد في روايته عنهم، ولذا سننوّه إلى بعض ما جاء في روايته للأحداث بعد الانتهاء من عرض الرواية الأولى لسيرة السيد المسيح.

في زمن الأحداث التالية كانت فلسطين محتلة من قبل الرومان الوثنيين، ومحكومة في نفس الوقت من قبل ملوك محليين من أسرة هيرودس الأودميّة^(١)، تحت إشراف والي روماني له الكلمة العليا.

١ . ذكرنا في فصل سابق أن إدوم مملكة قديمة قامت في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وانهارت في القرن الثاني قبل الميلاد، وكانت تقع جنوب البحر الميت.

فحين وُلد المسيح، كان هيرودس الكبير هو الحاكم المحلي، ثم انقسم الحكم المحلي من بعده بين ثلاثة من أبنائه. أما الامبراطور الروماني الذي عاصر ولادته فهو (أوغسطس) والمعروف باسم (أغسطس قيصر) (٦٣ ق.م - ١٤م). لقد كان النزاع قائماً بين الفرس والرومان للسيطرة على بلاد الشام والتنافس في النفوذ فيما بينهما، فانحاز بعض القادة المحليين للفرس، بينما انحاز آخرون للرومان، ومن بينهم هيرودس الكبير، الذي استبسل في معونتهم، فكافأه الرومان على خدمته بتنصيبه ملكاً على الأراضي الفلسطينية الشاملة لليهودية والسامرة والجليل، وقام هو بدوره بالتمادي في محاكاة المدنية الرومانية، وممالة السلطة الدينية اليهودية في نفس الوقت.. بل إنه غالى في ذلك، وتكفل بإتمام بناء الهيكل/المعبد على نفقته، ليتمكّن من خلال ذلك كله من إيصال كهنة يهود متحالفين معه لرئاسة الكهنوت وإدارة الشؤون الدينية في البلاد، وليغلق الباب أمام احتمالات إثارة الأجواء ضده بسبب شططه في محاكاة الرومان، ومجافاة التقاليد العبرانية.

وقد كان هيرودس هذا حاكماً دمويّاً، حيث قتل -حفاظاً على ملكه- عدداً من أفراد عائلته، وفي السنة الرابعة قبل الميلاد، كان في طور محاكمة وإعدام أحد أبنائه بتهمة الخيانة، كما قضى على منافسيه المحتملين من أبناء الأسر والقبائل الأخرى. وقام أيضاً بإعدام الكاهن اليهودي الأكبر (هيركانوس الثاني) في سنة ٣٠ ق.م، ثم أعدم زوجته مريم الثانية في ٢٩ ق.م، مع بعض أبنائه خوفاً من حدوث تسويةٍ ما ضده للاستيلاء على ملكه!

ومع تقسيم البلاد بين أبنائه الثلاثة بعد وفاته، وقعت الجليل -حيث

سيسكن السيد المسيح غالبية حياته فيها وتكون هي الدائرة الأهم في حركته الرسالية- في حصة هيرودس انتيباس، قاتل النبي يحيى. وقد تعمّد الرومان إيجاد مثل هذا التقسيم -بسياسة فرق تسد- ليصبّ الانقسام في صالحهم، ولإخافة كل حاكم من الآخر مع اللعب على التوازنات.

وشهدت العهد الذي سبق ولادة المسيح -فما بعد- ثورات جائحة لليهود اشتعلت في أنحاء من فلسطين ضد الاحتلال الوثني، وكانت الشرارة إعلان إقامة الإحصاء السكاني الذي سيكرّس تبعية اليهود للاحتلال، ويفرض عليهم ضريبة تُرهق كاهلهم، ويجعلهم خاضعين رسمياً للدولة المحتلة والامبراطور الوثني الذي سيضطرون لمبايعته فرداً فرداً، وانجرت المواجهات والملاحقات والأحداث الدامية إلى قتل الآلاف من اليهود، قدّرها بعض المؤرخين القدماء بثلاثة آلاف، بينما رشح آخرون أن يكون هذا الرقم متحفظاً خوفاً من السلطات الرومانية، وأن الرقم الحقيقي أكبر من ذلك. وفي ضمن بعض هذه الحوادث، تم إحراق بلدة (صفورية) في الجليل الواقعة على بعد ٦ كم شمال الناصرة، وتحويل أهلها إلى عبيد.

وسرعان ما ازداد الوضع سوءاً بعد موت هيرودس، وشهدت أيام المسيح «عليه السلام» اضطرابات متعددة بسبب بعض سياسات الوالي الروماني (بيلاطس البنطي)، أولها تمثل في اشتباك خطير بينه وبين اليهود في بداية تسلمه المنصب سنة ٢٦م. وفي السنة التالية حاول بيلاطس بناء قناة مائية باستخدام أموال الهيكل/المعبد والمخصصة للقرايين، مما أثار غضب اليهود المحتجين، فقامت قواته المتخفية بذبح اليهود في ساحات المعبد.

هذه الأوضاع السياسية والأمنية ألقت بظلالها على الظروف الاقتصادية والاجتماعية، وحتى الصحية على المستويين الجسدي والنفسي، الأمر الذي سيفسّر لنا الأعداد الكبيرة من المعوزين وأصحاب العاهات والأمراض المزمنة، بالإضافة إلى المبتلين بالأمراض العقلية والنفسية الذين كان يُعتقد أنهم مسكونين بالشياطين، ممن كانوا يلاحقون المسيح حيثما حلّ - كما سيأتي عند الحديث عن تفاصيل سيرته وآياته - ويقصدونه من أنحاء الجليل وغيرها طلباً للشفاء، مع ملاحظة القرائن الدالة على فقرهم الشديد بحيث لم يكونوا قادرين على توفير أبسط الطعام، مما جرّ المسيح إلى أن يأتيه الله بآية الإطعام للآلاف من الحضور، كما تنص الرواية الإنجيلية والتي قد تكون مرتبطة في واقعها بقصة إنزال المائدة كما سنبيّن ذلك عند الحديث عن آيات المسيح القرآنية. بل سنجد أن السيدة مريم لم تكن تملك أن تقدّم ذبيحة للهيكل/المعبد في اليوم الثامن من ولادة ابنها، كما تنصّ عليه أحكام وآداب المواليذ في الشريعة الموسوية، ولذا قدّمت البديل - غير المكلف مادياً - والمتمثّل في حمايتين فقط! والحال أنه مرّ معنا أن سفر يعقوب نصّ على ثراء والدها، حتى أنه قدّم القرابين حين ولادتها، فكانت عشرة خراف غير معيبة، واثنًا عشر عجلاً تُخصّص للكهنة والشيخوخ، ومائة تيس توزّع على الناس.

ولعل الله «سبحانه وتعالى» خصّ المسيح بآيتي الإحياء والإبراء بلحاظ العدد الكبير من الحالات التي كانت بحاجة إلى العلاج نتيجة تردّي الأوضاع الصحية والاقتصادية على الرغم من التطور المشهود آنذاك في مجال الطب، فأراد الله من خلال ذلك أن يفتح لليهود وغيرهم أبواب الهداية لرسالة

المسيح ولاتباعه، بما تمثله تلك الآيات من خرق لظاهر أو حقيقة القوانين الطبيعية المانعة من علاج المصابين بأمراض الجذام وعمى المواليد - بل وأمراض وعاهات أخرى كما تحدّثت الأناجيل - ولتكون بذلك آيات واضحة على مصداقيته السماوية في أجواء التحدي الرسالي، وليكون وسيلةً لعلاج المحرومين من دون مقابل مادّي هم في الأساس عاجزون عن تأمينه.

وإذا كان هيردوس الكبير قد نجح في إحداث نمو اقتصادي بسبب إجراءات معيّنة اتخذها ونجح في قطف ثمارها، إلا أن ذلك لم يكن يُقصد منه تحسين ظروف العمل والمعيشة للفقراء، خاصةً الفقراء من أهل الجليل، لأن غالبية المشاريع العمرانية كانت تتم في مكان آخر، ولكن من خلال الضرائب المفروضة على أهلها، كما سعى هيرودس أن تكون له الحصة الأكبر من الربح الناتج عن كل هذا النمو. لقد زادت العظمة المعمارية في أحد طريقي المجتمع الجليلي من خلال زيادة الفقر في الطرف الآخر^(١). ونظراً لأن عدداً من عائلات الفلاحين لم تستطع دفع الضرائب الكثيرة، أو لأنها أصبحت مثقلة بالديون، لذا اضطرت إلى الانتقال إلى مناطق أخرى خارج الجليل مما زاد من محنة أهلها.

يضاف إلى كل ما سبق، تأثيرات وضغوطات البُعد الديني والثقافي للمحتلين الوثنيين، وانعكاسات ذلك على صراع الهوية.

في هذه الظروف انطلق المسيح في دعوته، وواجه ما واجهه من تحديات انتهت معها حركته الرسالية في زمن قصير، ولكنه أثارها امتدّت إلى أمد بعيد جداً.

1. http://www.scielo.org.za/scielo.php?script=sci_arttext&pid=S0259-94222016000400046

○ ولادة يسوع في بلدة (بيت لحم) (١) القريبة من القدس. ثم خروجه مع والدته ويوسف النجار إلى مصر (٢) هرباً من هيرودس الكبير والاستقرار فيها لسنوات.

○ بعد موت هيرودس الكبير، قرّرت الأسرة العودة واختيار بلدة (الناصرية) (٣) في الجليل مسكناً لهم. «متى ٢ / ١-٢٢»

○ عندما كان في الثلاثين من عمره تقريباً، سافر يسوع من الجليل إلى الأردن (حيث المغطس) (٤)، فتمّ تعميده على يد النبي يحيى (يوحنا المعمدان)، مع كثيرين ممّن حضروا هذه المناسبة. «متى ٣ / ١-١٥» و «لوقا ٣ / ٢٣»

○ بمجرد خروجه من الماء، انفتحت له السماوات، فرأى (الروح) نازلاً نحوه في هيئة حمامة، وسمع صوتاً من السماوات قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت». «متى ٣ / ١٦-١٧»

○ اصطحبه الروح إلى منطقة برية حيث (دير قرنطل) حالياً (٥)، ليُجَرَّب من قبل إبليس، وبقي صائماً لمدة أربعين يوماً وليلة ثم شعر بالجوع. تبع ذلك ظهور إبليس للمسيح، حيث بذل جهده لإغوائه، ولكنه فشل، فنزلت الملائكة فوراً لتخدم المسيح، ليبدأ بذلك عهد الرسالة. «متى ٤ / ١-١١»



○ رجع يسوع إلى منطقة الجليل (١)، وصار يدعو في نواحيها ومجامعها، ثم ذهب إلى الناصرة (٢) ودخل المجمع (مكان الاجتماع الخاص باليهود، وهو أيضاً مركز للعبادة ودار للقضاء العالي)، وصار يدعوهم، فامتلاًوا غضباً وقاموا وأخرجوه خارج المدينة وكادوا يقتلونه. «لوقا ٤ / ١٤-٣٠»

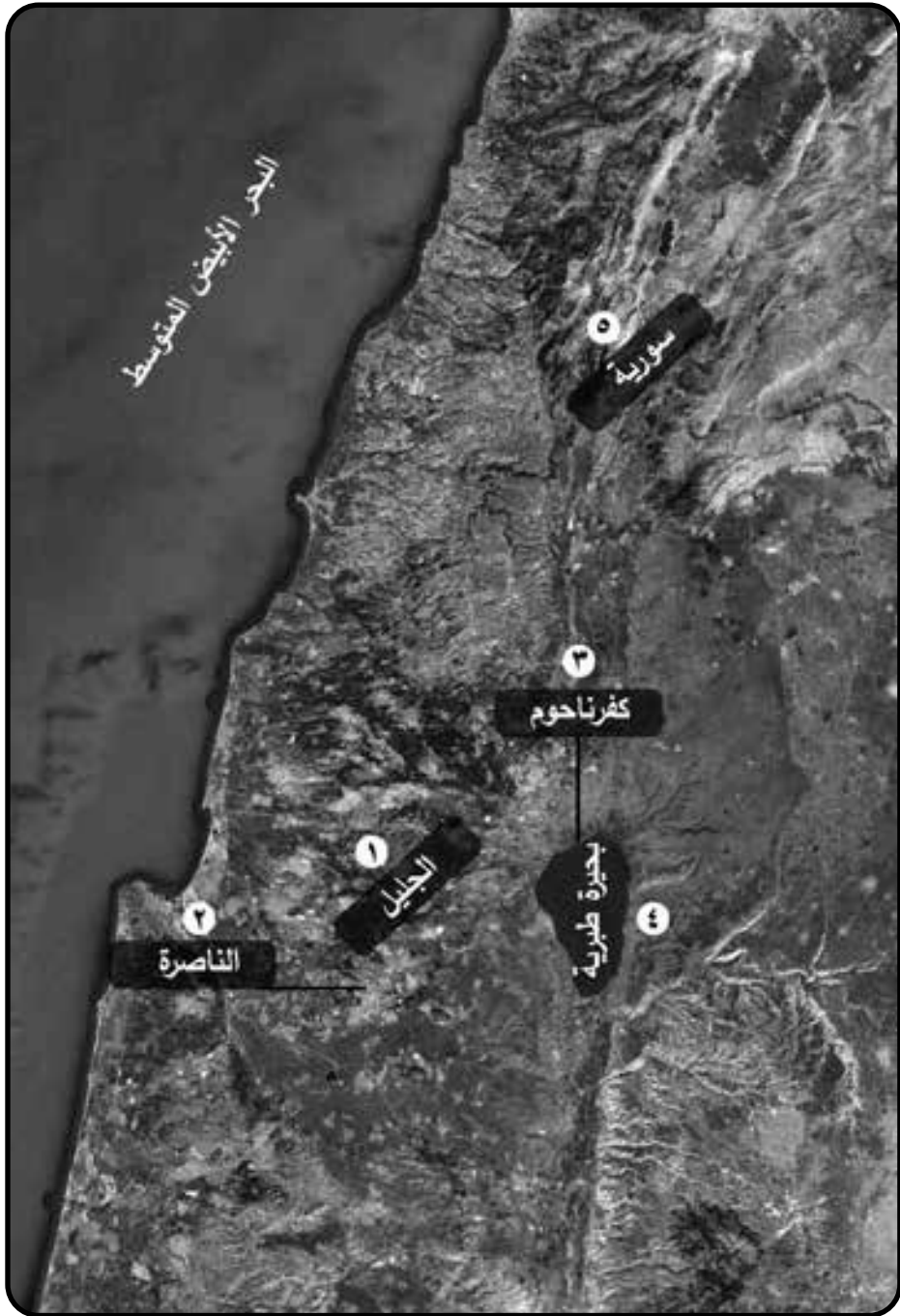
○ عندما سمع خبر اعتقال النبي يحيى (يوحنا المعمدان)، ترك يسوع مدينة الناصرة (٢)، وانتقل للسكن في (كفرناحوم) (٣) الواقعة على شاطئ بحيرة طبرية. «متى ٤ / ١٢-١٣»

○ نشط المسيح في الدعوة مجدداً عند انتقاله إلى كفرناحوم، فأتبعه سمعان (بطرس) وأخوه أندراوس، بالإضافة إلى يعقوب ويوحنا ابني زبدي. «متى ٤ / ١٧-٢٢»

○ وسرعان ما عاد المسيح للتنقل في أرجاء الجليل للدعوة وإبراء المرضى. «متى ٤ / ٢٣»

○ تحققت على يدي يسوع المسيح آيةٌ صيد السمك الكثير، وذلك في بحيرة طبرية (٤). «لوقا ٥ / ١-١٠»

○ في كل سورية (٥)، انتشر خبر قدرة يسوع على إبراء المرضى، فوفد المرضى والمصروعون والمفلوجون والمجانين وغيرهم من المرضى عليه طلباً للشفاء على يديه. «متى ٤ / ٢٤»



○ أمام الألوفا ممن تبعوه، صعد المسيح الجبل القريب من كفرناحوم والذي بات يُعرف لاحقاً باسم (جبل التطويبات) (١)، فقدّم الموعظة الشهيرة بعنوان (موعظة الجبل). «متى ٥ / ١-٢». وقد أقيمت على هذا الجبل لاحقاً (كنيسة التطويبات).

○ عاد المسيح بعدها إلى كفرناحوم (٢)، وجرى على يديه إبراء المزيد من المرضى، ثم صعد على متن سفينة في بحيرة طبرية (٣)، فإذا بعاصفة شديدة كادت أن تحطمها، ولكن المسيح قام بتهديتها بصورة معجزة. «متى ٨ / ١٥-٢٦»

○ عند نزول المسيح من السفينة ووصوله إلى منطقة جدرة (تُعرف اليوم باسم أم قيس) (٤) أخرج شياطين من جسد رجلين، فدخلت الشياطين في الخنازير، فانتحرت بإلقاء نفسها في الماء من مكان مرتفع، مما أغضب أهل البلدة حسرةً على خنازيرهم، ومنعوا المسيح من دخول بلدتهم. «متى ٨ / ٢٨-٣٤»

○ عاد المسيح بالسفينة إلى كفرناحوم، وبرئ على يديه عددٌ من المرضى، واتّبعه جابي الضرائب (متّى) وأصبح من تلاميذه (الحواريين). وقد جرت حوارات متعددة بين المسيح وتلاميذه من جهة، وبينه وبين بعض الكتبة اليهود والفريسيين المعاندين من جهة أخرى. «متى ٩ / ١-٣٤»

○ تنقّل المسيح في المدن والقرى المختلفة في الجليل (٥)، وقام بالتعليم والإرشاد في مجامعها. «متى ٩ / ٣٥»



○ أمر المسيح - في كفرناحوم (١) - حواريه بالانتشار في البلدات المختلفة (٢) ، بغرض نشر الرسالة، ومساعدة المحتاجين، وأعطاهم من قدراته الخارقة، وأوصاهم بوصايا عديدة. «متى ١٠ / ١-٤٢»

○ كانت ردّة فعل المتشددّين اليهود عنيفة أحياناً ضدّ المسيح، وعقد بعضهم اجتماعاً لقتله، مما دفعه إلى المبادرة بالخروج من كفرناحوم. مجدداً تحققت آية إبراء المرضى، مما دفع أعداداً ضخمة لاتباعه، بينما اتّهمه اليهود بخدمة إبليس. «متى ١٢ / ٩-٣٧»

○ في نفس ذلك اليوم، وعند شاطئ بحيرة طبرية (٣) ، ركب المسيح سفينة والناس يتطلّعون إليه وهم على الشاطئ، فأوصاهم بوصايا عديدة. «متى ١٣ / ١-٥٢»

○ اتّجه المسيح بعد ذلك نحو الناصرة (٤) ، فوعظ في مجمع اليهود. «متى ١٣ / ٥٤-٥٨»

○ إعدام النبي يحيى (يوحنا المعمدان) بأمر من الملك هيرودس أنتيباس. تم ذلك في قلعة (مكاور) (٥). «متى ١٤ / ٣-١٢»

○ بلوغ نبأ إعدام يحيى (١) ، فركب يسوع السفينة متجهاً إلى موضع خلاء منفرداً، لكن جموعاً تبعوه سيراً على الأقدام بموازاة الشاطئ، فنزل، وشافى مرضاهم. وفي المساء، تحققت على يديه آية الإطعام لأكثر من خمسة آلاف فرد من خمسة أرغفة وسمكتين فقط، كما وتبقى من تلك المائدة ما ملأ ١٢ قفّة. «متى ١٤ / ١٣-٢١»



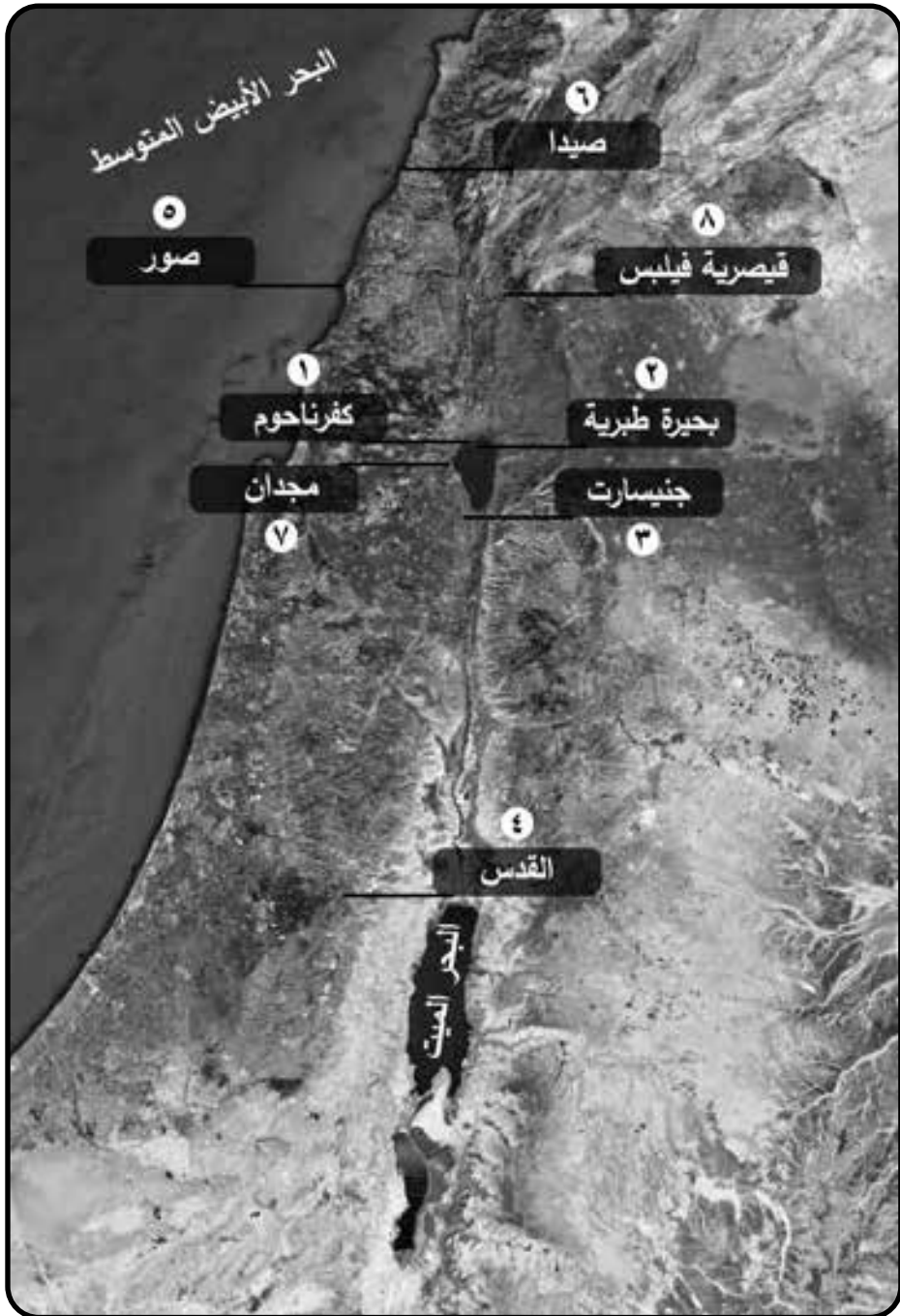
○ في تلك الليلة، طلب المسيح من تلاميذه المغادرة بالسفينة، وانفرد للعبادة في الجبل (١)، وسرعان ما عاندت الرياح السفينة (٢)، فإذا بيسوع يسير على الماء ويصل إليها. حاول سمعان بطرس تقليد المسيح، ولكنه فشل لضعف إيمانه به. وحيث حلَّ يسوع في السفينة، سكنت الرياح. «متى ١٤ / ٢٢-٣١»

○ سافر المسيح بعدها إلى أرض جنيسارت (٣) وإبراً فيها المرضى. «متى ١٤ / ٣٤-٣٦». والتقى بوفدٍ من الكتبة والفريسيين القادمين من أورشليم/القدس (٤) ولكن اللقاء لم يحقق أية نتيجة. خرج يسوع لاحقاً إلى نواحي صور (٥) وصيدا (٦). «متى ١٥ / ١-٢٨»

○ مع عودة المسيح إلى جانب بحيرة طبرية، صعد الجبل (١)، والتحقت جموع من الناس به، فشافى مرضاهم، وأطعم أكثر من أربعة آلاف فرد من سبعة أرغفة وقليل من صغار السمك. «متى ١٥ / ٢٩-٣٨»

○ سافر يسوع من جديد إلى نواحي مجدان (٧). «متى ١٥ / ٣٩»، فالتقى به وفدٌ من الفريسيين والصدوقيين، وطلبوا منه آية من السماء، فوبّخهم بشدة. «متى ١٦ / ١-٤»

○ توجه يسوع بعدها إلى نواحي (قيصرية فيلبس) (٨)، واختار سمعان من بين الحواريين ولقبه ببطرس، ثم أوصاهم بضرورة التكتّم على شخصيته، وأخبرهم عن مصيره على يد الشيوخ ورؤساء الكهنة. «متى ١٦ / ١٤-٢١»

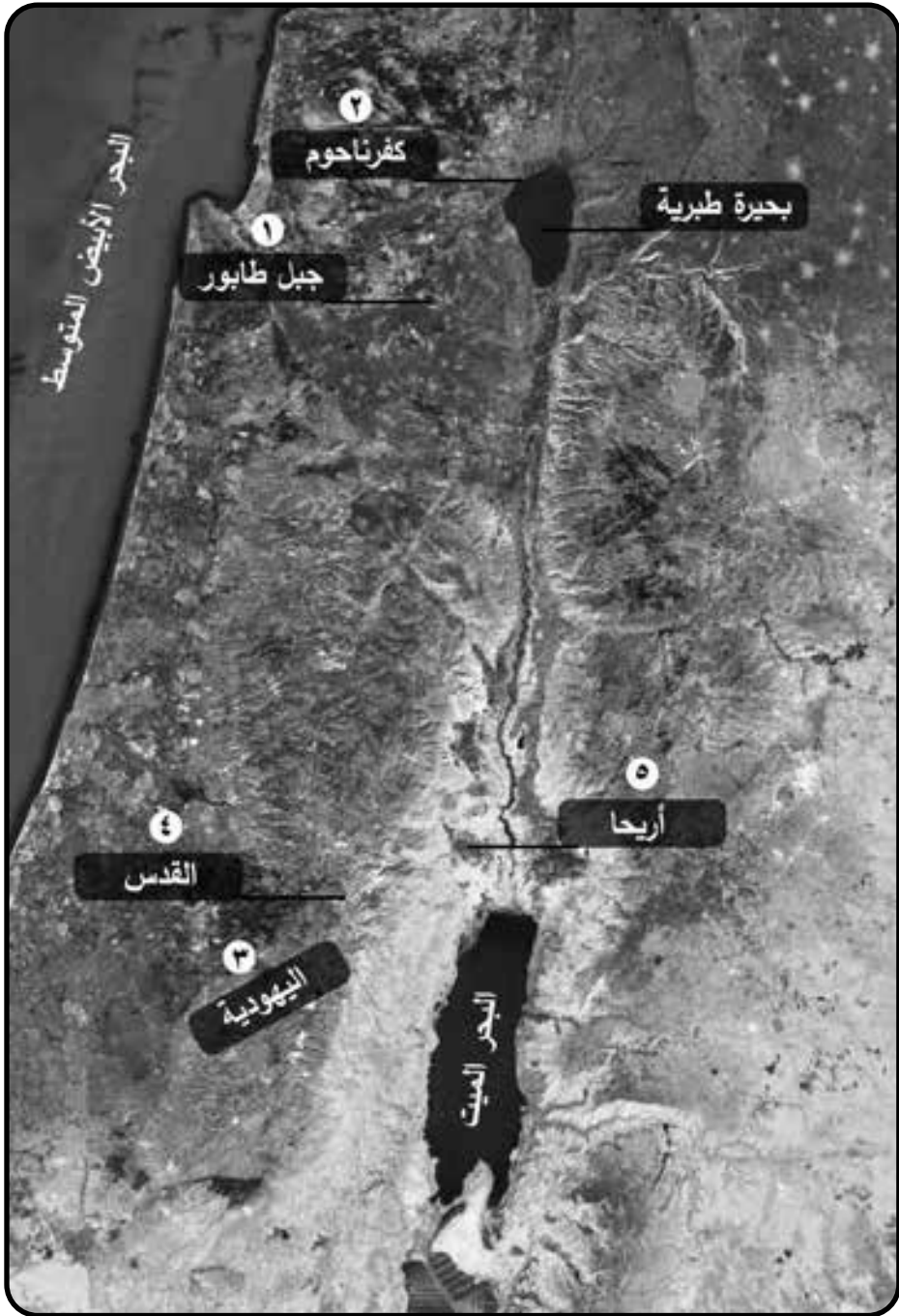


○ بعد ستة أيام، أخذ يسوع بطرس والأخوين يعقوب ويوحنا، وصعد بهم إلى جبل (طابور) (١)، فتغيرت هيئته إلى النورانية، وظهر لهم النبيان موسى وإيليا وتكلّمَا مع المسيح، ثم ظهرت سحابة نيرة وسمعوا صوتاً صادراً من السحابة يقول: (هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا). «متى ١٧ / ١-٥»

○ عاد يسوع إلى كفرناحوم (٢)، وعيّن سبعين من المؤمنين برسالته للقيام بالدعوة في المناطق المختلفة، فانطلق كل اثنين اثنين في جهة، وأعطاهم من قدراته الخارقة ما يدعمون به دعوتهم، وأوصاهم بوصايا عديدة. «لوقا ١٠ / ١-٢٤»

○ حاول بعض العمّال التابعين للكهنة اليهود في كفرناحوم إحراج المسيح بمطالبته بدفع ضريبة المعبد، فإنّ لم يدفع ظهر أمام الناس بصورة اللامبالي تجاه المعبد، وإن دفع أظهر نفسه كفرد من العامّة، وليس بالمسيح (الملك)، فأمر المسيح بطرس باصطياد سمكة حيث سيجد في فمها قيمة الضريبة! «متى ١٧ / ٢٤-٢٧»

○ توجّه يسوع بعد ذلك إلى تخوم اليهودية (٣)، فجرت على يديه آية الإبراء من جديد. «متى ١٩ / ١-٢» بينما عمل الفرّيسيون على اختبار معلوماته الشرعية. «متى ١٩ / ٣-١٥». وفي أورشليم (٤) قام يسوع بتذكير تلاميذه حول ما سيجري عليه. «متى ٢٠ / ١٧-١٩» ثم انتقل إلى أريحا (٥). وعند الخروج منها، في طريق العودة إلى أورشليم أبرأ أعميين. «متى ٢٠ / ٢٩-٣٤»



○ وفي الهيكل (١) قام المسيح بطرد المدنّسين لحرمة المكان بأعمال التجارة، وقلب موائد الصّرّافين وكراسي باعة الحمام فيه، ثم أبرأ أعمى وأعرج، الأمر الذي دفع الناس للتفاعل معه بصورة كبيرة، وهو ما أشعل غضب رؤساء الكهنة. «متى ٢١ / ١٢-١٥»

○ خرج يسوع بعد ذلك إلى بيت عنيا (العزيزية) (٢)، ثم عاد صباحاً إلى أورشليم/القدس (١)، وفي الطريق شعر المسيح بالجوع، وأمل في الحصول على ثمر التين من شجرة كانت هناك، وحيث وجدها بلا ثمر، قام بلعنها، فجفّت! «متى ٢١ / ١٧-٢٢»

○ وقف يسوع في الهيكل من جديد، وصار يعلم ويعظ، فاحتجّ عليه رؤساء الكهنة والشيوخ، وأرادوا به كيداً، ولكنهم خافوا من ردة فعل الناس. وحاول بعض الفريسيين الإيقاع به، بتوجيه سؤال ملغوم حول دفع الضريبة لقيصر، ولكنه التفت إلى مكرهم، وردّ كيدهم إلى نحورهم. «متى ٢١ / ١٥-٤٦»

○ وأثار عدد من الصدوقيين إشكالاً حول الاعتقاد بيوم القيامة، فردّ عليهم وأفحمهم، وعاد بعض الفريسيين لاختبار علمه بالناموس (الشرعية)، فانتصر عليهم. «متى ٢٢ / ٣٣٤-٤٦»

○ وقف المسيح عند الهيكل وخاطب عامّة الناس، وهاجم الكتبة والفريسيين وكشف نفاقهم وجشعهم. «متى ٢٣ / ١-٣٩». ثم خرج يُخبر الجموع عما سيقع على الهيكل من تدمير في المستقبل القريب. «متى ٢٤ / ١-٢»



○ قبل يومين من الخيانة لتسليمه، وعلى جبل الزيتون (١)، أخبر المسيح الحواريين عن بعض الأحداث المستقبلية والشدائد النازلة، وعن يوم القيامة. «متى ٢٤ / ٣-٥١» و «متى ٢٥ / ١-٤٦»

○ أما رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ بني إسرائيل فقد كانوا يتآمرون في بيت رئيس الكهنة (قيافا) الواقع على جبل صهيون (٢)، واتفقوا على قتل يسوع بعد الفصح، خوفاً من ردّة فعل الناس المتجمّعين في القدس بمناسبة العيد، سواء المتعاطفين معه منهم أو المؤمنين به. «متى ٢٦ / ٣-٥»

○ وذهب يهوذا الإسخريوطي (من الحواريين) إلى رؤساء الكهنة (٢)، فعرض عليهم تسليم يسوع بمقابل مادي، وتلقّى ثلاثين قطعة فضية مقابل خيانتة! «متى ٢٦ / ١٤-١٥»

○ مساء أول يوم من عيد الفصح، وفي المكان الذي يُعرّف باسم (عليّة صهيون) (٣)، وبينما كان يأكل معه تلاميذه وجبة العشاء، صار المسيح يُخبر عن الخيانة المرتقبة، وأنه سيعود إلى الحياة بعد قتله، وسيسبقهم إلى الجليل ليلتقوا به فيها! «متى ٢٦ / ٢٠-٢٥»

○ ثم خرج المسيح إلى جبل الزيتون (١) برفقة الحواريين، ومنها إلى ضيعة (جشيمان) (٤)، حيث اصطحب معه بطرس وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب، وصلى وناجى الله. «متى ٢٦ / ٣٦-٣٩»



○ في ذلك الموضع (١)، قدم جمعٌ كبير من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب حاملين السيوف والعصي بغرض اعتقال يسوع، وحيث لم يستطع المهاجمون تحديد شخص المسيح، قال لهم يهوذا الإسخريوطي: (الذي أقبله هو هو. أمسكوه). «متى ٢٦ / ٤٧-٤٨»

○ ألقى القبض على المسيح، وحاول بعض الحواريين المقاومة، فنهزم إبقاءً عليهم، ووبّخ المهاجمين لعدم جرأتهم على اعتقاله علناً أمام الناس حال كونه في الهيكل. «متى ٢٦ / ٥٠-٥٦»

○ اقتيد المسيح إلى كبير كهنة اليهود (قيافا) (٢)، حيث اجتمع عنده الكتبة والشيوخ، بينما تسلّل الحواري سمعان بطرس لمراقبة ما سيحدث. وهناك، أقيمت شهادتا زور بادّعاء أن المسيح قال: «إني أقدر أن أنقض هيكل الله، وفي ثلاثة أيام أبنيه». «متى ٢٦ / ٥٧-٦٣»

○ أصدر قيافا حكم الإعدام بحق المسيح لأنه صرّح في كلامه أنه (ابن الله)، وتحامل الحضور على يسوع، فوجّهوا إليه الإهانات، بصقاً ولكماً ولطماً، واستهزأوا به لعجزه عن ردّ أذاهم وإساءاتهم. «متى ٢٦ / ٦٢-٦٨»

○ وفي الصباح، تم تسليم يسوع إلى الوالي الروماني (بيلاطس البنطي) (٣)، بينما ندم يهوذا على جريمته، وأرجع المال إلى رؤساء الكهنة، ثم شنق نفسه. وقام بيلاطس باستجواب المسيح الذي اختار الصمت، فصدر الأمر بجلده وصلبه. «متى ٢٧ / ١-١٤»



○ ألبس جنود القصر (١) المسيح رداءً قرمزيًا (كالمُلوِك) ووضعوا على رأسه إكليلًا من الشوك (كالتاج)، ووضعوا بيده قِصبة (كالصولجان)، وحيّوه بقولهم: «السلام يا ملك اليهود!». ثم وجّهوا إليه الإهانات وضربوه بالقِصبة على رأسه. «متى ٢٧ / ٢٧-٣٠»

○ صُلب المسيح في الموضع المعروف بـ (جلجثة) والواقع حاليًا داخل (كنيسة القيامة) (٢)، وتم اقتسام ثيابه، وُصلب لَصان إلى جانبه. وحيث كان الناس ورؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ يمرّون على المسيح، صاروا يكيلون إليه الشتائم ويهزأون به. «متى ٢٧ / ٣٥-٤٤»

○ عمّ الظلام الأرض كلها لعدة ساعات، والمسيح يصرخ بصوت عظيم: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟»، وحاول رجل أن يسقي المسيح قليلًا من الخل بإسفنجة وضعها على رأس حربة، فطلب منه الناس أن يمتنع عن ذلك. صرخ المسيح بصوت عظيم، وأسلم الروح. «متى ٢٧ / ٤٥-٥٠»

○ انشقّ حجاب الهيكل (٣) إلى قسمين، وتزلزلت الأرض، وتشقّقت الصخور، وانفتحت القبور، وقام كثير من القديسين الراقدين في القبور، فدخلوا أورشليم، وظهروا لكثيرين. «متى ٢٧ / ٥١-٥٤»

○ سلّم بيلاطس جثمان المسيح، فدُفن في مغارة، وهي تقع الآن داخل (كنيسة القيامة) (٢)، وأمر بدحرجة حجر كبير على الباب، وختمه، وإقامة الحراسة عليه لضمان بقاء الجثمان فيه «متى ٢٧ / ٥٧-٦٦»



○ عند فجر يوم الأحد، نزل ملك مصحوباً بزلزال عظيم، فدحرج الحجر الذي يُغلق باب المغارة التي تقع الآن داخل (كنيسة القيامة) في القدس (١)، فصُعق الحراس. «متى ٢٨ / ١-٤»

○ أخبر الملك امرأتين جاءتا لزيارة مرقد المسيح أنه خرج من المغارة، وطلب منهما التأكد من ذلك، وأن يُبلغا الحواريين بما جرى. «متى ٢٨ / ٥-٨». وإذا تأكدن من ذلك بأنفسهن، احترن، فإذا رجعن بثياب براقية يخبرونهن بأن المسيح حي «لوقا ٢٤ / ١-٦»

○ وفي الطريق، ظهر المسيح بنفسه للمرأتين وسلّم عليهما، وطلب منهما إخبار التلاميذ أن يلتقوه في الجليل. «متى ٢٨ / ٩-١٠»

○ انتشر خبر اختفاء جثمان المسيح عن طريق حراس القبر، فقام رؤساء الكهنة برشوتهم ليشهدوا زوراً أن الجثمان سُرق من قبل الحواريين ليلاً. «متى ٢٨ / ١١-١٥»

○ التقى الحواريون بالمسيح في الجليل على الجبل حيث الاتفاق، ولم تحدد الأنجيل أي جبل هذا، هل هو جبل طابور (٢) أم عند كفرناحوم (٣) أم جبل آخر من جبال الجليل. وقد كان بعض الحواريين في حالة شك من عودة المسيح إلى الحياة، ولكنه برهن لهم صحة ما يرون، وطلب منهم الانطلاق في الآفاق للدعوة. «متى ٢٨ / ١٦-٢٠». وفي رواية لوقا أنه التقى بهم في بيت عنيا (العيزرية شرق القدس) (٤)، ورفع يديه وباركهم، ثم انفرد عنهم وأصعد إلى السماء. «لوقا ٢٤ / ٥٠-٥٢»

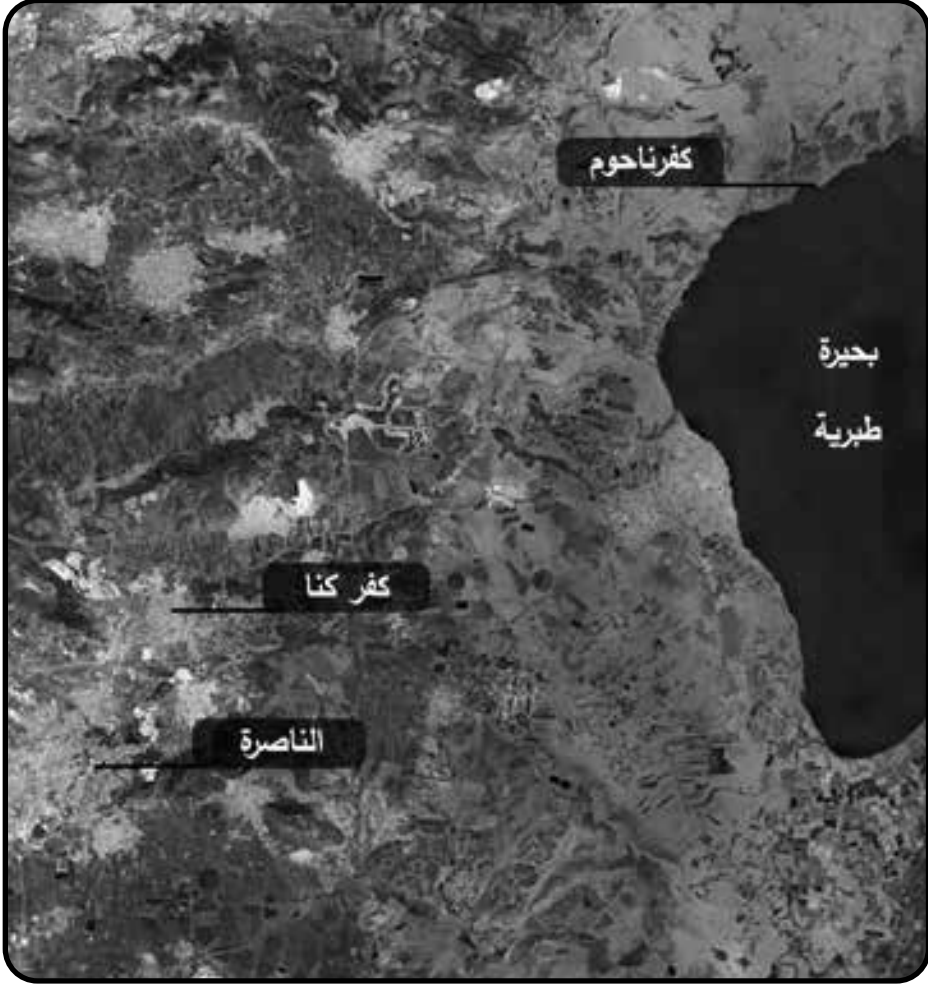


أما برواية يوحنا للإنجيل، فإن مسار الأحداث كان مختلفاً عما استعرضناه، إذ تبدأ الأحداث في (المغطس) ضمن قصة تعميد يحيى للمسيح، حيث يظهر (أندراوس) كأول المؤمنين برسالة المسيح ودعوته، وذلك بإرشاد وهداية من النبي يحيى نفسه. وبدوره قام أندراوس بجلب أخيه سمعان ليؤمن بدوره بالمسيح. وفي الغد، آمن به (فيلبس) القادم من صيدا، ثم (نثنائيل)، وذلك بإرشاد من فيلبس. (يوحنا ١ / ٢٨-٤٩).

ثم تتحدث الرواية عن انتقال المسيح إلى قانا الجليل التي تُعرف باسم (كفر كنا) والواقعة شمال شرق بلدة الناصرة، حيث جرت على يديه أول آية (معجزة)، حيث انقلب الماء خمرًا (يوحنا ٢ / ١-١١).

ثم انتقل يسوع إلى كفرناحوم، هو وأمه وإخوته وتلاميذه، وأقاموا هناك أياماً ليست كثيرة. وكان عيد الفصح اليهودي قريباً، فتوجه بدوره إلى أورشليم/القدس، ووجد أن التجار والناس قد حولوا الهيكل إلى سوق لبيع البقر والأغنام والحمام وصرف الأموال، فصنع سوطاً من حبال، وطرده الجميع من الهيكل، وكبّ دراهم الصرافين وقلب مواثدّهم، وقال لباعة الحمام المخصص للقربان: «ارفعوا هذه من هنا! لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة!». (يوحنا ٢ / ١٢-١٦).

وذكر يوحنا تفاصيل وحوادث ووصايا عديدة للمسيح الذي قرّر العودة إلى أورشليم/القدس مجدداً، حيث وجد في الهيكل امرأة زانية يُراد رجمها، ولما سأله عن رأيه ليُجرّبوا معرفته بالأحكام أجابهم: (من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر) فخرجوا محرّجين، وأطلق المسيح سراحها طالباً منها أن لا ترتكب خطيئة مجدداً. (يوحنا ٨ / ١-١١).



وفي بيت عنيا (العيزرية) القريبة من أورشليم/القدس، أحيا المسيح (ألعازر) بعد أربعة أيام من دفنه، فكان ذلك سبباً لإيمان الكثيرين به. (يوحنا ١١ / ٤٥-١). على إثر ذلك، عقد كبار شخصيات اليهود اجتماعاً في بيت كبير الكهنة يوسف قيافا، وتكلموا عن تأثير المسيح على الناس وعن آياته (معاجزه)، (فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقْتلوه) (يوحنا ١١ / ٤٦-٥٣).

وحين صُلب المسيح بمعيّة اللصين، طلب اليهود من بيلاطس أن تُكسّر سيقان المصلوبين حتى لا يبقوا على قيد الحياة، فاليوم القادم هو يوم السبت، ولا يجوز لهم العمل فيه، ولذا فهم يريدون الانتهاء من الأمر في يوم الجمعة!

نقذ الجنود المقترح، ولكنهم لما وصلوا ليسوع المصلوب وجدوه قد مات، فقام أحد الجنود بطعن المسيح في جنبه بحربة ليطمئن لموته، فسال الدم والماء من الجرح فوراً. (يوحنا ١٩ / ٣١-٣٤).

وبعد دفن المسيح في المغارة، زارت مريم المجدلية القبر، فتفاجأت بأن المغارة مفتوحة، وأن المسيح ليس بداخلها، ففادرت المكان وأخبرت سمعان بذلك، وفي طريق عودتها ظهر لها ملكان فكلمّاها، ثم ظهر المسيح بنفسه فكلمها (يوحنا ٢٠ / ١-١٧).

وبعد اجتماعه بتلاميذه (الحواريين) عشية اليوم الذي خرج فيه من القبر، التقى المسيح بهم مرة أخرى بعد ثمانية أيام، وتكلم معهم، وبعضهم ما زال في شك من أمره (يوحنا ٢٠ / ١٩-٣١)، ثم التقاهم ثالثة عند بحيرة طبرية وتكلم معهم مرة أخرى (يوحنا ٢١ / ١).

• كهولة المسيح:

إن كل ما سبق من تفاصيل ترتبط بسيرة المسيح -على ما جاءت في الأناجيل- دامت أحداثها ما بين سنة إلى ثلاث سنوات على أقصى تقدير، وهذه هي مدة رسالته ودعوته، وإذا أضفنا إلى ذلك أنه بدأها وهو في الثلاثين بحسب الرواية الإنجيلية أيضاً، فهذا يعني أنه لم يعيش بين الناس أكثر من ٣٣ سنة.

ولكن بين أيدينا قوله «تعالى»: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١)، وقوله «تعالى»: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾^(٢)، فهل يتوافق عنوان الكهولة -وهي مرحلة ما بين الشباب والشيخوخة- مع حدث الرفع المتفق على وقوعه بحسب النص القرآن والإنجيلي حيث يقول «تعالى»: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٣)؟

ذكر العلامة الطباطبائي أنَّ الكهل من الكهولة، وهو ما بين الشباب والشيخوخة، وهو ما يكون الإنسان فيه رجلاً تاماً قوياً، ولذا قيل: (الكل من وخطه الشيب) أي خالطه^(٤).

بينما ذكر ابن عاشور في تفسيره أنَّ الكهل من دخل في عشرة الأربعين، وهو الذي فارق عصر الشباب... وقد كان عيسى «عليه السلام» حيث بُعث ابن نيف وثلاثين^(٥).

١. آل عمران: ٤٥-٤٦.

٢. المائدة: ١١٠.

٣. النساء: ١٥٧-١٥٨.

٤. الطباطبائي: الميزان، ج ٣، ص ١٩٥.

٥. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٩٧.

فكيف نوفّق بين الخبر الإنجيلي، وبين ما جاء في القرآن من أنه سيبلغ الكهولة، والتعارض بينهما واضح؟

هناك عدة احتمالات لرفع هذا التعارض:

١. المسيح لم يمكث في الأرض ما يبلغ به سن الكهولة، ولذا فإنّ ما ورد في الآيتين من أنه يكلم الناس كهلاً هو بمثابة الإخبار الغيبي عن أمرٍ سيّقع في المستقبل، وذلك حين يأمره الله «تعالى» بأن يعود إلى الأرض في آخر الزمان ليُكمل ما بدأ به، وهذا ما ذهب إليه سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وغيرهما (أنه «عليه السلام» رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وأنه سينزل إلى الأرض ويبقى حياً فيها أربعاً وعشرين سنة» كما رواه ابن جرير بسند صحيح عن كعب الأحبار، ويؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد في الآية قال: قد كلّمهم عيسى في المهدي وسيكلّمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذٍ كهل^(١)).

٢. أخطأت الأناجيل في تحديد عمر المسيح حين رُفع، والمفترض أن يكون قد بلغ نحواً من أربع وستين سنة.

٣. قيل إن الكهل - بخلاف ما هو شائع - يُطلق على مَنْ بلغ أربعاً وثلاثين، والمسيح قد قارب هذا السن حين رُفع^(٢).

ولعل الحل يكمن في تصحيح سنة ولادة المسيح، حيث كانت قبل وفاة هيرودس الأكبر، وهو ما سيضيف بضعة سنوات إلى الرقم ٣٣، ليكون قد (دخل في عشرة الأربعين) كما جاء في معنى الكهولة.

١. الألوسي: روح المعاني، ج ٢، ص ١٥٧.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ٢، ص ١٩٥.

آيات السيد المسيح

آيات السيد المسيح

ذكرت في كتابي (في عمق التاريخ) أن المصطلح القرآني للخوارق التي يأتي بها الأنبياء «عليهم السلام» هو عنوان (الآية) لا (المعجزة)، وأن الآية -لغويًا- هي العلامة والإمارة الظاهرة التي تدلّ على شيء ما وتستدعي التثبّت والتوقف عندها. وهي مشتقة من «التأَيُّي». قال ابن منظور: (يُقال: قد تَأَيَّيْتُ، أي: تَلَبَّثْتُ وَتَحَسَّبْتُ)^(١).

ومن هنا أطلق الله «عز وجل» على المقاطع التي تتشكّل منها السور القرآنية عنوان «آيات»، لأنها علامات ودلائل ظاهرة تدل على سماويّتها وصحّة نبوّة محمد «صلى الله عليه وآله»، ولأنّ ما فيها من مضامين إيمانية وتشريعية وأخلاقية وحكّمية، تستدعي النظر والتثبّت والتوقف عندها والاستفادة منها. واستعمال كلمة «آية» بشأن ما نُطْلِق عليه عنوان «المعجزة» أوفق بالغاية منها. فالغاية الرئيسة والأهم عند الله هي هداية الناس وإرشادهم وإخراجهم من

١. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٤، ص ٦٣.

غفلتهم، وفتح أعينهم على الحقائق، لا التعجيز والتغلب والقهر والدخول في حالة تحدٍّ مع عباده وهو القوي العزيز، وإن تحقق ذلك أيضاً في بعض الأحيان بسبب العناد والطغيان والجحود.

ومن المفترض بنا أن نعيد الاعتماد على المصطلحات القرآنية، لأن لهجرانها واستبدالها بمصطلحات أخرى آثار سلبية متعددة، من بينها خفاء أو ضياع بعض المفاهيم المهمة المرتبطة بالمصطلح، كالذي نحن فيه، مما يؤدي أيضاً إلى خلل عند التطبيق بإدخال أو إخراج بعض الأحداث التي لا ندري أن نجعلها من بينها أم نخرجها منها. ومن مميزات الآيات «= المعاجز» الإلهية بحسب القرآن الكريم أنها:

(أ) تفوق قدرات البشر: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(١).

(ب) واضحة لا لبس فيها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾^(٢).

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

(ج) إثبات مصداقية النبي: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ،

١. الإسراء: ٨٨.

٢. الإسراء: ١٠١.

٣. يونس: ١٥.

حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١﴾.

(د) إنقاذ صاحبها: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ ﴿٢﴾.

﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ، فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاِنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ، وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ، وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣﴾.

(هـ) تحدي بغرض الهداية: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ، أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ، قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ، أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ، أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ ﴿٤﴾.

(و) تخويف وصدمة بغرض الهداية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ ﴿٥﴾.

١. الأعراف: ١٠٤-١٠٨.

٢. الأنبياء: ٦٨-٧٠.

٣. الشعراء: ٦١-٦٧.

٤. الطور: ٢٩-٣٤.

٥. الإسراء: ٥٩.

بعد هذه المقدمة نستعرض آيات المسيح عيسى ابن مريم «عليه السلام» المذكورة في القرآن الكريم كالتالي:

• الحمل به وولادته من دون أب:

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾^(٢).

وقد مررنا بالبحث حول هذه المسألة ضمن الكلام عن ولادته.

• كلامه وهو في المهد:

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾^(٤).

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُرْفَعُ﴾

١. آل عمران: ٤٧.

٢. مريم: ١٩-٢١.

٣. آل عمران: ٤٦.

٤. المائدة: ١١٠.

أُبْعَثُ حَيًّا، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ»^(١).

وقد مررنا البحث أيضاً حول هذه المسألة ضمن الكلام عن ولادته.

• ينفخ في الطين فيصبح الجمار طيراً:

«وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ»^(٢).

«إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي»^(٣).

على الرغم من أن (العهد الجديد) من الكتاب المقدس تحدث عن آيات (معجزات) المسيح «عليه السلام»، إلا أنه لم يذكر هذه الآية من بينها، وهو ما دفع ببعض رجال الدين المسيحيين للطعن في صحة ما جاء في القرآن الكريم. ولكننا نجد في (إنجيل الطفولة لتوما)^(٤) وهو من الكتب غير المعترف بها من قبل الكنيسة، ما يدل على حصول شيء من هذا القبيل: (لما كان للصبي يسوع خمس سنوات، كان يلعب عند مخاضة جدول، وكان يجمع المياه الجارية في أحواض، ويجعلها مباشرة طاهرة. كان يفعل هذه الأشياء بمجرد نطق كلمة منه. ثم صنع شيئاً من الطين الناعم بعد ذلك، وشكل منه اثني عشر عصفوراً، وقد كان ذلك منه يوم السبت. كان عدد من الصبيان الآخرين

١. مريم: ٢٩-٣٤.

٢. آل عمران: ٤٩.

٣. المائدة: ١١٠.

٤. هذا الكتاب يختلف عن كتاب إنجيل توما فهو مخصص لقصص طفولة المسيح.

أيضاً يلعبون معه، لكنّ أحد اليهود رأى ما فعل يسوع يوم السبت لما كان يلعب؛ فغادر مباشرة، ونقل ذلك إلى أبيه، يوسف، قائلاً له: «انظر، ابنك عند الجدول قد أخذ طيناً وشكّل منه اثني عشر عصفوراً. لقد دنّس يوم السبت». لما جاء يوسف إلى المكان ورأى ما وقع، ناداه صارخاً: «لم تفعل ما هو محرّم في السبت؟» فصقّ يسوع وصاح في العسافير: «اذهبي!»؛ فطارت العسافير ومضت مغرّدة. لما رأى اليهود هذا الأمر، أصيبوا بالذهول، وانصرفوا وأخبروا قاداتهم بما رأوا يسوع يفعله^(١).

والقرآن الكريم وإن لم يُشر إلى أن هذا الأمر تمّ في عهد طفولة المسيح «عليه السلام»، إلا أنّ هذا الأمر محتملٌ في نفسه، ولكن قد يُضعفه ارتباط الحدث بالرسالة - وبصيغة الفعل المضارع - حيث قال «تعالى»: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ....﴾^(٢).

وحيث غابت هذه الحادثة عن الأناجيل المعتمدة في العهد الجديد، لذا نجدها غائبة عن قائمة الآيات (المعاجز) الخاصة بيسوع «عليه السلام» كما سنقرأ فيها لاحقاً.

ونجد الطبري في تفسيره يروي لنا الحادثة بالسند عن ابن إسحاق، ولا نعلم من أين جاء بها، ويبدو أنه أخذها عن بعض النصارى أو مصادرهم مع شيء من التغيير: (أنّ عيسى «صلوات الله عليه» جلس يوماً مع غلمان من الكتاب،

1. Bart Ehrman, Lost Scriptures, books that did not make it into the New Testament, New York: Oxford University Press, 2003, p.58

فأخذ طيناً، ثم قال: أجعل لكم من هذا الطين طائراً؟ قالوا: وتستطيع ذلك! قال: نعم! بإذن ربي. ثم هيأه، حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه، ثم قال: «كن طائراً بإذن الله»، فخرج يطيرُ بين كفيه. فخرج الغلمان بذلك من أمره، فذكروه لمعلمهم، فأفشوه في الناس. وترعرع، فهَمَّت به بنو إسرائيل، فلما خافت أمه عليه حملته على حُمير لها، ثم خرجت به هاربة^(١).

• إبراء الأكمه والأبرص:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ... وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾^(٢).

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾^(٣).

الأكمه: الأعمى الذي لا يبصر شيئاً ليلًا ولا نهاراً، أو هو الذي يولد مطموس العين، فتكون الأجفان مغلقة والعين لا تبصر. وقد وردت نصوص كثيرة في العهد الجديد تشير إلى أن يسوع «عليه السلام» كان يشفي المرضى، جماعات وفرادى، وأن من بينهم من كانوا عمياً وبرصاً، وأن البشارة بظهوره على لسان الأنبياء من قبله تضمّنت هذه العلامة. وهذه نماذج من تلك النصوص:

١. في إنجيل متى: (وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ) بلدة كفر ناحوم في الجليل على الشاطئ الشمالي الغربي لبحيرة طبرية حيث انتقل إليها المسيح

١. الطبري: جامع البيان، ج ٢، ص ٣٧٥.

٢. آل عمران: ٤٩.

٣. المائدة: ١١٠.

وسكن فيها (تَبِعَهُ أَعْمَيَانِ يَصْرَخَانِ وَيَقُولَانِ: «ارْحَمْنَا يَا ابْنَ دَاوُدَ»). وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْأَعْمَيَانِ، فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «أَتُؤْمِنَانِ أَنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ هَذَا؟» قَالَا لَهُ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ!». حِينَئِذٍ لَمَسَ أَعْيُنَهُمَا قَائِلًا: «بِحَسَبِ إِيْمَانِكُمَا لِيَكُنْ لَكُمَا». فَانْفَتَحَتَا أَعْيُنُهُمَا. فَانْتَهَرَهُمَا يَسُوعُ قَائِلًا: «انْظُرَا، لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ، وَلَكِنَّهُمَا خَرَجَا وَأَشَاعَاهُ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ كُلِّهَا»^(١).

والحادثة التالية تتناسب مع تفسير بعض المفسرين لكلمة (الأكمه) الواردة في القرآن الكريم، والتي تعني مطموس العينين منذ الولادة، ونشهد فيها الإصرار العجيب من اليهود على إنكار آية الإبراء على الرغم من شهادتها بأنفسهم، بل والتحجج بأن الإبراء وقع يوم سبت، ولا يجوز في السبت عمل شيء من أمور الدنيا!

في إنجيل يوحنا: (وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَانًا أَعْمَى مُنْذُ وَلَادَتِهِ، فَسَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟») وهذا سؤال ما زال يُطرح من البعض حيث يقولون: كيف يعاقب الله هذا الطفل فيجعله أعمى وهو لم يُختبر بعد، وإن كان قد وُلِدَ أعمى بجريرة والديه وعقوبة لهما، فما ذنب الطفل كي يكون هو الضحية؟ (أَجَابَ يَسُوعُ: «لَا هَذَا أَخْطَأَ وَلَا أَبَوَاهُ، لَكِنْ لِنُظْهَرِ أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ») أي هناك حكمة من وراء ذلك، وهي هنا تتمثل في أن أظهر لكم آية من الآيات من خلال إبصاره (يَتَّبِعِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ. مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ). قَالَ هَذَا وَتَقَلَّ عَلَى الْأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٢، ٢٧-٣١.

طِينًا وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيَّ الْأَعْمَى. وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ اغْتَسِلْ فِي بَرَكَةِ سِلْوَامٍ»
الَّذِي تَفْسِيرُهُ: مُرْسَلٌ، فَمَضَى وَاغْتَسَلَ وَأَتَى بَصِيرًا).

وعندما اكتشف الناس شفاء هذا الأعمى لم يصدقوا ذلك، فلو كان بصيرًا
في البدء ثم عمي، لكان احتمال شفائه قائمًا بعلاج ما، ولكن أن يكون مطموس
العينين منذ الولادة ثم يُبصر، فلا شك أن المسألة صعبة التصديق جدًا، ولا
تُفسَّر لو تمَّت على يد أحد إلا أن يكون ذلك آية من الله «سبحانه»... فهل
صدقوا برسالة ونبوة المسيح؟

قال يوحنا: (فَالْجِيرَانُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ قَبْلًا أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى، قَالُوا: «أَلَيْسَ
هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ وَيَسْتَعْطِي؟» آخَرُونَ قَالُوا: «هَذَا هُوَ». وَآخَرُونَ: «إِنَّهُ
يُشَبِّهُهُ». وَأَمَّا هُوَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنَا هُوَ». فَقَالُوا لَهُ: «كَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنَاكَ؟» أَجَابَ
ذَلِكَ وَقَالَ: «إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ يَسُوعُ صَنَعَ طِينًا وَطَلَى عَيْنَيَّ، وَقَالَ لِي: اذْهَبِ إِلَى
بَرَكَةِ سِلْوَامٍ وَاغْتَسِلْ. فَمَضَيْتُ وَاغْتَسَلْتُ فَأَبْصَرْتُ»).

فتساءل جيرانه عن مكان تواجد يسوع، فلم يملك جواباً، فأخذوه إلى يهود
من المذهب الفرّيسي -وكان يوم السبت- وعرضوا حالته عليهم فتعجبوا ثم
اتهموا المسيح بالعمل الشيطاني بدلاً من الإيمان به: («هَذَا الْإِنْسَانُ لَيْسَ مِنَ
اللَّهِ، لِأَنَّهُ لَا يَحْفَظُ السَّبْتَ». آخَرُونَ قَالُوا: «كَيْفَ يَقْدِرُ إِنْسَانٌ خَاطِئٌ) بلحاظ
تعدّيه على يوم السبت (أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ هَذِهِ الْآيَاتِ؟ وَكَانَ بَيْنَهُمْ انْشِقَاقٌ).

ثم سألوا الأعمى المبصر عن رأيه في يسوع: (فَقَالَ: «إِنَّهُ نَبِيٌّ!»). فَلَمْ يُصَدِّقِ
الْيَهُودُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى فَأَبْصَرَ حَتَّى دَعَوْا أَبَوِي الَّذِي أَبْصَرَ. فَسَأَلُوهُمَا
قَائِلِينَ: «أَهَذَا ابْنُكُمَا الَّذِي تَقُولَانِ إِنَّهُ وَلَدٌ أَعْمَى؟ فَكَيْفَ يُبْصِرُ الْآنَ؟» أَجَابَهُمَا

آيات السيد المسيح

أَبَوَاهُ وَقَالَ: «نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا ابْنُنَا، وَأَنَّهُ وَلَدَ أَعْمَى. وَأَمَّا كَيْفَ يَبْصُرُ الْآنَ فَلَا نَعْلَمُ. أَوْ مَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَلَا نَعْلَمُ. هُوَ كَامِلُ السَّنِّ. اسْأَلُوهُ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ نَفْسِهِ».

وهكذا ألقى الأبوان الكرة في ملعب ابنهما والسبب في ذلك: (لأنَّهُمَا كَانَا يَخَافَانِ مِنَ الْيَهُودِ، لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ تَعَاهَدُوا أَنَّهُ إِنْ اعْتَرَفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ يُخْرِجُ مِنَ الْمَجْمَعِ) ^(١).

لقد كان المتعصبون من اليهود مصرين على الإنكار مهما رأوا من الآيات، وهذا ما تكرر منهم لاحقاً حين طلبوا من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يأتي بآية ليصدقوا برسالته: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ فكان الجواب: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ^(٢).

ولذا قالوا أن من أبرأ الأكمه -وهو يسوع- لا يمكن أن يكون مرسلًا من قبل الله، فلو كان كذلك لانتظر يوماً آخر ليشفيه!

هذا المنطق الأعوج رده المسيح -بحسب رواية إنجيل متى بالصورة التالية: (فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: «هَلْ يَحِلُّ الْإِبْرَاءُ فِي السُّبُوتِ؟» لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ) أي ما كان سؤالهم بغرض التعلم بل إقامة الحجة عليه (فَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِّنْكُمْ يَكُونُ لَهُ خَرْوفٌ وَاحِدٌ، فَإِنْ سَقَطَ هَذَا فِي السَّبْتِ فِي حُفْرَةٍ، أَفَمَا يَمْسُكُهُ وَيَقِيمُهُ؟ فَالْإِنْسَانُ كَمْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْخَرْوفِ! إِذَا يَحِلُّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي السُّبُوتِ» ^(٣)).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٩، ١-٢٢.

٢. آل عمران: ١٨٣-١٨٤.

٣. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٢، ١٠.

هذا الفهم المعوج للشرعية عند اليهود نشهده عند بعض متديّني المسلمين أيضاً حين يتمسّكون ببعض الأحكام الشرعية السلوكية أو العبادية التي قد تتزاحم في ظرف ما مع مسائل شرعية أخرى - وقد تكون ذات بُعد إنساني مهم - فيقدّمونها، غافلين عن فقه الأولويات، وأن الشرعية جاءت لمصلحة الإنسان.

نعود مجدداً إلى رواية يوحنا للأحداث، إذ بدأ الفريسيون بالضغط على الأعمى المبصر: (فَدَعَوْا ثَانِيَةً الْإِنْسَانَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى، وَقَالُوا لَهُ: «أَعْطَ مَجْداً لِلَّهِ. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ خَاطِئٌ». فَأَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ: «أَخَاطِئُ هُوَ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. إِنَّمَا أَعْلَمُ شَيْئاً وَاحِداً: أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالْآنَ أَبْصِرُ». فَقَالُوا لَهُ أَيْضاً: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ؟ كَيْفَ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» أَجَابَهُمْ: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا. لِمَاذَا تَرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا أَيْضاً؟ أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَصِيرُوا لَهُ تَلَامِيذٌ؟ فَشَتَمُوهُ وَقَالُوا: «أَنْتَ تَلْمِيزُ ذَاكَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّا تَلَامِيذُ مُوسَى. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى كَلَّمَهُ اللَّهُ، وَأَمَّا هَذَا فَمَا نَعْلَمُ مِنْ آيِنَ هُوَ». أَجَابَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ فِي هَذَا عَجَباً! إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ آيِنَ هُوَ، وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيَّ. وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْمَعُ لِلْخَطَاةِ) أَيُّ لَوْ كَانَ يَسُوعُ مَذْنِباً لَمَا اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ (وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَفْعَلُ مَشِئَتَهُ، فَلِهَذَا يَسْمَعُ. مِنْذُ الدَّهْرِ لَمْ يَسْمَعْ أَنَّ أَحَدًا فَتَحَ عَيْنَيَّ مَوْلُودِ أَعْمَى. لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنَ اللَّهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً». أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «فِي الْخَطَايَا وَلِدْتَ أَنْتَ بِجَمَلَتِكَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُنَا!» فَأَخْرَجُوهُ خَارِجاً) (١)!

وأما بخصوص إبراء الأبرص، فتجد أكثر من حادثة في الإنجيل برواية متى، ومن بينها الحادثة التالية التي جاءت بعد موعظة الجبل، وهي مناسبة

سنتوقف عندها لاحقاً، حيث وقف المسيح على جبل بالقرب من بلدته كفرناحوم، فوعظ الآلاف من الناس بمواعظ كثيرة: (وَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ تَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ. وَإِذَا أَبْرَصٌ قَدْ جَاءَ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً: «يَا سَيِّدُ، إِنَّ أَرَدْتَ تَقْدِرَ أَنْ تُطَهِّرَنِي». فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلاً: «أُرِيدُ، فَاطْهَرِ!». وَلِلْوَقْتِ طَهَّرَ بَرَصُهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «انْظُرْ أَنْ لَا تَقُولَ لِأَحَدٍ. بَلْ اذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلكَاهِنِ، وَقَدِّمِ الْقُرْبَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ مُوسَى شَهَادَةً لَهُمْ». وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ كَفَرْنَاحُومَ، جَاءَ إِلَيْهِ قَائِدُ مِئَةٍ (قائد المائة Centurion هو ضابط في الجيش الروماني، تحت إمرته مائة عسكري، وكانت الكتيبة عادة تتكوّن من نحو ٦٠٠ جندي أي كان بها ستة من قادة المئات، بينما كانت الفرقة تتكون من نحو ٦٠٠٠ جندي أي من عشر كتائب، وفي كل فرقة ستة أمراء يخضع لهم قادة المئات. وكان لقائد المائة سلطة واسعة، إذ كان القائد المسئول عن حفظ الأمن والنظام في المجتمع (يَطْلُبُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: «يَا سَيِّدُ، غُلَامِي مَطْرُوحٌ فِي الْبَيْتِ مَفْلُوجًا مُتَعَذِّبًا جِدًّا». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا آتِي وَأَشْفِيهِ»)(^١).

وهل المراد من (البرص) في النص القرآني وفي هذا النص الإنجيلي ما يُعرف أيضاً بعنوان (المهق) Albinism والناجم عن فقدان التام لمادة الميلانين المسؤولة عن صبغة الجسم سواء للشعر، أو الجلد، أو العينين، فتكون بشرة المصاب به وشعره فاتحة جداً وقريبة من اللون الأبيض، أم البهاق Vitiligo الناجم عن فقدان الجزئي لمادة الميلانين، أم الجذام Leprosy كما جاء في التعليق على الآيات التالية من سفر اللاويين من التوراة: (إِنْ

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٨، ٧-١.

كَانَتْ فِي إِنْسَانٍ ضَرْبَةُ بَرَصٍ فَيُؤْتَى بِهِ إِلَى الْكَاهِنِ. فَإِنْ رَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا فِي الْجِلْدِ نَاتِيٌّ أَبْيَضٌ، قَدْ صَيَّرَ الشَّعْرَ أَبْيَضَ، وَفِي النَّاتِي وَضَحٌ مِنْ لَحْمٍ حَيٍّ، فَهُوَ بَرَصٌ مُزْمِنٌ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ. فَيَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِنَجَاسَتِهِ (وَكأنْهَا إِشَارَةٌ إِلَى كونه مرضاً معدياً (لَا يَحْجُزُهُ لِأَنَّهُ نَجِسٌ). لَكِنْ إِنْ كَانَ الْبَرَصُ قَدْ أَفْرَخَ فِي الْجِلْدِ، وَغَطَّى الْبَرَصُ كُلَّ جِلْدِ الْمَضْرُوبِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمَيْهِ حَسَبَ كُلِّ مَا تَرَاهُ عَيْنَا الْكَاهِنِ، وَرَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا الْبَرَصُ قَدْ غَطَّى كُلَّ جَسْمِهِ، يَحْكُمُ بِطَهَارَةِ الْمَضْرُوبِ. كُلُّهُ قَدْ أَبْيَضَ. إِنَّهُ طَاهِرٌ. لَكِنْ يَوْمَ يَرَى فِيهِ لَحْمٌ حَيٌّ يَكُونُ نَجِسًا. فَمَتَى رَأَى الْكَاهِنُ اللَّحْمَ الْحَيَّ يَحْكُمُ بِنَجَاسَتِهِ. اللَّحْمُ الْحَيُّ نَجِسٌ. إِنَّهُ بَرَصٌ. ثُمَّ إِنْ عَادَ اللَّحْمُ الْحَيُّ وَأَبْيَضَ يَأْتِي إِلَى الْكَاهِنِ. فَإِنْ رَأَاهُ الْكَاهِنُ وَإِذَا الضَّرْبَةُ قَدْ صَارَتْ بَيَاضًا، يَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِطَهَارَةِ الْمَضْرُوبِ. إِنَّهُ طَاهِرٌ) (١).

حيث قال القمص أنطونيوس فكري في شرح الكتاب المقدس (في هذا الإصحاح نجد عدة أمراض جلدية أطلق على جميعها اسم البرص فلم يكن هناك طب بالمعنى المفهوم لنا الآن، ولكن الله كان لشعبه كل شيء، هو الطبيب والقاضي والمهندس وكان الكهنة هم رجال الله يعطيهم حكمة للقيام بهذه الأعمال. وهذه الأمراض الجلدية منها ما هو غير معدي كالبهاق وهو مرض مناعي غير معدي، ويظهر على شكل بقع بيضاء في الجلد. وهناك مرض الجذام وهذا معروف باسم Leprosy وهذا المرض معدي بالمعاشرة بين المريض ومن حوله ويجب عزل المريض حتى لا تنتشر العدوى. لكن هناك أمراض أخرى أطلق الكتاب عليها اسم برص أيضاً لإظهار خطورتها وأنهم



الجذام Leprosy

يجب أن يتعاملوا معها كما يتعاملون مع البرص فيعزلوا المريض فهي أمراض معدية (أمراض جلدية)... أما مرض الجذام Leprosy وأيضا هو مسمى هنا برص هو مرض جلدي مخيف معدي، وخطير فهو يشوّه جلد الإنسان ويحدث عاهات بالجسم، وله مضاعفات شديدة في أدواره الخطيرة لأنه قد يسقط الشعر من الرأس والحواجب. وقد يتسبب في إسقاط عقد الأصابع في اليدين والقدمين الواحدة بعد الأخرى. ثم تتساقط الأظافر والأنف وسقف الحلق وتتآكل اللثة وتسقط الأسنان وتضيع العينان تدريجياً. ومع أن آلام هذا المرض ليست حادة إلا أنها تجعل المريض في حزن عظيم^(١).

• أمراض متعدّدة:

وإذا كان القرآن الكريم قد تحدث عن إبراء نوعين من المرض، فإن

1. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/03-Sefer-El-Lawyeen/Tafseer-Sefer-El-Lawyeen__01-Chapter-13.html



المهق Albinism



البهاق Vitiligo

آيات السيد المسيح

الأنجيل اعتبرت أن المسيح «عليه السلام» امتلك القدرة التامة على إبراء كافة الأمراض، وبصورة تلقائية ودائمة. وفيما يلي نماذج من تلك النصوص:

○ إنجيل متى - أمراض متعددة: (وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يَعْلَمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ^(١)، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ. فَذَاعَ خَبْرُهُ فِي جَمِيعِ سُورِيَّةَ. فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ الْمُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلَفَةٍ، وَالْمَجَانِينَ وَالْمَصْرُوعِينَ وَالْمَفْلُوجِينَ، فَشَفَاهُمْ. فَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْجَلِيلِ وَالْعَشْرِ الْمُدُنِ وَأُورُشَلِيمَ وَالْيَهُودِيَّةِ وَمِنْ عَبْرِ الْأُرْدُنِّ)^(٢).

○ وفي إنجيل متى قصة إبراء حماة بطرس وكثير من المجانين والمرضى: (وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ بُطْرُسَ، رَأَى حَمَاتَهُ مَطْرُوحَةً وَمَحْمُومَةً، فَلَمَسَ يَدَهَا فَتَرَكَتْهَا الْحَمَى، فَقَامَتْ وَخَدَمَتْهُمْ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ قَدَّمُوا إِلَيْهِ مَجَانِينَ كَثِيرِينَ، فَأَخْرَجَ الْأَرْوَاحَ بِكَلِمَةٍ، وَجَمِيعَ الْمَرْضَى شَفَاهُمْ، لَكِي يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا»)^(٣).

○ وفي إنجيل متى أنه قام بذلك بحق بني إسرائيل فحسب بلحاظ أنهم هم الموحدون، بينما غيرهم من الكنعانيين وسواهم كانوا وثنيين، واستمر ذلك إلى أن كان هذا المشهد مع امرأة كنعانية من جنوب لبنان: (ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَأَنْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَا. وَإِذَا امْرَأَةً كَنْعَانِيَّةً خَارِجَةً مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ

١. الكرازة هي المناداة علناً بالإنجيل للعالم غير المسيحي، والكلمة في الأصل يونانية (كيريسو = Kerysso) أي يعلن أو ينادي، وتم تعريبها.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، ٤، ٢٣-٢٥.

٣. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، ٨، ١٤-١٧.

جداً». فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا، لَأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا» فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أَرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». فَآتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ، أَعْنِي!». فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُوْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكَلابِ». (يَشْبَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُوحِّدِينَ بِالْأَنْبَاءِ، بَيْنَمَا يَشْبَهُ الْوَثْنِيِّينَ بِالْكَلابِ (فَقَالَتْ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكَلابُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفَتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا»). حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةً، عَظِيمُ إِيمَانُكَ! لِيَكُنْ لَكَ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشَفَّيْتُ ابْنَتَهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ»^(١).

○ وفي إنجيل مرقس أنه قام بإشفاء المرضى جماعياً في (بيت صيدا): (فَطَافُوا جَمِيعَ تِلْكَ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ، وَابْتَدَأُوا يَحْمِلُونَ الْمَرْضَى عَلَى أَسِرَّةٍ إِلَى حَيْثُ سَمِعُوا أَنَّهُ هُنَاكَ. وَحَيْثُمَا دَخَلَ إِلَى قَرْيٍ أَوْ مَدَنٍ أَوْ ضِيَاعٍ، وَضَعُوا الْمَرْضَى فِي الْأَسْوَاقِ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا وَلَوْ هَدَبَ ثَوْبِهِ. وَكُلُّ مَنْ لَمَسَهُ شَفِيَ)^(٢).

○ وفي إنجيل لوقا أنه قام بإشفاء مريض مصاب بالشلل: (وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ كَانَ يُعَلِّمُ، وَكَانَ فَرِيسِيُّونَ وَمُعَلِّمُونَ لِلنَّامُوسِ) التَّوْرَةِ أَوْ خُصُوصَ الشَّرِيعَةِ (جَالِسِينَ وَهُمْ قَدْ آتَوْا مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَأُورُشَلِيمَ. وَكَانَتْ قُوَّةُ الرَّبِّ لَشِفَائِهِمْ. وَإِذَا بِرِجَالٍ يَحْمِلُونَ عَلَى فِرَاشٍ إِنْسَانًا مَفْلُوجًا، وَكَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا بِهِ أَوْ يَضَعُوهُ أَمَامَهُ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مِنْ أَيْنَ يَدْخُلُونَ بِهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ، صَعِدُوا عَلَى السَّطْحِ وَدَلَّوْهُ مَعَ الْفِرَاشِ مِنْ بَيْنِ الْأَجْرِ إِلَى الْوَسْطِ قَدَّامَ يَسُوعَ. فَلَمَّا رَأَى إِيمَانَهُمْ قَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». فَابْتَدَأَ

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، ١٥، ٢١-٢٨.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٦، ٥٤-٥٦.

الْكُتْبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ يُفَكِّرُونَ قَائِلِينَ «مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِتَجَادِيفٍ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ؟» فَشَعَرَ يَسُوعُ بِأَفْكَارِهِمْ، وَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَاذَا تَفَكَّرُونَ فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيْمًا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟ وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَابْنَ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا»، قَالَ لِلْمَقْلُوجِ: «لَكَ أَقُولُ: قُمْ وَاحْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!». فِي الْحَالِ قَامَ أَمَامَهُمْ، وَحَمَلَ مَا كَانَ مُضْطَجِعًا عَلَيْهِ، وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللَّهَ. فَاخَذَتِ الْجَمِيعُ حَيْرَةً وَمَجَّدُوا اللَّهَ، وَامْتَلَأُوا خَوْفًا قَائِلِينَ: «إِنَّا قَدْ رَأَيْنَا الْيَوْمَ عَجَائِبَ!» (١).

○ وهكذا أبرأ الأصم: (ثُمَّ خَرَجَ أَيْضًا مِنْ تُخُومِ صُورَ وَصَيْدَاءَ، وَجَاءَ إِلَى بَحْرِ الْجَلِيلِ فِي وَسْطِ حُدُودِ الْمَدْنِ الْعَشْرِ) حلف المدن العشرة أو الديكابولس باللاتينية Decapolis هو تحالف روماني أنشأه الإمبراطور بومبيوس الكبير عام ٦٤ ق.م، وضم عشر من أهم مدن منطقة بلاد الشام، وكان الغرض منه الوقوف ضد نفوذ الأنباط في الجنوب. كانت هذه المدن تقع على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية في جنوب شرق بلاد الشام في القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد. تعني كلمة (ديكا) العشر، أما (بوليس) فتعني (المدن)، وجمعهما (= المدن العشرة)، وهذه المدن هي كالتالي:

١. سكيثوبولس «بيسان» في فلسطين.

٢. هيبوس «سوسيتا/ الحصن / خربة سوسة / قلعة الحصن» في فلسطين.

٣. دمشق في سورية.

٤. رافانا «أبيلا / حرثا / قويلبة» في الأردن.

٥. قناتا «كناثا / كاناثا / قنوات» في سورية.

٦. بيلا «طبقة فحل» في الأردن.

٧. ديون «دايون / ديوم / ديون / أيدون / تل الحصن» في الأردن.

٨. جيراسا «الجرش» في الأردن.

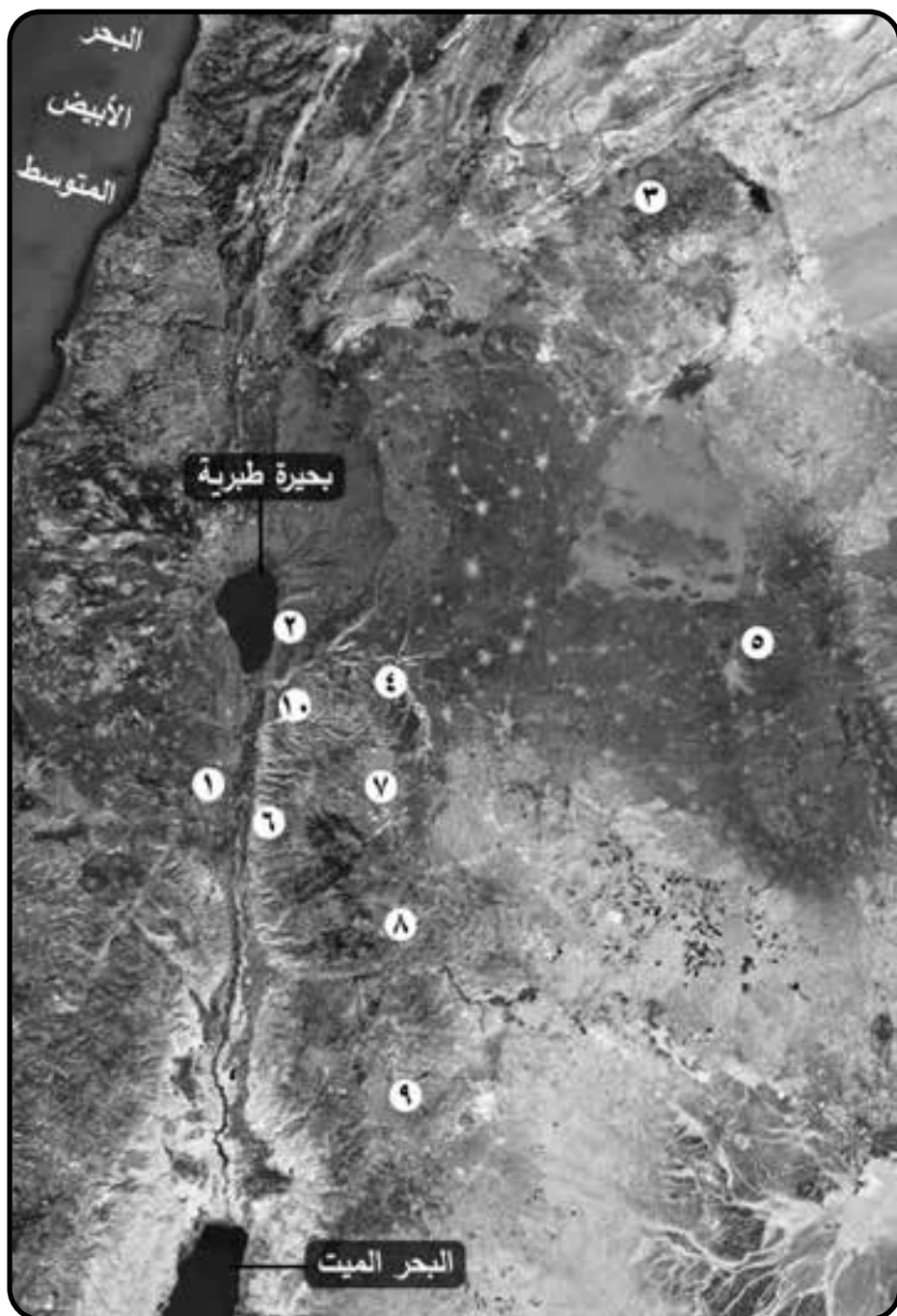
٩. فلادلفيا «ربة عمون / عمان» في الأردن.

١٠. جدره «جدارا / أم قيس» في الأردن.

(وَجَاءُوا إِلَيْهِ بِأَصَمٍّ أَعْقَدَ) أي لسانه منعقد مربوط فلا ينطق (وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ. فَأَخَذَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ عَلَى نَاحِيَةٍ، وَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ وَتَقَلَ وَلَمْ يَسَلْ لِسَانَهُ، وَرَفَعَ نَظْرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَأَنَّ وَقَالَ لَهُ: «إِفْتَحَا». أَيِ انْفَتِحَا. وَلِلْوَقْتِ انْفَتَحَتْ أُذُنَاهُ، وَانْحَلَّ رِبَاطُ لِسَانِهِ، وَتَكَلَّمَ مُسْتَقِيمًا) بصورة طلاقة (فَأَوْصَاهُمْ أَنْ لَا يَقُولُوا لِأَحَدٍ. وَلَكِنْ عَلَى قَدَرِ مَا أَوْصَاهُمْ كَانُوا يُنَادُونَ أَكْثَرَ كَثِيرًا. وَبَهَتُوا إِلَى الْغَايَةِ قَائِلِينَ: «إِنَّهُ عَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَنًا! جَعَلَ الصُّمَّ يَسْمَعُونَ وَالْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ»^(١)).

○ ونجد في الأناجيل ما يدل على أن من بين ما قام به المسيح في إبراء المرضى أن أخرج الشياطين من أجساد المجانين، ففي إنجيل لوقا مثلاً: (وَعَلَى أَثَرِ ذَلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرُزُ وَيُبَشِّرُ بِمُلْكُوتِ اللَّهِ، وَمَعَهُ الْاثْنَا عَشَرَ. وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شَرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: مَرِيْمُ

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٧، ٣١-٣٧.



الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينٍ) سَتُذَكَّرُ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ مَجْدَدًا فِي بَحْثِ صَلْبِ الْمَسِيحِ (وَيُونَنَّا أَمْرَأَةً خُوزِي وَكِيلِ هِيرُودُسَ، وَسُوسَنَةَ، وَأُخْرُ كَثِيرَاتٍ كُنَّ يَخْدُمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ) ^(١).

○ وفي نفس هذا الإصحاح نجد حادثة أخرى من هذا القبيل: (وَسَارُوا إِلَى كُورَةِ الْجَدْرِيِّينَ الَّتِي هِيَ مُقَابِلَ الْجَلِيلِ. وَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الْأَرْضِ اسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ كَانَ فِيهِ شَيَاطِينٌ مُنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ، وَكَانَ لَا يَلْبَسُ ثَوْبًا، وَلَا يَقِيمُ فِي بَيْتٍ، بَلْ فِي الْقُبُورِ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ صَرَخَ وَخَرَّ لَهُ، وَقَالَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «مَا لِي وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنُ اللَّهِ الْعَلِيِّ؟ أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ لَا تُعَذِّبَنِي!». لِأَنَّهُ أَمَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْإِنْسَانِ. لِأَنَّهُ مُنْذُ زَمَانٍ كَثِيرٍ كَانَ يَخْطِفُهُ، وَقَدْ رُبِطَ بِسَلَاسِلَ وَقِيُودٍ مَحْرُوسًا، وَكَانَ يَقْطَعُ الرُّبُطَ وَيُسَاقُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَى الْبَرَارِيِّ. فَسَأَلَهُ يَسُوعُ قَائِلًا: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «لَجُونُ». لِأَنَّ شَيَاطِينَ كَثِيرَةً دَخَلَتْ فِيهِ) أَي كَأَنَّهُ صَارَ مَلْجَأً لِلشَّيَاطِينِ يَأْوُونَ إِلَيْهِ (وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَأْمُرَهُمْ بِالذَّهَابِ إِلَى الْهَاوِيَةِ. وَكَانَ هُنَاكَ قَطِيعُ خَنَازِيرَ كَثِيرَةٍ تَرَعَى فِي الْجَبَلِ، فَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ بِالذُّخُولِ فِيهَا، فَأَذِنَ لَهُمْ. فَخَرَجَتِ الشَّيَاطِينُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ، فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنَ عَلَى الْجُرْفِ إِلَى الْبَحِيرَةِ وَاخْتَنَقَ. فَلَمَّا رَأَى الرُّعَاةُ مَا كَانَ هَرَبُوا وَذَهَبُوا وَأَخْبَرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَفِي الضِّيَاعِ، فَخَرَجُوا لِيَرَوْا مَا جَرَى. وَجَاءُوا إِلَى يَسُوعَ فَوَجَدُوا الْإِنْسَانَ الَّذِي كَانَتْ الشَّيَاطِينُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ لَابَسًا وَعَاقِلًا، جَالِسًا عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ، فَخَافُوا. فَأَخْبَرَهُمْ أَيْضًا الَّذِينَ رَأَوْا كَيْفَ خَلَصَ الْمَجْنُونُ. فَطَلَبَ إِلَيْهِ كُلُّ جُمُهورِ كُورَةِ الْجَدْرِيِّينَ أَنْ يَذْهَبَ عَنْهُمْ،

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٨، ١-٣.

لأنَّهُ اعْتَرَاهُمْ خَوْفٌ عَظِيمٌ. فَدَخَلَ السَّفِينَةَ وَرَجَعَ. أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ، وَلَكِنَّ يَسُوعَ صَرَفَهُ قَائِلًا: «ارْجِعْ إِلَى بَيْتِكَ وَحَدِّثْ بِكُمْ صَنَعَ اللَّهِ بِكَ» وهذا يتعارض مع نصوص أخرى يوصي فيها المسيح بعدم إفشاء الأمر، وسأناقش هذه الجزئية لاحقاً (فَمَضَى وَهُوَ يُنَادِي فِي الْمَدِينَةِ كُلِّهَا بِكُمْ صَنَعَ بِهِ يَسُوعُ)^(١).

تحدثت بعض النصوص السابقة عن ارتباط الجنون بدخول الشياطين في الشخص المصاب، وانعكس ذلك على معتقدات المسيحيين المتديّنين حول أصل الجنون، واستمر عند بعضهم إلى هذا الزمان، وخلق تصادماً خلال القرون الماضية مع بعض الأطباء والنفسانيين الذين رفضوا صحّة ذلك. ولم يقتصر الأمر -بحسب بعض الأناجيل- على السيد المسيح في إبراء المرضى، بل تذكر تلك النصوص أنه أعطى هذه القدرة للحواريين تلاميذه، وطلب منهم الانتشار في الأرض ليشفوا المرضى بصورة غير معهودة و(إعجازية) كما يفعل هو، فلعل في عملهم هذا يخففون من معاناة المرضى، ويساعدهم ذلك في نشر الدعوة في آن واحد. ونجد اليوم في عالم السينما والروايات الغربية انعكاساً واضحاً لهذا المعتقد، ودور رجال الكنيسة الذين هم في مقام النيابة عن سمعان (بطرس) كبير الحواريين في إخراج الشياطين من أجساد المسكونين بها بالاستعانة بالصليب والكتاب المقدس وبعض الأوراد والأذكار.

وقد انقسم مفسرو القرآن الكريم وعلماء الدين المسلمين في إمكانية تأثير الشيطان من الجنّ على عقل الإنسان، بل وجسده أيضاً، بحيث يكون ذلك

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٨، ٢٦-٣٩.

سبباً للمرض العقلي أو الجسدي وكذلك النفسي بالتبع، لاسيما عند تفسير قوله «تعالى»: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(١).

واعتبر الطباطبائي أن التشبيه الوارد في الآية لا يخلو عن إشعار بجواز تحقق ذلك في مورد الجنون في الجملة، فإن الآية وإن لم تدل على أن كل جنون هو من مسّ الشيطان، لكنها لا تخلو عن إشعار بأن من الجنون ما هو مسّ شيطاني، وليس بالضرورة أن يكون مسّ من إبليس نفسه، لأن مصطلح الشيطان يُطلق على إبليس وعلى شرار الجن، والمتيقن من إشعار الآية أن للجن شأنًا في بعض المسوسين إن لم يكن في كلهم. ولم يرض قول بعض المفسرين بأن:

١. الآية تجاري عامّة الناس في بعض اعتقاداتهم الباطلة، حيث كانوا يعتقدون بتصرف الجن في المجانين. وأن الكلام مجرد تشبيه خال عن الحكم، ولذا فلا مانع من أن تكون المعلومة المذكورة هنا خاطئة. أي أن هؤلاء الآكلين للربا حالهم حال المجنون الذي يعتقد الناس أن الشيطان يتخبطه من المس.

وردّ على ذلك بأن الله أجلّ من أن يستند في كلامه إلى الباطل ولغو القول بأي نحو كان من الاستناد إلا مع بيان بطلانه وردّه على قائله، وقد قال «تعالى»: في وصف كلامه: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٢)، وقال «تعالى»: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾^(٣).

١. البقرة: ٢٧٥.

٢. فصلت: ٤١-٤٢.

٣. الطارق: ١٣-١٤.

٢. الله أعدل من أن يسلط الشيطان على عقل عبده أو على عبده المؤمن. وردّ على ذلك بأنه إذا كان إذهاب العقل بتسلط الشياطين ينال في العدل الإلهي، فكذلك إذهاب العقل بأي سبب طبيعي آخر يقول به الأطباء سيكون أيضاً منافياً للعدل الإلهي، ففي الحالتين موجد الشياطين والأسباب الأخرى هو الله وهو الذي مكنها من التسبب في الجنون. ثم لا إشكال في نسبة ذلك إلى الله في الحالتين، لأنّ التكليف سيرتفع بذلك عن الإنسان. والذي لا يجوز نسبته إلى الله هو أن يسلط الشيطان على عقل الإنسان فيرى الحسن قبيحاً والقبيح حسناً، ويبقى العقل عقلاً، ويبقى الإنسان محاسباً^(١). ولمزيد من توضيح رأيه، اعتبر العلامة الطبائبي أن استناد الجنون إلى الشيطان ليس على نحو مباشر، وبلا واسطة، بل يكون من خلال إحداث الشيطان لخلل في أعصاب الإنسان أو آفة في دماغه، بما يؤدي إلى جنونه. ولكي تكون المسألة أكثر قبولاً، شبه العلامة ما يفعله الشيطان بما يفعله الملك حين تتحقق الكرامة لصاحبها، فإنّ الملك يقوم بتوظيف الأسباب الطبيعية لتحقيق الكرامة.

ثم استشهد العلامة الطبائبي بما جاء في قصة أيوب «عليه السلام» حيث قال «تعالى»: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾^(٢)، وقوله «سبحانه»: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٣)، والضّر هو المرض وله أسباب طبيعية ظاهرة في البدن، ولكنه مع هذا نسب ما به من المرض المستند إلى أسبابه الطبيعية إلى الشيطان.

١. الطبائبي: الميزان، ج ٢، ص ٤١٢-٤١٣.

٢. ص: ٤٣.

٣. الأنبياء: ٨٣.

ثم شنَّ العلامة هجوماً على أصحاب الرأي الآخر معتبراً أن (هذا وما يشبهه، من الآراء المادية التي دبت في أذهان عدة من أهل البحث من حيث لم يشعروا بها، حيث إن أصحاب المادة لما سمعوا الإلهيين يسندون الحوادث إلى الله «سبحانه»، أو يسندون بعضها إلى الروح أو الملك أو الشيطان اشتبه عليهم الأمر فحسبوا أن ذلك إبطال للعلل الطبيعية وإقامة لما وراء الطبيعة مقامها، ولم يفقهوا أن المراد به تعليلٌ في طول تعليل، لا في عرض تعليل) (١).

وفيما كرّر العلامة فضل الله القولين واتفق مع العلامة الطباطبائي بخصوص عدم تعارض ذلك مع العدل الإلهي، إلا أنه استقرب ورود اللفظ على أساس المجاز لا على أساس الحقيقة، مستدلاً بالتالي:

١. القرآن يؤكد على أن دور الشيطان الأول والأخير هو إثارة وساوس الشر ومحاولة الإضلال، بإرادة الإنسان واختياره.

٢. القرآن ينفي سيطرة الشيطان على الإنسان بالمستوى الذي لا يستطيع معه الوقوف أمامه، ولا يملك إلا الرضوخ لسلطانه: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ﴾ (٢)، فقلوله ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ﴾ تدل على أن الرضوخ صادر عن إرادة الإنسان.

٣. إذا لم يكن للشيطان سلطان تكويني على نقل الإنسان من قناعة إلى قناعة مضادة في موضوع الكفر والإيمان والخير والشر، فكيف يكون له سلطان على إلغاء عقل الإنسان بالكلية من خلال وسائل غير منظورة لا يملك الإنسان

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٢، ص ٤١٣.

٢. الحجر: ٤٢.

أمامها القدرة على الامتناع^(١)؟

وأضاف نقطة أخرى لتأكيد كلامه، حيث اعتبر أن تسليط الشيطان على عقل الإنسان بحيث يتمكن من أن يسلبه منه قد يتنافى مع تكريم الإنسان من خلال عقله، وبالمستوى الذي أمر الله الشيطان بالسجود لآدم، وجعله خليفة الله في الأرض، فكيف يجعله -بعد ذلك- تحت رحمته في أقدم شيء وهبه الله له وميزه به على مخلوقاته الأخرى؟ إن جعل الإنسان العوبة في يد الشيطان يعيب به كيف يشاء من خلال الوسائل الخفية التي يملكها ضد الإنسان يتنافى وتكريم هذا الإنسان من خلال عقله.

ثم أضاف فضل الله: (ومن خلال هذا العرض، نستطيع الخروج بنتيجة حاسمة، وهي أن كلمة الشيطان هنا لا يراد بها إبليس، كما لم يرد منها ذلك في ما حكاه الله عن أيوب، فإن الظاهر إرادة الضر والمرض منه، لا على أساس أن الشيطان هو السبب الأعمق في سلسلة الأسباب الطبيعية، بل على أساس استعمال اللفظ في المرض نفسه ونحوه... والله العالم)^(٢).

ولابد أن أضيف نقطة هنا، وهي أننا لو افترضنا أن القرآن الكريم قد أقرّ دور الشيطان في فقدان الإنسان لعقله من خلال المس الشيطاني وبواسطة الأسباب الطبيعية، فإن هذا لا يعني أن الشياطين قادرة على أن تسكن الجسد البشري وتستوطنه كما هو المفهوم من ظاهر النصوص الإنجيلية التي استعرضنا بعضها، وبحيث نقول أن السيد المسيح «عليه السلام» كان

١. فضل الله: من وحي القرآن، ج ٢، ص ٥٣٠-٥٣٢.

٢. فضل الله: من وحي القرآن، ج ٢، ص ٥٣٢-٥٣٣.

يستخدم طُرقاً معينة يخرج بها الشياطين من الأجساد المسكونة بها، وهكذا فعل الحواريون، ويفعله القساوسة اليوم من خلال ما ورثوه من علم في هذا الإطار، والذي يعود في الأساس إلى المسيح وتلاميذته، فشتان بين الأمرين.

وكما ذكرت من قبل، فإننا لو قارنا ما جاء في القرآن الكريم بخصوص هذه الآية للمسيح «عليه السلام» وما جاء في الأنجيل، سنجد أن القرآن يحدّد ذلك بإبراء الأكمه والأبرص، بينما شملت نصوص الأنجيل دائرة أوسع بحيث شملت كل حالة مرضية، ولا نستطيع أن نوّكد ذلك ولا أن ننفيه، وإن كنّا لا نصحح مقولة إخراج الشياطين من أجساد المجانين كما جاء في الأنجيل.

هذا، وقد تكرر معنا في النصوص السابقة - وسيأتي في آية الإحياء أيضاً - طلب السيد المسيح من الذين يشافيههم ومن تلاميذه أن لا يخبروا الناس بأنه قد أتى بتلك الآيات... فلماذا؟ والمفروض أنها آيات، أي دلائل وعلائم على صحّة نبوته، وانتشار خبرها في صالحه. فلماذا لم يكن يُرد أن يعرف أحد بذلك؟ ثم مرّ علينا نصّ في الإصحاح ٨ من إنجيل لوقا يشتمل على أمر المسيح لأحد المشافين من الجنون أن يذهب ويخبر الناس بما جرى، وهذا يتعارض مع النصوص الآمرة بالكتمان... فهل تغيرت الظروف بحيث صار إظهار الأمر مسموحاً به أم أن الأمر كان متغيراً بحسب البلد، أم أن الأمر بالإذاعة هو المقبول لا الكتمان؟ من الواضح أن الأمر بالكتمان لا يتناسب مع الغاية من آية (معجزة) الإبراء، فالمفروض أنها وسيلة من وسائل الإقناع بصحة نبوته، إلا أن يقال أنه بمرور الوقت وازدياد قوة المسيح في دعوته انزعج اليهود بشدة، فصاروا يتربصون بالمسيح ليكتشفوا مكانه فيقتلوه، كما تدل على ذلك بعض

النصوص الإنجيلية التي ستمر معنا، ولذا قرّر المسيح أن يقدم خدمته للناس بإبرائهم من أمراضهم على أن يجعل ذلك بعيداً عن الأضواء.

• إحياء الموتى:

﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١).

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢).

قد يبدو أن في التعبير بالإخراج شيء من الغرابة، ولكن قد يكون ذلك للدلالة على أنه أحياء من كان قد مات ودُفن، وهذا لا شك أصعب تصوراً ممن قد يكون قد مات قبل دقائق معدودة وما زال في مكانه.

ونجد مثل هذا التعبير في قوله «تعالى»: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

وقصة ألعازر التي سنذكرها لاحقاً والمثبتة في إنجيل يوحنا تؤكد هذا المعنى، إذ تتحدث عن إحياء الميت بعد دفنه وبقائه في القبر أربعة أيام، حتى أن أخته

١. آل عمران: ٤٩.

٢. المائدة: ١١٠.

٣. الأعراف: ٥٧.



مغارة للدفن في فلسطين وأمامها حجر دائري يعمل كباب

تردّدت في الاستجابة لطلب المسيح حيث قال لها بأن ترفع الحجر الذي يسدّ فتحة المغارة حيث دُفن أخوها، لأنه سيكون قد انتنّ، فكيف يعود إلى الحياة؟ فقد كان من بين طرق الدفن التي كانت سائدة في فلسطين أن يوضع الميت في مغارة ويُغلق عليه بحجر، وقد يُدفن في الأرض. ونجد في قصة وفاة السيدة سارة زوج النبي إبراهيم «عليه السلام» أنه دفنها في مغارة المكفيلة كما مرّ معنا في كتاب وسلسلة محاضرات (أبو الأنبياء).

بالطبع هذا لا يعني أنه «عليه السلام» كان يحيي الموتى بنفسه، بل الله هو المحيي والمميت، ولعل هذا هو سبب إضافة عبارة (بإذن الله) كما مرّ معنا، وكما يؤكد القرآن الكريم أن مطلق الآيات (المعجزات) إنما يأتي بها الرسل بإذن الله، لا بإرادة شخصية ولا باستقلالية عن الله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ

بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ^(١). وهكذا فإن الله هو الشايف بالأصالة، وما المسيح «عليه السلام» إلا وسيلة وسبب لتحقيق ذلك، كما أن ملك الموت سبب لتحقيق ذلك، وكما أن الطبيب والدواء سبب لتحقيق ذلك، وسيأتي من النص الإنجيلي في قصة إحياء ألعازر ما يدل على ذلك: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارُهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ^(٢)﴾، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ^(٣)﴾. ولكن كما مر معنا سابقاً حول تأييد المسيح بروح القدس، أن هذا السبب هو الذي تحقّق من خلاله التكلم وهو في المهد، وإبراء المرضى وإحياء الموتى وكل ما له علاقة بالحياة وما فيه الروح، وبعبارة أخرى فإن الله «سبحانه» جعل روح القدس هو السبب بينه وبين المسيح في تحقّق تلك الآيات. فبالأصالة، الله هو المحيي، وهو الشايف، والتحقّق الخارجي جرى على يد المسيح عيسى ابن مريم، والسبب الوسيط بينهما هو روح القدس، في صورة مشابهة للوحي الإلهي، فالله هو الموحي، والنبي هو الذي يتلقّى الوحي، والوسيط بينهما هو الملك أو الروح أو خصوص جبريل.

وفي الأناجيل الأربعة نجد ثلاثة موارد لإحياء الموتى، مرددان في إنجيل لوقا، ويكون الشخص فيهما قد مات حديثاً، بينما يتضمّن إنجيل يوحنا قصة ألعازر الذي أعاده المسيح إلى الحياة بإذن الله بعد دفنه بأربعة أيام، وليس في إنجيلي متى ولا مرقس ذكر لذلك.

١. الرعد: ٣٨.

٢. يس: ١٢.

٣. الشعراء: ٨٠-٨١.



المورد الأول في إنجيل لوقا جاء كالتالي: (وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةِ تَدْعَى نَايِينَ^(١))، وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِ وَجَمَعَ كَثِيرٌ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، إِذَا مَيِّتٌ مَحْمُولٌ، ابْنٌ وَحِيدٌ لَأُمِّهِ، وَهِيَ أَرْمَلَةٌ وَمَعَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ. فَلَمَّا رَأَاهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا، وَقَالَ لَهَا: «لَا تَبْكِي». ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ، فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: «أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ: قُمْ!». فَجَلَسَ الْمَيِّتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ، فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ. فَأَخَذَ الْجَمِيعُ خَوْفٌ، وَمَجَدُّوا اللَّهَ قَائِلِينَ: «قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ، وَافْتَقَدَ اللَّهُ شَعْبَهُ». وَخَرَجَ هَذَا الْخَبْرُ عَنْهُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ. فَأَخْبَرَ يُوحَنَّا تَلَامِيذَهُ بِهَذَا كُلِّهِ (أَيَّ أَنْ التَّلَامِيذَ هُمُ الَّذِينَ أَخْبَرُوا النَّبِيَّ يَحْيَى «عَلَيْهِ السَّلَامُ» بِأَيَّةِ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ (فَدَعَا يُوحَنَّا

١. نايين اسم عبري بمعنى لذيق أو لذة أو جمال (قريب من لفظ كلمة نعيم في العربية) وهي بلدة في جنوبي الجليل. ولا تزال تحمل الاسم نين.

آيات السيد المسيح

اَثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى يَسُوعَ قَائِلًا: «أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ الرَّجُلَانِ قَالَا: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ أَرْسَلَنَا إِلَيْكَ قَائِلًا: أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟»^(١).

النبي يحيى ويسوع أقرباء ويعرف كلُّ منهما الآخر بشكل جيد، ولذا فمن الغريب أن يسأل ما إذا كان هو المسيح المنتظر أم لا.

كما أن المرسل واحد، وهو الله «سبحانه»، ولذا من المفترض أن يكون يحيى أول الناس علمًا بمثل هذه الرسالة والنبوة، فلماذا لا يُعلمه الله بذلك؟

بل إن يوحنا في روايته الإنجيلية يذكر أن النبي يحيى قد اكتشف أن يسوع هو المسيح وأخبر البعض بذلك قبيل بعثة المسيح وبعد نزول الوحي عليه وبدء بعثته: (وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ! هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: يَأْتِي بَعْدِي، رَجُلٌ صَارَ قَدَّامِي، لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي. وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ. لَكِنْ لِيُظْهَرَ لِإِسْرَائِيلَ لَذَلِكَ جِئْتُ أَعْمَدُ بِالْمَاءِ». وَشَهِدَ يُوحَنَّا قَائِلًا: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ. وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ، لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لِأَعْمَدَ بِالْمَاءِ، ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا وَمُسْتَقِرًّا عَلَيْهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعْمَدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ». وَفِي الْغَدِ أَيْضًا كَانَ يُوحَنَّا وَاقِفًا هُوَ وَاثْنَانِ مِنْ تَلَامِيذِهِ، فَنَظَرَ إِلَى يَسُوعَ مَاشِيًا، فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ!». فَسَمِعَهُ التِّلْمِيذَانِ يَتَكَلَّمُ، فَتَبَعََا يَسُوعَ)^(٢). فكيف

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٨، ٤٩-٥٦.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١، ٢٩-٣٧.

يسأل بعد أيام أو أشهر أو سنة أو أكثر إن كان هو المسيح الموعود أم لا؟

ثم هناك نموذج آخر لإحياء المسيح بعض الموتى كما جاء في إنجيل لوقا أيضاً: (جاءَ واحدٌ منَ دَارِ رَئِيسِ المَجْمَعِ قَائِلاً لَهُ: «قَدْ مَاتَ ابْنُكَ. لَا تُتَّعَبِ المُعَلِّمُ». فَسَمِعَ يَسُوعُ، وَأَجَابَهُ قَائِلاً: «لَا تَخَفْ! آمِنْ فَقَطْ، فَهِيَ تُشْفَى». فَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ لَمْ يَدْعُ أَحَدًا يَدْخُلُ إِلَّا بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَأَبَا الصَّبِيَّةِ وَأُمِّهَا. وَكَانَ الْجَمِيعُ يَبْكُونَ عَلَيْهَا وَيَلْطَمُونَ. فَقَالَ: «لَا تَبْكُوا. لَمْ تَمُتْ لَكِنَّهَا نَائِمَةٌ». فَضَحِكُوا عَلَيْهِ، عَارِفِينَ أَنَّهَا مَاتَتْ. فَأَخْرَجَ الْجَمِيعَ خَارِجًا، وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا وَنَادَى قَائِلاً: «يَا صَبِيَّةُ، قُومِي!». فَرَجَعَتْ رُوحَهَا وَقَامَتْ فِي الْحَالِ. فَأَمَرَ أَنْ تُعْطَى لِتَأْكُلَ. فَبُهِتَ وَالِدَاهَا. فَأَوْصَاهُمَا أَنْ لَا يَقُولَا لِأَحَدٍ عَمَّا كَانَ^(١).

أما القصة التالية في إنجيل يوحنا فهي توافق ما جاء في التعبير القرآني إذ يقول «تعالى»: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾^(٢) حيث أخرج الميت المدفون معيداً إياه إلى الحياة، ويبدو بحسب هذا النص أن الحادثة كانت قريبة العهد بحادثة الصلب، وأنها من الأسباب الرئيسية التي دعت أحبار اليهود لحسم موقفهم تجاه المسيح، فقرروا التخلّص منه وقتله في أسرع وقت: (وَكَانَ إِنْسَانٌ مَرِيضًا وَهُوَ لِعَازَرُ، مِنْ بَيْتِ عَنِيَا مِنْ قَرْيَةِ مَرْيَمَ) اختلفت الآراء الكنسية في كون هذه هي نفسها مريم المجدلية التي سنأتي على ذكرها في قضية صلب المسيح «عليه السلام» أم هي سيدة أخرى. وتعدّ مريم المجدلية التي اعتُبرت قديسة، من أهم الشخصيات النسائية المسيحية المذكورة في العهد الجديد.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٨، ٤٩-٥٦.

٢. المائدة: ١١٠.

ولعل بداية علاقتها بالسيد المسيح بحسب القصة الإنجيلية كانت حين شفاها من المسّ الشيطاني إذ أخرج منها سبعة شياطين، فصارت منذ ذلك الوقت في خدمته ورافقته طوال قيامه بالتبشير في الجليل وأورشليم/القدس، وقد حضرت حادثة الصلب، وكانت أول من شهد قيامة المسيح من الموت، وكلمها المسيح وأعطاهها رسالة لتنقلها إلى الحواريين ليلتقوا به على ما كان متفقاً عليهم بينهم سلفاً. والملفت أن البابا غريغوريوس الكبير سنة ٥٩١م اتهم هذه السيدة بأنها هي المرأة «البعي» المذكورة في إنجيل لوقا، والتي تابت لاحقاً، لذا اعتُبرت رمزاً للتوبة. إلا أن الفاتيكان قام مؤخراً بالاعتذار والإعلان غير المباشر بأنه أخطأ بشأن هذه السيدة لمدة ١٤٠٠ عام! (وَمَرَّثَا أُخْتَهَا. وَكَانَتْ مَرِيْمٌ، الَّتِي كَانَ لِعَازَرُ أَخُوَهَا مَرِيضًا، هِيَ الَّتِي دَهَنَتْ الرَّبَّ بِطَيِّبٍ، وَمَسَحَتْ رِجْلَيْهِ بِشَعْرَهَا^(١)). فَأَرْسَلَتِ الْأُخْتَانِ إِلَيْهِ قَائِلَتَيْنِ: «يَا سَيِّدُ، هُوَذَا الَّذِي تُحِبُّهُ مَرِيضٌ». فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ، قَالَ: «هَذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ، بَلْ لِأَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ، لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللَّهِ بِهِ» أي سيكون سبباً لآية «معجزة» ومن ثم يتم تمجيد الله وتعظيمه ودلالة على صحة ادعاء المسيح ولربما إيمان جماعة أخرى به، مع

١. إشارة إلى ما سيأتي في الإصحاح اللاحق من هذا الإنجيل وقيل حادثة الصلب بستة أيام: (ثُمَّ قَبْلَ الْفَصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنِيَّا، حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الْمَيِّتِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ. فَصَنَعُوا لَهُ هُنَاكَ عَشَاءً. وَكَانَتْ مَرَّثَا تَخْدُمُ، وَأَمَّا لِعَازَرُ فَكَانَ أَحَدَ الْمُتَكِنِّينَ مَعَهُ. فَاخَذَتْ مَرِيْمٌ مَنَا مِنْ طَيِّبٍ نَارْدِينَ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ، وَدَهَنَتْ قَدَمَيَّ يَسُوعَ، وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرَهَا، فَامْتَلَأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطَّيِّبِ. فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَهُوَ يَهُوذَا سَمْعَانَ الْإِسْخَرْيُوطِيُّ، الْمَرْمِعُ أَنْ يُسْلِمَهُ: «لِمَاذَا لَمْ يَبِعْ هَذَا الطَّيِّبُ بِثَلَاثِمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ؟» قَالَ هَذَا لَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ، بَلْ لِأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا، وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ. فَقَالَ يَسُوعُ: «اتْرُكُوهَا! إِنَّهَا لِيَوْمٍ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظْتَهُ، لِأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ». إنجيل يوحنا



تحفظنا على عبارة «ابن الله» (وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر. فلمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ مَكَثَ حِينئِذٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ يَوْمَيْنِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «لِنَذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ أَيْضًا». قَالَ لَهُ التَّلَامِيذُ: «يَا مُعَلِّمُ، الْآنَ كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَنْ يَرْجُمُوكَ، وَتَذْهَبُ أَيْضًا إِلَى هُنَاكَ». أَجَابَ يَسُوعُ: «أَلَيْسَتْ سَاعَاتُ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي النَّهَارِ لَا يَعْتَرِلُهُ نُورٌ هَذَا الْعَالَمِ، وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي اللَّيْلِ يَعْتَرِلُهُ، لِأَنَّ النُّورَ لَيْسَ فِيهِ» (أي أَنَّهُ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بِنُورٍ وَهْدَايَةٍ مِنَ اللَّهِ وَلَا يَتَخَبَّطُ فِي مَسِيرَتِهِ) (قَالَ هَذَا وَبَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ: «لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ نَامَ. لَكِنِّي أَذْهَبُ لِأَوْقَظَهُ». فَقَالَ تَلَامِيذُهُ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كَانَ قَدْ نَامَ فَهُوَ يَشْفَى». وَكَانَ يَسُوعُ يَقُولُ عَنْ مَوْتِهِ، وَهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ يَقُولُ عَنْ رُقَادِ النَّوْمِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ حِينئِذٍ عَلَانِيَةً: «لِعَازَرُ مَاتَ. وَأَنَا أَفْرَحُ لِأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ، لَتُؤْمِنُوا. وَلَكِنْ لِنَذْهَبْ إِلَيْهِ!». فَقَالَ تَوَمَّا الَّذِي يُقَالُ

لَهُ التَّوَامُ لِلتَّلَامِيذِ رُفَقَائِهِ: «لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضًا لِكَي نَمُوتَ مَعَهُ»^(١).

جاء في شرح الكتاب المقدس أن هذا التعليق تحقق (بصوت خفيض من توما - الذي يُعرَف بشكه وقلقه - للتلاميذ. وكأن توما يقول إن المعلم) المسيح (لم يسمع لنصحننا، وتوصلنا إليه. وبالتالي، فالنتيجة الحتمية هي قبض اليهود عليه وعلينا، وموتنا جميعاً معاً. وما فعله توما حينذاك، يفعله كثيرون أيضاً من هؤلاء الذين يسبق عقلهم إيمانهم. وبدلاً من أن يصدقوا خبر الإيمان، يشككون البسطاء في إيمانهم، بسخريتهم مثلاً من المعجزات، أو قدرة الله، أو سلطان القديسين)^(٢).

ويبدو أن القرآن الكريم يشير إلى هذه الحالة حيث يقول ضمن قصة طلب الحواريين لإنزال مائدة الطعام: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ، قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

فحالة الشك والتردد، ثم الأمر بالتقوى إن كانوا مؤمنين، ثم لغة التهديد

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١١، ١-١٦.

2. <https://st-takla.org/bible/commentary/ar/nt/church-encyclopedia/john/chapter-11.html>

٣. المائدة: ١١٢-١١٥.

والوعيد الإلهي، كل ذلك مدعاة لتصديق ما جاء في تفسير النص الإنجيلي السابق والذي تضمّن تعليقاً لتوما يدلّ على حالة من الشك والقلق.

نعود الآن لنكمل قصة العازر: (فَلَمَّا أَتَى يَسُوعُ وَجَدَ أَنَّهُ قَدْ صَارَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ فِي الْقَبْرِ. وَكَانَتْ بَيْتُ عَنِيَا^(١) قَرِيبَةً مِنْ أُورُشَلِيمَ نَحْوَ خَمْسَ عَشْرَةَ غُلُوءَةً) أي ٢ كم تقريبا (وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ جَاءُوا إِلَى مَرْتَا وَمَرِيمَ لِيَعْرِزُوهُمَا عَنْ أَخِيهِمَا. فَلَمَّا سَمِعَتْ مَرْتَا أَنَّ يَسُوعَ آتٍ لَأَقْتَهُ، وَأَمَّا مَرِيمُ فَاسْتَمَرَّتْ جَالِسَةً فِي الْبَيْتِ. فَقَالَتْ مَرْتَا لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتُ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي!») لأنه كان يشفي المرضى (لَكِنِّي الْآنَ أَيْضًا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيكَ اللَّهُ إِيَّاهُ) فهو لا يفعله من عند نفسه بل بإذن الله وهذا متوافق مع المنطق القرآني ودليل ضمناً على أن المسيح بشر لا يملك أن يغير الحقائق الطبيعية بصورة إعجازية إلا بإذن الله والطلب منه (قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «سَيَقُومُ أَخُوكَ»). قَالَتْ لَهُ مَرْتَا: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ، فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» استعملت هذه العبارة لاحقاً في إعلان العزاء عند وفاة شخص مسيحي، كما يستعمل المسلمون عبارة إنا

١. هذا الحدث وقع في بلدة العيزرية المجاورة للقدس والتي كانت تسمى (بيت عنيا) أي بيت العناء، وفيها ما يعرف لدى المسلمين بعنوان (مقام النبي عزير) بتصور أن المقام منسوب إلى (عزير) المذكور في القرآن الكريم، والصحيح أن مقام (عزرا) الذي جاء ذكره في النص السابق، وهناك وقعت الآية (المعجزة) بإحيائه من قبل المسيح «عليه السلام»، علماً بأن المقام الذي بناه المسلمون تم على يد صلاح الدين الأيوبي، وبجواره كنيسة العيزرية التي تخلد قصة إحياء عزرا على يد المسيح «عليه السلام».

والبلدة تقع على بعد ٢ كم شرق مدينة القدس. يحدها من الجنوب بلدة أبوديس، ومن الغرب راس العامود والمسجد الاقصى، ومن الشرق مستوطنة معاليه أدوميم والنبي موسى ومن الشمال الزعيم والعيسوية وعناتا ومن الشمال الغربي جبل الزيتون.

لله وإنا إليه راجعون) (وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ. اتَّوَمِّنِينَ بِهَذَا؟) قَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ». وَلَمَّا قَالَتْ هَذَا مَضَتْ وَدَعَتْ مَرِيَمَ أُخْتَهَا سِرًّا، قَائِلَةً: «الْمُعَلِّمُ قَدْ حَضَرَ، وَهُوَ يَدْعُوكِ»^(١) يبدو أن لقب المعلم الذي يُطلق على المسيح «عليه السلام» بالإضافة إلى انطباقه عليه فعلاً، كان عنواناً تفرضه ظروف الخوف على حياته من اليهود المتآمرين عليه، وهذا ما نجده أيضاً حين كان يُعبر عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام» بأبي زينب، وعن الكاظم «عليه السلام» بالعالم والرجل والصالح وغير ذلك وتؤكد هذه الفكرة عدة نصوص إنجيلية من بينها النص التالي الذي يأتي بعد إحيائه العازر مباشرة: (فَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ أَيْضًا يَمْشِي بَيْنَ الْيَهُودِ عَلَانِيَةً، بَلْ مَضَى مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْكُورَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْبَرِّيَّةِ)^(٢).

نعود لتتمة الحادثة: (أَمَّا تِلْكَ فَلَمَّا سَمِعَتْ قَامَتْ سَرِيعًا وَجَاءَتْ إِلَيْهِ. وَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ قَدْ جَاءَ إِلَى الْقَرْيَةِ، بَلْ كَانَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي لاقَتْهُ فِيهِ مَرْتًا. ثُمَّ إِنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهَا فِي الْبَيْتِ يُعْزُونَهَا، لَمَّا رَأَوْا مَرِيَمَ قَامَتْ عَاجِلًا وَخَرَجَتْ، تَبْعُوهَا قَائِلِينَ: «إِنَّهَا تَذْهَبُ إِلَى الْقَبْرِ لِتَبْكِي هُنَاكَ». فَمَرِيَمُ لَمَّا آتَتْ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَسُوعُ وَرَأَتْهُ، خَرَّتْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَائِلَةً لَهُ: «يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتُ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي!». فَلَمَّا رَأَاهَا يَسُوعُ تَبْكِي، وَالْيَهُودُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا يَبْكُونَ، انْزَعَجَ بِالرُّوحِ وَاضْطَرَبَ، وَقَالَ: «أَيِّنْ وَضَعْتُمُوهُ؟» قَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ، تَعَالَ وَانْظُرْ». بَكَى يَسُوعُ. فَقَالَ الْيَهُودُ: «انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ!». وَقَالَ بَعْضُ مِنْهُمْ: «أَلَمْ

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١١، ١٧-٢٨.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١١، ٥٤.

يَقْدِرُ هَذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيِ الْأَعْمَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا أَيْضًا لَا يَمُوتُ؟». فَانْزَعَجَ يَسُوعُ أَيْضًا فِي نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ، وَكَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ. قَالَ يَسُوعُ: «ارْفَعُوا الْحَجَرَ!». قَالَتْ لَهُ مَرْتَا، أُخْتُ الْمَيِّتِ: «يَا سَيِّدُ، قَدْ أَنْتَنَ لِأَنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنْ آمَنْتَ تَرَيْنَ مَجْدَ اللَّهِ؟». فَارْفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيِّتُ مَوْضُوعًا، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الْآبُ، أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي» (وهذا تأكيد مجدد على أن الأمر فعل إلهي وتم بإذن الله وليس من فعل المسيح نفسه بل هو سبب لتحقيق ذلك وهذا ما يتوافق مع العقيدة الإسلامية في حقيقة المسيح (ولما قال هذا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا!» فَخَرَجَ الْمَيِّتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلَاهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمَنْدِيلٍ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبُ». فَكَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مَرِيَمَ، وَنَظَرُوا مَا فَعَلَ يَسُوعُ، آمَنُوا بِهِ. وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَمَضَوْا إِلَى الْفَرِّسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُمْ عَمَّا فَعَلَ يَسُوعُ. فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّسِيُّونَ مَجْمَعًا وَقَالُوا: «مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتَ كَثِيرَةً. إِنْ تَرَكْنَاهُ هَكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَهُ مَوْضِعَنَا وَأَمْتَنَا». فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَيَافَا، كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ: «أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا، وَلَا تَفَكَّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلَا تَهْلِكَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا». وَلَمْ يَقُلْ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمَعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الْأُمَّةِ، وَلَيْسَ عَنِ الْأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءُ اللَّهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ. فَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوهُ»^(١).

• الإنباء ببعض المغيبات:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١).

جاء ذكر هذه الآية (المعجزة) في القرآن الكريم مرة واحدة، وهو نوع من الإخبار بالغيب، وهو بحسب تعبير العلامة الطباطبائي: (إخبار بغيب صريح التحقق لا يتطرق إليه الشك والريب، فإنَّ الإنسان لا يشك عادة فيما أكله ولا فيما ادخره في بيته)^(٢).

وعلم الغيب أمر مختص بالله «تعالى»، والله يُطلع على الغيب من يشاء من رسله، والآيات القرآنية واضحة الدلالة في هذا المجال:

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣).

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥).

١. آل عمران: ٤٩.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ٢، ص ٢٠٠.

٣. الأنعام: ٥٠.

٤. الأعراف: ١٨٨.

٥. هود: ٤٩.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا، لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١).

والملاحظ في الآية الخاصة بالمسيح «عليه السلام» أنه لم يتم تقييد هذا الأمر (الإنباء بما يأكلون وبما يدّخرون في بيوتهم) بعبارة (بإذن الله) على الرغم من تقييد إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بها، مع أن القرآن الكريم - كما مرّ معنا - يؤكد على أن الآية (المعجزة) لا تتحقق إلا بإذن منه «تعالى»، وقد يكون السبب في ذلك أن التعبير بقوله ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ﴾ يستدعي ذلك، فالله لم ينبئهم، بل المسيح فعل ذلك، وما قام به الله هو إعلام المسيح بالمعلومة الغيبية، لذا كان الإنباء فعلاً صادراً عن المسيح، ولذا قال العلامة الطباطبائي: (فلا يليق أن يسند إلى ساحة القدس بخلاف الآيتين السابقتين أعني الخلق و الإحياء فإنها فعل الله بالحقيقة ولا ينسبان إلى غيره إلا بإذنه)^(٢).

ولعل في البين سبباً آخر، وهو أن الناس يصعب عليهم تصديق إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجعل الطين طيراً، ولذا احتاج إلى بيان أن هذا الفعل لم يصدر عنه، بل هو فعل إلهي قد تمّ بإذنه، بينما الأمر أهون وأخفّ وقعاً عند اليهود بالنسبة إلى الإخبار عن المغيّبات، إذ كان يدّعيه البعض من الكهنة والعرفّافين، وصدر عن أنبياء سابقين، وهو مثبت في التنخ أيضاً، فلا يحتاج إلى مزيد عناية لبيان أنه بإذن الله.

١. الجن: ٢٦-٢٨.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ٢، ص ٢٠٠.

وعلى كل حال، لم أجد في الأناجيل الأربعة ما يشير إلى مسألة الإخبار عن طعامهم وما يدخرونه في بيوتهم، ولكن هناك موارد تخصّ الإخبار عن بعض المغيّبات الأخرى.

ونجد في التراث الإسلامي ما يشير إلى هذا الأمر، ففي قصص الأنبياء عن عبد الله بن هبيرة قال: (كان عبد الله بن عمر يقول: كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لأحدهم: تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك؟ فيقول: نعم. فيقول: خبأت لك كذا وكذا. فيذهب الغلام منهم إلى أمه فيقول لها أطعميني ما خبأت لي. فتقول: وأي شئ خبأت لك؟ فيقول: كذا وكذا. فتقول له: من أخبرك؟ فيقول عيسى بن مريم. فقالوا: والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم. فجمعوهم في بيت وأغلقوا عليهم، فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم فسمع ضوضاءهم في بيت فسأل عنهم فقالوا: إنما هؤلاء قردة وخنازير. فقال: اللهم كذلك. فكانوا كذلك)^(١).

ورواها الطبري في تفسيره مع بعض التغيير ولم يسندها إلى ابن عمر: (عن السدي قال: كان - يعني عيسى ابن مريم - يحدث الغلمان وهو معهم في الكتاب بما يصنع آبائهم، وبما يرفعون لهم، وبما يأكلون. ويقول للغلام: «انطلق، فقد رفع لك أهلك كذا وكذا، وهم يأكلون كذا وكذا»، فينطلق الصبي فيبكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشيء. فيقولون له: من أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى! فذلك قول الله «عز وجل»: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾، فحبسوا صبيانهم عنه، وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر! فجمعوهم في بيت،

١. ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٥٨٧، ٥٨٨.

فجاء عيسى يطلبهم، فقالوا: ليس هم هاهنا، فقال: ما في هذا البيت؟ فقالوا: خنازير. قال عيسى: كذلك يكونون! ففتحوا عنهم، فإذا هم خنازير. فذلك قوله: ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ «سورة المائدة: ٧٨»^(١).

يشير بذلك إلى قوله «تعالى»: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٢). والملاحظ على الخبر أمور:

١. ليس برواية عن النبي «صلى الله عليه وآله» بل قول لابن عمر، ولا نعلم المصدر الذي أخذه عنه، ولعله أخذه عن إحدى الأناجيل المسماة (أناجيل الطفولة) والتي لم يُعترف بها من قبل كثير من الكنائس واعتبرت من الأناجيل المنحولة.

٢. الحدث جرى إبان طفولة المسيح «عليه السلام»، ولعل هذا هو سبب عدم ذكره في الأناجيل الأربعة، حيث لم نجد أيضاً قضية تحويل الطين إلى طير، ووجدناها في إحدى أناجيل الطفولة.

٣. قد يكون المقطع الأخير من الخبر حيث يذكر مسخ العائلة إلى قردة وخنازير، إضافة دخيلة على أصل القصة تمت على يد أحد الرواة، لاسيما وأننا لا نجد له أثراً في القرآن الكريم في عهد النبي عيسى ابن مريم «عليه السلام». وما جاء في آية سورة المائدة لا يدل على المسخ، بل مجرد اللعن، أي الإبعاد عن الرحمة، وهذا قد يتحقق بصور متعددة، ولا خصوصية للانقلاب إلى خنازير وقردة.

١. الطبري: جامع البيان، ج ٥، ص ٤٢٨.

٢. المائدة: ٧٨.

ثم إن المسيح كان طفلاً بعد -بحسب الخبر- فكيف يلعنهم ويستجيب الله له، ولم يُقم الحجة عليهم بأنه مرسل من عند الله، وما ذنب الأطفال وهم غير مكلفين؟

• إنزال المائدة بطلب من الحواريين:

﴿وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ، إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

الآيات السابقة وإن لم تُصرِّح بأن الله أنزلها عليهم فعلاً، إلا أن (الآية الأخيرة تتضمن الوعد المنجز منه بإنزالها من غير تقييد، وقد وصف «تعالى» نفسه بأنه لا يُخلف الميعاد) العلامة الطباطبائي.

ولكن بعض المفسرين ذكروا أن الحواريين لما علموا بالتهديد الإلهي والوعيد الشديد، تراجعوا عن طلبهم، فلم يُنزل الله المائدة. وممن قال بذلك مجاهد والحسن، وعلّق العلامة الطباطبائي على ذلك:

١. (لا حجة في قولهما ولا قول غيرهما). لأنه تأويل - تفسير - بالرأي.

٢. لو ادّعى أحد أنها رواية، فهي إذاً موقوفة، أي يُتوقّف في سندها عند قائلها، ولا يتجاوز بها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله». والموقوفات (لا حجّة لها لضعفها)^(١).

٣. لو افترضنا أنها رواية، (فهي معارضة بغيرها من الروايات الدالة على نزولها).

٤. لو افترضنا أنها رواية صحيحة السند، (لم تكن إلا من الآحاد التي لا يُعتمد عليها في غير الأحكام)^(٢).

ثم أثار العلامة دليلاً آخر قد يَتمسّك به أصحاب القول بعدم نزول المائدة، وخلاصته أن الحادثة غير مذكورة في أي من الأنجيل الأربعة، وأن كتبهم المقدسة خالية عن ذكرها، ولو كانت نازلة لتوفّرت الدواعي لذكرها في كتبهم وحفظها فيما بينهم بسيرة مستمرة، كما تحفّظوا على العشاء الرباني.

وردّ على ذلك بقوله: (لكن الخبر بتاريخ شيوع النصرانية وظهور الأنجيل لا يعبأ بأمثال هذه الأقاويل، فلا كتبهم مكتوبة محفوظة على التواتر إلى زمن عيسى «عليه السلام»، ولا هذه النصرانية الحاضرة تتصل بزمانه حتى ينتفع بها فيما يعتورونه يداً بيد، أو فيما لا يعرفونه مما ينسب إلى الدعوة العيسوية أو يتعلق بها)^(٣).

وأشار لاحقاً إلى حادثة مذكورة في الإنجيل قد يُقال أنها تخصّ قصة إنزال

معنى-الحديث-الموقوف/27172/https://www.islamweb.net/ar/fatwa/

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ٦، ص ١٢١.

٣. الطباطبائي: الميزان، ج ٦، ص ١٢١.

المائدة، وقد وقعت بحسب رواية إنجيل متى بعد سماع المسيح «عليه السلام» خبر استشهاد النبي يحيى «عليه السلام» وقطع رأسه.

قال متى: (فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ أَنْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ فِي سَفِينَةٍ إِلَى مَوْضِعٍ خَلَاءٍ مُنْفَرِدًا. فَسَمِعَ الْجُمُوعُ وَتَبِعُوهُ مَشَاءَ مِنَ الْمَدِينِ. فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ أَبْصَرَ جَمْعًا كَثِيرًا فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرَضَاهُمْ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ: «الْمَوْضِعُ خَلَاءٌ وَالْوَقْتُ قَدْ مَضَى. اصْرِفِ الْجُمُوعَ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الْقُرَى وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ طَعَامًا». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَا حَاجَةَ لَهُمْ أَنْ يَمْضُوا. أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا». فَقَالُوا لَهُ: «لَيْسَ عِنْدَنَا هَهُنَا إِلَّا خَمْسَةُ أَرْغَفَةٍ وَسَمَكَتَانِ». فَقَالَ: «اأْتُونِي بِهِمَا إِلَى هُنَا». فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَكُتُوا عَلَى الْعُشْبِ. ثُمَّ أَخَذَ الْأَرْغَفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَيْنِ، وَرَفَعَ نَظْرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى الْأَرْغَفَةَ لِلتَّلَامِيذِ، وَالتَّلَامِيذُ لِلْجُمُوعِ. فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكَسْرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مَمْلُوءَةً. وَالْأَكْلُونَ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافِ رَجُلٍ، مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ^(١). ولكن العلامة الطباطبائي علق قائلًا: (غير أن القصة لا تنطبق على ما قصه القرآن في شيء من خصوصياته)^(٢).

نعم، كلامه سليم بالقراءة الأولية للقصة، إلا أننا لو قرأنا القصة في إنجيل يوحنا، مع تتمتها الواردة في نفس الإصحاح، فسنجد حوارات جرت في اليوم اللاحق بين المسيح وبعض من أكلوا في تلك المناسبة والحواريين في أجواء تتعلق بمسألة الإطعام، وفيها ما قد يدل على مضمون آيات سورة المائدة.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٤، ١٣-٢١.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ٦، ص ١٢١.

والحادثة كالتالي كما جاءت في إنجيل يوحنا: (... مَضَى يَسُوعُ إِلَى عَبْرِ بَحْرِ الْجَلِيلِ، وَهُوَ بَحْرُ طَبْرِيةَ. وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ لِأَنَّهُمْ أَبْصَرُوا آيَاتِهِ الَّتِي كَانَ يَصْنَعُهَا فِي الْمَرْصَى. فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى جَبَلٍ وَجَلَسَ هُنَاكَ مَعَ تَلَامِيذِهِ. وَكَانَ الْفَصْحُ، عِيدُ الْيَهُودِ، قَرِيبًا. فَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ أَنَّ جَمْعًا كَثِيرًا مُقْبِلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِفِيلِبُّسَ: «مَنْ أَيْنَ نَبْتَاعُ خُبْزًا لِيَأْكُلَ هَؤُلَاءِ؟» وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِيَمْتَحِنَهُ، لِأَنَّهُ هُوَ عَلِمَ مَا هُوَ مُزْمَعٌ أَنْ يَفْعَلَ. أَجَابَهُ فِيلِبُّسُ: «لَا يَكْفِيهِمْ خُبْزٌ بِمِئَتِي دِينَارٍ لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا يَسِيرًا». قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ تَلَامِيذِهِ، وَهُوَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سَمْعَانَ بُطْرُسَ: «هُنَا غُلَامٌ مَعَهُ خَمْسَةُ أَرْغَافَةِ شَعِيرٍ وَسَمَكَتَانِ، وَلَكِنْ مَا هَذَا لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «اجْعَلُوا النَّاسَ يَتَكْتُمُونَ». وَكَانَ فِي الْمَكَانِ عُشْبٌ كَثِيرٌ، فَاتَّكَأَ الرِّجَالُ وَعَدَدَهُمْ نَحْوُ خَمْسَةِ آلَافٍ. وَأَخَذَ يَسُوعُ الْأَرْغَافَةَ وَشَكَرَ، وَوَزَعَ عَلَى التَّلَامِيذِ، وَالتَّلَامِيذُ أَعْطَوْا الْمُتَكْتِمِينَ. وَكَذَلِكَ مِنَ السَّمَكَتَيْنِ بِقَدَرِ مَا شَاءُوا. فَلَمَّا شَبِعُوا، قَالَ لَتَلَامِيذِهِ: «اجْمَعُوا الْكَسَرَ الْفَاضِلَةَ لِكَيْ لَا يَضِيعَ شَيْءٌ». فَجَمَعُوا وَمَلَأُوا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَفَّةً مِنَ الْكَسَرِ، مِنْ خَمْسَةِ أَرْغَافَةِ الشَّعِيرِ، الَّتِي فَضَلَتْ عَنِ الْآكِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الْآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ!»^(١).

أما ما جرى في اليوم اللاحق فكان كالتالي: (وَفِي الْغَدِ لَمَّا رَأَى الْجَمْعُ الَّذِينَ كَانُوا وَاقِفِينَ فِي عَبْرِ الْبَحْرِ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ سَفِينَةٌ أُخْرَى سِوَى وَاحِدَةٍ، وَهِيَ تِلْكَ الَّتِي دَخَلَهَا تَلَامِيذُهُ، وَأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَدْخُلِ السَّفِينَةَ مَعَ تَلَامِيذِهِ بَلْ مَضَى تَلَامِيذُهُ وَحْدَهُمْ... فَلَمَّا رَأَى الْجَمْعُ أَنَّ يَسُوعَ لَيْسَ هُوَ هُنَاكَ وَلَا تَلَامِيذُهُ،

دَخَلُوا هُمْ أَيْضًا السُّفْنَ وَجَاءُوا إِلَى كَفَرِنَا حُومَ يَطْلُبُونَ يَسُوعَ. وَلَمَّا وَجَدُوهُ فِي عَبْرِ الْبَحْرِ، قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمَ، مَتَى صَرْتَ هُنَا؟» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي لَيْسَ لَأَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ آيَاتٍ، بَلْ لِأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ فَشَبِعْتُمْ. اِعْمَلُوا لَا لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمْ ابْنُ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ هَذَا اللَّهُ الْآبُ قَدْ خَتَمَهُ». فَقَالُوا لَهُ: «مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللَّهِ؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ: أَنْ تَوَظَّنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ». فَقَالُوا لَهُ: «فَأَيَّةُ آيَةٍ تَصْنَعُ لِنَرَى وَنُؤْمِنَ بِكَ؟ مَاذَا تَعْمَلُ؟ أَبَاؤُنَا أَكَلُوا مِنَ الْبَرِّيَّةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبُ: أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا» فِي إِشَارَةٍ إِلَى قِصَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ مُوسَى «عَلَيْهِ السَّلَام» بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنْ مِصْرَ وَإِنْزَالِ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى عَلَيْهِمْ (فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمْ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي) اللَّهُ بِادْعَاءِ أَنْ الْمَسِيحَ ابْنَهُ (يُعْطِيكُمْ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ، لِأَنَّ خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ». فَقَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هَذَا الْخُبْزَ». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يَقْبَلْ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا.....) فَالْمَسِيحُ يَعُودُ وَيَتَحَدَّثُ عَنِ الْبُعْدِ الْإِيمَانِي وَالرُّوحِي وَالْأَخْلَاقِي الَّذِي مِنْ خِلَالِهِ تَتَحَقَّقُ الْحَيَاةُ بِمَفْهُومِهَا الْمَعْنَوِي لَا الْمَادِي، وَهَذَا شَبِيهِه بِقَوْلِهِ «تَعَالَى»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١).

ولكن تركيزهم على البعد المادي في حياتهم جعلهم يتذمرون: (فَكَانَ الْيَهُودُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ قَالَ: «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ».... فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: أَبَاؤُكُمْ أَكَلُوا مِنَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا. هَذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، لَكِي يَأْكُلَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ وَلَا يَمُوتَ. أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ»).

لم يستوعب الجمع كلام المسيح، لأنهم ما زالوا ينظرون إلى البعد المادي من احتياجاتهم: (فَخَاصَمَ الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ: «كَيْفَ يَقْدِرُ هَذَا أَنْ يُعْطِيَنَا جَسَدَهُ لِنَأْكُلَ؟»). يبدو أن المسيح من هذه اللحظة فبعد أخذ يجاريهم في منطقهم، فإذا كان همهم الأكل والشرب، فقد شبه جسده بذلك لعلهم يستوعبون مراده ويفهمون مقصوده: (فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، لِأَنَّ جَسَدِي مَأْكُلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي يَثْبُتَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»^(١)). كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبُ الْحَيُّ، وَأَنَا حَيٌّ بِالْآبِ، فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا

١. لدى المسيحيين تقليد كنسي يُعرف بعنوان (سر الأفخارستيا أو الأوخارستيا) وهي كلمة معرّبة تعني الشكر ومأخوذة عن الكلمة اليونانية εὐχαριστέω أقول شكراً، ويعبر عنها أيضاً بعنوان (سر التناول) أو (القربان المقدس). وهذا التقليد تذكير بالعشاء الأخير الذي تناوله يسوع بصحبة حواريه في الليلة التي اعتقل فيها بعدها بحسب التصور المسيحي السائد ثم عُذِبَ وَصُلِبَ وَقُتِلَ. يتم هذا التقليد الكنسي بتناول قطعة صغيرة ورقيقة من الخبز (تعرف بالبرشان) التي تمثل جسد يسوع، وأحياناً تذوق أو غمس قطعة الخبز في القليل من الخمر الذي يمثل دم يسوع كما جاء في النص الإنجيلي أعلاه.

آيات السيد المسيح

بي. هذا هو الخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. لَيْسَ كَمَا أَكَلَ آبَاؤُكُمْ مِنَ وَمَاتُوا. مَنْ يَأْكُلْ هَذَا الْخُبْزَ فَإِنَّهُ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ». قَالَ هَذَا فِي الْمَجْمَعِ وَهُوَ يَعْلَمُ فِي كَفَرِنَاحُومَ. تأكيد متكرر على أن غذاء الإيمان والروح والعقل هو الأهم، والمسيح يمثل المصدر لهم في ذلك.

وجاءت اللحظة التي تميّز فيها المؤمنون ممّن حوله عن أولئك الذي كان في قلبهم شك أو مرض أو كانوا من اليهود الذين لم يؤمنوا به بعد ممّن شهدوا ما جرى بالأمس من آية الإطعام ولكنهم مع هذا كفروا به، وما ذاك إلا لشدة تمسّكهم بالماديات، وطمعهم في تلبية حاجاتهم المادية فقط دون الإيمانية والمعنوية والأخلاقية.

(فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِ، إِذْ سَمِعُوا: «إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟» فَعَلِمَ يَسُوعُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ تَلَامِيذَهُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَى هَذَا، فَقَالَ لَهُمْ: «أَهَذَا يُعْثِرُكُمْ؟ فَإِنْ رَأَيْتُمْ ابْنَ الْإِنْسَانِ صَاعِدًا إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلًا! الرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلَا يُفِيدُ شَيْئًا. الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلَمْتُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ، وَلَكِنْ مِنْكُمْ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ». لَأَنَّ يَسُوعَ مِنَ الْبَدءِ عَلِمَ مَنْ هُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُهُ. فَقَالَ: «لِهَذَا قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يُعْطَ مِنْ أَبِي». مِنْ هَذَا الْوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ) تلاميذه من غير الحواريين (وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ. فَقَالَ يَسُوعُ لِلْاِثْنَيْ عَشَرَ: «أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا؟» فَأَجَابَهُ سَمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلَامُ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ، وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ». أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا اخْتَرْتُكُمْ، الْاِثْنَيْ عَشَرَ وَوَاحِدٌ



سرّ الأفخارستيا - سرّ التناول - القربان المقدّس

مَنْكُمْ شَيْطَانٌ! قَالَ عَنْ يَهُوذَا سَمْعَانَ الْإِسْخَرْيُوطِيِّ، لِأَنَّ هَذَا كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يُسَلِّمَهُ، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ^(١).

برأيي الشخصي أنّ ربطهم بين الطلب المقدّم وبين إنزال المنّ والسلوى في قصة النبي موسى «عليه السلام» والتعبير عن ذلك بالإنزال من السماء وأنه من عند الله «سبحانه» يجعلنا نعيد فهُمنا لحدث إنزال المائدة وكيفية تحقّق ذلك، كما أن ارتباط ذلك بالإيمان بالمسيح - كما في النص التالي - قريب من مضمون الكلام الوارد في سورة المائدة: (فَقَالُوا لَهُ: «مَاذَا نَفْعُلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللَّهِ؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٦، ٢٢-٧١.

آيات السيد المسيح

أَرْسَلَهُ». فَقَالُوا لَهُ: «فَأَيَّةَ آيَةٍ تَصْنَعُ لِنَرَى وَنُؤْمِنَ بِكَ؟ مَاذَا تَعْمَلُ؟ أَبَاؤُنَا أَكَلُوا الْمَنِّ فِي الْبَرِّيَّةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا»^(١).

ومما يقوِّي أيضاً احتمال أن تكون هذه الحادثة هي المقصودة، أنها جاءت قبيل عيد الفصح، وآيات المائدة تتكلم عن العيد: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٢).

فكما أن عيد الفصح يرتبط بخبز الفطير حيث يأكل اليهود الفطير استذكراً لليلة خروجهم وخلصهم من العبودية في أرض مصر، وكذلك للفطير الذي أكلوه في أيامهم الأولى بعد عبورهم اليم، وصنعوه من العجين الذي أخذوه معهم من مصر ولم يكن قد اختمر بعد، فلتكن هناك مناسبة بديلة عن ذلك (عيد) ترتبط بالمسيح نفسه هذه المرة وبرسالته والأحداث المحيطة بها، لتبقى ذكراً عند المؤمنين به عبر الزمن.

ويضاف إلى ما سبق أن التعبير بأنها مائدة من السماء لا يعني بالضرورة أن مائدة نزلت بهذه الصورة وعليها طعام، بل تعني أن الله «سبحانه» يهيئ الطعام بشكل غير معتاد عليه ودون بذل جهد يذكر من قبل الناس، تماماً كما جاء التعبير عن توفير المن والسلوى لهم بعنوان الإنزال: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٣)، والحال أنها مادة تفرزها

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٦، ٢٨-٣١.

٢. المائدة: ١١٤.

٣. البقرة: ٥٧.

الأشجار وطيور تعيش على الأرض، غاية الأمر أن الله «سبحانه» هيأ الظروف بحيث تتوافر هاتان المادتان الغذائيّتان بشكل دائم، ومن دون حاجة إلى زراعة أو بذل جهد لتربية الطيور أو العناية في اصطيادها. وهكذا كان الأمر حين بارك الله «سبحانه وتعالى» في الخمسة أرغفة وفي السمكتين بحيث صارت بمجموعها مورداً لإشباع الآلاف من الناس، لتكون بذلك آية من آيات الله على صحة رسالة المسيح «عليه السلام»: (فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الْآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الَّاتِي إِلَى الْعَالَمِ!»)^(١).

والخلاصة التي استنتجها من جمع المعلومات السابقة وإعادة صياغتها بإجراء شيء من التعديل على القصة الإنجيلية فسيكون الأمر كالتالي:

○ قرب موعد عيد الفصح اليهودي، طلب الحواريون من المسيح «عليه السلام» أن يرزقهم الله رزقاً من عنده، وبصورة غيبية، لتكون هذه الحادثة آية تزيد من إيمانهم به.

○ دعا المسيح أن يرزقهم الله رزقاً بصورة غيبية (المائدة) بحيث تكون مناسبة احتفالية تذكّرها الأجيال المؤمنة به، وآية منه على صحة رسالته، وإشباعاً لجوعهم.

○ هدّدهم الله إن كفر أحدٌ منهم بعد هذه الآية فإنه سيلقى عذاباً شديداً.

○ استجاب الله للمسيح، فصارت الأرغفة الخمسة والسمكتان طعام الآلاف من الناس، وفاضت عن حاجتهم.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٦، ١٤.

o ثبت الحواريون على إيمانهم، بينما كفر كثير من اليهود لأنهم تطلّعوا إلى استمرارية الأمر وأن لا يكون لمرة واحدة فقط، بما يدلّ على شدة ماديتهم.

o وبذا تكون آيات سورة المائدة تهدف - بالإضافة إلى ذكر الحادثة - أن تصحّح القصة الإنجيلية برواية يوحنا، وتضعها في سياقها السليم كما جرت الأحداث حينئذ، ومن ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا من أن الكلام كان صادراً عن عامة اليهود لا من الحواريين، بينما صدور الكلام بحسب القرآن الكريم كان من الحواريين أنفسهم، فإن هذه النقطة بمثابة تصحيح قرآني للقصة الإنجيلية.

وهناك حادثة أخرى وهي المعروفة بعنوان (العشاء الأخير) والذي أعقبه مباشرة القبض على المسيح وحادثة الصلب، وتحتاج إلى وقفة تحليلية لنرى مدى إمكانية أن تكون هي ذاتها المذكورة في سورة المائدة.

ففي إنجيل متى: (وَفِي أَوَّلِ أَيَّامِ الْفَطِيرِ) عيد الفصح حيث يأكل اليهود الفطير (تَقَدَّمَ التَّلَامِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ لَهُ: «أَيَّنَ تُرِيدُ أَنْ نُعَدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفَصْحَ؟» فَقَالَ: «اذهَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، إِلَى فُلَانٍ وَقُولُوا لَهُ: الْمَعْلَمُ يَقُولُ: إِنَّ وَقْتِي قَرِيبٌ. عِنْدَكَ أَصْنَعُ الْفَصْحَ مَعَ تَلَامِيذِي». فَفَعَلَ التَّلَامِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعَ وَأَعَدُّوا الْفَصْحَ. وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ اتَّكَأَ مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ قَالَ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي». فَحَزَنُوا جَدًّا).

ويذكر النص أن كل واحد من الحواريين بدأ يسأل المسيح إن كان هو الذي سيُسلمه، فقال: ((الَّذِي يَغْمِسُ يَدَهُ مَعِيَ فِي الصَّحْفَةِ هُوَ يُسَلِّمُنِي! إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ) يقصد نفسه (مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلَكِنْ وَيلٌ لِدَلكَ الرَّجُلِ

الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الْإِنْسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِذَلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُؤْلَدْ».)

وحيث أن يهوذا الاسخريوطي - بحسب إنجيل متى - قد اتفق مسبقاً مع اليهود كي يسلم لهم المسيح إذ اختبأ عن الأعين^(١) لذا فقد كانت إجابة المسيح لسؤاله مختلفة (فَأَجَابَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ وَقَالَ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا سَيِّدِي؟» قَالَ لَهُ: «أَنْتَ قُلْتَ»). أي أنت بهذا السؤال وضعت نفسك موضع التهمة.

ويكمل النص كيف بارك المسيح الطعام وقدم معنى رمزياً لذلك، وأخبرهم أن هذه آخر شربة له من (الخمير) الدنيوي: (إِنِّي مِنَ الْآنَ لَا أَشْرَبُ مِنْ نَتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي». ثُمَّ سَبَّحُوا وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ). ثم أخبرهم المسيح أنهم سيشكون فيه في نفس هذه الليلة، وأنه قدر محتوم، مشيراً بذلك إلى أنه سيقبض عليه، فكيف لا يستطيع الخلاص مما سيقع عليه وهو يأتي بالآيات (المعجزات): (حِينَئِذٍ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كَلِمَتُكُمْ تَشْكُونُ فِيَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ»).

ثم ينقل النص حواراً دار بين المسيح وبطرس الذي يستثني نفسه من ذلك الشك: (فَأَجَابَ بَطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «وَأَنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لَا أَشْكُ أَبَدًا». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دِيكَ تَتَكْرَنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». قَالَ لَهُ بَطْرُسُ: «وَلَوْ اضْطَرَرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لَا أَنْكَرُكَ»).

وكرر كل منهم مقولة بطرس مؤكدين ثباتهم على الإيمان به، وهو قريب من

١. جاء في نفس الإصحاح من إنجيل متى: (ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنَ الْاَثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا الْإِسْخَرِيُوطِي، إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقَالَ: «مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أَسْلِمُهُ إِلَيْكُمْ؟» فَجَعَلُوا لَهُ ثَلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ يَطْلُبُ فُرْصَةً لِيُسَلِّمَهُ). (١٤-١٦)

وصف آيات سورة المائدة التي تبين أن لديهم حالة من التردد وعدم الثبات بما يلتقي مع ما أخبر به المسيح من أنهم سيشكون فيها سريعاً، بل إنه ذهب لاحقاً ليصلي الليل فوجدهم قد ناموا فلامهم: (ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلَامِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبَطْرُسَ: «أَهَكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِيَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اسْهَرُوا وَصَلُّوا لئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجَرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ...» ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَامًا، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً. فَتَرَكَهُمْ وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى ثَالِثَةً فَأَثَلَا ذَلِكَ الْكَلَامَ بَعَيْنِهِ. ثُمَّ جَاءَ إِلَى تَلَامِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «نَامُوا الْآنَ وَاسْتَرِيحُوا! هُوَذَا السَّاعَةُ قَدْ اقْتَرَبَتْ، وَابْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلِّمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ. قُومُوا نَنْطَلِقْ! هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدْ اقْتَرَبَ!» وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا يَهُوذَا أَحَدُ الْاثْنَيْ عَشَرَ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ) (١).

هذه الصورة المقدّمة لما يعرف بعنوان العشاء الأخير وبهذه التفاصيل لا تكفي للقول بأنها هي المقصودة بحدث إنزال المائدة، بل لا تتضمن شيئاً من هذا القبيل، إذ كان إعداد الطعام طبيعياً ومن دون تدخل يد الغيب، والقرآن يتحدث عن طلبهم (آية) لكي يثبت إيمانهم وتطمئن قلوبهم ويكونوا شهداء على الحدث، ولو سألهم أحد أو أخبروا عنه الآخرين لكانوا شهود عيان.

والخلاصة أنّ حادثة أ طعام الخمسة آلاف أقرب في الدلالة للمراد من آيات سورة المائدة بشرط أن نقول أنها نزلت في القرآن الكريم بهذه الخصوصيات بغرض تعديل بعض تفاصيل القصة الإنجيلية وتصحيحها.

• آيات لم ترد في القرآن:

بالإضافة إلى ما ورد في القرآن الكريم من آيات، ذكرت الأنجيل آيات أخرى، سنتوقف عندها قليلاً، ولكن بعد أن ننقل هذه الكلمات التي جاءت في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس تحت عنوان (معجزات المسيح): (لم يسجل يوحنا والبشيريون الآخرون سوى جزء من المعجزات التي حدثت مع أناس لمسهم يسوع وشفاهم)^(١).

ولو قمنا بإحصاء هذه (الآيات=المعاجز) المذكورة في الأنجيل الأربعة فسنجد أنها قد أدرجت من قبل بعض الباحثين تحت أربعة أقسام (سلطان على قوى الطبيعة - شفاء المرضى - إحياء الموتى - إخراج الشياطين)، وتحت هذه الأقسام ٣٧ حدثاً، وكل حدث قد يشتمل على آية (معجزة) أو أكثر، وهي مبوبة كالتالي:

○ سلطان على قوى الطبيعة:

١. تحويل الماء الى خمر
٢. إكثار السمك في الشباك
٣. تهدئة العاصفة
٤. إشباع خمسة آلاف رجل بالإضافة إلى النساء والأولاد
٥. السير على المياه
٦. إشباع أربعة آلاف رجل بالإضافة إلى النساء والأولاد

١. عدة من المؤلفين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٢٢٥٨.

٧. الجزية في فم السمكة
٨. لعن شجرة التين
٩. إكثار السمك للمرة الثانية
- ٥ شفاء المرضى:
١. تطهير وشفاء الأبرص
٢. شفاء خادم قائد المئة
٣. شفاء حماة بطرس
٤. شفاء المرضى والمجانين
٥. شفاء المشلول
٦. شفاء نازفة الدم
٧. شفاء أعميين
٨. شفاء إنسان يده يابسة
٩. شفاء ابنة المرأة الكنعانية
١٠. شفاء الكثيرين في الجليل
١١. شفاء عميان
١٢. شفاء أصم وأخرس
١٣. شفاء أعمى في بيت صيدا
١٤. شفاء امرأة منحنية

١٥. شفاء مصاب بالاستسقاء

١٦. شفاء عشرة بُرص

١٧. إبراء أذن عبد رئيس الكهنة

١٨. شفاء ابن خادم الملك

١٩. شفاء مشلول بيت حسدا

٢٠. شفاء أعمى منذ الولادة

○ إحياء الموتى:

١. إحياء ابنة يايرس

٢. إحياء ابن ارملة نايين

٣. إحياء لعازر

○ إخراج الشياطين:

١. إخراج شياطين في كورة الجرجسيين

٢. إخراج شياطين من اخرس مجنون

٣. إخراج شيطان من غلام

٤. طرد الروح النجس

٥. إخراج شيطان من اخرس وأعمى^(١)

• قَلْبُ الْمَاءِ خَمَرًا:

جاء في إنجيل يوحنا: (وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَ عُرْسٌ فِي قَانَا الْجَلِيلِ) قرية «كفر كنا» في فلسطين (وَكَانَتْ أُمُّ يَسُوعَ هُنَاكَ. وَدُعِيَ أَيْضًا يَسُوعُ وَتَلَامِيذُهُ إِلَى الْعُرْسِ. وَلَمَّا فَرَغَتِ الْخَمْرُ، قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ: «لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «مَا لِي وَلَكَ يَا امْرَأَةٌ؟ لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ». قَالَتْ أُمُّهُ لِلْخُدَّامِ: «مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ». وَكَانَتْ سِتَّةَ أَجْرَانٍ مِنْ حِجَارَةٍ مَوْضُوعَةً هُنَاكَ، حَسَبَ تَطْهِيرِ الْيَهُودِ الْجَرْنَ: خَزَانٌ أَوْ حَوْضٌ مِنَ الْحَجَرِ الْمَنْقُورِ الَّذِي يُصَبُّ فِيهِ الْمَاءُ فَيُغْسَلُ فِيهِ أَجْزَاءُ مِنَ الْبَدَنِ أَوْ يُتَوَضَّأُ مِنْهُ أَوْ تُدَقُّ فِيهِ الْحَبُوبُ أَوْ يُهْرَسُ فِيهِ اللَّحْمُ، وَلِذَا تَكُونُ أَحْجَامُهُ مُتَفَاوِتَةً. وَكَانَتْ الْأَجْرَانِ السِتَّةُ كَبِيرَةً لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ أَجْرَانِ لِمَاءِ الشَّرْبِ بَلْ لِلتَّطْهِيرِ، وَقَدْ كَانَ الْيَهُودُ يَطْهَرُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَأْكُلُونَ إِنْ لَمْ يَغْسِلُوا أَيْدِيَهُمْ. وَهُمْ دَائِمًا يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ لِلْحِفَاضِ عَلَى طَهَارَتِهَا (يَسْعُ كُلُّ وَاحِدٍ مَطْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً) قُدِّرَ الْمَطَرُ الْوَاحِدُ بِثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ لِتَرًّا تَقْرِيْبًا (قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «امْلَأُوا الْأَجْرَانَ مَاءً». فَمَلَأُوهَا إِلَى فَوْقِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «اسْتَقُوا الْآنَ وَقَدِّمُوا إِلَى رَئِيسِ الْمُتَكَلِّ». فَقَدَّمُوا. فَلَمَّا ذَاقَ رَئِيسُ الْمُتَكَلِّ الْمَاءَ الْمُتَحَوِّلَ خَمْرًا، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هِيَ، لَكِنَّ الْخُدَّامَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ اسْتَقُوا الْمَاءَ عَلِمُوا، دَعَا رَئِيسُ الْمُتَكَلِّ الْعَرِيسَ وَقَالَ لَهُ: «كُلُّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا يَضَعُ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ أَوَّلًا، وَمَتَى سَكَّرُوا فَحِينَئِذٍ الدُّونَ. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ إِلَى الْآنَ!». هَذِهِ بَدَايَةُ الْآيَاتِ فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَآمَنَ بِهِ تَلَامِيذُهُ^(١).

الملاحظات على هذه الآية:

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢، ١-١١.



مؤتمر صحفي بعد اكتشاف جرن دائري (ق ٦م) داخل جرن ثمانى الأضلاع
في كنيسة المهد ويسمى (جرن المعمودية)



جرن من العهد الفينيقي

١. لم تُذكر إلا في رواية يوحنا، ولذا لا نستطيع أن نقارن مضمونها مع نصوص في أناجيل أخرى.

٢. هل كان التشريع الخاص بالخمير هو الإباحة؟

تتوّعت الآراء المسيحية حول الكحول، فطوال ١٨٠٠ عام الأولى من تاريخ الكنيسة، كان المسيحيون يستهلكون المشروبات الكحولية كجزء من ممارساتهم الحياتية اليومية، بل ويدخل النبيذ كمشروب كحولي ضمن بعض الطقوس الدينية، وينظرون إليها -من خلال الكتاب المقدس والتقاليد المسيحية- على أنها هبة من الله تجعل الحياة أكثر بهجة، لكن الإفراط في الشرب والذي يؤدي إلى السكر يُعدُّ خطيئة.

في منتصف القرن التاسع عشر، انتقل بعض المسيحيين البروتستانت من موقف السماح بتناول المشروبات الكحولية (باعتدال) إلى اتخاذ قرار يقضي بأنّ عدم الشرب هو التصرف الأكثر حكمة في الظروف الحالية، بينما نحى آخرون منهم إلى حظر الاستهلاك الاعتيادي للكحوليات، لأنها من المحرمات. اليوم، المواقف الثلاثة من تناول الكحوليات موجودة عند طوائف المسيحيين، لكن الموقف التاريخي -المبيح بلا تحفظ سوى من السكر- لا يزال هو الأكثر شيوعاً بين المسيحيين في جميع أنحاء العالم.

أما في التنخ (العهد القديم) فنجد ادّعاءات شنيعة تنسب لبعض الأنبياء شرب الخمر إلى حدّ السكر وارتكاب الموبقات إثر ذلك:

○ فقد جاء ضمن أحداث قصة نوح في المرحلة التي أعقبت الطوفان

واستقراره «عليه السلام» على الأرض أنه زرع العنب وصنع خمرًا وشرب حتى ثمل وتعرى: (وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلَاحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَاتِهِ. فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخُوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافِثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَى إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجَّهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يَبْصُرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لِأَخَوْتِهِ». وَقَالَ: «مُبَارَكُ الرَّبِّ إِلَهُ سَام. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. لِيَفْتَحِ اللَّهُ لِيَاْفِثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِينِ سَام، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ»^(١)).

لا يخفى ما في هذا النص من توجيه مقصود للإساءة إلى كنعان والكنعانيين، وهم السكان الأصليون لأرض فلسطين، والأعداء التاريخيون لبني إسرائيل.

○ وهكذا نجد ادعاءً قبيحاً مفاده أن لوطاً «عليه السلام» -بعد نزول العذاب على قومه وهروبه مع ابنتيه إلى الجبل- شرب الخمر حتى ثمل وارتكب الزنا بابنتيه دون أن يدرك، وكان حصيلة ذلك أن أنجب منهما طفلين: (وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الْأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعْ مَعَهُ، فَتُحْيِي مِنْ أَيْنَا نَسْلًا». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطَجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا. وَحَدَّثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسَقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ

١. الكتاب المقدس: سفر التكوين، الإصحاح ٩، ٢٠-٢٧.

أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنَحْيِي مِنْ أَيْبِنَا نَسْلًا». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا، فَحَبَلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُؤَابَّ»، وَهُوَ أَبُو الْمُؤَابِّيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بَنَ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ^(١).

ويأتي هذا النص أيضاً موجّهاً ضد أعداء بني إسرائيل وخصومهم التاريخيين من أهل مؤاب (مملكة كانت تقع شرق البحر الميت) وبني عمّون (عمّان عاصمة الأردن)، علماً بأن لغة المؤابيين والعمونيين هي الكنعانية.

◦ ثم نجد في قصة إسحاق مع ولديه عيسو ويعقوب ما يدل على شربه الخمر أيضاً، بل ودعائه بأن يرزق الله ابنه يعقوب حنطة وخمراً!

والقصة تحكي - باختصار - أن إسحاق لما كبر فقدّ بصره، وولده عيسو ويعقوب توأمان، وحيث أن الأول هو الأكبر، فقد أراد أبوه أن يباركه ويختاره ليحل محله من بعده، وطلب منه أن يذهب للصيد ليأتيه بطعام ليكون ذلك سبباً لاستحقاقه بركته!

وحيث علمت الأم بذلك، وبلحاظ ميلها إلى يعقوب، لذا فقد أخبرته بكلام أبيه، وألبسته جلد جدي المعزى لتبدو يده - كيد أخيه عيسو - مُشعرة حين يتلمسه أبوه، قال إسحاق: («هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو؟ » فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». فَقَالَ: «قَدِّمْ لِي لِأَكُلَ مِنْ صَيْدِ ابْنِي حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي». فَقَدَّمَ لَهُ فَأَكَلَ، وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْرًا فَشَرِبَ. فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: «تَقَدَّمْ وَقَبِّلْنِي يَا ابْنِي». فَتَقَدَّمَ وَقَبَّلَهُ، فَشَمَّ

رَائِحَةَ ثِيَابِهِ وَبَارَكَهُ، وَقَالَ: «انْظُرُوا رَائِحَةَ ابْنِي كَرَائِحَةَ حَقْلٍ قَدْ بَارَكَهُ الرَّبُّ. فَلْيُعْطِكُمُ اللَّهُ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ دَسَمِ الْأَرْضِ. وَكَثْرَةَ حَنْطَةِ وَخَمَرٍ. لِيُسْتَعْبَدَ لَكُمْ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدَ لَكُمْ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدًا لِإِخْوَتِكَ، وَلِيَسْجُدَ لَكَ بَنُو أُمَّكَ. لِيَكُنْ لَاعْنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارَكُوكَ مُبَارَكِينَ»^(١).

ونلاحظ هنا عبارة: (لِيُسْتَعْبَدَ لَكُمْ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدَ لَكُمْ قَبَائِلُ) وهي تدلّ على الذهنية الحاكمة على بني إسرائيل في نظرهم إلى سائر الأمم.

بعد هذا، نلاحظ ما جاء في التوراة من تشريع يخصّ الخمر، ففي سفر اللاويين: (وَكَلَّمَ الرَّبُّ هَارُونَ قَائِلًا: «خَمَرًا وَمُسْكِرًا لَا تَشْرَبْ أَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ عِنْدَ دُخُولِكُمْ إِلَى خِيْمَةِ الْجَمْعِ لِكَيْ لَا تَمُوتُوا. فَرَضًا دَهْرِيًّا فِي أَجْيَالِكُمْ وَلِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُقَدَّسِ وَالْمُحَلَّلِ وَبَيْنَ النَّجَسِ وَالطَّاهِرِ، وَلِتُعَلِّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ الْفَرَائِضِ الَّتِي كَلَّمَهُمُ الرَّبُّ بِهَا بِيَدِ مُوسَى»^(٢)).

هذه العبارة وإن اشتملت على النهي عن شرب الخمر والمسكر وتحريم ذلك تحريماً أبدياً، ولكن يبدو أنها:

١. خاصة بهارون وذريته، فهم الذين يحقّ لهم أن يكونوا كهنة من بين كل بني إسرائيل.

٢. جاءت في خصوص وقت دخولهم (خيمة الاجتماع) والذي يُطلق عليه اليهود عنوان (مشكن) أي مسكن، وهو الحرم المتنقل الذي حمله بنو إسرائيل معهم في التيه بعد الخروج من مصر قبل بناء حرم مركزي دائم.

١. الكتاب المقدس: سفر التكوين، الإصحاح ٢٧، ٢٤-٢٩.

٢. الكتاب المقدس: سفر اللاويين، الإصحاح ١٠، ٨-١١.

جاء في تفسير هذا النص: (معنى هذا أنه إن كان يمكن للكهنة أن يشربوا قليلاً من الخمر أي عصير العنب المختمر طبيعياً، أي فيه نسبة كحول ضئيلة جداً، وذلك في حياتهم العادية ولكن غير مسموح بذلك قبل دخولهم للخدمة، أما الخمر المسكرة أي شديدة التخمر فغير مسموح بها في جميع الأحوال)^(١).

وفي سفر التثنية من التوراة، والخطاب لبني إسرائيل: («وَمِنْ أَجْلِ أَنْكُمْ تَسْمَعُونَ هَذِهِ الْأَحْكَامَ وَتَحْفَظُونَهَا وَتَعْمَلُونَهَا، يَحْفَظُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ الْعَهْدَ وَالْإِحْسَانَ الَّذِينَ أَقْسَمَ لِأَبَائِكَ، وَيُحِبُّكَ وَيُبَارِكُكَ وَيَكْثُرُكَ وَيُبَارِكُ ثَمَرَةَ بَطْنِكَ وَثَمَرَةَ أَرْضِكَ: قَمْحَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ وَنِتَاجَ بَقَرِكَ وَإِنَاثَ غَنَمِكَ، عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ لِأَبَائِكَ أَنَّهُ يُعْطِيكَ إِيَّاهَا»)^(٢).

فالله -بحسب هذا السفر المخصّص للأحكام الشرعية والوصايا الإلهية- يبارك خمرهم، مما يعني أن الخمر في نفسه غير محرّم، ولكن النهي وجه للكهنة ضمن ظروف محددة.

وفي التنخ نصوص عديدة تذكر الخمر واستمرار صناعته وشربه من قبل بني إسرائيل. ويُستخلص من نظرة اليهود إلى الخمر أنهم يبيحونها، ولكن لا يحبّذون السكر ولا الاستهلاك المفرط، ويمنعون الكهنة من شربها قبل أداء المراسم الدينية، ولم يكن لائقاً للقضاة أن يشربوا منه عند جلوسهم في مجالس القضاء. وليس للملوك والعظماء أن يشربوا المسكر، لئلا ينسوا مسؤولياتهم، ولئلا يكون حكمهم خاطئاً أو مجانباً العدل والصواب.

1. <https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/leviticus/chapter-10.html>

٢. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٧، ١٢-١٣.

وتوصي الهلاخا (القانون اليهودي) بتناول النبيذ في مختلف الاحتفالات الدينية، كقداس يوم السبت، كما وتوصي في بداية مراسم الأعياد وختامها بتناول النبيذ، وهكذا الأمر في حفل الختان وفي حفل الزواج، ويعتبر تناوله -أحياناً- وسيلة للارتقاء الروحي في العلاقة مع الله في مثل هذه الأجواء!
وورد في نص تشريعي ما ترجمته عن العبرية أن: (السُّكر ممنوع تماماً وليس هناك خطيئة أعظم من السُّكر، وهو سبب لكثير من الخطايا)^(١).

ومن كل ما سبق، فإننا -كمسلمين- حيث نستهنج النص الإنجيلي الذي يذكر قلب الماء إلى خمر على يد المسيح «عليه السلام»، وكون ذلك أول آية من آياته لإثبات نبوته -بل وكونه ابناً لله بحسب زعمهم- إلا أن هذا الأمر يُعدُّ مقبولاً في النظرة المسيحية، ولا ضير فيه، وهو غير مستهجن.

جاء في (قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية):
(ذُكرت الخمر مع الحنطة والزيت كعطية عظيمة للإنسان.. وقد اتخذت في العهد القديم احتياطات كثيرة لوقاية الناس من الإفراط في شربها، كمزجها بالماء... وقد نهى الكتاب عن السكر بالخمر، وعلم أنَّ السُّكر بها خطيئة)^(٢).

وتحت عنوان (أسئلة عن الكتاب المقدس) على موقع (الأنبا توكلا هيمانوت) القبطي الأورثوذكسي: (وفي العهد الجديد جاءت هذه الآيات: «ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل إمتلئوا بالروح -أي بالروح القدس-» «أفسس ٥: ١٨»... الله لم يُعطِ المسيحيين الحقَّ في أن يعاقبوا السَّكيرين، لأنَّ هذا يكون في

1. https://www.sefaria.org/Beit_Yosef%2C_Orach_Chaim.695.3.1?lang=bi

٢. مجمع الكنائس الشرقية: قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٤٧.

يد السلطات الحكومية «الشرطة والقضاء.. إلخ». لأن المسيحية تنادي بعلاقة فردية قلبية مع الله، وليست سياسة دولية. ويجب أيضاً أن نلاحظ أن الكتاب المقدس ينهي عن السكر وإدمان الخمر، ولكن لا يمنع استعمال الخمر بتاتاً (أي بصورة مطلقة) (لأنه موجود في أدوية كثيرة «مثل أدوية السعال والمعدة وغيرها».)^(١) وإلا فما أمكن للمؤمن أن يتعاطى هذه الأدوية).

وفي الرد على الإشكال المطروح بخصوص تحويل المسيح الماء إلى خمر في ذلك العرس، اعتبر أن من يقرأ هذه المعجزة في الكتاب المقدس يدرك أن هذه الخمر التي حوّلت من الماء:

١. قد أفاقت السكارى... فهي خمر غير عادية لا تُسكر بل على العكس تُفّيق. فمن يتهم المسيحية بإباحة الخمر استناداً على هذه الحادثة فهو غير محقّ.

٢. أن هذا الماء المتحوّل إلى خمر إنما يرمز للامتلاء بالروح القدس: حيث يقول بولس في رسالته إلى أهل أفسس: (وَلَا تَسْكُرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلَاعَةُ، بَلْ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ)^(٢) فقد ربط الرسول بين الخمر والامتلاء بالروح القدس، الذي يعطي مفاعيل أسمى مما تعطي الخمر العادية حيث يفيق السكارى من مشروبات العالم الغاشة، وينعش حياتهم ليشعروا بنعمة الله.

ومن الواضح أن هذا الرد لا يغني ولا يضمن من جوع، وليس إلا محاولة للالتفاف على النص، لأنّ الخمر متى ما سبّب الإفاقة لم يكن خمرًا، والمعنى

1. https://st-takla.org/FAQ-Questions-VS-Answers/01-Questions-Related-to-The-Holy-Bible__Al-Ketab-Al-Mokaddas/029-Is-Wine-liqour-al-cholic-drink-forbidden.html

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، الإصحاح ٥، ١٨.

الرمزي المذكور هنا -إن افترضنا صحته- لا يغيّر من حقيقة انقلاب الماء خمرًا تناسباً مع الأجواء الاحتفالية في حفل الزفاف.

٣. القصة تتضمّن -في ظاهر عبارتها- إساءة من المسيح تجاه والدته السيدة مريم، وقد أشرنا إلى هذه القضية فيما سبق عند الحديث على كون المسيح باراً بوالدته بحسب النص القرآني.

وقد جاء في تفسير النص (شرح الكتاب المقدس): (تظهر محبة العذراء وأمومتها، في إحساسها باحتياج من حولها دون أن يطلبوا. فيبدو أن عدد الذين حضروا إلى العرس كان أكثر جداً مما كان متوقعاً، ففرغت الخمر المعدة، وهي عصير العنب، المختمر طبيعياً، دون تقطير أو إضافة كحول، أي بفعل البكتيريا فقط، وإذا صارت قديمة، يظهر فيها طعم الخل، ولكن لا تصير مثل الخمر المسكرة التي تباع في الأسواق الآن، والتي ينهى عنها الكتاب المقدس. وأسرعت العذراء، بحب، تطلب من المسيح إنقاذ أهل العرس من هذا الحرج. ولم يكن في تدبير الله بدء معجزاته وبشارته الآن، فقال لها: «ما لى ولك يا امرأة؟» أي أنت إنسانة، ولا تعرفى حكمة الله، والميعاد الذي حدده. ولكنه في نفس الوقت أكرمها، لأنها أمه القديسة العذراء مريم، واستجاب لشفاعتها)^(١).

ولا أجد في الشرح السابق ما يرفع الإشكال الموجه للنص بوجود عبارة ليس من اللائق أن تتسب للمسيح وهو يوجّهها لوالدته، وهما من هما.

1. https://st-takla.org/FAQ-Questions-VS-Answers/01-Questions-Related-to-The-Holy-Bible__Al-Ketab-Al-Mokaddas/029-Is-Wine-liquor-alcoholic-drink-forbidden.html

وحاول القمص تادرس يعقوب ملطي من ناحيته التخفيف من وطأة هذا التعبير حيث قال: (يتعجب البعض كيف يدعو يسوع أمه «يا امرأة» لكن هذه الدهشة تزول حين نراه على الصليب يكرر: «يا امرأة هو ذا ابنك»، فهو يتحدث معها في بدء خدمة الآيات التي تمثل إشارة لبدء حمل الصليب، حيث يُستعلن شخصه فتثور قوى الظلمة ضده لتخطط لموته... فهو لا يتحدث معها بكونها أمه، لأنه ليس من حقها أن تحدد ساعة الصليب، إنما هذا حق الآب الذي أرسله. فقد جاء يتمم مشيئة الآب ببذل ذاته من أجل خلاص العالم... لم يقل «يا أمه» بل «يا امرأة»، لأن ما يمارسه بخصوص تحويل الماء خمرًا لا يصدر بكونه إنسانًا أخذ جسداً منها، وإنما بعمل لاهوته. حقاً ليس انفصال بين لاهوته وناسوته، وما يمارسه السيد المسيح هو بكونه كلمة الله المتجسد، لكن بعض الأعمال هي خاصة به كابن الله الوحيد، والبعض بكونه ابن الإنسان)^(١).

مجدداً لا يرفع هذا التأويل الإشكال الموجه للنص، لأن الإشكال موجه إلى العبارة ككل (ما لي ولك يا امرأة) لا لخصوص استعمال كلمة (امرأة)، وهي عبارة توبيخية دون شك.

ثم هل من المناسب فعلاً أن يرتبط إيمان الحواريين (تلاميذ المسيح) عبر بوابة الخمر المسكر وأن تكون تلك أول آيات المسيح أيضاً؟

هل شجّت موارد الآيات لتكون الخمرة هي الآية؟

1. https://st-takla.org/FAQ-Questions-VS-Answers/01-Questions-Related-to-The-Holy-Bible__Al-Ketab-Al-Mokaddas/029-Is-Wine-liquor-alcoholic-drink-forbidden.html

ولو كانت فعلاً بهذا المستوى من الأهمية بحيث كانت أول آياته والسبب في إيمان الحواريين، فلماذا أهمل ذكرها في سائر روايات الإنجيل واقتصرت على رواية يوحنا؟

• إكثار السمك في الماء:

نجد في الأناجيل موردين مختلفين لإكثار السمك في الماء بعد أن يجد الصيادون شباكهم خالية، ولكثرتها، تتمزق شباكهم وتكاد سفنهم أن تغرق من ثقل حمولتها من السمك، علماً بأن بعض الحواريين كسمعان (بطرس) ويعقوب ويوحنا ابني زبدي كانوا من صيادي السمك.

○ الحادثة الأولى يرويها لوقا فحسب، وهو الذي ذكر أول آيات المسيح على أنها إخراج شيطان من الجن من جسد إنسان في كفرناحوم: (فَوَقَعَتْ دَهْشَةً عَلَى الْجَمِيعِ، وَكَانُوا يُخَاطَبُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ: «مَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ؟ لِأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ يَأْمُرُ الْأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتَخْرُجُ!»). وَخَرَجَ صِيتٌ عَنْهُ إِلَى كُلِّ مَوْضِعٍ فِي الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ^(١).

أما الآية المرتبطة بإكثار السمك أول مرة بحسب رواية لوقا فكانت في بدايات دعوته، حيث كان يتنقل للتبليغ بالرسالة في مدن وبلدات الجليل، فوصل إلى بحيرة طبرية (جَنِّيَسَارَتَ) حيث وجد الصيادين منزعجين من قلة الصيد. قال لوقا: (وَإِذْ كَانَ الْجَمْعُ يَزْدَحِمُ عَلَيْهِ لِيَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ، كَانَ وَقِافًا عِنْدَ بَحِيرَةِ جَنِّيَسَارَتَ. فَرَأَى سَفِينَتَيْنِ وَقَفَتَيْنِ عِنْدَ الْبَحِيرَةِ، وَالصَّيَّادُونَ قَدْ خَرَجُوا مِنْهُمَا وَغَسَلُوا الشِّبَاكَ. فَدَخَلَ إِحْدَى السَّفِينَتَيْنِ الَّتِي كَانَتْ لِسِمْعَانَ)

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٤، ٣٦-٣٧.

الذي سيصبح بطرس، رأس الحواريين (وَسَأَلَهُ أَنْ يُبْعَدَ قَلِيلًا عَنِ الْبَرِّ. ثُمَّ جَلَسَ وَصَارَ يُعَلِّمُ الْجُمُوعَ مِنَ السَّفِينَةِ. وَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلَامِ قَالَ لِسَمْعَانَ: «ابْعُدْ إِلَى الْعُمُقِ وَأَلْقُوا شَبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ». فَأَجَابَ سَمْعَانُ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، قَدْ تَعَبْنَا اللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَمْ نَأْخُذْ شَيْئًا. وَلَكِنْ عَلَى كَلِمَتِكَ أُلْقِي الشَّبَكَةَ». وَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ أَمْسَكُوا سَمَكًا كَثِيرًا جَدًّا، فَصَارَتْ شَبَكَتُهُمْ تَتَخَرَّقُ. فَأَشَارُوا إِلَى شُرَكَائِهِمُ الَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ الْأُخْرَى أَنْ يَأْتُوا وَيُسَاعِدُوهُمْ. فَأَتُوا وَمَلَأُوا السَّفِينَتَيْنِ حَتَّى أَخَذَتَا فِي الْفَرَقِ. فَلَمَّا رَأَى سَمْعَانُ بُطْرُسُ ذَلِكَ خَرَّ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ قَائِلًا: «اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَا رَبُّ، لِأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ»^(١).

إن كان المراد من الربوبية هنا ما يتضمن شيئاً من الألوهية فإننا ننزه السيد المسيح أن يقبل بأن يُنادى بذلك حتى لو صدر ذلك عن إنسان جاهل، إذ لا بد له من تقويم كلامه، وقد خطأ القرآن هذه الدعوى إذ قال «تعالى»: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٢). وأما ما دفع بطرس لأن يطلب من المسيح ترك سفينته فقد جاء في شرح الكتاب المقدس: (قال له اخرج من سفينتي، إذ شعر أن مكانه هو المجد في السماء، وليس الوجود على الأرض في سفينة حقيرة مثل هذه)^(٣).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٥، ١-٨.

٢. المائدة: ١١٦.

وأكمل لوقا روايته قائلاً: (إِذْ اعْتَزَلْتَهُ وَجَمِيعَ الَّذِينَ مَعَهُ دَهَشَتْهُ عَلَى صَيْدِ السَّمَكِ الَّذِي أَخَذُوهُ. وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبْدِي اللَّذَانِ كَانَا شَرِيكِي سَمْعَانَ. فَقَالَ يَسُوعُ لِسَمْعَانَ: «لَا تَخَفْ! مِنْ الْآنَ تَكُونُ تَصْطَادُ النَّاسِ!») (تعبير كُنَائِي عن قدرته على هداية الناس ودعوتهم للإيمان بالمسيح ورسالته (وَمَا جَاءُوا بِالسَّفِينَتَيْنِ إِلَى الْبَرِّ تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعُوهُ) ^(١)).

o الحادثة الثانية لإكثار السمك جاءت في إنجيل يوحنا فقط، ومذكورة في آخر الإصحاح (٢١) من هذا السفر، وذلك بعد ذكر أحداث الصلب والدفن والقيام من الموت والخروج من المقبرة وما إلى ذلك، حيث جرى لقاء بين المسيح «عليه السلام» وبين الحواريين، ووقعت الآية في بحيرة طبرية أيضاً ولكن على الشاطئ: (بَعْدَ هَذَا أَظْهَرَ أَيْضًا يَسُوعُ نَفْسَهُ لِلتَّلَامِيذِ عَلَى بَحْرِ طَبْرِيةَ. ظَهَرَ هَكَذَا: كَانَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ، وَتُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوَّامُ، وَنَثَنَائِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ، وَابْنَا زَبْدِي، وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنَ تَلَامِيذِهِ مَعَ بَعْضِهِمْ. قَالَ لَهُمْ سَمْعَانُ بُطْرُسُ: «أَنَا أَذْهَبُ لِاتَّصِيدَ». قَالُوا لَهُ: «نَذْهَبُ نَحْنُ أَيْضًا مَعَكَ». فَخَرَجُوا وَدَخَلُوا السَّفِينَةَ لِلْوَقْتِ. وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يَمْسُكُوا شَيْئًا. وَمَا كَانَ الصُّبْحِ، وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِئِ. وَلَكِنَّ التَّلَامِيذَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسُوعُ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «يَا غُلَمَانِ أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَامًا؟». أَجَابُوهُ: «لَا» فَقَالَ لَهُمْ: «الْقُوا الشَّبَكَةَ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ الْيَمَنِ فَتَجِدُوا». فَالْقُوا، وَلَمْ يَعُودُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجْذِبُوهَا مِنْ كَثَرَةِ السَّمَكِ. فَقَالَ ذَلِكَ التَّلَامِيذُ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ لِبُطْرُسَ: «هُوَ الرَّبُّ!») ^(٢). ترد هنا نفس الإشكالية التي جاءت في النص

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٥، ٩-١١.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢١، ١-٦.

آيات السيد المسيح

السابق للوقا حول قبول المسيح لأن ينادى بعنوان (الرب) بصورة مطلقة، وهو ما يتبادر منه أن يكون المقصود أنه الله، ولكن تأتي الإشكالية بصورة أشد هذه المرة، فإن كانت تلك الحادثة في بداية الرسالة، فإنها جرت هنا بحسب هذا النص بعد الصلب والعودة إلى الحياة من جديد بحسب الإنجيل.

وأضاف يوحنا: (فَلَمَّا سَمِعَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ أَنَّهُ الرَّبُّ، اتَّزَرَ بِثَوْبِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ عُرْيَانًا وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ)^(١)... كيف يكون كذلك بين سائر الرجال؟

وهل احترامه للسيد المسيح هو الذي دفعه لستر العورة؟

ولماذا ألقى بنفسه في البحيرة؟ خوفاً وهرباً من المسيح؟ أم بسبب الموقف المحرج فلم يجر ماذا يفعل؟ أم أنه اضطرب عقلياً أو نفسياً فلم يجر ماذا يفعل؟ علماً بأن النص سيذكر بعد قليل أنها المرة الثالثة التي يظهر فيها المسيح للحواريين بعد حادثة الصلب، فكيف لم يعرفوه؟ وكيف سيقفون مندهشين لحضوره كما سيأتي في النص لاحقاً؟

قال يوحنا: (وَأَمَّا التَّلَامِيذُ الْآخَرُونَ فَجَاءُوا بِالسَّفِينَةِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعِيدِينَ عَنِ الْأَرْضِ إِلَّا نَحْوَ مِائَتِي ذِرَاعٍ، وَهُمْ يَجْرُونَ شَبَكَةَ السَّمَكِ. فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى الْأَرْضِ نَظَرُوا جَمْرًا مَوْضُوعًا وَسَمَكًا مَوْضُوعًا عَلَيْهِ وَخُبْزًا. قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «قَدِّمُوا مِنَ السَّمَكِ الَّذِي أَمْسَكْتُمْ الْآنَ». فَصَدَعَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ وَجَذَبَ الشَّبَكَةَ إِلَى الْأَرْضِ، مُمْتَلِئَةً سَمَكًا كَبِيرًا، مِئَةً وَثَلَاثًا وَخَمْسِينَ. وَمَعَ هَذِهِ الْكَثْرَةِ لَمْ تَخْرُقِ الشَّبَكَةُ. قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «هَلُمُّوا تَغْدُوا». وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنَ التَّلَامِيذِ أَنْ يَسْأَلَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الرَّبُّ. ثُمَّ جَاءَ يَسُوعُ وَأَخَذَ

الْخُبْزَ وَأَعْطَاهُمْ وَكَذَلِكَ السَّمَكُ. هَذِهِ مَرَّةٌ ثَالِثَةٌ ظَهَرَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ بَعْدَمَا قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ^(١).

• تهدئة العاصفة:

ذكرت هذه الآية في ثلاثة أناجيل، متى ومرقس ولوقا، وجاءت بعد ما يُعرف بعنوان (الموعظة على الجبل)، أو (شريعة العهد الجديد)، وطرح فيها المسيح بحسب التراث الكنسي (إحدى وعشرين قضية تنظيمية تشكل لبَّ الإنجيل والعهد الجديد)، فقد اجتمع خلق كثير من الجليل والقدس والضفتين الشرقية والغربية لنهر الأردن وغيرها، إذ رأوا عدداً من الآيات التي تحققت على يدي المسيح، فاتَّبَعُوهُ، فصعد على الجبل - الذي لم يُحدَّد اسمه ولا موقعه والمشهور أنه جبل التطويبات واحتمل آخرون أنه من جبال كفرناحوم - وبدأ يعظهم بعظات كثيرة، سنتوقف عندها في بحث منفصل.

بعد انتهاء الموعظة والنزول من الجبل، ومضيَّ النهار بأحداثه، ومجئ الليل، ودخول المسيح كفرناحوم، خرج - في الليل - ناحية البحيرة وركب سفينة.

جاء في إنجيل متى: (وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةُ تَبِعَهُ تَلَامِيذُهُ. وَإِذَا اضْطَرَّابٌ عَظِيمٌ قَدْ حَدَثَ فِي الْبَحْرِ حَتَّى غَطَّتِ الْأَمْوَاجُ السَّفِينَةَ، وَكَانَ هُونَانًا. فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَأَيَّقُظُوهُ قَائِلِينَ: «يَا سَيِّدُ، نَجِّنَا فَإِنَّا نَهْلِكُ!» فَقَالَ لَهُمْ: «مَا بِالْكُمْ خَائِفِينَ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ؟» ثُمَّ قَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَالْبَحْرَ، فَصَارَ هُدُوٌّ عَظِيمٌ. فَتَعَجَّبَ النَّاسُ قَائِلِينَ: «أَيُّ إِنْسَانٍ هَذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ وَالْبَحْرَ جَمِيعًا تُطِيعُهُ!»)^(٢).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢١، ٨-١١.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٨، ٢٣-٢٧.

أما رواية إنجيل مرقس فتذكر أن جموعاً كثيرة تبعت المسيح «عليه السلام»، ثم اختار للموعظة على الجبل عدداً محدوداً من الناس: (ثُمَّ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَدَعَا الَّذِينَ أَرَادَهُمْ فَذَهَبُوا إِلَيْهِ. وَأَقَامَ اثْنَيْ عَشَرَ لِيَكُونُوا مَعَهُ، وَلِيُرْسِلَهُمْ لِيَكْرِزُوا) أي يبلِّغوا ويدعوا الناس لاتباع المسيح والإيمان برسالته.

ثم إنه - بحسب مرقس - انتقل إلى شاطئ بحيرة طبرية: (وَابْتَدَأَ أَيْضًا يُعَلِّمُ عِنْدَ الْبَحْرِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ عَلَى الْبَحْرِ، وَالْجَمْعُ كُلُّهُ كَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ عَلَى الْأَرْضِ).

ثم لما دخل الليل أخبر تلاميذه أنه يريد أن يعود إلى البحيرة فيركب السفينة مع المقربين منه فقط: (وَقَالَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ: «لَنَجْتَزِيَ إِلَى الْعَبْرِ». فَصَرَفُوا الْجَمْعَ وَأَخَذُوهُ كَمَا كَانَ فِي السَّفِينَةِ. وَكَانَتْ مَعَهُ أَيْضًا سَفْنٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ. فَحَدَّثَ نَوَّءَ رِيحٍ عَظِيمٍ، فَكَانَتِ الْأَمْوَاجُ تُضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِئُ. وَكَانَ هُوَ فِي الْمَوْخَرِ عَلَى وَسَادَةٍ نَائِماً. فَأَيْقِظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَمَّا يَهْمُكَ أَنَّ نَهْلِكَ؟» فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ، وَقَالَ لِلْبَحْرِ: «اسْكُتْ! ابْكُم!». فَسَكَتَ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هَكَذَا؟ كَيْفَ لَا إِيمَانُ لَكُمْ؟» فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا، وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ هَذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضًا وَالْبَحَرَ يُطِيعَانِهِ!»^(١)).

ونجد في إنجيل لوقا ذكراً لهذه الحادثة دون تحديد اليوم أو الوقت، وإن ذكر أنها جاءت بعد موعظة ألقاها في الناس: (وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ دَخَلَ سَفِينَةً هُوَ وَتَلَامِيذُهُ، فَقَالَ لَهُمْ: «لِنَعْبُرْ إِلَى عَبْرِ الْبَحِيرَةِ». فَاقْلَعُوا. وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٤، ٣٥-٤١.



نَامَ. فَنَزَلَ نَوْءٌ رِيحٍ فِي الْبَحِيرَةِ، وَكَانُوا يَمْتَلِئُونَ مَاءً وَصَارُوا فِي خَطَرٍ. فَتَقَدَّمُوا
وَأَيَّقُظُوهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، يَا مُعَلِّمُ، إِنَّا نَهْلِكُ!». فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَتَمَوَّجَ
الْمَاءِ، فَاَنْتَهَيَا وَصَارَ هُدُوً. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «أَيَّنَ إِيمَانُكُمْ؟» فَخَافُوا وَتَعَجَّبُوا قَائِلِينَ
فِيمَا بَيْنَهُمْ: «مَنْ هُوَ هَذَا؟ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ الرِّيحَ أَيْضًا وَالْمَاءَ فَتَطِيعُهُ!» (١).

• إشباع آلاف الناس بطعام قليل:

هناك حادثتان ترتبطان بهذا العنوان، الحادثة الأولى تنص على أن عدد
الرجال -دون النساء والأطفال- بلغ قرابة الخمسة آلاف، وقد تبقى من
الطعام ما ملأ اثنتي عشرة قفة (٢).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٨، ٢٢-٢٥.

٢. القفة: حاوية كاسلة تصنع من سعف النخيل وما شابه، ويوضع فيها الطعام.

آيات السيد المسيح

بينما تنص الرواية الثانية على أن العدد كان أربعة آلاف رجل، عدا النساء والأطفال.

o الحادثة الأولى ذكرناها من قبل ضمن عنوان (إنزال المائدة بطلب من الحواريين) واستقر بنا أنها هي المرادة بقصة المائدة في القرآن الكريم، وقد رويت في الأناجيل الأربعة، مما يقوِّبها من حيث احتمال الوقوع فعلاً، بينما اقتصر متى ومرقس على ذكر الحادثة الثانية.

وقد ذكرت من قبل أن متى ذكر أن الحادثة الأولى جاءت بعد إعدام النبي يحيى «عليه السلام» ووصول الخبر إلى المسيح «عليه السلام»، وهكذا قال مرقس في روايته أيضاً: (وَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ إِلَى يَسُوعَ وَأَخْبَرُوهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، كُلِّ مَا فَعَلُوا وَكُلِّ مَا عَلَّمُوا) فقد كان أرسلهم للتبليغ بالرسالة في عدة جهات (فَقَالَ لَهُمْ: «تَعَالَوْا أَنْتُمْ مُنْفَرِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ خَلَاءٍ وَاسْتَرِيحُوا قَلِيلًا». لَأَنَّ الْقَادِمِينَ وَالذَّاهِبِينَ كَانُوا كَثِيرِينَ، وَلَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلْأَكْلِ. فَمَضَوْا فِي السَّفِينَةِ إِلَى مَوْضِعٍ خَلَاءٍ مُنْفَرِدِينَ. فَرَأَاهُمُ الْجُمُوعُ مُنْطَلِقِينَ، وَعَرَفَهُ كَثِيرُونَ. فَتَرَكَضُوا إِلَى هُنَاكَ مِنْ جَمِيعِ الْمَدِينِ مُشَاءً، وَسَبَقُوهُمْ وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ. فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ رَأَى جَمْعًا كَثِيرًا، فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا كَخَرَافٍ لَا رَاعِيَ لَهَا، فَابْتَدَأَ يَعْلَمُهُمْ كَثِيرًا. وَبَعْدَ سَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ: «الْمَوْضِعُ خَلَاءٌ وَالْوَقْتُ مَضَى. اصْرِفْهُمْ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الضِّيَاعِ وَالْقَرَى حَوَالَيْنَا وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ خُبْزًا، لَأَنَّ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ». فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا». فَقَالُوا لَهُ: «أَنَّمْضِي وَنَبْتَاعُ خُبْزًا بِمِئَتِي دِينَارٍ وَنُعْطِيهِمْ لِيَأْكُلُوا؟» فَقَالَ لَهُمْ: «كَمْ رَغِيفًا عِنْدَكُمْ؟ اذْهَبُوا وَانْظُرُوا». وَلَمَّا عَلِمُوا قَالُوا: «خَمْسَةٌ وَسَمَكَتَانِ». فَأَمَرَهُمْ أَنْ

يَجْعَلُوا الْجَمِيعَ يَتَكُونُونَ رِفَاقًا رِفَاقًا عَلَى الْعُشْبِ الْأَخْضَرِ. فَاتَّكَأُوا صُفُوفًا صُفُوفًا: مِئَةً مِئَةً وَخَمْسِينَ خَمْسِينَ. فَأَخَذَ الْأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظْرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَبَارَكَ ثُمَّ كَسَرَ الْأَرْغِفَةَ، وَأَعْطَى تَلَامِيذَهُ لِيَقْدُمُوا إِلَيْهِمْ، وَقَسَمَ السَّمَكَتَيْنِ لِلْجَمِيعِ، فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مِنَ الْكَسْرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَفَّةً مَمْلُوءَةً، وَمِنَ السَّمَكِ. وَكَانَ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الْأَرْغِفَةِ نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافٍ رَجُلٍ^(١).

وفي رواية يوحنا تم ربط الحدث -زمنياً- بعيد الفصح اليهودي: (بَعْدَ هَذَا مَضَى يَسُوعُ إِلَى عَبْرِ بَحْرِ الْجَلِيلِ، وَهُوَ بَحْرُ طَبْرِيةَ.... فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى جَبَلٍ وَجَلَسَ هُنَاكَ مَعَ تَلَامِيذِهِ. وَكَانَ الْفِصْحُ، عِيدُ الْيَهُودِ، قَرِيبًا...) (٢).

أما من حيث المكان، فإن الموقع المحدد لوقوع هذه الآية يسمى (الطابغة)، الواقعة على مسافة ٤ كم جنوب شرق كفرناحوم، والاسم تعريب من الكلمة اليونانية Heptapegon (هبتاغون) ومعناها الينابيع السبعة، إذ تكثر الينابيع التي كانت تدير الطواحين في تلك المنطقة. وتُعرف بالعبرية לַיִן לַכַּף أَي (عين سبع). ومنذ القرن الثاني عشر عُرف هذا المكان باسم لاتيني Mensa Christi أي عشاء المسيح أو Tabula Domini أي (مائدة الرب). وقد بُنيت كنيسة على موقع الحدث هي كنيسة (الخبز والسّمك) أو (تكاثر الخبز) وأوّل من شيّدها (الكونت يوسف) من طبرية عام ٣٥٠م بعد أن اعتنق المسيحية، وكانت له علاقة وثيقة مع الإمبراطور قسطنطين. وفي عام ٤٥٠م بُنيت كنيسة ثانية على أنقاض الكنيسة الأولى، وقد رُصّت أرضيتها بالفسيفساء برسومات العصفير

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٦، ٣٠-٤٤.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٦، ١-٤.

والزهور والحيوانات والسمك، وُضع (الحجر المقدس) المدعى أنه محلّ جلوس المسيح عند حدوث الآية (المعجزة) تحت مذبح الكنيسة، وزُين بفسيفساء يمثل سلة فيها خمسة أرغفة والسمكتان. وفي سنة ٥٥١م حدث زلزال هدم الكنيسة، وربما رُممت في عام ٥٧٥، ولكن الفرس اجتاحوا البلاد عام ٦١٤ وأشعلوا النار في الأماكن المقدسة التابعة للمسيحيين، وبقي الموقع مدفوناً أكثر من ١٣٠٠ سنة تحت الردم حتى تم اكتشافه في نهايات القرن التاسع عشر^(١).

أما رواية لوقا فتذكر أن الموضع المرتبط بالحدث يتبع بلدة (بيت صيدا) والتي تعني بالآرامية بيت الصيد: (وَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُلُ أَخْبَرُوهُ بِجَمِيعِ مَا فَعَلُوا، فَأَخَذَهُمْ وَأَنْصَرَفَ مُنْفَرِداً إِلَى مَوْضِعٍ خَلَاءٍ لِمَدِينَةٍ تُسَمَّى بَيْتَ صَيْدَا)^(٢).

والغريب أن هذه البلدة تقع شمال كفرناحوم، على خلاف الموقع المذكور سلفاً والواقع جنوب شرق البلدة.

وفي رواية لوقا وصف إضافي لما جاء في رواية متى، قال: (فَالْجَمُوعُ إِذْ عَلِمُوا تَبِعُوهُ، فَاقْبَلَهُمْ وَكَلَّمَهُمْ عَنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ، وَالْمُحْتَاجُونَ إِلَى الشِّفَاءِ شَفَاهُمْ. فَابْتَدَأَ النَّهَارَ يَمِيلُ. فَتَقَدَّمَ اثْنَا عَشَرَ وَقَالُوا لَهُ: «اصْرِفِ الْجَمْعَ لِيَذْهَبُوا إِلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ حَوْلَيْنَا فَيَبِيدُوا وَيَجِدُوا طَعَامًا، لَأَنَّنَا هَهُنَا فِي مَوْضِعٍ خَلَاءٍ». فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا». فَقَالُوا: «لَيْسَ عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ خَمْسَةِ أَرْغَفَةٍ وَسَمَكَتَيْنِ، إِلَّا أَنْ نَذْهَبَ وَنَبْتَاعَ طَعَامًا لِهَذَا الشَّعْبِ كُلِّهِ». لَأَنَّهُمْ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافٍ رَجُلٍ. فَقَالَ لَتَلَامِيذِهِ: «اتَّكُواهُمْ فِرْقًا خَمْسِينَ خَمْسِينَ». فَفَعَلُوا هَكَذَا، وَاتَّكَأُوا الْجَمِيعُ. فَأَخَذَ الْأَرْغَفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظْرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ

١. تكثير - الخبز - السمكتين - معجزة - أو آية - ومكان - حدوثها/ <https://abouna.org/article/>

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٩، ١٠.



وَبَارَكَهُنَّ، ثُمَّ كَسَرَ وَأَعْطَى التَّلَامِيذَ لِيَقْدِمُوا لِلْجَمْعِ. فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جَمِيعًا. ثُمَّ رَفَعَ مَا فَضَلَ عَنْهُمْ مِنَ الْكَسْرِ اثْنَتَا عَشْرَةَ قُفَّةً^(١).

○ وانفرد متى ومرقس في ذكر حادثة مشابهة، ولكنها جاءت في ظروف أخرى، ففي إنجيل متى أن يسوع «عليه السلام» خرج من أرض جنسرين (طبرية) واتجه إلى صور وصيدا (جنوب لبنان)، فشفى بنتاً ضمن آية ذكرناها من قبل حيث كانت -بحسب الإنجيل- أول حالة شفاء خارج نطاق المرضى من بني إسرائيل، ثم عاد إلى الجليل، فتابعه عدد كبير من المرضى وذويهم، ف وقعت حادثة إشباع الناس بصورة إعجازية، حيث أشبعت سبعة أرغفة وقليل من صغار السمك أربعة آلاف رجل، سوى النساء والأطفال، ولما شبعوا بقي من الطعام ما ملأ سبعة سلال.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٩، ١٠-١٧.

آيات السيد المسيح

(ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ.... ثُمَّ انْتَقَلَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى جَانِبِ بَحْرِ الْجَلِيلِ، وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَجَلَسَ هُنَاكَ. فَجَاءَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، مَعَهُمْ عَرَجٌ وَعُمَيٌّ وَخُرْسٌ وَشُلٌّ وَآخَرُونَ كَثِيرُونَ، وَطَرَحُوهُمْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ. فَشَفَاهُمْ حَتَّى تَعَجَّبَ الْجُمُوعُ إِذْ رَأَوْا الْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ، وَالشَّلَّ يَصْحُونَ، وَالْعَرَجَ يَمْشُونَ، وَالْعُمَيَّ يَبْصُرُونَ. وَمَجَدُّوا إِلَهُ إِسْرَائِيلَ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَدَعَا تَلَامِيذَهُ وَقَالَ: «إِنِّي أَشْفُقُ عَلَى الْجَمْعِ، لِأَنَّ الْآنَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَمَكُثُونَ مَعِي وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ. وَلَسْتُ أَرِيدُ أَنْ أَصْرِفَهُمْ صَائِمِينَ لئَلَّا يَخْوِرُوا فِي الطَّرِيقِ» فَقَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ: «مَنْ أَيْنَ لَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ خُبْزٌ بِهَذَا الْمَقْدَارِ، حَتَّى يُشْبِعَ جَمْعًا هَذَا عِدَدُهُ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ؟» فَقَالُوا: «سَبْعَةٌ وَقَلِيلٌ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ». فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِنُوا عَلَى الْأَرْضِ، وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتِ السَّمَكِ، وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى تَلَامِيذَهُ، وَالتَّلَامِيذُ أَعْطَوْا الْجَمْعَ. فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكَسْرِ سَبْعَةَ سِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ، وَالْأَكْلُونَ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ رَجُلٍ مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ^(١).

أما رواية مرقس لهذه الحادثة فقد تم تحديد الموضع فيها حيث قال: (ثُمَّ خَرَجَ أَيْضًا مِنْ تَخُومِ صُورَ وَصَيْدَاءَ، وَجَاءَ إِلَى بَحْرِ الْجَلِيلِ فِي وَسْطِ حُدُودِ الْمَدْنِ الْعَشْرِ)^(٢) وأنه شفى رجلاً أبكم أصم، ثم وقعت الحادثة مع ذكر تجمع المرضى وذويهم ولكن بشكل أكثر اختصاراً مما جاء في إنجيل متى، وذكر أن العدد كان قرابة الأربعة آلاف، ولم يحدده بالرجال.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٥، ٢١-٢٨.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٧، ٣٥.



(فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ إِذْ كَانَ الْجَمْعُ كَثِيرًا جَدًّا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ، دَعَا يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ، لِأَنَّ الْآنَ لَهُمْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِيَ وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ. وَإِنْ صَرَفْتَهُمْ إِلَى بَيْوتِهِمْ صَائِمِينَ يَخْوِرُونَ فِي الطَّرِيقِ، لِأَنَّ قَوْمًا مِنْهُمْ جَاءُوا مِنْ بَعِيدٍ». فَأَجَابَهُ تَلَامِيذُهُ: «مَنْ أَيْنَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُشْبِعَ هَؤُلَاءِ خُبْزًا هُنَا فِي الْبَرِّيَّةِ؟» فَسَأَلَهُمْ: «كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ؟» فَقَالُوا: «سَبْعَةٌ». فَأَمَرَ الْجَمْعَ أَنْ يَتَّكُوا عَلَى الْأَرْضِ، وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتٍ وَشَكَرَ وَكَسَرَ وَأَعْطَى تَلَامِيذَهُ لِيَقْدِمُوا، فَقَدَّمُوا إِلَى الْجَمْعِ. وَكَانَ مَعَهُمْ قَلِيلٌ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ، فَبَارَكَ وَقَالَ أَنْ يَقْدِمُوا هَذِهِ أَيْضًا. فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا فَضَلَاتِ الْكَسْرِ: سَبْعَةَ سِلَالٍ. وَكَانَ الْأَكْلُونَ نَحْوَ أَرْبَعَةِ آلَافٍ. ثُمَّ صَرَفَهُمْ^(١)).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٨، ١-٩.

• السير على الماء:

ذكرت هذه الآية في ثلاثة أناجيل، ففي رواية متى أنها وقعت بعد آية إطعام الخمسة آلاف رجل من الخمسة أرغفة والسمكتين مباشرة، وهذا يعني أنها وقعت في بحيرة طبرية.

فبعد الانتهاء من الإطعام: (وَلَمَّا لَوَقَّتِ الزَّمَّ يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ أَنْ يَدْخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسْبِقُوهُ إِلَى الْعَبْرِ حَتَّى يَصْرِفَ الْجُمُوعَ. وَبَعْدَ مَا صَرَفَ الْجُمُوعَ صَعَدَ إِلَى الْجَبَلِ مُنْفَرِدًا لِيُصَلِّيَ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَ هُنَاكَ وَحْدَهُ. وَأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ قَدْ صَارَتْ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ مُعَذِّبَةً مِنَ الْأَمْوَاجِ. لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ مُضَادَّةً).

في هذا الظرف العصيب وقعت الآية الخاصة بالسير على الماء. روى متى: (وَفِي الْهَزِيعِ الرَّابِعِ مِنَ اللَّيْلِ مَضَى إِلَيْهِمْ يَسُوعُ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ. فَلَمَّا أَبْصَرَهُ التَّلَامِيذُ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ اضْطَرَبُوا قَائِلِينَ: «إِنَّهُ خَيَالٌ». وَمِنْ الْخَوْفِ صَرَخُوا: فَلَمَّا لَوَقَّتِ كَلِمَتُهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا: «تَشَجَّعُوا! أَنَا هُوَ. لَا تَخَافُوا»).

ومن بين ركاب السفينة أراد بطرس أن يجرب نفسه ثقةً منه بأن إيمانه سيمكّنه من السير على الماء كما جرى للمسيح: (فَأَجَابَهُ بَطْرُسُ وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هُوَ، فَمُرْنِي أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ عَلَى الْمَاءِ». فَقَالَ: «تَعَالَ». فَنَزَلَ بَطْرُسُ مِنَ السَّفِينَةِ وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ لِيَأْتِيَ إِلَى يَسُوعَ. وَلَكِنْ لَمَّا رَأَى الرِّيحَ شَدِيدَةً خَافَ).

وكانت هذه اللحظة الفارقة، حيث اهتزّ إيمان بطرس وكأنه شكك في مصداقية المسيح الذي بنفسه طلب منه أن يأتي إليه وضمن له أن لن يصيبه

ضرر: (وَإِذِ ابْتَدَأَ يُغْرَقُ، صَرَخَ قَائِلًا: «يَا رَبُّ، نَجِّنِي»). فِي الْحَالِ مَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ وَقَالَ لَهُ: «يَا قَلِيلَ الْإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَكْتَ؟».

وتبعاً لوصول المسيح إلى السفينة هدأت العاصفة: (وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ سَكَتَ الرِّيحُ. وَالَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ جَاءُوا وَسَجَدُوا لَهُ قَائِلِينَ: «بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ»)^(١).

مجدداً ترد إشكالية مناداة المسيح بعنوان (الرب)، ثم أنه ابن الله، وهو ما يتنافى مع إيماننا ببشرية المسيح ونبوته لا أكثر، ولذا فإننا إن قبلنا بصحة الآية نفسها، فلا نقبل بعض تفاصيلها بحسب رواية متى.

وروى مرقس الحادثة في نفس الظروف والتوقيت، وقال: (وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَتِ السَّفِينَةُ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ، وَهُوَ عَلَى الْبَرِّ وَحْدَهُ. وَرَأَاهُمْ مُعَذِّبِينَ فِي الْجَذْفِ، لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ ضِدَّهُمْ. وَنَحَوَ الْهَزِيعِ الرَّابِعِ مِنَ اللَّيْلِ أَتَاهُمْ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَجَاوَزَهُمْ) وهذه الجزئية غائبة عن رواية متى، ولماذا أراد أن يتجاوزهم؟ ألم يأت إليهم كي يخلصهم مما هم فيه من صعوبة التجديف؟ (فَلَمَّا رَأَوْهُ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ ظَنُّوهُ خَيَالاً، فَصَرَخُوا. لِأَنَّ الْجَمِيعَ رَأَوْهُ وَاضْطَرَبُوا) وهذه الجزئية غير موجودة في رواية متى، كما لم يأت مرقس على ذكر محاولة بطرس (فَلَلَوْقَتَ كَلِمَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: «ثَقُلُوا! أَنَا هُوَ. لَا تَخَافُوا»). فَصَعِدَ إِلَيْهِمْ إِلَى السَّفِينَةِ فَسَكَتَ الرِّيحُ، فَبْهَتُوا وَتَعَجَّبُوا فِي أَنْفُسِهِمْ جِدًّا إِلَى الْغَايَةِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا بِالْأَرْغَفَةِ إِذْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ غَلِيظَةً^(٢) وهذه تهمة

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٤، ٢٥-٢٣.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٦، ٤٧-٥٢.

شديدة للحواريين بأنهم لم يتأثروا بآية الإطعام السابقة، ولم تثبت لديهم حقيقة المسيح وشأنه، ولذا لم يستوعبوا أيضاً مشيه على الماء، ولم ينضج إيمانهم به بعد، والسبب أن قلوبهم كانت غليظة.

وكذلك جاءت رواية يوحنا في نفس سياق الأحداث وتراثيبتها بعد الإطعام، ولكنه بين السبب الذي من أجله غادر المسيح المكان واعتزل في الجبل وحده: (وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَن يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكًا، انْصَرَفَ أَيْضًا إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ).

ولم يذكر يوحنا أن المسيح ألزمهم بالمغادر في السفينة، بل اكتفى ببيان أنهم كانوا بحاجة للسفر عبر الماء للوصول إلى كفر ناحوم: (وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ نَزَلَ تَلَامِيذُهُ إِلَى الْبَحْرِ، فَدَخَلُوا السَّفِينَةَ وَكَانُوا يَذْهَبُونَ إِلَى عَبْرِ الْبَحْرِ إِلَى كَفَرْنَاهُومَ. وَكَانَ الظَّلَامُ قَدْ أَقْبَلَ، وَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ قَدْ أَتَى إِلَيْهِمْ) فمن المفترض أن يعود هو أيضاً إلى كفرناحوم حيث مسكنه، ولكنه لم يغادر معهم (وَهَاجَ الْبَحْرُ مِنْ رِيحٍ عَظِيمَةٍ تَهُبُ. فَلَمَّا كَانُوا قَدْ جَذَفُوا نَحْوَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ غَلَوَةً) في حدود ٣ كم (نَظَرُوا يَسُوعَ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ مُقْتَرِبًا مِنَ السَّفِينَةِ، فَخَافُوا. فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ، لَا تَخَافُوا»). فَرَضُوا أَن يَقْبَلُوهُ فِي السَّفِينَةِ لَشَكِّهِمْ فِي شَخْصِهِ وَتَرَدَّدِهِمْ فِي كَوْنِهِ الْمَسِيحِ فَعَلًا، فكيف لبشر أن يمشي على الماء، وفي حال هبوب ريح عظيمة؟ (وَلِلْوَقْتِ صَارَتِ السَّفِينَةُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي كَانُوا ذَاهِبِينَ إِلَيْهَا) ^(١).

مجدداً لا نجد ذكراً لمحاولة بطرس الفاشلة.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٦، ١٧-٢١.

• سمكة الضريبة:

تذكر الرواية الإنجيلية أن الأمر وقع بعد:

١. آية إطعام الأربعة آلاف رجل من سبعة أرغفة وقليل من السمك الصغار.
٢. صعود المسيح وبطرس ويعقوب ويوحنا - بعد مدة من الزمن هي ستة أيام على الأقل - على جبل عال وظهور النبيين موسى وإيليا «عليهما السلام» أمامهم: (وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى كَفَرْنَاهُومَ تَقَدَّمَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الدَّرْهَمَيْنِ إِلَى بَطْرُسَ) كان كهنة اليهود يأخذون درهمين كل سنة من كل شخص يهودي لتغطية احتياجات الهيكل، والدرهمان مبلغ زهيد. وقد أتى جامعوا الضرائب إلى المنطقة قاصدين المسيح عن عمد (وَقَالُوا: «أَمَا يُوفِّي مُعَلِّمُكُمُ الدَّرْهَمَيْنِ؟» قَالَ: «بَلَى». فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ سَبَقَهُ يَسُوعُ قَائِلًا: «مَاذَا تَظُنُّ يَا سَمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الْأَرْضِ الْجَبَايَةَ أَوِ الْجَزْيَةَ، أَمْ مِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الْأَجَانِبِ؟» قَالَ لَهُ بَطْرُسُ: «مِنَ الْأَجَانِبِ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «فَإِذَا الْبَنُونَ أَحْرَارٌ» يبيِّن المسيح هنا اعتراضه على هذا النوع من الضرائب «الجباية أو الجزية»، إذ من المفترض أن لا يأخذها كهنة اليهود من بني إسرائيل، بل من غيرهم. أما سبب سؤال الجباة عن إيفاء المسيح لهذه الضريبة، فكان بغرض إحراج المسيح، فإنه إذا لم يوفِّها معتبراً نفسه نبياً، كان ذلك لهم عذراً للتشنيع عليه أنه ضد الهيكل ولا يهتم باحتياجاته، فيُضعف موقفه أمام اليهود وأمام أتباعه، وأما إذا استجاب لهم ودفع الدرهمين، فسيقولون أنه شخص عادي وليس المسيح المنتظر، لأن المسيح بحسب البشارة سيكون ملكاً على بني إسرائيل، فكيف يكون ملكاً ويدفع ضريبة؟ (وَلَكِنْ لِّئَلَّا نُغْثِرَهُمْ، أَذْهَبَ إِلَى الْبَحْرِ وَآلَقَ صِنَارَهُ، وَالسَّمَكَةُ الَّتِي

تَطْلُعُ أَوَّلًا خُذَّهَا، وَمَتَّى فَتَحَتْ فَاهَا تَجِدُ إِسْتَارًا) عملة تساوي أربعة دراهم،
فيدفع الضريبة عن المسيح وعن نفسه (فَخَذَهُ وَأَعْطَاهُمْ عَنِّي وَعَنْكَ) (١).

وهذه الآية المدعاة غريبة جداً، ولا تليق بشأن المسيح «عليه السلام»،
ويُضعفها أنها لم تُذكر إلا في رواية متى فقط.

• لَعْنُ شَجَرَةِ التِّينِ:

تقرّد إنجيلا متى ومرقس بهذه (الآية) الغريبة والتي لا تتناسب والشخصية
المفترضة للسيد المسيح، إذ تظهره القصة بصورة شخص غصوب قليل الصبر
لم يرحم شجرة عديمة الحيلة بسبب جوعه، وتصرفه أقرب لتصرف الطفلة
من أن يصدر عن نبي ورسول بُعث رحمة للناس، ولم يجعله الله جباراً شقيماً.

وقت متى وقوع الحادثة بأيام قلائل سبقت حادثة الصلب، فقد دخل المسيح
مدينة أورشليم/القدس وهاجم الذين حوّلوا الهيكل إلى مكان للتكسّب:
(وَدَخَلَ يَسُوعُ إِلَى هَيْكَلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي
الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَّارِفَةِ وَكَرَاسِي بَاعَةِ الْحَمَامِ وَقَالَ لَهُمْ: «مَكْتُوبٌ: يَبْتَئِ
بَيْتَ الصَّلَاةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةً لُصُوصٍ»).

ثم تذكر الرواية أنه شفى عدة مرضى ثم غادر القدس وبات ليلته في قرية
قريبة هي بيت عنيا/العيزرية ثم عاد إلى القدس من جديد.

قال متى: (وَفِي الصُّبْحِ إِذْ كَانَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ جَاعًا، فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ عَلَى
الطَّرِيقِ، وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا فَقَطَّ. فَقَالَ لَهَا: «لَا يَكُنْ مِنْكَ

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٧، ٢٤-٢٧.

ثُمَّ بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ». فَيَبْسُتِ التَّيْنَةُ فِي الْحَالِ. فَلَمَّا رَأَى التَّلَامِيذُ ذَلِكَ تَعَجَّبُوا قَائِلِينَ: «كَيْفَ يَبْسُتِ التَّيْنَةُ فِي الْحَالِ؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ لَكُمْ إِيْمَانٌ وَلَا تَشْكُونَ، فَلَا تَفْعَلُونَ أَمْرَ التَّيْنَةِ فَقَطْ، بَلْ إِنْ قُلْتُمْ أَيْضًا لِهَذَا الْجَبَلِ: انْقَلِبْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ فَيَكُونُ. وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلَاةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ»^(١).

ولنا أن نتساءل: إذا كان المسيح «عليه السلام» قد أعطى الحواريين من قدراته في إبراء المرضى حين أرسلهم للدعوة، فقاموا بذلك، وتحققت الآيات على أيديهم - قبل هذه الآية المدعاة وآيات أخرى مرّت معنا - فأي مجال لكل هذا الشك المتكرر الصادر عنهم في آيات المسيح وقدراته (الإعجازية)؟

اتَّفَقَ مَرْقَسٌ مَعَ مَتَّى عَلَى أَنَّ الْحَادِثَةَ وَقَعَتْ قَبْلَ أَيَّامٍ مِنْ حَادِثَةِ الصَّلْبِ وَبَعْدَ دُخُولِ الْمَسِيحِ الْقُدُسِ، وَلَكِنْ تَرْتِيبَ الْأَحْدَاثِ مُخْتَلَفٌ عَمَّا مَرَّ مَعَنَا فِي إِنْجِيلِ مَتَّى، حَيْثُ يَذْكُرُ مَرْقَسٌ دُخُولَ الْمَسِيحِ الْقُدُسِ ثُمَّ خُرُوجَهُ إِلَى بَيْتِ عَنِيَا فِي الْمَسَاءِ ثُمَّ عَوْدَتَهُ صَبَاحاً إِلَى الْقُدُسِ وَفِي الطَّرِيقِ شَاهِدَ التَّيْنَةِ وَلَعْنَهَا، ثُمَّ دَخَلَ الْقُدُسَ وَوَاجَهَ الْمُتَكَسِّبِينَ فِي سَاحَةِ الْهَيْكَلِ، ثُمَّ خَرَجَ مَسَاءً إِلَى بَيْتِ عَنِيَا مَجْدِداً، وَفِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ وَكَانَ يَوْمٌ ثَلَاثَاءَ، تَبَيَّنَ لَهُ وَلَمَنْ مَعَهُ أَنَّ التَّيْنَةَ قَدْ بَيَسَتْ: (فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلُ، وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أَمْسَى، خَرَجَ إِلَى بَيْتِ عَنِيَا مَعَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ. وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنِيَا جَاعَ، فَتَنَظَرَ شَجَرَةً تَيْنَ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئاً. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئاً إِلَّا وَرَقاً، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتُ التَّيْنِ).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢١، ١٨-٢٢.

آيات السيد المسيح

فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْكَ ثَمَرًا بَعْدَ إِلَى الْأَبَدِ». وَكَانَ تَلَامِيذُهُ يَسْمَعُونَ). كيف يتصرف المسيح «عليه السلام» بهذه الصورة والموسم لم يكن موسم ثمر كي يحصل على تين يسدّ به جوعته؟!

(وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِي بَاعَةِ الْحَمَامِ. وَلَمْ يَدَعْ أَحَدًا يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ. وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلًا لَهُمْ: «أَلَيْسَ مَكْتُوبًا: يَبْنِي بَيْتَ صَلَاةٍ يُدْعَى لَجَمِيعِ الْأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةً لُصُوصَ». وَسَمَعَ الْكَتَبَةُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يَهْلِكُونَهُ، لِأَنَّهُمْ خَافُوهُ، إِذْ بُهِتَ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ، خَرَجَ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ. وَفِي الصَّبَاحِ إِذْ كَانُوا مُجْتَازِينَ رَأَوْا التِّينَةَ قَدْ بَسَّتْ مِنَ الْأُصُولِ، فَتَذَكَّرَ بَطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «يَا سَيِّدِي، انْظُرْ! التِّينَةُ الَّتِي لَعَنَتْهَا قَدْ بَسَّتْ!»).

وحيث استغرب الحواريون مما جرى، بيّن لهم المسيح أن هذا الأمر ممكن بشرط الإيمان واليقين بالله: (فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللَّهِ. لِأَنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرَحْ فِي الْبَحْرِ! وَلَا يَشْكُ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ، فَهَمَّا قَالَ يَكُونُ لَهُ. لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَما تُصَلُّونَ، فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ، فَيَكُونُ لَكُمْ. وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ، فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ، لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلَاتِكُمْ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا أَنْتُمْ لَا يَغْفِرَ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَيْضًا زَلَاتِكُمْ»^(١)).

ومن الموارد الأخرى المدعاة لسرعة غضب المسيح وردود فعله العنيفة ما تكرر عنه من ردة فعل تجاه حواريه وغيرهم في الشواهد التالية، وبما لا يتناسب مع الانطباع العام عن شخصيته المتسامحة والمحبة، وأنه أوصى المؤمنين برسالته: (مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ أَيُّضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدْءَكَ فَلَا تَمْنَعُهُ ثَوْبَكَ أَيُّضًا)^(١). ومن الشواهد المدعاة أيضاً:

١. (حِينَئِذٍ جَاءَ إِلَى يَسُوعَ كَتَبَةٌ وَفَرِيسِيُّونَ الَّذِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: «لِمَاذَا يَتَعَدَّى تَلَامِيذُكَ تَقْلِيدَ الشُّيُوعِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ حِينَمَا يَأْكُلُونَ خُبْزًا؟») وبعد أن رد عليهم الإشكال مبيناً أن المهم هو نجاسة القلب والقول لا النجاسة الظاهرية (حِينَئِذٍ تَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَقَالُوا لَهُ: «أَتَعْلَمُ أَنَّ الْفَرِيسِيِّينَ لَمَّا سَمِعُوا الْقَوْلَ نَفَرُوا؟») فَأَجَابَ وَقَالَ: «كُلُّ غَرْسٍ لَمْ يَغْرِسْهُ أَبِي السَّمَاءِويُّ يُقْلَعُ. أَتَرْكُوهُمْ. هُمْ عُمَيَّانُ قَادَةُ عُمَيَّانٍ. وَإِنْ كَانَ أَعْمَى يَقُودُ أَعْمَى يَسْقُطَانِ كِلَاهُمَا فِي حُفْرَةٍ». فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «فَسِّرْ لَنَا هَذَا الْمَثَلَ». فَقَالَ يَسُوعُ: «هَلْ أَنْتُمْ أَيُّضًا حَتَّى الْآنَ غَيْرُ فَاهِمِينَ؟»^(٢). وقد فهم البعض من العبارة الأخيرة نوعاً من التوبيخ والتحقير لا الملاحظة الأبوية الحانية على أولاده الذين لم يستوعبوا المفهوم الذي طرحه، وهذا الفهم غير أكيد، ولذا فإن التمسك بهذا الشاهد ليس بقوي.

٢. وفي مورد مشابه نجد (توبيخاً) آخر يوجهه المسيح لحوارييه: (وَلَمَّا كَانَ وَحْدَهُ سَأَلَهُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مَعَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ عَنِ الْمَثَلِ، فَقَالَ لَهُمْ: «قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٦، ٢٩.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٥، ١٦-١.

آيات السيد المسيح

أَنْ تَعْرِفُوا سِرَّ مَلَكُوتِ اللَّهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ فَبِالْأَمْثَالِ يَكُونُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ، لَكِي يَبْصُرُوا مُبْصَرِينَ وَلَا يَنْظُرُوا، وَيَسْمَعُوا سَامِعِينَ وَلَا يَفْهَمُوا، لئَلَّا يَرْجِعُوا فَتَغْفَرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ». ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «أَمَا تَعْلَمُونَ هَذَا الْمَثَلَ؟ فَكَيْفَ تَعْرِفُونَ جَمِيعَ الْأَمْثَالِ؟»^(١).

٣. توبيخ ثالث صدر عنه بحق حواربييه وفي مشهد عام: (وَقَامَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى تَحُومِ الْيَهُودِيَّةِ مِنْ عَبْرِ الْأَرْدُنِّ. فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ أَيْضًا، وَكَعَادَتِهِ كَانَ أَيْضًا يَعْلَمُهُمْ.... وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَوْلَادًا لَكِي يَلْمِسَهُمْ. وَأَمَّا التَّلَامِيذُ فَاَنْتَهَرُوا الَّذِينَ قَدَّمُوهُمْ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذَلِكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ: «دَعُوا الْأَوْلَادَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ، لِأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ اللَّهِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لَا يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللَّهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ». فَاحْتَضَنَهُمْ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَبَارَكَهُمْ)^(٢).

٤. وتكرر الأمر ولكن مع خصومه من اليهود المتشددين: (ثُمَّ دَخَلَ أَيْضًا إِلَى الْمَجْمَعِ، وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ. فَصَارُوا يَرَاقِبُونَهُ: هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ؟ لَكِي يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ: «قُمْ فِي الْوَسْطِ!» ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلُ؟» فَسَكَتُوا. فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ، حَزِينًا عَلَى غِلَظَةِ قُلُوبِهِمْ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ: «مُدِّ يَدَكَ». فَمَدَّهَا، فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالْأُخْرَى)^(٣).

٥. وفي مورد يشبهه من حيث العنوان الأولي ما جاء في المثل الأول الذي ذكرناه،

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٤، ١٠-١٣..

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ١٠، ١-١٦..

٣. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٣، ١٠-١٣..

نجد المسيح يوجّه كلماته اللاذعة وغضبه الشديد إلى اليهود الذين يراعون التعاليم الظاهرية ويُهملون ما وراء التشريعات من غايات تسعى لتهديب النفس والسلوك: (وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِيسِيٌّ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ، فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ. وَأَمَّا الْفَرِيسِيُّ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلًا قَبْلَ الْغَدَاءِ. فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «أَنْتُمْ الْآنَ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ تَتَّقُونَ خَارِجَ الْكَاسِ وَالْقِصْعَةِ، وَأَمَّا بِاطْنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا وَخُبْنًا. يَا أَغْبِيَاءُ، أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّخَلَ أَيْضًا؟ بَلْ أَعْطَاوْا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً، فَهَؤُذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ. وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ! لَأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّدَابَ وَكُلَّ بَقْلٍ، وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللَّهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلَا تَتْرَكُوا تِلْكَ) فهو ينتقدهم لشدة تدقيقهم في تقديم زكاة الخضروات ومقدارها العُشر، بينما يهملون الصدقة النابعة من الحس الإيماني والإنساني، مما قد يعكس حالة من البخل والاكتفاء بإخراج ما هو واجب فقط في الشريعة دون ما هو تطوعي (وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ! لَأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلَسَ الْأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الْأَسْوَاقِ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمَرَاؤُونَ! لَأَنَّكُمْ مِثْلَ الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ، وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَيْهَا لَا يَعْلَمُونَ!». فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ النَّامُوسِيِّينَ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، حِينَ تَقُولُ هَذَا تَشْتُمُنَا نَحْنُ أَيْضًا!». فَقَالَ: «وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ! لَأَنَّكُمْ تَحْمِلُونَ النَّاسَ أَحْمَالًا عَسِرَةَ الْحِمْلِ وَأَنْتُمْ لَا تَمْسُونَ الْأَحْمَالَ بِأَحَدٍ أَصَابِعُكُمْ. وَيْلٌ لَكُمْ! لَأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَبَاؤُكُمْ قَتَلُوهُمْ. إِذَا تَشْهَدُونَ وَتَرْضُونَ بِأَعْمَالِ آبَائِكُمْ، لِأَنَّهُمْ هُمْ قَتَلُوهُمْ وَأَنْتُمْ تَبْنُونَ قُبُورَهُمْ. لِذَلِكَ أَيْضًا قَالَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ: إِنِّي أَرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا، فَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَطْرُدُونَ لِكَيِّ

يُطَلَّبُ مِنْ هَذَا الْجِيلِ دَمُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُهْرَقِ مُنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ، مِنْ دَمِ هَائِيلَ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا الَّذِي أَهْلَكَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْبَيْتِ. نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُطَلَّبُ مِنْ هَذَا الْجِيلِ! وَيَلُوكُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ) نسبة إلى الناموس أي شريعة موسى، وهم الذين تخصصوا في دراسة وحفظ الشريعة الموسوية، إذ كانوا يدققون ويهتمون كثيراً بتفاصيل الأحكام الشرعية، ولكن تشرعهم هذا كان مقتصرًا على الجانب الظاهري والقشري من الشريعة ولا ينفذ إلى أعماق روحها ومفاهيمها وأبعادها التربوية والأخلاقية، فتصبح جامدة بلا روح ولا هدف واضح، مما ينعكس سلباً على تصرفاتهم وأفكارهم وقراراتهم، ومن ذلك محاربتهم للنبي يحيى ومن ثم للنبي عيسى (لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. مَا دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ، وَالِدَاخُلُونَ مَنَعْتُمُوهُمْ». وَفِيمَا هُوَ يَكْلَمُهُمْ بِهِذَا، ابْتَدَأَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ يَحْنَقُونَ جَدًّا، وَيُصَادِرُونَهُ عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَهُمْ يَرَاقِبُونَهُ طَالِبِينَ أَنْ يَصْطَادُوا شَيْئًا مِنْ فَمِهِ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ) (١).

٦. يتحدث الإصحاح السابع عشر في بدايته عن اللقاء الروحاني والغيبى الذي تم على الجبل بين يسوع الذي (أَضَاءَ وَجْهَهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيَاضًا كَالنُّورِ) وبطرس ويعقوب بن زبدي وأخيه يعقوب من جهة، وبين النبيين موسى وإيليا، وسحابة، خرج منها صوت إلهي يقول: («هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا») من جهة أخرى.

ولكن عند نزولهم من الجبل بعد هذا اللقاء الغيبى لم يلبث أن خرج يسوع عن أترانه -والمفترض أنه عائد للتو من واحد من أسرى اللقاءات الروحانية

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ١١، ٣٧-٥٤.

الغيبية التي يمكن تصوّرها - والسبب ما يلي: (وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى الْجَمْعِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ جَاثِيًا لَهُ وَقَائِلًا: «يَا سَيِّدُ، اِرْحَمِ ابْنِي فَإِنَّهُ يُصْرَعُ وَيَتَأَلَّمُ شَدِيدًا، وَيَقَعُ كَثِيرًا فِي النَّارِ وَكَثِيرًا فِي الْمَاءِ. وَأَحْضَرْتَهُ إِلَى تِلَامِيذِكَ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْفُوهُ». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ، الْمُلتَوِي، إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ؟ قَدِّمُوهُ إِلَيَّ هُنَا»).

بهذه الكلمات العنيفة، وبهذا النقد اللاذع، يصوّر هذا النص يسوع في نوبة غضب، تبدو غير مبرّرة وغير متوافقة مع المفترض من المشهد: (فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ، فَخَرَجَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ. فَشَفِيَ الْغُلَامُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ. ثُمَّ تَقَدَّمَ التِّلَامِيذُ إِلَى يَسُوعَ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالُوا: «لِمَاذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لِعَدَمِ إِيْمَانِكُمْ. فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيْمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرُ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ. وَأَمَّا هَذَا الْجَنْسُ فَلَا يَخْرُجُ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ»^(١)).

٧. وفي آية إطعام الأربعة آلاف رجل التي مرّت معنا في هذا الباب، لم يسلم سمعان - المفترض أن يكون أفضل الحواريين ورأسهم والملقب ببطرس/ الصخرة/ الصفا لأجل ذلك - من غضب المسيح العارم، حيث يصفه بأنه شيطان، ويطلب منه الابتعاد عنه!

فبعد تحقّق آية الإطعام بحسب النص الإنجيلي: (ابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. وَقَالَ الْقَوْلُ عَلَانِيَةً. فَأَخَذَهُ بَطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٧، ١-٢١.

يَنْتَهَرُهُ. فَالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلَامِيذَهُ، فَانْتَهَرَ بُطْرُسَ قَائِلًا: «أَذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ»^(١).

إن المشاهد السابقة، وغيرها من المشاهد التي تضجّ بها الأناجيل الأربعة جرّأت البعض أن يتّهم المسيح بأنّ سلوكه وردود أفعاله اتّصفت «بالنزق ونفاد الصبر»، وأن هذا النزق كان يتحوّل أحياناً إلى ثورات غضب عارم، ولطالما احتدم غضباً على محاوريه من مثقفي اليهود^(٢)!

إننا لا نريد هنا أن نبرّئ المسيح من الطبائع البشرية ونضفي عليه صفات إلهية... كيف ونحن نجد أن القرآن الكريم قد قدّم لنا النبي موسى بكل حيادية، فنجد تارة يغضب ويتراجع، ويتّخذ موقفاً ويندم، ويُقدّم على أمر ثم يعتبره من عمل الشيطان، بما نخرج معه بانطباع خاص عن شخصيته «عليه السلام» بكونها أقرب إلى الانفعالية، وهو ما استدعى أن يصاحب العبد العالم وفق الأمر الإلهي الذي تحدّث عنه آيات سورة الكهف، ولكن هذا شئ، وأن تصدر كلمات ومواقف انفعالية من المسيح «عليه السلام» وبالصورة التي مرّت علينا، تارة تجاه شجرة لا حول لها ولا قوة ولا إرادة، وأخرى تجاه أقرب الناس إليه وأشدّهم تعلقاً به وتضحيةً من أجله، وثالثة تجاه من يدعوهم للإيمان به، فهذا شئ آخر نتردّد في قبوله بأجمعه، ويحتاج إلى تراث والحكم على كل حالة منها بشكل منفرد وفق ظروفها وحيثياتها.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٨، ٣١-٣٣.

٢. السواح: ألغاز الإنجيل، ص ٢٠٠.

مواعد السيد المسيح

مواعظ السيد المسيح

سأستعرض مجموعة من التعاليم والمواعظ والحكم والأمثال المروية في الأناجيل الأربعة، لتتعرف على طبيعة خطابات المسيح ودائرة اهتماماتها، ومدى تلاؤمها مع تعاليم نبي الإسلام، بل ومدى توافقها مع بعض نصوص القرآن الكريم في هذا الإطار.

• موعظة الجبل:

جاءت هذه موعظة في بدايات الدعوة ألقاها السيد المسيح -بحسب الرواية الإنجيلية- وهو واقف على الجبل أمام جموع كثيرة من فلسطين والأردن وسورية، وتُعرف بعنوان (موعظة الجبل).

○ تصديق الرسالة السابقة: (لَا تَطْنُوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكْمَلَ. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نَقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ) ^(١) أي حتى تكتمل الشريعة.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٥، ١٧-١٨.



وفي القرآن الكريم نجد ما يقرب من هذا المضمون إجمالاً في قول الله «تعالى»: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(١)، وقوله «تعالى»: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ، وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^(٢).

○ تجنب مقدّمة الجريمة: وفي تنمة هذه الموعظة تطرّق إلى جريمة القتل، وعن العلاقات الأخوية وإصلاح ذات البين، فقال «عليه السلام»: (قَدْ سَمِعْتُمْ

١. آل عمران: ٥٠.

٢. المائدة: ٤٦-٤٨.

أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ (١).

○ تجنب مقدمات المعاصي: فحول فاحشة الزنا قال: (قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيَمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَالْقَهَا عَنْكَ، لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلَا يَلْقَى جَسَدُكَ كُلَّهُ فِي جَهَنَّمَ. وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيَمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَالْقَهَا عَنْكَ، لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلَا يَلْقَى جَسَدُكَ كُلَّهُ فِي جَهَنَّمَ) (٢).

وهذا من باب المبالغة. ونجد مثله في قوله «تعالى»: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣).

وقال «تعالى»: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ....﴾ (٤).

○ تقديم حق العباد: (فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لِأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَادْهَبْ أَوَّلًا اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ) (٥).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٥، ٢٣-٢٤.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٥، ٢٧-٣٠.

٣. الإسرء: ٣٢.

٤. النور: ٣٠-٣١.

٥. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٥، ٢٤.

هناك قاعدة في الفقه الإسلامي بخصوص مسألة التزاحم بين حقوق الله وحقوق الناس، ومفادها إجمالاً: تقديم حق العباد على حق الله، وهي -على الرغم من غرابتها بالنسبة إلى البعض- نابعة من صلب المفاهيم الإسلامية وتشريعات وأخلاقيات الإسلام وآدابه.

سئل الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» عن الرجل يخرج يُشيع أخاه مسيرة يومين أو ثلاثة) أي أنه أراد أن يأتي بهذه الوظيفة الاجتماعية غير الإلزامية، ولكنها تمثل حقاً من حقوق الأخ المؤمن بحيث يقطع معه مسافة من الطريق إبداء للاحترام والمحبة وتقديراً للعلاقة القائمة بينهما، وهو من آداب توديع الضيف... هكذا أدب الإسلام الناس. والرواية تخصّ الصيام على اعتبار أن الصائم يفطر في السفر، فسيقع هنا تزاخم بين حق الله في صيام شهر رمضان وبين حق عبد من عباده في تشييعه عند سفره، فكيف أجاب الإمام؟ (فقال: إن كان في شهر رمضان فليُفطر. فقيل: أيهما أفضل، يصوم أو يشييعه؟ قال: يشييعه. إن الله «عز وجل» وضع الصوم عنه إذا شيّعه»^(١)).

○ تعظيم الأيمان: («أَيْضاً سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَحْنُثْ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لَا بِالسَّمَاءِ لِأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللَّهِ، وَلَا بِالْأَرْضِ لِأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلَا بِأُورُشَلِيمَ لِأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. وَلَا تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ، لِأَنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيَضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. بَلْ لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لَا لَا. وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشَّرِّيرِ»^(٢)).

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٤٨٢.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٥، ٣٣-٣٧.

قال «تعالى»: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(١).

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: (الحلف مُنْفَقَةٌ لِلسُّلْعَةِ مُمَحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ)^(٢).
وروي عنه «صلى الله عليه وآله» أن ذلك خاص باليمين الكاذبة لا مطلق اليمين، حيث قال: (اليمين الكاذبة مُنْفَقَةٌ لِلسُّلْعَةِ مُمَحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ)^(٣).

وروي عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» أنه قال: (من حلف بالله كاذباً كفر، ومن حلف بالله صادقاً أثم، إن الله يقول: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾)^(٤).

○ مقابلة الإساءة بالإحسان: (سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعْنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يَشْرِقُ شَمْسُهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيَمْطُرُ عَلَى الْآبَرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لِأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيُّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ الَّذِي

١. البقرة: ٢٢٤-٢٢٥.

٢. الطبري: مسند علي، ح ٥٨.

٣. صحيح البخاري، ح ٢٠٨٧.

٤. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ٢٨٣.

فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ^(١). أَي تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ، وَاسْعُوا نَحْوِ التَّكَامُلِ فِي الْأَخْلَاقِ، وَعَلَيْكُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

قال «تعالى»: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢).

وقال «تعالى»: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٣).

وقال «تعالى»: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

وعن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: (عليكم بمكارم الأخلاق، فإن الله بعثني بها، وإن من مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عن من ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، وأن يعود من لا يعود)^(٥).

وعنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال: (إن الله «عز وجل» جعل محاسن الأخلاق وصلة بينه وبين عبادِهِ، فحسبُ أحدكم أن يتمسك بخلق متصل بالله «تعالى»)^(٦).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٥، ٤٣-٤٨.

٢. الفرقان: ٦٣.

٣. فصلت: ٢٤-٣٥.

٤. البقرة: ١٠٩.

٥. الريشهري: ميزان الحكمة، ج ١، ص ٨٠٤.

٦. ورام: تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ١٢٢.

○ الإخلاص في الصدقة: (احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات. فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق، كما يفعل المراءون في المجمع وفي الأزقة، لكي يمجّدوا من الناس. الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم! وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك، لكي تكون صدقتك في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية) ^(١).

قال «تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ^(٢).

وقد روي عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام»: (يا ابن جندب، لا تتصدق على أعين الناس ليزكوك، فإنك إن فعلت ذلك فقد استوفيت أجرك، ولكن إذا أعطيت يمينك فلا تطلع عليها شمالك، فإن الذي تتصدق له سراً يجزيك علانية على رؤوس الشهداء في اليوم الذي لا يضررك أن لا يطلع الناس على صدقتك) ^(٣).

وفي النفس شئ من هذه الرواية، فقد جاء هذا المقطع في رواية طويلة رواها ابن شعبة الحرّاني في كتابه (تحف العقول)، ومثّلت مجموعة كبيرة من الوصايا، فإن صحّ صدور هذه الرواية عنه «عليه السلام» فمن المحتمل

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٦، ٤-١.

٢. البقرة: ٢٦٤.

٣. المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٨٤.

أن هذا المقطع دخیل علیها ومأخوذ عن الإنجیل، وكنوع من المسیحیات التي دخلت فی الروایات الإسلامیة لشدة تطابقها مع النص الإنجیلی.

○ الإخلاص فی الصیام: (وَمَتَى صُمْتُمْ فَلَا تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يَغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ. وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَادْهِنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ، لِكَيْ لَا تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِمًا، بَلْ لِأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عِلَانِيَةً)^(١).

عن النبی «صلی اللہ علیہ وآلہ» أنه قال: (مَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ)^(٢).

○ أدب نفسك أولاً واشتغل بعيوب نفسك بدلاً من الاشتغال بعيوب الناس وتتبعها ورصدها: (وَلَمَّاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَقْطُنُ لَهَا؟)^(٣).

ولدينا - في التراث الإسلامي - نصوص عديدة تنهى عن تتبع عثرات الناس، وعن تأديب النفس أولاً قبل تأديب الآخرين، فعن الإمام علي «عليه السلام» أنه قال: (يا أيها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)^(٤).

وعنه أنه قال: (مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ)^(٥).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٦، ١٦-١٨.

٢. ابن حنبل: المسند، ح ١٧١٤٠.

٣. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٧، ٣.

٤. الرضي: نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

٥. الرضي: نهج البلاغة، الحكمة ٣٤١.

وفي الكتاب الذي أرسله الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» لعبد الله بن سليمان النوفلي، قال في جانب منه: (يا عبد الله، وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي «عليه السلام» أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول لأصحابه يوماً: معاشر الناس إنه ليس بمؤمن من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، فلا تتبعوا عثرات المؤمنين، فإنه من تتبع عشرة مؤمن اتبع الله عثراته يوم القيامة وفضحه في جوف بيته)^(١).

والآن فلنلاحظ هذه الرواية المسيحية كيف دخلت في التراث الإسلامي: روى البخاري في الأدب المفرد مرفوعاً وموقوفاً وصححه الألباني عن يزيد ابن الأصم قال سمعت أبا هريرة يقول: (يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذل أو الجذع في عين نفسه)^(٢). وهي عين الوصية التي مرّت معنا في إنجيل متى.

○ تيقن إجابة الدعاء: («اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له»)^(٣).
قال «تعالى»: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾^(٤).

عن علي بن عقبة قال: سمعت أبا عبد الله -الإمام جعفر الصادق- «عليه السلام» يقول: (إن الدعاء يرد القضاء المبرم بعد ما أبرم إبراماً، فأكثر

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٢١٠.

٢. الألباني: الصحيح الجامع، ح ٨٠١٣.

٣. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٧، ٧-٨.

٤. غافر: ٦٠.

من الدعاء، فإنه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء، فإنه ليس من باب يكثر قرعه إلا أوشك أن يفتح لصاحبه^(١).

• موعظة للحواريين:

روى متى في إنجيله موعظة خاصة للحواريين الاثني عشر ألقاها عليهم السيد المسيح «عليه السلام» حين أرسلهم للدعوة في الأرجاء المختلفة، وجاء فيها: («لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلَامًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لِأَفَرِّقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالْأَبْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حِمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي »)^(٢).

قال «تعالى»: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣).

وقال «تعالى»: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤).

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٢١٠.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٠، ٣٤-٣٧.

٣. التوبة: ٢٤.

٤. المجادلة: ٢٢.

عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: (لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) ^(١).

• موعظة أخرى للحواريين:

بعد أن خاطب جموعاً من الناس عند بحيرة طبرية، وحاوّر تلاميذه، وعظ المسيح «عليه السلام» حول الإنفاق فقال: (يُشَبِّهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ. وَلَكِنْ مَتَى نَمَتَ فِيهَا أَكْبَرُ الْبُقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَأَوَّى فِي أَغْصَانِهَا) ^(٢).

قال «تعالى»: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٣).

• تنبيه وتحذير وموعظة:

في حوار للمسيح «عليه السلام» مع بعض الكتبة والفرّيسيين انتهى بأن يوجه خطابه للحضور رداً على الإشكال الذي طُرح من قبل أولئك القوم: (حِينَئِذٍ جَاءَ إِلَى يَسُوعَ كَتَبَةٌ وَفَرِّسِيُّونَ الَّذِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: «لِمَاذَا يَتَعَدَّى تَلَامِيذُكَ تَقْلِيدَ الشُّيُوخِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ حِينَمَا يَأْكُلُونَ خُبْزاً؟»).

والهدف من غسل اليد هنا شدة التحرّز والاحتياط خوفاً من تلوثها بنجاسة

١. صحيح البخاري، ح ١٥.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٢، ٣١-٣٢.

٣. البقرة: ٢٥١.

فيكون الآكل قد تناول طعاماً متنجساً، فهم يُشكلون على المسيح أن أتباعه لا يراعون بعض المسائل الشرعية التي يُجب عليهم أن يراعوها لكونهم من أتباع الشريعة الموسوية من جهة، ولأنه يُفترض بهم أن يكونوا متدينين وتحت نظر ورقابة نبيٍّ بشكل مباشر، فكان من الازم على المسيح أن يتشدد في ذلك كما يتشددون هم فيه (فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ أَيْضًا، لِمَاذَا تَتَعَدَّوْنَ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ؟ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْصَى قَائِلًا: أَكْرَمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتَمِ أَبًا أَوْ أُمًّا فَلَيَمُتْ مَوْتًا. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: مَنْ قَالَ لِأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قَرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي. فَلَا يَكْرَمُ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ) ادَّعى اليهود أنه يمكن للشخص أن يقدم قرباناً للهيكل بدلاً عن الإحسان للوالدين (فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!).

فالمسيح «عليه السلام» لفت انتباههم أنهم يحتاطون في مسألة ذات بُعد فردي، وهي لا تبلغ ذلك المستوى من الأهمية كما هي مسألة الإحسان للوالدين التي تعتبر من المسائل ذات الأهمية القصوى ولها بُعد اجتماعي، وقد أخبر الله «سبحانه وتعالى» في القرآن الكريم أنه جعل الإحسان للوالدين في مرتبة متقدمة وبعد توحيده مباشرة في قائمة الميثاق المأخوذ من بني إسرائيل حيث قال «تعالى»: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(١)، والآية تؤكد أن كثيراً منهم لم يلتزموا بالميثاق بما في ذلك الإحسان للوالدين وهو ما يلتقي مع كلام المسيح «عليه السلام» المروي عنه في النص الإنجيلي السابق.

وهذا الميثاق نجده حاضراً في سفر الخروج من التوراة: (ثُمَّ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً: «أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعِبَادَةِ. لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمَثَالاً مَنْحُوتاً، وَلَا صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ..... أَكْرَمَ أَبَاكَ وَأُمِّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ....» (١).

وتكرر الميثاق في موقف آخر كما جاء في سفر التثنية من التوراة، وسمي هذا السفر بهذا الاسم لأنه يُثْنَى ويذكر التشريعات والوصايا للمرة الثانية لجهة التأكيد على القوم: (وَدَعَا مُوسَى جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمْ: «اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ الْفَرَائِضَ وَالْأَحْكَامَ الَّتِي أَتَكَلَّمُ بِهَا فِي مَسَامِعِكُمْ الْيَوْمَ، وَتَعَلَّمُوهَا وَاحْتَرِزُوا لِتَعْمَلُوهَا. الرَّبُّ إِلَهُنَا قَطَعَ مَعَنَا عَهْداً فِي حُورَيْبَ. لَيْسَ مَعَ آبَائِنَا قَطَعَ الرَّبُّ هَذَا الْعَهْدَ، بَلْ مَعَنَا نَحْنُ الَّذِينَ هُنَا الْيَوْمَ جَمِيعُنَا أَحْيَاءُ..... أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعِبَادَةِ. لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمَثَالاً مَنْحُوتاً صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ..... أَكْرَمَ أَبَاكَ وَأُمِّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ، لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ، وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. لَا تَقْتُلْ، وَلَا تَزْنِ، وَلَا تَسْرِقْ....» (٢).

نعود الآن إلى كلام المسيح «عليه السلام» حيث وبَّخهم لأنهم نقضوا الميثاق

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، ١-١٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح ٥، ١-١٩.

الخاص بالإحسان إلى الوالدين، فهم لا يراعون طهارة الروح، بينما هم يحتاطون أشد الاحتياط في الطهارة الجسدية الظاهرية، وما ذلك إلا لأنهم مراؤون، وقد فهموا الدين فهماً خاطئاً، فتمسكوا ببعض الأمور السطحية الظاهرية وتركوا وأهملوا غايات التشريع وما يقع في سلم أولوياته، ولأن هرم الأولويات لديهم مقلوب، ولأنهم لبسوا الدين لبس الفرو مقلوباً بحسب تعبير أمير المؤمنين علي «عليه السلام» حيث قال في وصف زمان سيأتي: (وتواخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابوا على الكذب، وتباغضوا على الصدق... وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، وأوساطه أكالاً، وفقراؤه أمواتاً، وغار الصدق، وفاض الكذب، واستعملت المودة باللسان، وتشاجرت الناس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً) (١).

ثم قال المسيح «عليه السلام»: (يَا مُرَاوُونَ! حَسَنًا تَتَّبَعْنَا عَنْكُمْ إِشْعِيَاءُ قَائِلًا: يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَغِدٌ عَنِّي بَعِيدًا. وَبَاطِلًا يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يَعْلَمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ).

ووجه المسيح «عليه السلام» بعد ذلك خطابه للحضور عامة منبهاً إلى القاعدة التي يجب عليهم العمل بها: (ثُمَّ دَعَا الْجَمْعَ وَقَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا وَافْهَمُوا. لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنْجِسُ الْإِنْسَانَ، بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هَذَا يُنْجِسُ الْإِنْسَانَ» (٢).

١. الرضي: نهج البلاغة، الخطبة ١٠٦.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٥، ١-١١.

• أمثال المسيح:

بالإضافة إلى المواظع والوصايا، نجد أن الأناجيل الأربعة تشتمل على الكثير من الأمثال التي حاول أن يقرب من خلالها المفاهيم والأفكار، ويبدو أيضاً أنها كانت تستهوي الناس آنذاك وتجذبهم، بل وقد تبهرهم في أسلوب تصويرها، ولدلالاتها على حكمة قائلها.

ولورجعنا بالتاريخ الكتابي عدة قرون إلى الوراء، فسنجد أن التنخ (العهد القديم) يذكر انبهار الناس بأمثال داود وسليمان «عليهما السلام»: (وَأَعْطَى اللَّهُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةً وَفَهْمًا كَثِيرًا جَدًّا، وَرَحْبَةً قَلْبٍ كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. وَفَاقَتْ حِكْمَةُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةَ جَمِيعِ بَنِي الْمَشْرِقِ وَكُلِّ حِكْمَةِ مِصْرَ. وَكَانَ أَحْكَمَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ، مِنْ إِيثَانَ الْأَزْرَاحِيِّ وَهَيْمَانَ وَكَلْكُولَ وَدَرْدَعَ بَنِي مَاحُولَ. وَكَانَ صَيْتُهُ فِي جَمِيعِ الْأُمَمِ حَوَالِيهِ. وَتَكَلَّمَ بِثَلَاثَةِ آلَافِ مَثَلٍ، وَكَانَتْ نَشَائِدُهُ أَلْفًا وَخَمْسًا. وَتَكَلَّمَ عَنِ الْأَشْجَارِ، مِنْ الْأَرْزِ الَّذِي فِي لُبْنَانَ إِلَى الزُّوْفَا النَّابِتِ فِي الْحَائِطِ. وَتَكَلَّمَ عَنِ الْبَهَائِمِ وَعَنِ الطَّيْرِ وَعَنِ الدَّبِيبِ وَعَنِ السَّمَكِ. وَكَانُوا يَأْتُونَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ لِيَسْمَعُوا حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ الْأَرْضِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِحِكْمَتِهِ)^(١).

وللنبي/الملك سليمان «عليه السلام» سفر خاص في التنخ، يحمل هذا العنوان (سفر أمثال سليمان)، والذي يبدأ كالتالي: (أَمْثَالُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ: لِمَعْرِفَةِ حِكْمَةٍ وَأَدَبٍ. لِإِدْرَاكِ أَقْوَالِ الْفَهْمِ. لِقَبُولِ تَأْدِيبِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالْإِسْتِقَامَةِ. لِتُعْطِيَ الْجَهَالَ ذِكَاءً، وَالشَّابَّ مَعْرِفَةً

١. الكتاب المقدس: سفر الملوك الأول، افصحاح ٤، ٢٩-٣٤.

وَتَدَبَّرًا. يَسْمَعُهَا الْحَكِيمُ فَيَزِدُّهُ عِلْمًا، وَالْفَهِيمُ يَكْتَسِبُ تَدَبُّيرًا. لَفَهُمُ الْمَثَلُ وَاللُّغْزُ، أَقْوَالُ الْحُكَمَاءِ وَغَوَامِضُهُمْ. مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ، أَمَّا الْجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالْأَدَبَ. اسْمَعْ يَا ابْنِي تَأْدِيبَ أَبِيكَ...^(١).

والأمثال في الأنجيل الأربعة تمثل جزءاً أساسياً من التعاليم الموجودة فيها، وهي تقارب الثلث من حجم تلك التعاليم، ولها مكانة مرموقة في التعليم المسيحي. وجاءت تلك الأمثال -عموماً- في صورة مجموعة قصص قصيرة ومختلفة الطول، ضربها يسوع خلال دعوته العلنية حسب رواية العهد الجديد؛ وهي تعتمد على البساطة، والكثير من التشبيهات والصور، لتوضيح غاية معينة، بحيث تساعد الحكمة القصصية أو خلاصة نهاية المثل في فهم الحقائق الروحية.

وأما مواد الأمثال فلم تكن فلسفية أو غريبة عن الوسط الاجتماعي البسيط، إذ استخدم المسيح أمثالا من المحيط الذي كان يعيشه الناس آنذاك، وبعضها من الطبيعة مباشرة، والبعض الآخر من وحي العادات الاجتماعية السائدة. ولعظم الأمثال نقطة جوهرية واحدة فقط. يبلغ عدد الأمثال ٣٢ مثلاً، وعناوينها كالتالي:

١. مثل الخروف الضال (لوقا ١٥: ١-٧)

٢. مثل الدرهم المفقود (لوقا ١٥: ٨-١٠)

٣. مثل الابن الضال (لوقا ١٥: ١١-٢٤)

١. الكتاب المقدس: سفر الأمثال، الإصحاح ١، ٨-١.

٤. مثل الزارع (متى ١٣: ٣-٩، ١٨-٢٣).
٥. مثل القمح والزوان (متى ١٣: ٢٤-٣٠، ٣٦-٤٣).
٦. مثل حبة الخردل ومثل الخميرة (متى ١٣: ٣١-٣٣).
٧. مثل الكنز المخفى ومثل اللؤلؤة كثيرة الثمن (متى ١٣: ٤٤-٤٦).
٨. مثل الشبكة المطروحة في البحر (متى ١٣: ٤٧-٥٠).
٩. مثل إنسان يلقى البذور (مرقس ٤: ٢٦-٢٩).
١٠. مثل رب بيت يستأجر فعلة لكرمه (متى ٢٠: ١-١٦).
١١. مثل العبد الذي يؤمر من سيده (لوقا ١٧: ٧-١٠).
١٢. مثل صديق منتصف الليل (لوقا ١١: ٥-١٣).
١٣. مثل قاضي الظلم (لوقا ١٨: ١-١٨).
١٤. مثل السامري الصالح (لوقا ١٠: ٢٥-٣٧).
١٥. مثل الدعوة إلى العرس (متى ٢٠: ٢٦-٢٨).
١٦. مثل الفرّيسي والعشار (لوقا ١٨: ٩-١٤).
١٧. مثل الغني الغبي (لوقا ١٢: ١٣-٢١).
١٨. مثل إنسان صنع عشاء عظيماً (لوقا ١٤: ١٦-٢٤).
١٩. مثل الوكيل الخائن (لوقا ١٦: ١-١٣).
٢٠. مثل كان لدائن ومديونين (لوقا ٧: ٣٧-٥٠).
٢١. مثل الابنين (متى ٢١: ٢٣-٣٢).

٢٢. مثل الكرم والكرامين (متى ٢١: ٣٣-٤٥).
٢٣. مثل عرس الملك لابنه (متى ٢٢: ٢-١٤).
٢٤. مثل التينة التي لم تصنع ثمرًا (لوقا ١٣: ٩-١).
٢٥. مثل العبد الذي لم يسامح رفيقه (متى ١٨: ٢١-٣٥).
٢٦. مثل الوزنات (متى ٢٥: ١٤-٣٠).
٢٧. مثل العذارى العشر (متى ٢٥: ١-١٣).
٢٨. مثل العبد الأمين (متى ٢٤: ٤٥-٥١).
٢٩. مثل اللص الذي يأتي في الليل (متى ٢٤: ٣٧-٤٤).
٣٠. مثل الخراف والجداء (متى ٢٥: ٣١-٤٦).
٣١. مثل الزارع (متى ١٣: ٩-٣٠، ١٨-٢٣).
٣٢. مثل حبة الخردل والخميرة الصغيرة (متى ١٣: ٣١-٣٣).

ولنستعرض نموذجاً من أمثال المسيح كما جاءت في الأناجيل، ففي إنجيل متى: (فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ خَرَجَ يَسُوعُ مِنَ الْبَيْتِ وَجَلَسَ عِنْدَ الْبَحْرِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ. وَالْجَمْعُ كُلُّهُ وَقَفَ عَلَى الشَّاطِئِ. فَكَلَّمَهُمْ كَثِيرًا بِأَمْثَالٍ قَائِلًا: «هُذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ، وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَاءَتِ الطُّيُورُ وَأَكَلَتْهُ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الْأَمَاكِنِ الْمَحْجَرَةِ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تَرْبَةٌ كَثِيرَةٌ، فَتَبَتَ حَالًا إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُمُقٌ أَرْضَ. وَلَكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الشُّوكِ، فَطَلَعَ الشُّوكُ وَخَنَقَهُ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَرًا،

بَعْضُ مِئَةِ وَآخِرُ سِتِّينَ وَآخِرُ ثَلَاثِينَ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ»).

هذا المضمون شبيه بما جاء في القرآن الكريم في قوله «تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ، وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»^(١).

هذا، وقد واستغرب تلاميذ المسيح (الحواريون) من استعماله هذا الأسلوب فسألوه: (لِمَاذَا تَكَلَّمْتُمْ بِأَمْثَالٍ؟) فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «لَأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا لِأَوْلَيْكَ فَلَمْ يُعْطَ. فَإِنَّ مَنْ لَهُ سَيِّعُطَى وَيَزَادُ، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ. مِنْ أَجْلِ هَذَا أَكَلْتُهُمْ بِأَمْثَالٍ، لِأَنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لَا يَبْصُرُونَ، وَسَامِعِينَ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ. فَقَدْ تَمَّتْ فِيهِمْ نَبُوءَةُ إِشَعْيَاءَ الْقَائِلَةِ: تَسْمَعُونَ سَمْعًا وَلَا تَفْهَمُونَ، وَمُبْصِرِينَ تَبْصُرُونَ وَلَا تَنْظُرُونَ. لِأَنَّ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ قَدْ غُلِظَ، وَأَذَانُهُمْ قَدْ ثَقُلَ سَمَاعُهَا. وَغَمَضُوا عَيْنَهُمْ، لِكَلَّا يَبْصُرُوا بَعْيُونَهُمْ، وَيَسْمَعُوا بِأَذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَاشْفِيَهُمْ. وَلَكِنْ طُوبَى لِعَيُونِكُمْ لِأَنَّهُ تَبْصُرُ، وَلِأَذَانِكُمْ لِأَنَّهُ تَسْمَعُ. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ وَأَبْرَارًا كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ وَلَمْ يَرَوْا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا»^(٢).

١. البقرة: ٢٦٤-٢٦٥.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٣، ١-١٧.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الجانب من النص الإنجيلي بما يؤكد على أهميته في أسلوب الدعوة وتعليم الناس، لاسيما البسطاء منهم، حيث قال «تعالى»: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

ونجد هذا المثل حاضراً في إنجيل متى بالصورة التالية: (قَدَّمَ لَهُمْ مَثَلًا آخَرَ قَائِلًا: «يُشَبِّهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ. وَلَكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَأَوَّى فِي أَغْصَانِهَا»)^(٢).

ونجد هذا المثل حاضراً في إنجيل مرقس بالصورة التالية: (وَقَالَ: «بِمَاذَا نُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللَّهِ؟ أَوْ بِأَيِّ مَثَلٍ نُمَثِّلُهُ؟ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ، مَتَى زُرِعَتْ فِي الْأَرْضِ فَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ الَّتِي عَلَى الْأَرْضِ. وَلَكِنْ مَتَى زُرِعَتْ تَطْلُعُ وَتَصِيرُ أَكْبَرَ جَمِيعِ الْبُقُولِ، وَتَصْنَعُ أَغْصَانًا كَبِيرَةً، حَتَّى تَسْتَطِيعَ طُيُورُ السَّمَاءِ أَنْ تَتَأَوَّى تَحْتَ ظِلِّهَا»)^(٣).

ونجد هذا المثل حاضراً في إنجيل لوقا بالصورة التالية: (فَقَالَ: «مَاذَا

١. الفتح: ٢٩.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٣، ٣١-٣٢.

٣. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ٤، ٣٠-٣١.

يُشَبِّهُ مَلَكُوتُ اللَّهِ؟ وَبِمَاذَا أُشَبِّهُهُ؟ يُشَبِّهُ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَأَلْقَاهَا فِي بُسْتَانِهِ، فَنَمَتَ وَصَارَتْ شَجَرَةً كَبِيرَةً، وَتَأَوَّتَ طُيُورُ السَّمَاءِ فِي أَغْصَانِهَا»^(١).

ونجد مورداً آخر يقارب من حيث التصوير ما جاء في آية قرآنية، والمثل جاء على لسان المسيح «عليه السلام» بعد أن جاء إليه شاب ثري وسأله كيف ينال الحياة الآخوية السعيدة، فقال له: (لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرَمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحَبَّ قَرِيبِكَ كَنَفْسِكَ». قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفَظْتُهَا مِنْذُ حَدَاتِي. فَمَاذَا يَعْزُزُنِي بَعْدُ؟ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي». فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِينًا، لِأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ).

ثم علق المسيح على ما جرى قائلًا: («الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ! وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقَبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!»)^(٢).

ونجد هذا التصوير في القرآن الكريم حيث يقول الله «تعالى» ببيان قشيب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾^(٣).

ومن المحتمل جداً أن إتيان القرآن الكريم بمثل ذلك، وفي أكثر من مورد، كان أمراً مقصوداً، وذلك بغرض بيان وحدة المصدر والرسالة، لاسيما بلحاظ

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ١٣، ١٨-١٩.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٩، ١٨-٢٤.

٣. الأعراف: ٤٠.

عدم اطلاع نبي الإسلام على الكتب السماوية السابقة، ولكونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فمن أين جاء بهذه النصوص المشابهة إلى حد بعيد أو المتطابقة مع ما جاء على لسان أو في كتاب بعض الأنبياء والرسل السابقين؟ إنها بمثابة حُججٍ إضافية يقدمها القرآن الكريم للدلالة على سماويته واتحاد الرسالات من حيث المنبع والمصدر.

هذا، وقد اعتمد القرآن الكريم نفسه على الأمثال في تقريب المفاهيم والأفكار والحكم، قال «تعالى»: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(١).

وقال في بيان الغرض منها: ﴿....وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

وقال أيضاً في بيان الغرض منها: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٣).

وقال كذلك: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

١. الرعد: ١٧.

٢. إبراهيم: ٢٥.

٣. العنكبوت: ٤٣.

٤. الحشر: ٢١.

وهي نفس الغاية التي ذكرت في كلام المسيح حين سأله الحواريون عن الغاية من ضرب الأمثال.

وقد اعتنى بعض أهل الاختصاص بتجميع هذه الأمثال القرآنية وشرحها وتقديم مفاهيمها وأفكارها من قبيل:

○ الأمثال في القرآن المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)

○ الأمثال في القرآن الكريم للدكتور محمد جابر فياض، معاصر.

○ الأمثال في القرآن الكريم: أنواعها، موضوعاتها، أسلوبها، للدكتور حمد بن عبد الله المنصور، معاصر.

○ أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، لعبد الرحمن حسن حنيفة الميداني، معاصر.

○ الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ، للدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، معاصر.

○ أمثال القرآن، للمرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

بشارة المسيح بأحمد

بشارة المسيح بأحمد

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(١).

يخبر الله «سبحانه وتعالى» في هذه الآية الشريفة أن المسيح «عليه السلام» بشرٌ ببعثة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» وأسماءه (أحمد)، فهل جاءت هذه البشارة في الإنجيل؟ أم أنها بشارة شفوية ضاعت فيما ضاع من تعاليم المسيح «عليه السلام»؟ وإذا كانت قد جاءت في الإنجيل، فهل لها وجود في الأناجيل المتداولة ضمن العهد الجديد؟ أم أنها موجودة في بعض الأناجيل التي لا تعترف بها غالبية الكنائس؟

يبدو أن الإشارة المذكورة في القرآن الكريم إلى هذه البشارة على لسان المسيح عيسى بن مريم «عليه السلام» يراد بها -من جهة- تنبيه وتذكير المسيحيين لاستحضار نص متداول عندهم في الإنجيل، ليصدقوا بأنَّ محمد

بشارة المسيح بأحمد

ابن عبد الله «صلى الله عليه وآله» هو ذاته أحمد الذي بشر به المسيح.
فرسالة موسى وعيسى ومحمد هي من منبع واحد، وكما أن المسيح جاء
مصدقاً للتوراة التي أنزلت من قبل على موسى «عليه السلام»، فكذلك
فإن محمداً «صلى الله عليه وآله» جاء مصدقاً لما أنزل من قبله في التوراة
والإنجيل، ومكملاً لرسالتي النبيين الكريمين. وهذا الأمر ليس مجرد ادعاء،
بل إن مراجعة مضمون القرآن الكريم ومضمون تعاليم الإسلام يؤكد هذا
التوافق مع ما نزل على موسى وعيسى «عليه السلام».

وتدل بعض الشواهد التاريخية على أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان
يُعرف باسم أحمد كما كان يُعرف باسم محمد، ومن بينها قول أبي طالب عم
النبي (١):

وقالوا لأحمد أنت امرؤ خلوف اللسان ضعيف السبب

ألا إن أحمد قد جاءهم بحق ولم يأتهم بالكذب

وقوله مخاطباً العباس وحمزة وجعفر وعلي (٢):

كونوا فدى لكم أمي و ما ولدت في نصر أحمد دون الناس أتراسا

وقول حسان بن ثابت (٣):

صلى الإله و من يحفّ بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ٩٥.

٢. المفيد: إيمان أبي طالب، ص ٤٨.

٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٧٠.

وهناك نص يستوقفنا في إنجيل يوحنا، أشار عدد من الباحثين والمحققين إلى أنه هو النص الإنجيلي الذي يتحدث عنه القرآن الكريم.

ففي أثناء عرض تفاصيل ما يُعرف بعنوان (العشاء الأخير)، وما جاء من وصايا وكلمات المسيح «عليه السلام» لحوارييه قبل أن يأتي بعض الجلاوزة للقب عليه، نجد النص التالي في إنجيل يوحنا: (وَأَمَّا الْآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي: أَيْنَ تَمْضِي؟ لَكِنْ لِأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هَذَا قَدْ مَلَأَ الْحُزْنَ قُلُوبَكُمْ. لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزِي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أَرْسَلُهُ إِلَيْكُمْ)^(١).

حيث قال هؤلاء الباحثون والمحققون بأن الكلمة المترجمة (المُعْزِي) تشير إلى نبينا «صلى الله عليه وآله»، وأنها في اللغة الآرامية التي كان يتحدث بها المسيح «عليه السلام»، كانت تقابل كلمة (أحمد) في العربية، ولكنها حين تُرجمت إلى اليونانية مع تدوين الإنجيل ثم إلى لغات أخرى ومنها العربية ضاع المراد الحقيقي.

وللعلم فإن النص الآرامي (أو العبري بحسب البعض) المفترض كلغة أصلية للإنجيل غير موجود، والموجود هو النص اليوناني الذي اعتبر ترجمة للنص الآرامي، وهذا النص اليوناني هو مرجع سائر الترجمات... فإلى أي حد كانت الترجمة اليونانية دقيقة وأمانة؟ العلم عند الله.

ولكننا لو عدنا إلى النص العربي كاملاً، فسنجد أن في البين إشكالاً - على الأقل - في دلالته على ما ذكر، وإذا أردنا أن نثبت أنه هو النص المشار إليه

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٦، ٥-٧.

بشارة المسيح بأحمد

في القرآن الكريم فلا بد من البحث عن حل لذلك الإشكال. ولنتوقف بدءً مع النص ضمن سياقه الكامل، ثم نشير إلى الإشكال.

جاء في الإصحاح ١٤ من إنجيل يوحنا قول المسيح «عليه السلام»: (إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيَكُمْ مُعْزِيًّا آخَرَ لِيَمَكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكُثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ...) (١).

في هذا المقطع، إذا توقفنا عند (إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيَكُمْ مُعْزِيًّا آخَرَ لِيَمَكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ) فسيكون من الممكن أن نقول بأن المسيح يشير إلى بعثة نبينا «صلى الله عليه وآله» وإلى رسالته التي هي خاتمة الرسالات.

ولكن بمجرد أن نكمل النص سنجد أن المسيح يصف المعزي بأنه: (رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ) فإذا استطعنا أن نؤول عبارة (رُوحُ الْحَقِّ) ونقول أن المراد بها النبي بما يمثله هو وبما تمثله رسالته والقرآن من خلاصة الحق، وأنها بمجموعها تبعث الحياة في الحق،

إلا أن عبارة (لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ) لا تنطبق على النبي ورسالته والقرآن، إذ لا معنى لعدم مقبوليتها بمجموعها من الناس بسبب عدم كونها مرئية ولا معروفة.

ثم يقول لاحقاً: (وَأَمَّا الْمُعْزِي، الرُّوحُ الْقُدُسُّ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي،

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٤، ٥-٧.

فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قَلْتُهُ لَكُمْ. «سَلَامًا أَتْرَكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ...»^(١).

هذا المقطع يمكن أن يدلّ على المطلوب لولا عبارة (الَّذِي سَيَرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي)، إذ أن بعثة النبي محمد ورسالته ليست فرعاً عن بعثة المسيح ورسالته كي يكون مرسلًا باسمه، وليس النبي «صلى الله عليه وآله» ممثلاً أو وكيلًا عن المسيح «عليه السلام» أو ناطقاً باسمه كما قد يفهم من العبارة.

ثم يقول لاحقاً: (وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِي الَّذِي سَأَرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبِتُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لِأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنَ الْبَتْدَاءِ)^(٢). وفي هذا المقطع إشكالية قوله: (الَّذِي سَأَرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ)، فهل نبينا مرسل من قبل المسيح؟

ثم يضيف لاحقاً: («وَأَمَّا الْآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي: أَيْنَ تَمْضِي؟ لَكِنْ لِأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هَذَا قَدْ مَلَأَ الْحُزْنَ قُلُوبَكُمْ. لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزِي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أَرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: أَمَّا عَلَى خَطِيئَةٍ فَلأنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِي. وَأَمَّا عَلَى بَرٍّ فَلأنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلَا تَرَوْنِي أَيْضًا. وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لِأَقُولَ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يَرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَنْكَلِمُ مِنْ نَفْسِهِ،

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٤، ٢٦-٢٧.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٥، ٢٦-٢٧.

بشارة المسيح بأحمد

بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخَبِّرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يَمَجِّدُنِي، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مَعًا لِي وَيُخَبِّرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلْآبِ هُوَ لِي. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مَعًا لِي وَيُخَبِّرُكُمْ. بَعْدَ قَلِيلٍ لَا تَبْصُرُونَنِي، ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضًا تَرَوْنَنِي، لِأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الْآبِ»^(١).

هذا المقطع هو الأوضح في الدلالة على المطلب، وإن كانت في البين بعض الإشكالات فهي سهلة الرد، وذلك من قبيل التعبير عن المعزي بأنه (روح الحق) بينما النبي محمد «صلى الله عليه وآله» جسد وليس بروح.

ولنتوقف عند بعض الإشكالات التي طرحها بعض رجال الدين المسيحي حول تأويل المسلمين للنصوص السابقة.

١. لا يخفى أن المسيح كان مُعَلِّمَ الحواريين مدة إقامته بينهم، وكان مرشداً ومعزياً لهم ومدافعاً عنهم حتى تعلقت قلوبهم به، وهو بسابق علمه عرف أن فراقه بواسطة الموت سيُحزنهم جداً، وتحقق أنهم في حاجة إلى مساعدة سماوية للتقوية والإرشاد والتعزية بعد فراقه، لذلك سبق فوعدهم بالروح القدس المعزي الآخر، كما رأيت في الآيات السالفة الذكر. وبعد إنعام النظر في هذه الآيات يتضح لنا أن الشخص الموعود به لا يمكن أن يكون محمداً نبي المسلمين لأسباب تراها في نفس الآيات: أن الموعود به غير ذي جسم «روح الحق» لذلك لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه، وهذا الوصف لا يصدق على محمد لأنه ذو جسم وقد رآه العالم المؤمن والكافر. وأن الموعود به جاء ليمكث مع الحواريين إلى الأبد «ليمكث معكم إلى الأبد» وهذا أيضاً لا يصدق على محمد، لأنه لم يأت في زمن الحواريين، ولم يمكث في العالم أو معهم إلى الأبد.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٦، ٥-١٧.

٢. أن الموعود به كان وقتئذ مع الحواريين «لأنه ماكن معكم» وهذا أيضاً لا يصدق على محمد لأنه لم يكن مع الحواريين.

٣. أن المسيح أوصى الحواريين أن لا يبرحوا من أورشليم، بل عليهم أن ينتظروا ذاك المعزي الروح القدس، وهم -إطاعةً لأمر سيدهم «والمسلمون يعتقدون أن الحواريين طائعون»- انتظروا عشرة أيام في أورشليم حتى جاء ذلك المعزي «وامتلاً الجميع من الروح القدس» كما جاء في «سفر أعمال الرسل» ضمن العهد الجديد، وهذا أيضاً لا يصدق على محمد، وإلا كان يجب على الحواريين أن ينتظروا في أورشليم نحو ستمائة سنة إلى مجيء محمد، وأنى لهم هذا العمر. وخصوصاً أن المسيح وعدهم بإرسال هذا الروح المعزي على عجل، وإلا فليس من فائدة للتعزية وهم موتى، فتعزية لهم قال: «وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير». ولست أظن أن الأخ المسلم يريد أن يعتقد أن المسيح هو الذي أرسل محمداً، لأن الآيات السالفة تبين أن المسيح هو الذي أرسل الروح المعزي. فإن كان ذلك كذلك فلنا معه بحث لآخر، فيه يضطر أن يسلم بألوهية المسيح المرسل، لأن محمداً كان يدعي أنه رسول الله^(١).

وبالفعل، إذا أردنا الاعتماد على النص المترجم إلى العربية كما هو الآن، فإن بعض الإشكالات قائمة كما ذكرها القس في الكلام المنقول عنه.

ولكن للباحث المتخصص في مجال الحوار مع المسيحيين (أحمد ديدات) بيان يوضح فيه مواطن الخلل في الترجمة العربية الحاضرة للإنجيل بما يثير

1. http://arabic.islamicweb.com/Christianity/ahmad_in_bible.htm

بشارة المسيح بأحمد

هذه الإشكالات. قال -مع التلخيص وإعادة ترتيب وصياغة كلامه- أنه إلى العصر الذي عاش فيه النبي محمد - أي القرن ٦ الميلادي- لم يكن الإنجيل قد تُرجم إلى العربية، فكيف عرف ما تقوّ به سلفه عيسى؟ هذه أوّل ملاحظة سريعة طرحها ديدات ثم قال:

١. الأساتذة المتخصصون في اللاهوت يقولون إن الترجمة الأصلية للنص إلى اليونانية هي (بيركليطوس) Periklytos وتعني (موضع الثناء والحمد) وهذا متناغم مع معنى محمد وأحمد، وتم تحريفها إلى (باراكليطوس) Paracletos والتي تُرجمت في النسخة الإنجليزية إلى Comforter والعربية إلى (المعزي).

٢. الكلمة اليونانية (باراكليطوس) تعني (شفيع أو مدافع)، وهو الشخص الذي يُدعى لمساعدة آخر أو صديق رحيم أكثر مما تعني (معزي). ولو لم نقل بالتحريف في الكلمة اليونانية، فيمكن أن نقول بانطباقها أيضاً على النبي وفق هذا المعنى، لأنه كان رحيمًا بكل الخلائق.

٣. في الترجمة الإنجليزية سنجد أن النص الذي يصف (الباراكليت) يستعمل ضمير (هو=He) للمذكر سبع مرات متتالية في جملة واحدة، ولا توجد آية أخرى في الـ ٦٦ سفرًا للكتاب المقدس لدى البروتستانت، أو الـ ٧٣ سفرًا للكتاب المقدس للكاتوليك بها سبعة ضمائر مذكورة. كل هذه الضمائر المذكورة من آية واحدة لا يمكن أن تدل على Ghost شبح أو طيف أو روح، سواء كان مقدساً أم لا.

٤. ما يقابل مصطلح (الروح القدس) في الآيات الخاصة بهذه البشارة في الأصل اليوناني هي كلمة (نيوما) Penuma وهي تعني (النفس أو الروح أو الغاز أو الهواء)، ولا توجد كلمة خاصة للتعبير عن الروح في الكتب المقدسة اليونانية. وعندما تمت ترجمة هذه الكلمة اليونانية إلى الإنجليزية في نسخة (الملك جيمس) والتي تعتبر النسخة المرجع، وكذلك في نسخة الرومان الكاثوليك، نجد أنهم فضّلوا ترجمتها إلى كلمة Ghost بمعنى الطيف أو الشبح ولم يستعملوا كلمة Spirit بمعنى الروح، على الرغم من أن Ghost ليست إحدى معاني كلمة (نيوما) اليونانية، وكان الأجدر بهم لو أرادوا المعنى الذي قصدوه أن يستعملوا Spirit.

ولو أخذنا إحدى الترجمات لكلمة نيوما وهي كلمة (نفس) فإن النفس المقدسة (أو الإلهية) يمكن أن تنطبق على النبي محمد، ولن يكون في البين إشكال في النص في دلالاته عليه. ولو تنازلنا وقلنا أن المعزّي أو المساعد هو الروح القدسي أو الإلهي، فهو أيضاً ينطبق على محمد.

فقد استعمل يوحنا للحديث عن أنبياء الله عنوان (الروح الإلهي) وذلك في النص التالي الوارد في (رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤ / ٣-١):
(أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، لَا تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الْأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللَّهِ؟ لِأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةٍ كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ. بِهَذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللَّهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ، وَكُلُّ رُوحٍ لَا يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ.)^(١)

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، رسالة يوحنا الرسول الأولى، الإصحاح ٤، ٣-١.

فكلمة الروح استُخدمت هنا مرادفة لكلمة النبي، ونحن كمسلمين نقرّ ونؤمن بأن أي نبي مرسل من قبل الله «تعالى» هو نبي مقدس مطهر من كل خطيئة.

٥. كلمة (آخر) الواردة في البشارة معناها شخص بخلاف الشخص الأول، أي هو شخص إضافي ولكن من نفس النوع، وإن كان يختلف بوضوح عن الشخص الأول. وقد بين (سليمان شاهد مفسر) -وهو أمريكي أعلن إسلامه من خلال دراسته لهذا النص- الفكرة السابقة بشكل أوضح حيث ذكر أن النص اليوناني يستعمل كلمة Allos وهي مفعول به مذكّر من كلمة Allos التي تعني (آخر من نفس النوع)، ولم يستعمل كلمة Hetenos والتي تعني (آخر من نفس مغاير). وهذا يعني أن المبشّر به معزّي آخر ومن نفس النوع، أي مثل عيسى وموسى، أي كأنه قال (مثلي)، أي أنه من البشر وليس بروح^(١).

٦. وأما إشكالية أن المعزي الموعود يمكث معكم إلى الأبد، ومحمد قد توفّي، فمردود عليها بتحقيق ذلك من خلال ما تركه النبي من بعده، وهو القرآن.

٧. المعزي ليس هو الروح القدس بكل تأكيد، لأن قدوم المعزي له شروط لا تنطبق على الروح القدس كما نلاحظ من النبوءة: (لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمُ الْمُعْزِي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أَرْسَلُهُ إِلَيْكُمْ) أي إذا لم أذهب لا يأتي، ولكن إذا ذهبت أرسله، بينما الروح القدس كان يساعد عيسى «عليه السلام» في وظائفه وواجباته الدينية حال حضوره، وكان يساعد الحواريين أيضاً في مهامهم التبشيرية الوعظية والانتقالية.

ومما يدل على ذلك ما جاء في الإصحاح ٢٠ من إنجيل يوحنا بعد حادثة

1. http://arabic.islamicweb.com/Christianity/ahmad_in_bible.htm

الصلب ولقاء المسيح بالحواريين حيث يقول لهم: «سَلَامٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبُ أَرْسَلُكُمْ أَنَا». وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ» (١).

٨. في نص البشارة: (وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحَ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مَعًا لِي وَيُخْبِرُكُمْ... وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِي الَّذِي سَأَرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ، رُوحَ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبِثُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي). وملايين المسلمين اليوم يؤمنون ببعيسى «عليه السلام» كأحد أولي العزم من الرسل، إنهم يؤمنون أنه المسيح ويؤمنون بميلاده المعجز والذي لا يؤمن به الكثير من المسيحيين، بما فيهم الأساقفة منهم، ويؤمنون بمعجزاته الكثيرة بما فيها إحياء الموتى بإذن الله وبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله (٢).

وأما البروفيسور (عبد الأحد داود) الذي كان قساً كلدانياً فأسلم، فإن لديه رأياً مختلفاً في النص المتداول للبشارة، حيث اعتبر أن الكلمة اليونانية الأصلية هي Periqlytos فلغزرون طويلة كتب الأوروبيون واللاتينيون اسم Muhammad بالصورة التالية: Mahomet، واسم Mushi بالصورة التالية: Moses، فلا يبعد أن يكون أحد الرهبان النصارى أو النساخين قد حرّف Periqlytos والتي تعني (أحمد = الأشهر والأجدر بالحمد) إلى Paraklytos التي ترجمها الكنسيون بالخطأ إلى المعزّي أو الشخص الذي يُدعى للمساعدة، أو المحامي، أو الوسيط، لأن كلمة Parakalon هي التي تعني ذلك (٣).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢٠، ٢١-٢٢.

2. http://arabic.islamicweb.com/Christianity/ahmad_in_bible.htm

3. http://arabic.islamicweb.com/Christianity/ahmad_in_bible.htm

ويمكن أن نضيف هنا لإكمال الردود على الإشكالات السابقة أن الحواريين وإن كانوا هم المخاطبين في نص البشارة الإنجيلية، إلا أنهم ليسوا المقصودين بالذات وبأشخاصهم كي يقال أن عليهم أن يعيشوا ستة قرون حتى يلحقوا بعصر النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، بل عموم أتباع الرسالة العيسوية. أما الإشكال بخصوص أنه لا يُرى ولا يُعرف فقد قيل أن ليس المراد به الرؤية البصرية الخاصة بالأجساد، بحيث يكون المراد من العبارة أن المشار إليه ليس بجسد ولذا فهو لا يُرى، بل المراد هو المعنى المجازي للكلمة، أي الذي لا يُعتنى بشأنه ولا يُعرف مقامه أو لا يؤمن به.

ولكن الإنصاف أنه من الصعب تأويل العبارة الواردة في النص العربي بهذه الصورة: (وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكُثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ...) لأنه يذكر أن العالم لا يستطيع قبوله، بينما نبينا «صلى الله عليه وآله» قبل من قبل مليار ونصف المليار إنسان في هذا العصر فقط، ولو أضفنا إليهم من كانوا على الإسلام على مدى أكثر من ١٤٠٠ سنة، فإن العدد سيتضخم دون شك.

مما سبق يتضح أننا نقرب أحياناً من دلالة النص الإنجيلي على المطلب ونبتعد أحياناً، لأن المعالجات المطروحة من قبل المسلمين لم تغط كل الإشكالات، والأمر بحاجة لمزيد من الدراسة والتمحيص من قبل أهل الاختصاص في اليونانية القديمة والنصوص المقدسة.

قراءة في الأناجيل

قراءة في الأنجيل

يتم تقسيم الكتاب المقدس للمسيحيين إلى قسمين:
العهد القديم (التنخ، وهي كل الكتب التي تعتبر مقدسة من التوراة إلى ما
قبل المسيح)، والعهد الجديد (الأنجيل الأربعة وكتب ورسائل أخرى يرجع
عهدا إلى ما بعد المسيح).

وسيكون تركيز قراءتنا على الأنجيل الأربعة المضمّنة في العهد الجديد،
وأما سائر الكتب فسنتعرف عليها بصورة إجمالية وسريعة.

لا شك أننا كمسلمين نؤمن بأن الإنجيل كتاب الله المنزل على نبيه الرسول
عيسى بن مريم «عليه السلام»، بل إن إيماننا لا يكتمل إلا بذلك، كما أن
إيماننا لا يكتمل إلا بالإيمان بأن التوراة كتاب الله المنزل على نبيه الرسول
موسى «عليه السلام»: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾^(١).

قراءة في الأناجيل

﴿الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا، أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٢).

ولكن الكلام هو في كون الأناجيل الأربعة المعترف بها من قبل الكنائس والمتضمنة في العهد الجديد هل هي الإنجيل المنزل على عيسى «عليه السلام» والذي يذكره القرآن الكريم؟

الإنجيل كلمة غير عربية، وهي من أصل يوناني. كلمة εὐαγγέλιον في اليونانية القديمة تُلفظ كالتالي: yoo-ang-ghel-ee-on (يوآنكليون) وهي مشتقة من εὐάγγελος وتلفظ euángelos (يوآنجلوس) وتعني (جلب الأخبار السارة = bringing good news).

ومكونة من قسمين:

εὐ- (eu-) = Good

ἄγγελος (ángelos) = messenger

١. البقرة: ١-٥.

٢. النساء: ١٥٠-١٥٢.

وكلمة εὐάγγελος (يوآنكليون) تعني:

a reward for good news أجر البشارة

good news نبأ سارّ - بشرى - بشارة

وقد تم تعريب الكلمة فصارت تُلفظ (إنجيل) وتدل على الكتاب المقدس النازل على المسيح عيسى بن مريم «عليه السلام».

وهنا نقطة مهمة لا بد من الالتفات إليها عند الحديث حول الإنجيل، مقارنة بتصورنا وإيماننا بحقيقة وماهية القرآن الكريم. فنحن نؤمن أن القرآن بأكمله هو نصُّ أوحى به الله «سبحانه» إلى نبيه محمد «صلى الله عليه وآله» بكل كلماته ومعانيه وتركيب جملة، لم يتدخل النبي ولا سواه في النصِّ بإضافة كلمة أو أقل، فضلاً عن أن يكون شيء من القرآن من كلمات النبي وبيانه، ودور النبي هو إيصال كلمات الله في القرآن إلى الناس دون تدخل منه في أصل النصِّ نهائياً.

قال العلامة الطباطبائي تعليقاً على قوله «تعالى»: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١): (ألفاظ القرآن نازلة من عنده «تعالى» كما أن معانيها نازلة من عنده على ما هو ظاهر قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ «القيامة: ١٨»، وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ «آل عمران: ١٠٨، الجاثية: ٦» إلى غير ذلك. فلا يُعبأ

قراءة في الأنجيل

بقول من قال: إن الذي نزل به الروح الأمين إنما هو معاني القرآن الكريم ثم النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعبر عنها بما يطابقها ويحكيها من الألفاظ بلسان عربي. وأسخف منه قول من قال: إن القرآن بلفظه ومعناه من منشآت النبي «صلى الله عليه وآله» ألقتة مرتبة من نفسه الشريفة تسمى الروح الأمين إلى مرتبة منها تسمى القلب^(١).

أما الكنيسة، فإنها تميز ما بين نوعين من الإلهام:

١. الإلهام النبوي: الله في الإلهام النبوي يوجّه كلامه إلى النبي بصيغة الأمر بحيث أن النبي لا يقوم إلا بدور المستلم والمسلم الرسالة، فدور الله يبدو هنا في أقصى ذروته ولا يترك للنبي إلا جزءاً بسيطاً.

٢. الإلهام الكتابي: أثر الإنسان فيه واضح، فعمل الروح هنا يتم بشكل مختلف عما هو في الإلهام النبوي، ففاعلية الله تحرك نشاط الملهم بطريقة ثابتة جداً لدرجة أن النتائج سيكون كلياً من عمل الله وعمل الإنسان معاً، إنما على درجات مختلفة. وبتعبير آخر إن عمل الله ينتقل إلى الإنسان وهو في العمل. وهذا يشبه على سبيل المثال عمل الإنسان والآلة التي يستخدمها، فالإنسان يتعاونان بحرارة متينة على تنفيذ العمل ذاته، فالأول لا يعمل بدون الآخر، لكن الإنسان الملهم يبقى محتفظاً باستقلاله كشخص عاقل وحر. فليس هو إذن بالآلة تشبه القلم الذي تديره أصابع الكاتب. إن الله في الواقع يحث الإنسان الملهم على الكتابة دون أن يحطم ويمحي شخصيته بسبب ذلك، بل بالعكس إنه يحثه ويحمسه، أي أن الله يقود الملهم بقوته الفعالة وبطريقته

١. الطباطبائي: الميزان، ج ١٥، ص ٣١٧.

المحتمة إلى تفكير وقول وتدوين ما يريده الله وكما يريده، ويتم ذلك باحترامه حرية وعبقريّة الكاتب، آخذاً بعين الاعتبار البيئة الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها ويعمل فيها. إذن يبدو وكأنه يتسلم فقط النور الفوطبيعي الذي يساعده على الحكم باليقين الإلهي ذاته على كل ما يوافق ويناسب تأليف كتابه.... يستطيع المؤلف أن يتأمل في أفكاره التي اكتسبها بشكل طبيعي، ولكن الله يمنحه في الوقت نفسه نوراً خاصاً حتى يصبح هذا النتاج حقاً عمل الله. ولتبرير الأخطاء العلمية في النص الكتابي إن وجدت قالوا أن علينا أن نضع أنفسنا مكان المؤلف، فنحن نعرف جيداً أن الشئ ذاته يمكن مشاهدته بأوجه مختلفة حسب كل شخص ينظر إليه، لأن ما يراه العالم يختلف عما يراه الشاعر أو الروائي أو أي أديب آخر، فكهم بالأحرى الكاتب الملهم، الذي ينظر مثلاً إلى بنيان الكون والطبيعة وسير الكواكب كأنها تعترف بعظمة وسلطان الله. إن هذا الكاتب يأخذ بعين الاعتبار عقلية معاصريه التي هي أيضاً عقلية وعقلية عصره حتى يجعلهم يفهمونه، فهو لا يبتغي أن يثبت حقيقة علمية كما هي عليه، فهدفه تبليغ حقيقة دينية.

فعلينا إذاً أن نميز جيداً بين شخصية الكاتب الخاصة وشخصيته العامة، وهذا التمييز له أهمية في التفريق بين ما هو من الكاتب الملهم وما هو من الله. ففي الواقع أن الكاتب البشري لا يتمتع بالإلهام إلا في ما يتعلق بالرسالة الإلهية. فالله يعصمه من الخطأ فيما يتعلق بالحقيقة الموحاة، ولكنه لا يبتغي أن يجعل منه رجلاً كاملاً في العلوم^(١).

قراءة في الأنجيل

وهذا يعني أن النظرة الكنسية للإنجيل في نسخته الأربع تتلخص في كونها كلمات مؤلفيها، متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وعباراتهم، وتنعكس على نصوصها شخصياتهم ومعلوماتهم وانفعالاتهم وما إلى ذلك من ظروف متنوعة مؤثرة في صياغة النص، وإن كانت المفاهيم الأساسية من الله، والرعاية الإلهية حاضرة في تسديد هذا العمل وتوجيهه في ما له علاقة بالهداية لا بالمعلومات العلمية وغيرها. وتعتبر الكنيسة أيضاً أن ما ذكر في طبيعة الإنجيل من حيث الكيفية الوحيانية ينطبق على سائر الكتب المقدسة في العهد القديم كالتوراة والمزامير (الزبور).

وهذا واضح مثلاً في إنجيل لوقا إذ يبدأ هذا السفر بالكلمات التالية: (إذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيلِ قِصَّةٍ فِي الْأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مِنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنَّ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، لَتَعْرِفَ صَحَّةَ الْكَلَامِ الَّذِي عَلَّمْتُ بِهِ. كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودَسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرْيَا مِنْ فَرْقَةِ أَبِيَّا، وَأَمْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيسَابَاتُ. وَكَانَا كِلَاهُمَا بَارَيْنِ أَمَامَ اللَّهِ، سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ، إِذْ كَانَتِ أَلِيسَابَاتُ عَاقِرًا. وَكَانَا كِلَاهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا...) (١).

وتؤكد الكنيسة ما سبق عند الرد على من يثيرون إشكالية الاختلاف بين الأنجيل الأربعة، إذ كيف يكون الإنجيل كتاباً مقدساً ومن عند الله، وهو يقع

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ١، ١-٧.

في نسخ متعددة ومتباينة فيما بينها، فإن ذلك -كما تقول الكنيسة- يعود إلى خطأ شائع في الاعتقاد بأن الإنجيل هو كتاب منزل من الله على يسوع، ومرجع الخطأ هو عدم الدراية الكاملة بمعنى كلمة إنجيل، فالسيد المسيح لم يكتب الأنجيل أو أي سفر من الكتاب المقدس، بل كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب، أوحى روح الله القدوس أن يسجل كتاب الأنجيل حياة المسيح على الأرض من أربعة زوايا مختلفة، تتكامل فيما بينها لتشكل صورة رائعة وفريدة لشخص السيد يسوع المسيح. ولكل إنجيل غرضه الخاص به بحيث صار يركّز على أمور ويهمل أخرى:

١. غرض إنجيل متى إثبات أن يسوع هو المسيح الملك السرمدى المنتظر. وكتب هذا الإنجيل (متى أو لاوي) يهودي، جعل إنجيله حلقة الوصل بين العهد القديم والعهد الجديد، لأنه يركز على إتمام النبوءات القديمة في شخص المسيح، وأظهر يسوع كملك الملوك. إن ميلاده المعجزي وتعليمه ومعجزاته وانتصاره على الموت، كشفت عن حقيقة شخصه.

ولذلك فيظهر المسيح بصورة واضحة في لغة هذا الإنجيل بلقب (ابن داود)، تعبیر يتخلل الإنجيل كله، كما أن به ثلاثة وخمسين اقتباساً من العهد القديم، وستاً وسبعين إشارة أخرى منه، لأنه أرسل البشارة لليهود الذين لديهم النبوات، ولم يكتب هذا الإنجيل في تسلسل تاريخي، فهدفه أن يظهر جلياً أن يسوع هو المسيح المخلص المنتظر.

٢. غرض إنجيل مرقس تقديم شخصية يسوع وعمله وتعاليمه كخادم، فقد تمّ يسوع بصفته المسيح نبوات العهد القديم بمجيئته إلى الأرض، وهو لم يأت

قراءة في الأناجيل

ملكاً ظافراً، بل جاء كخادم، وقد ساعد البشر بإخبارهم عن الله وإبرائهم، والأكثر من ذلك بذل نفسه ذبيحة عن الخطيئة، فقام بأعظم خدمة للإنسان.

الكاتب هو يوحنا مرقس (يهودي)، وكتبه إلى المؤمنين الرومان، وهو أول ما تم كتابته من الأناجيل الأربعة، وعلى الرغم من أن إنجيل مرقس يسجل حياة المسيح الخادم، ولذلك لم يذكر نسبه، فلا أحد يهتم بنسب خادم، ولكنه يسجل من المعجزات أكثر مما يسجل أي إنجيل آخر.

٣. غرض إنجيل لوقا تقديم وصف دقيق عن حياة يسوع المسيح، وتقديمه كابن الإنسان الكامل والمخلص. الكاتب لوقا، وهو طبيب يوناني من المسيحيين الأمميين لا من اليهود، وهذا الإنجيل مكتوب للأمم وللناس في كل مكان وزمان، وهو أشمل الأناجيل، فكتبه كطبيب مثقف ومتعلم ومؤرخ متميز كان يهتم بالتفاصيل، ويركز على علاقة يسوع بالناس، وكيف أنه أظهر اهتماماً عميقاً بهم وبالعلاقات الإنسانية، وأظهر عطفاً وحنواً بالغاً نحو المعوزين والمتألمين والخطاة، ولم يرفض أو يهمل أحداً مطلقاً، كما يتكلم عن الصلاة والمعجزات والملائكة، ويعطي المرأة فيه مكانة متميزة، واهتمام يسوع بالرجال والنساء والأطفال والجميع.

٤. غرض إنجيل يوحنا الإثبات القاطع أن يسوع المسيح هو (ابن الله)، وأن كل من يؤمن به سينال الحياة الأبدية، ذلك لأن (يسوع هو الله المتجسد)، فهو يحيا إلى الأبد، وقبل أن يبدأ العالم هو كائن وموجود وحي مع الله، وسيملك إلى الأبد معه. الكاتب هو يوحنا بن زبدي التلميذ الحبيب، آخر من سجل الأناجيل بشكل متميز قائم بذاته، كما أن له أسلوباً خاصاً به، مما يجعله

وثيقة متميزة بين أسفار العهد الجديد، وينفرد بتسجيل معجزات للمسيح لم تذكرها سائر الأناجيل، وعددها ٨ معجزات، كما أنه لا يسجل سلسلة أنساب يسوع أو ولادته أو طفولته أو التجربة أو التجلي.

مما سبق يتضح أن الأربعة أناجيل تكلمت عن شخصية واحدة، ولكن من أربعة جوانب، وهذا يعني التمكين من معرفة جوانب مختلفة عن شخصية المسيح وخدمته^(١).

ويقول أحمد إيبش مترجم كتاب (تطور الإنجيل) The Evolution of The Gospel للدكتور (جون إينوك بأول) John Enoch Powell في مقدمة الكتاب: (الرأي السائد بين علماء العهد الجديد اليوم أن كتابة الأناجيل الأربعة ابتدأت قبل عام ٧٠ للميلاد بقليل، وانتهت مع نهاية القرن الميلادي الأول، أو بداية الثاني، ومن الباحثين من يعتبر أن من ضمن محتويان إنجيل يوحنا ما هو أقدم من إنجيل مرقس، مما يعني أن نصاً بدائياً من إنجيل يوحنا كُتب أصلاً قبل إنجيل مرقس، ثم أعيدت كتابة هذا الإنجيل مع إضافات إليه في وقت لاحق)^(٢).

وطرح إيبش التساؤل التالي: هل من دليل على أن الذين كتبوا الأناجيل الأربعة اعتمدوا على مصادر ما سابقة لهذه الأناجيل؟ وأجاب في نقاط كالتالي:

لماذا-اربعة-اناجيل-وليس-انجيل- /t1204595/1. <https://www.christian-dogma.com/>
واحد/index.html

٢. إيبش: تطور الإنجيل، ص ٢١.

قراءة في الأناجيل

١. من الملاحظ على الأناجيل الأربعة أن ثلاثة منها - إنجيل متى ومرقس ولوقا - تتحدث عن يسوع بشكل متناسق، على عكس الإنجيل الرابع - إنجيل يوحنا - الذي يختلف جذرياً عن الأناجيل المتناسقة في حديثه عن يسوع.

٢. المعلومات الأساسية التي يوفرها إنجيل مرقس عن يسوع واردة أيضاً في إنجيلي متى ولوقا، وذلك إلى جانب معلومات أخرى لا يأتي مرقس على ذكرها. وهذا يعني أن إنجيل مرقس لم يكن إلا واحداً من المصادر التي اعتمد عليها متى ولوقا في كتابة إنجيليهما.

٣. من المعلومات الإضافية الواردة في إنجيلي متى ولوقا، ما هو مشترك بينهما، ومنها ما هو خاص بإنجيل واحد دون الآخر، وهذا يعني أن متى ولوقا استقيا بعض معلوماتهما من مصدر مشترك، وبعضها الآخر من مصادر مختلفة.

٤. من المعلومات الواردة في إنجيل لوقا وحده من بين الأناجيل المتناسقة ما يرد أيضاً في إنجيل يوحنا، لكن بكلمات أخرى. وهذا يعني المصدر الخاص بلوقا، والذي أخذ عنه يوحنا أيضاً، كان مصدراً مكتوباً بلغة غير يونانية، لا بد أنها كانت الآرامية، فنقل كل منهما مقاطع من هذا المصدر إلى اليونانية بأسلوبه الخاص، أو أن هذا المصدر كان موجوداً في أصله الآرامي، وكذلك في ترجمة يونانية، فاستخدم واحد منهما - وهو يوحنا - الأصل، والآخر - وهو لوقا - الترجمة اليونانية المتوفرة له.

٥. قصة ولادة يسوع التي يوردها لوقا ولا يوردها يوحنا تأتي من مصدر استخدمه لوقا ولم يستخدمه يوحنا. أو لعلها كانت جزء من المصدر المشترك

بينهما، استخدمه لوقا، ولكن لم يستخدمه يوحنا لسبب ما^(١).

أما مؤلف الكتاب -جون إينوك باول- فقد وظّف كتابه لإثبات عكس ما جاء في بعض النتائج السابقة، حيث اعتبر أن إنجيل مرقس هو الذي أخذ عن إنجيلي متى ولوقا، وأن إنجيل متى هو الأقدم بينهم، وأن إنجيلي لوقا ومرقس استقيا معلوماتهما من إنجيل متى فحسب دون أي مصدر آخر.

ويضيف باول في مقدمته: (سيكشف لنا إنجيل متى النقاب عن أن هناك متناً أولياً سابقاً له قد تمّ تحويله بشكل فادح لغاية هي إما لاهوتية أو جدلية، وبأن النص الناتج عن ذلك قد تم توليفه مع المتن الأولي فيما بعد، بغية إفراز الصيغة النهائية للإنجيل كما نراه اليوم، هذا فضلاً عن أن المتن الأولي نفسه كان نتاجاً لعمليات سابقة تضمنت عدة مراحل من الإضافات الجوهرية)^(٢).

أما النتائج التي توصل إليها فهي (حصيلة دراسة مطولة ومتكررة ومكثفة قمنا بها حول النص اليوناني لإنجيل متى، وذلك عن طريق تطبيق أساليب النقد الفيلولوجي (دراسة النصوص القديمة) والنقد الأدبي على النص اليوناني القديم)^(٣).

ولو عدنا نحن إلى النصوص القرآنية التي تتحدث عن طبيعة الإنجيل فإننا نجدها تعبر عنه بالكيفية التالية:

١. إيبش: تطور الإنجيل، ص ٢١-٢٢.

٢. إيبش: تطور الإنجيل، ص ٤٩.

٣. إيبش: تطور الإنجيل، ص ٤٩-٥٠.

قراءة في الأناجيل

١. ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾^(١).
 ٢. ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ، وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).
 ٣. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ...﴾^(٣).
- فمن الواضح مما سبق أن الإنجيل أنزل على خصوص عيسى، وليس وحياً لكتاب الأناجيل الأربعة. وأن هذا الإنجيل المنزل من عند الله على عيسى المسيح والذي آتاه الله إياه -لا لغيره- واحد، وأن الله علّم عيسى الإنجيل كما علّمه التوراة، وهذا يتنافى مع التصور السابق الذي قدمته الكنيسة، ولعله يقترب من النتيجة التي توصل إليها (باول) من أن للأناجيل المتوفرة أصلاً أقدم قد اختفى، وأنه تم التلاعب والتحريف في تلك المتوفرة بين أيدينا اليوم، وإن اختلفنا معه حول طبيعة مضمون ذلك النص الأصلي ومصدره ومكان تأليفه، حيث قال: (لو تساءل البعض عن المكان الطبيعي لنشأة المتن الأصلي للإنجيل فلن يكون هناك كثير من التردد حول الإجابة: في روما طبعاً، فإن

١. الحديد: ٢٧.

٢. المائدة: ٤٦-٤٧.

٣. المائدة: ١١٠.

المناخ المؤيد لروما ناهيك عن كونها القبلية التي يتجه إليها العالم الأممي المهتدي إلى الخلاص على يد يسوع يمكن أن يفيا بالإجابة بشكل كامل)^(١).

وأما هذا المصدر المكوّن في روما فقد احتمل أن يكون (الإنجيل برواية بطرس)، وهو إنجيل مفقود، علماً بأن بطرس المشار إليه هنا هو رأس الحواريين سمعان، المقتول في روما بحسب رواية الكنيسة.

ثم يعود باول ويعطي مجالاً للتردد حول مكان صدور النص الأصلي حيث يقول: (مع احتمال أن يكون ذلك قد حصل في أرجاء أخرى من عالم البحر المتوسط)^(٢). واعتبر باول أن تأليف هذا المتن الأصلي للإنجيل قد بوشر به قبل ثورة اليهود على الحكم الروماني، واستكمل بعد حصار أورشليم وسقوطها، وبالتالي فإن تأليف النص الأساسي للمتن الأصلي للإنجيل مع النسخ المقابلة المعاد سبكها يمكن أن يكون قد تم في الفترة التالية لعام ٧٠م مباشرة.

ومن يقرأ في تاريخ الأناجيل يدرك أن الأناجيل في القرون الأولى للمسيحية كانت أكثر من هذه الأربعة بكثير، وفي ذلك يقول (ول ديورنت) في (قصة الحضارة): (الأربعة أناجيل التي وصلت إلينا هي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيراً، كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني... وأناجيل متى، ومرقس، ولوقا، يمكن الإحاطة بها بنظرة واحدة: ذلك بأن محتوياتها وحوادثها يمكن ترتيبها في أعمدة متوازية «والنظر إليها كلها مجتمعة»؛ وقد كتبت كلها باللغة اليونانية الدارجة، ولم تكن نماذج طيبة

١. إيبش: تطور الإنجيل، ص ٧٤.

٢. إيبش: تطور الإنجيل، ص ٧٤.

قراءة في الأنجيل

في النحو أو في الصقل الأدبي.... وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأنجيل الأربعة إلى القرن الثالث. أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي ٦٠، ١٢٠ م، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان إلى أخطاء في النقل، ولعلها تعرضت أيضاً لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو أغراضها... ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠ إلا في كتاب بيباس Papias^(١) الذي كتب في عام ١٣٥ إذ يقول أن «يوحنا الأكبر»- وهو شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها- قال إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس) وهذا قد يؤكد كلام باول الذي مر معنا من قبل حيث اعتبر أن إنجيل بطرس كان سابقاً على متى وسائر الأنجيل، وأنه المصدر الذي اعتمد عليه في النصوص (ويضيف بيباس إلى هذا قوله: «وأعاد متى كتابة الكلمات بالعبرية». والراجح أن بولص كانت لديه وثيقة من هذا النوع، وذلك لأنه ينقل أحياناً كلمات يسوع)^(٢).

وهذه قائمة بمجموعة من الأنجيل التي كانت موجودة ولم تعترف بها غالبية الكنائس كما جاء ذكرها في بعض المصادر، ولربما يكون العنوانان لكتاب واحد، وهذا الأمر يحتاج إلى مراجعة وتحقيق. وقد مرّت علينا بعض النصوص المأخوذة عن بعض هذه الأسفار حين الحديث عن ولادة المسيح وطفولته وآياته.

١. إنجيل ولادة مريم وطفولة المخلص.

١. بابياس رجل دين مسيحي يوناني (أسقف مدينة هيرابوليس = باموكالي التركية)، (٦٠-النصف الأول من القرن الثاني) له عدة مجلدات في شرح الأنجيل.

٢. ديورانت: قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢٠٧.

٢. إنجيل يعقوب
٣. حياة يوحنا المعمدان
٤. تاريخ يوسف النجار
- ٥- إنجيل الطفولة العربي
- ٦- ميلاد مريم
- ٧- إنجيل راعي هرماس
- ٨- إنجيل الطفولة لتوما
- ٩- إنجيل الطفولة اللاتيني
- ١٠- إنجيل الطفولة العربي
- ١١- إنجيل مرقيون
- ١٢- إنجيل المصريين القبطي
- ١٣- إنجيل بطرس
- ١٤- إنبعاث يسوع المسيح
- ١٥- سفر الرؤيا لبطرس
- ١٦- حكمة المسيح
- ١٧- حوار المخلص
- ١٨- إنجيل مريم المجدلانية
- ١٩- إنجيل الحقيقة

قراءة في الأناجيل

- ٢٠- سفر رؤيا آدم
- ٢١- إنجيل برلين المجهول
- ٢٢- إنجيل الإيونييين
- ٢٣- إنجيل نيقوديموس
- ٢٤- التاريخ العربي ليوسف النجار
- ٢٥- إنجيل فيلبس
- ٢٦- إنجيل متياس
- ٢٧- الإنجيل بحسب برنابا
- ٢٨- إنجيل برثلماوس
- ٢٩- إنجيل أندراوس
- ٣٠- إنجيل يهوذا الأسخريوطي
- ٣١- إنجيل تداوس
- ٣٢- إنجيل حواء
- ٣٣- الإنجيل بحسب باسيليديس
- ٣٤- إنجيل كيرنثوس
- ٣٥- إنجيل أبيليس
- ٣٦- إنجيل الإنكراتيين
- ٣٧- إنجيل هسيثيوس

٣٨- إنجيل الحقيقة

٣٩- رؤيا استيفانوس

٤٠- إنجيل غمالاتيل

٤١- إنجيل فالنتينوس^(١)

وقد وُجدت مخطوطات لبعض هذه الأسفار أو أجزاء منها، بينما لم يعد للبعض الآخر وجود، أو لم يعثر عليها إلى الآن.

ففي سنة ١٨٩٦ على سبيل المثال اشترى الباحث والدبلوماسي الألماني كارل راينهاردت Carl Reinhardt مخطوطة بردي في القاهرة مكتوبة باللغة القبطية الساحلية، فتبين أنها إنجيل مريم المجدلية، والتي تُعرف أيضاً باسم مخطوطة برلين أو أخميم، ورُجِّح أن تاريخ كتابة بين عامي ١٢٠ و ١٨٠ م، أما المخطوطة فترجع إلى القرن الخامس الميلادي.

وعندنا كذلك سلسلة (الأناجيل المفقودة وأسفار عدن المنسية) The Lost Books of the Bible and the Forgotten Books of Eden المنشورة سنة ١٩٢٦، وهي مجموعة من الترجمات الإنجليزية من القرنين السابع عشر والثامن عشر لبعض كتب العهد القديم والعهد الجديد، والتي تم تجميع بعضها في عشرينيات القرن التاسع عشر، ثم أعيد نشرها بالعنوان الحالي عام ١٩٢٦.

جاء في هذه السلسلة حول إنجيل الطفولة الأول أن هنري سايك، أستاذ

١. ويمكن لمن يحب مطالعة بعض هذه الأسفار مراجعة الموقع التالي والذي يشتمل على الترجمة الإنجليزية لمجموعة منها: www.gnosis.org/library.html

قراءة في الأنجيل

اللغات الشرقية في كامبريدج، قد قام بترجمة ونشر هذا الإنجيل لأول مرة في عام ١٦٩٧. وقد شهد م. لاكروس في سنة ١٥٩٩م أن المسيحيين من أتباع المذهب النسطوري في إحدى مجامعهم في (أنغامالا)، في جبال مالابار (جنوب الهند) كانوا يقرأون هذا الإنجيل، كما يقرأه النساطرة عادةً في ذلك البلد. ويضيف أن أوكوبيوس دي كاسترو Ocobius de Castro قد ذكر أنه شاهد بنفسه إنجيل توما، كما ترجمه له رئيس أساقفة أرمني في أمستردام، وأنه كان يُقرأ في الكثير من الكنائس في آسيا وأفريقيا، باعتباره الأساس الوحيد لما يؤمنون به^(١).

وذكرت هذه التفاصيل في كتاب (الأسفار المحرمة: الأنجيل والرسائل المكبوتة للعهد الجديد الأصلي The Forbidden Books The Suppressed Gospels & Epistles of the Original New Testament المطبوع سنة ١٨٢٠ حول الأنجيل المنحولة، وكذلك في كتب ومواقع عديدة^(٢).

ومثال آخر هو مخطوطة إنجيل يهوذا باللغة القبطية والتي تم اكتشافها في صحراء بنى مزار من قبل فلاحين في أحد الكهوف، وذلك عام ١٩٧٢. وهذه المخطوطة كانت على ورق البردي. وبعد العثور على المخطوطة تم بيعها إلى تجار آثار، فأخذوا يتحركون بها من مكان إلى آخر بحثاً عن أعلى سعر. وفي هذه الرحلة تم حفظ البردية في خزانة إحدى البنوك لسنوات طويلة، فبدأت

1. <https://www.sacred-texts.com/bib/lbob/lbob07.htm>

2. <http://www.orthodox.cn/patristics/apostolicfathers/infancy1.htm>

<https://www.wuxialeague.com/chpater/15702/19.html>

<https://www.scribd.com/document/362558434/Mary-Mother-of-Jesus>

تتهراً وتتآكل... وفي النهاية وصلت المخطوطة إلى يد العلماء، الذين بدأوا في تجميعها بمجهود شاق، ليعرفوا في النهاية أنها (إنجيل يهوذا).

وفي عددها الصادر في ٧ إبريل ٢٠٠٦ نشرت صحيفة واشنطن تايمز Judas stars as 'anti-hero' in مقالاً بعنوان The Washington Times gospel By Julia Duin وجاء في هذا المقال أن الجمعية الجغرافية الدولية National Geographic أزاحت النقاب عن إحدى المخطوطات الأثرية أو الأناجيل التي عثر عليها في المنيا في مصر ويعود تاريخها إلى بداية القرن الثالث الميلادي. وأطلق على هذا الإنجيل اسم إنجيل يهوذا The Gospel of Judas. وقد تمت ترجمته من اللغة القبطية إلى اللغة الإنجليزية في نهاية عام ٢٠٠٥ وأفرج عن هذه الترجمة في ٦ إبريل من عام ٢٠٠٦م وأصبح هذا الإنجيل يباع في الأسواق، وهو يختلف في مضمونه عن الأناجيل الأربعة إذ يتضمن تبرئة يهوذا الإسخريوطي من السعي بالمسيح، وأن المسيح بنفسه كان قد طلب من يهوذا الوشاية بمكانه، وقد سأله يهوذا عن سبب اختياره له بالذات فردّ المسيح أنه الأقرب إليه من بين تلاميذه. كما يعتبر هذا الإنجيل أن المسيح ليس بإله.

وهكذا نجد أن بعض هذه الأناجيل تذكر أن المسيح تكلم في المهد، وأنه لم يُصلب، وإنما وقع الأمر على شبيهه له، وأن المسيح كان جالساً على شجرة ينظر ويضحك من الموقف الذي كان يراه، علاوة على تفاصيل أخرى تتعارض والعقيدة المسيحية المستقاة من أسفار العهد الجديد، ولعل هذه المفردات من أسباب عدم الاعتراف ببعض هذه الأسفار.



صفحتان من مخطوطة إنجيل توما التي وجدت سنة ١٩٤٥م في منطقة (نجع حمادى) جنوب مصر، والإنجيل نفسه مؤرخ ما بين سنة ٥٠-١٠٠م أو ٦٠-١٤٠. تقول العبارة الافتتاحية في هذا الإنجيل: (تلك هى الكلمات الخفية التى نطق بها يسوع الحى، وكتبها ديدموس يهوذا توما).

• التعريف بأصحاب الأنجيل الأربعة:

١. متى: واسمه لاوي بن حلفى، ومَتَّى لقبه، وهو اختصار للاسم العبري (مَتَّى) الذي يعني (عطية يهوه)، أو (عطية من يهوه)، وهو أحد الحواريين بحسب التعبير القرآني، وتلاميذ المسيح بحسب التعبير الإنجيلي. كان في الأصل يهودياً جابياً للضرائب (عشاراً) لمصلحة السلطة الرومانية في مدينة كفرناحوم التي استقر فيها المسيح بعد بدء دعوته، وكانت وظيفة الجباية مُحْتَقَرَةً بين اليهود، حيث أنه باب من أبواب إعانة الظلمة الوثنيين المحتلين (الرومان)، ولأنه يغصب الناس أموالهم من خلال الضرائب المفروضة عليهم لصالح دولة الاحتلال الوثنية، ولأنه قد يلجأ إلى العنف والقوة والاضطهاد من أجل تحصيل الضريبة. ونجد في إنجيل متى كيفية دعوة المسيح له ليكون من حواريه، قال: (وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ، رَأَى إِنْسَانًا جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجَبَايَةِ، اسْمُهُ مَتَّى. فَقَالَ لَهُ: «اتَّبِعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَهُ)^(١).

وقد شكَّك البعض في كون الحواري متى هو كاتب هذه النسخة من الإنجيل، وأنه شخص آخر مجهول، ولو لاحظنا العبارة السابقة فسنجد أنه يتحدث عن (إنسان جالس في مكان الجباية) ولم يتحدث عن نفسه.

ولو افترضنا أن كاتب ذلك الإنجيل هو الحواري متى، فإنه لا يُعلم بالضبط كيف وأين قُتل، ولكن بعض القصص التراثية تروي بأنه بَشَّرَ وَقُتِلَ في سبيل إيمانه في إثيوبيا، قصص أخرى تحكي أنه قُتل في مدينة هيرابوليس اليونانية (باموكالي التركية).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٩، ٩.

قراءة في الأنجيل

يُفترض بأن جثمانه كان موجوداً في بلدة (كاباتشيو) في منطقة (كامبانيا) الإيطالية، وبعد ذلك نُقل إلى مدينة (ساليرنو) عاصمة كامبانيا في القرن العاشر الميلادي، وهو محفوظ الآن -بحسب الادعاء- في إحدى السرايب الواقعة أسفل إحدى الكاتدرائيات هناك.

٢. مرقس: ويُعرَف بمرقس البشير، اسمه يوحنا، ولقبه مرقس، وتعني باللاتينية: المطرقة. كان في الأصل يهودياً ولم يكن من الحواريين، بل تلميذاً للحواري بطرس، وأحد السبعين الذين اختارهم المسيح من بين كل أتباعه للتبشير، كما مرّ معنا من قبل. وُلد في (قورينا) المسماة الآن باسم (شحات) بإقليم (برقة) في ليبيا، وهو ابن أخت الرسول (برنابا). جاء إلى مصر سنة ٥٥ م وبشر فيها.

يعتبر بحسب التقليد الكنسي الإسكندري البطريرك الأول للكنيسة القبطية الأرثوذكسية لأنه مؤسسها. قُتل سنة ٦٨ م في الإسكندرية، وسُرق جسده من الإسكندرية إلى إيطاليا، لكن الكنيسة القبطية استعادت جسده عام ١٩٦٨. وإذا كان إنجيله هو مصدر إنجيل متى، فهذا يعني أن الحواري متى أخذ مضمون إنجيله عن تلميذ لحواري آخر!

٣. لوقا: طبيب غير يهودي، ولد في أنطاكية، ولم يكن من حواريين المسيح، ويذكر في بداية إنجيله أنه ينقل ما أخذه عن الذين شهدوا الأحداث، فهو لم يشهدا بنفسه: (إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيلِ قِصَّةٍ فِي الْأُمُورِ الْمُتَقِنَةِ عِنْدَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مِنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُذَّامًا لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنَّ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ

قراءة في الأنجيل

أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، لَتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلَامِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ^(١).

لا يوجد له ذكر في الأنجيل الأربعة، ولكنه ذُكر في بعض الكتب الملحقة بالأنجيل ضمن العهد الجديد، وهو (سفر أعمال الرسل) الذي كتبه بنفسه، وفي عدة رسائل لبولس.

وقد اختير كأحد السبعين المبعوثين للتبشير من قبل المسيح. ويُعتبر في التقليد الكاثوليكي شفيعاً للأطباء والرسامين، فقد كان يمتهن الطب، ويُظن بأنه كان رساماً، وبأنه كان أول من رسم إيقونة للسيدة العذراء مع الطفل يسوع.

ولأنه طبيب ومثقف، فقد كان إنجيله أرقى من سائر الأنجيل في البيان، إذ كُتِبَ بلغة يونانية كلاسيكية راقية خالية من الأخطاء اللغوية، وعنوانه في البداية كخطاب لشخص اسمه (ثَاوُفِيلُسُ) الذي يُحتمل أنه كان مسؤولاً رومانياً كبيراً، وقيل بل محامياً تدخل للدفاع عن بولس. قُتل لوقا على يد الامبراطور (نيرون) سنة ٨٦م.

٤. يوحنا بن زبدي: ويُعرف بيوحنا الحبيب، كان -وأخوه يعقوب- من حواربي المسيح. يهودي الأصل وصياد سمك. تُظهر الأنجيل أنه كان مقرباً عند المسيح، وأخذ مع بطرس مكانة هامة في قيادة حركة التبشير الناشئة من بعد المسيح، حيث بقي في فلسطين لمدة ١٢ سنة، ثم هاجر إلى آسيا الصغرى حيث استقر في أفسس وبشر فيها.

يُعتقد بأن يوحنا هو كاتب خمسة أسفار من أسفار العهد الجديد، وهي

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ١، ١-٤.

قراءة في الأنجيل

إنجيل يوحنا، ورسائل يوحنا الثلاث، وسفر الرؤيا. ويبدو أنه الوحيد الذي مات موتة طبيعية من بين الحواريين، وذلك بعد أن هُرم، وله قبر في مدينة (سلجوق) التركية التي تبعد ٢ كم عن مدينة أفسس التاريخية.

• الملحقات بالأنجيل الأربعة:

العهد الجديد يبدأ بالأنجيل الأربعة، ثم يُلحق بها مجموعة من الكتب هي كالتالي:

- ١- سفر أعمال الرسل - الكاتب لوقا صاحب الإنجيل
- ٢- الرسالة إلى أهل رومية - الكاتب بولس
- ٣- الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس - الكاتب بولس
- ٤- الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس - الكاتب بولس
- ٥- الرسالة إلى أهل غلاطية - الكاتب بولس
- ٦- الرسالة إلى أهل أفسس - الكاتب بولس
- ٧- الرسالة إلى أهل فيلبّي - الكاتب بولس
- ٨- الرسالة إلى أهل كولوسي - الكاتب بولس
- ٩- الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي - الكاتب بولس
- ١٠- الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي - الكاتب بولس
- ١١- الرسالة الأولى إلى تيموثاوس - الكاتب بولس



- ١٢- الرسالة الثانية إلى تيموثاوس- الكاتب بولس
- ١٣- الرسالة إلى تيطس- الكاتب بولس
- ١٤- الرسالة إلى فيلمون- الكاتب بولس
- ١٥- الرسالة إلى العبرانيين- الكاتب بولس
- ١٦- رسالة يعقوب- الكاتب يعقوب بن يوسف النجار
- ١٧- رسالة بطرس الأولى - الكاتب سمعان بطرس
- ١٨- رسالة بطرس الثانية - الكاتب سمعان بطرس
- ١٩- رسالة يوحنا الأولى - الكاتب يوحنا بن زبدي
- ٢٠- رسالة يوحنا الثانية - الكاتب يوحنا بن زبدي

قراءة في الأنجيل

٢١- رسالة يوحنا الثالثة - الكاتب يوحنا بن زبدي

٢٢- رسالة يهوذا - الكاتب يهوذا تداوس

٢٣- سفر رؤيا يوحنا - الكاتب يوحنا بن زبدي

وهناك شك في نسبة بعض هذه الأسفار إلى أصحابها.

ويتم تقسيم العهد الجديد إلى قسمين:

١- الأسفار التعليمية: وهي كل الأسفار الملحقّة ما عدا أولّها الذي يحمل عنوان (سفر أعمال الرسل). وهذه الأسفار تركز على الجانب التعليمي وبيان معالم الرسالة المسيحية.

٢- الأسفار التاريخية: الأنجيل الأربعة. وأخذت هذا الاسم لأنها اهتمّت ببيان حياة المسيح وحكاية سيرته وبعض أقواله ووصاياهم ومواعظه، بالإضافة إلى (سفر أعمال الرسل) الذي يتحدّث عمّا جرى بعد حادثة الصلب وجانب من سيرة الحواريين وبولس ونشر الرسالة المسيحية على أيديهم في نواحي فلسطين وفي نواح من شمال أفريقيا وسورية وأنطاكية وروما وغيرها.

• قانونية الأنجيل الأربعة:

متى تم تحديد قانونية أسفار العهد الجديد، ولاسيما الأنجيل الأربعة بحيث صارت هي الكتب المقدسة المعترف بها كنسياً دون سواها؟

تذكر دائرة المعارف الكتابية تحت عنوان (الترجمات اللاتينية): (ويجب أن نعلم أنه في القرون الأولى، لم يعرفوا الكتاب المقدس كاملاً في كتاب واحد،

فكانت الأنجيل، والأعمال والرسائل الجامعة، ورسائل بولس، والرؤيا - من العهد الجديد -، والتوراة، والأسفار التاريخية، والمزامير - من العهد القديم - كل مجموعة منها في مخطوطة على حدة^(١).

من بين الآراء ما جاء في (مدخل العهد الجديد بالطبعة اليسوعية للعهد الجديد): (تم أولاً جمع رسائل بولس الرسول بينما تأخر جمع الأنجيل، فليس هناك قبل السنة ١٤٠م أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من الفصول الإنجيلية المكتوبة)^(٢).

وتفصيل هذا الرأي أنه لم يتم تحديد قانونية الأسفار الخاصة بالعهد الجديد دفعة واحدة، إنما تم ذلك على دفعات، واستغرق وقتاً طويلاً، ولم يكن الأمر سهلاً بالنسبة لبعض الأسفار التي احتاجت وقتاً طويلاً لإقرار قانونيتها، وقد رفضت الكنيسة كماً ضخماً من الكتب المنحولة المزيفة، والتي حملت أسماء الآباء الرسل كنوع من الخداع، وكان لا بد من الفرز الدقيق جداً، والإجماع العام على قانونية كل سفر على حدة، ولذلك استغرقت بعض الأسفار نحو قرنين من الزمان لإقرار قانونيتها، وهذا لا يُعد عيباً، إنما يكشف عن مدى أمانة ودقة وجدية المسيحيين في تقرير قانونية سفر معين... وقد مرَّ إقرار قانونية أسفار العهد الجديد بعدة مراحل:

أولاً: رسائل بولس الرسول

1. <https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/new-testament/61.html>

2. <https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/new-testament/61.html>

قراءة في الأناجيل

ثانياً: الأناجيل الأربعة وسفر الأعمال

ثالثاً: رسالتي بطرس الأولى ويوحنا الأولى

رابعاً: الأسفار السبعة التي تأخر الاعتراف بها:

١- الرسالة إلى العبرانيين

٢- رسالة يعقوب

٣- رسالة بطرس الثانية

٥و٤ - رسالتا يوحنا الثانية والثالثة

٦- رسالة يهوذا

٧- رؤيا يوحنا

وأقرت قانونية الأناجيل الأربعة مع نهاية القرن الأول الميلادي طبقاً للمعايير القانونية الخمسة^(١).

ويذكر (نبيل نيقولا جورج) في كتابه (الأناجيل الأربعة لماذا لا يُعَوَّل عليها) أن (قرار مجمع نيقية عام ٣٢٥م، الذي أمر فيه قسطنطين الإمبراطور الروماني، بحرق جميع نسخ إنجيل المسيح «عليه السلام»، وإقرار أربعة كُتب أخرى من أصل عدة كتب كانت تُعرف آنذاك، فأطلق عليها كلمة إنجيل بدلاً من إنجيل المسيح «عليه السلام» فاعتبرها النصارى منذ ذلك الوقت هذا إنجيل المسيح نفسه)^(٢).

1. <https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/new-testament/61.html>

٢. نبيل نيقولا جورج: الأناجيل الأربعة لماذا لا يُعَوَّل عليها، ص ٨.

ويمكن القول أن بعض ما نجده في الأناجيل الحاضرة في العهد الجديد قد يكون فعلاً من كتاب الله المنزل على المسيح «عليه السلام» بغض النظر عن وجهة النظر المسيحية السائدة بأنه من الوحي الإلهي لكتاب الأناجيل. فعلى سبيل المثال حينما يستشهد القرآن الكريم بما في الإنجيل من مثل للمؤمنين والكفار وتشبيه ذلك بالشجرة والذي مرّ معنا ضمن الأمثال الإنجيلية ليدل على أن هذا النص كان في الأصل من الإنجيل الأصلي، أي من الكتاب المنزل على المسيح «عليه السلام»، حيث نجد هذا المثل حاضراً في إنجيل متى بالصورة التالية: (قَدَمَ لَهُمْ مَثَلًا آخَرَ قَائِلًا: «يُشَبِّهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَةً خَرَدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ. وَلَكِنْ مَتَى نَمَتَ فِيهَا أَكْبَرُ الْبَقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَنَاوَى فِي أَغْصَانِهَا»)(^١).

وفي القرآن الكريم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(^٢).

وكذلك مثل ولوج الجمل في سَمِّ الخياط، والذي مرّ معنا أيضاً، حيث نصح المسيح شاباً ثرياً طلب الموعدة للحصول على السعادة الأخروية، فقال له:

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٣، ٣١-٣٢.

٢. الفتح: ٢٩.

قراءة في الأنجيل

(لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرَمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحَبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ). قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفَظْتُهَا مِنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْوزُنِي بَعْدُ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلَاكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي». فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِينًا، لِأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ).

ثم علق المسيح على ما جرى قائلًا: («الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ! وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقَبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!»)^(١).

ونجد هذا المعنى في القرآن الكريم حيث يقول «تعالى»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾^(٢).

• إنجيل برنابا:

ظهر في القرن العشرين في الوسط الإسلامي كتاب يحمل اسم (إنجيل برنابا) مترجم إلى العربية من أصل إيطالي، ويتضمن التصريح بالنبى محمد «صلى الله عليه وآله» عدة مرات، من بين ذلك ما جاء في الإصحاح ٤٤ منه: (ولما رأيته امتلأت عزاء قائلًا: يا محمد ليكن الله معك، وليجعلني أهلاً أن أحل سير حداثك. لأنني إذا نلت هذا صرت نبياً عظيماً وقدوس الله)^(٣).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٩، ١٨-٢٤.

٢. الأعراف: ٤٠.

٣. إنجيل برنابا، الإصحاح ٤٤، ٣٠-٣١.

وفي الإصحاح ٥٤: (ثم يحيي الله بعد ذلك سائر الأوصياء الذين يصرخون: اذكرنا يا محمد! فتتحرك الرحمة في رسول الله لصراخهم)^(١)، وفي الإصحاح ٢٢٠: (وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله)^(٢).

وقصة هذا الكتاب كما ذكرها المترجم د. خليل سعادة في مقدمته تتلخص في أن أول من عثر على هذه النسخة الإيطالية هو (كريمر طولند) أحد مستشاري ملك بروسيا^(٣)، وكان مقيماً وقتئذ في أمستردام، فأخذها سنة ١٧٠٩ من مكتبة أحد مشاهير وجهاء المدينة المذكورة، ثم أهداها بعد أربع سنوات إلى الأمير (أيوجين سافوي)، الذي كان على كثرة حروبه ومعاركه ومشاغله السياسية شديد الوله بالعلوم والآثار التاريخية، ثم انتقلت هذه النسخة مع سائر مكتبة الأمير أيوجين إلى مكتبة البلاط الملكي في فيينا سنة ١٧٣٨. وفي أوائل القرن الثامن عشر، عُثر على نسخه أخرى باللغة الإسبانية وتقع في ١٢٤ صفحة، طُمست آثارها ودُرست رسومها، وكان قد أهداها الدكتور (هلم) من (همبشير) إلى المستشرق الشهير (ساييل)، ثم تناولها بعد ساييل الدكتور (منكهوس) أحد أعضاء كلية الملكة في أكسفورد فنقلها إلى الإنجليزية، ثم دفع الترجمة مع الأصل إلى الدكتور (هوايت) أحد مشاهير الأساتذة.

وذكر د. سعادة أنه قارن بين بعض الفقرات التي نقلها الدكتور (هوايت)

١. إنجيل برنابا، الإصحاح ٥٤، ٩-١٠.

٢. إنجيل برنابا، الإصحاح ٢٠، ٢٢٠.

٣. بروسيا مملكة ألمانية (١٧٠١ - ١٩١٨) توسعت في بعض فتراتهما فضمت النمسا وغيرها.

بالإنجليزية عن الإسبانية، مع ما يقابلها من الترجمة الإنجليزية عن الإيطالية فوجد أن الترجمة متطابقة تقريباً ولم يرَ بينهما فرقاً يستحق الذكر إلا في موردين.

وأضاف الدكتور سعادة بأنه لما شاع خبر إنجيل برنابا في بداية القرن الثامن عشر أحدث دويماً عظيماً في أندية الدين والعلم، ولا سيما في إنكلترا، فكثر بشأنه الجدل واحتدمت بين العلماء مناقشات كان بعضها أقرب إلى التخرصات والأوهام منه إلى المباحث العلمية^(١).

وقد هَلَّلَ البعض في الوسط الإسلامي واستبشر خيراً بهذا الكتاب لأنه يثبت صحّة ما جاء في القرآن الكريم من أن المسيح بشرٌ بالنبي محمد، معتبرين أنه النسخة الصحيحة من الإنجيل. ولو أنهم تريثوا قليلاً واطَّلَعُوا على مضمون الكتاب لتردّدوا ألف مرة قبل أن يعتبروه الإنجيل الصحيح النازل على المسيح عيسى ابن مريم لما يحتويه من أباطيل وأساطير وخرافات وأقوال قبيحة لا تليق بأن تكون صادرة عن المسيح فضلاً عن الذات الإلهية، لأننا نؤمن -بحسب النص القرآني- أن الإنجيل كتاب الله المنزّل على المسيح، لا أنه كتاب يرويه أحد حواريه عن سيرة المسيح كما هو الاتجاه السائد لدى المسيحيين.

وهذه النقطة بالذات هي أوّل صدمة لمن يقرأ إنجيل برنابا إذ يبدأ في النسخة المطبوعة بترجمة الدكتور خليل سعادة لسنة ١٩٠٨م كالتالي: (برنابا رسول يسوع الناصري المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاماً وعزاءً. أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيّه

١. إنجيل برنابا، مقدمة المترجم، الصفحات ج-و.

يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً....^(١).

وفي النص المحقق من قبل (سيف الله أحمد فاضل) لسنة ١٩٧٠م جاءت بداية الكتاب كالتالي: (الإنجيل الصحيح لعيسى المسمى المسيح نبي جديد مرسل من الله إلى العالم بحسب رواية برنابا رسوله برنابا رسول يسوع الناصري المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاماً وعزاء أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب...) ^(٢).

فمن الواضح من هذا المقطع -من النسختين- أن الكتاب رواية برنابا، وليس كلام الله، هذا من جهة، ومن جهة ثانية أنها متأخرة زمنياً عن (رفع) المسيح، لأن ادعاء كونه ابناً لله وقع في فترة أعقبت ذلك.

وأما ما تضمنه الكتاب من أباطيل فيمكن الإشارة إلى بعضها:

١. خرافة تكوين سرّة الإنسان ضمن قصة خلق آدم: (حينئذ قال الله: انصرفوا عني أيها الملاعين، لأنه ليس عندي رحمة لكم. وبصق الشيطان أثناء انصرافه على كتلة التراب فرفع جبريل ذلك البصاق مع شئ من التراب فكان للإنسان بسبب ذلك سرّة في بطنه) ^(٣).

٢. خرافة خلق الكلب: (لما طرد الله الشيطان وطهر الملاك جبريل تلك

١. إنجيل برنابا، الإصحاح ١، ٢-١.

٢. إنجيل برنابا، الإصحاح ١، ٢-١.

٣. إنجيل برنابا، الإصحاح ٣٥، ٢٥-٢٦.

قراءة في الأنجيل

الكتلة من التراب التي بصق عليها الشيطان، خلق الله كل شيء حي من الحيوانات التي تطير ومن التي تدب وتسبح، وزين العالم بكل ما فيه، فاقرب الشيطان يوماً ما من أبواب الجنة، فلما رأى الخيل تأكل العشب أخبرها أنه إذا تأتي لتلك الكتلة من التراب أن يصير لها نفس أصابها ضحك، ولذلك كان من مصلحتها أن تدوس تلك القطعة من التراب على طريقة لا تكون بعدها صالحة لشيء، فثار الخيل وأخذت تعدو بشدة على تلك القطعة من التراب التي كانت بين الزنابق والورود، فأعطى الله من ثم روحاً لذلك الجزء النجس من التراب الذي وقع عليه بصاق الشيطان الذي كان أخذه جبريل من الكتلة، وأنشأ الكلب فأخذ ينبج^(١).

٣. خرافة كتابة الشهادتين على أظافر آدم: (ثم أعطى الله نفسه للإنسان وكانت الملائكة كلها ترنم: اللهم ربنا تبارك اسمك القدوس. فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصّها: لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله. ففتح حينئذ آدم فاه وقال: أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت فخلقتني، ولكن أضرع إليك أن تتبأني ما معنى هذه الكلمات: محمد رسول الله؟ فأجاب الله: مرحباً بك يا عبدي آدم، وإني أقول لك أنك أول إنسان خلقت، وهذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة، وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء، الذي متى جاء سيعطي نوراً للعالم الذي كانت نفسه موضوعة في بهاء سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئاً. فضرع آدم إلى الله قائلاً: يا رب، هبني هذه الكتابة على

١. إنجيل برنابا، الإصحاح ٣٩، ٣-١٢.

أظفار أصابع يدي. فمنح الله الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميه، على ظفر إبهام اليد اليمنى ما نصّه: لا إله إلا الله، وعلى ظفر إبهام اليد اليسرى ما نصّه: محمد رسول الله. فقبل الإنسان الأول بجنوّ أبويّ هذه الكلمات، ومسح عينيه وقال: بورك ذلك اليوم الذي سيأتي فيه إلى العالم^(١).

٤. خرافة خلق حواء من ضلع آدم: (فلما رأى الله الإنسان وحده قال: ليس حسناً أن يكون وحده، فلذلك نوّمه وأخذ ضلعاً من جهة القلب، وملاً الموضع لحماً، فخلق من تلك الضلع حواء وجعلها امرأة لآدم. وأقام الزوجين سيديّ الجنة)^(٢).

٥. خرافة الحيّة: (... فلما علم الشيطان بذلك تميّز غيظاً فاقترب إلى باب الجنة حيث كان الحارس حية مخوفة، لها قوائم كجمل، وأظافر أقدامها محدّدة من كل جانب كموسى، فقال لها العدو: اسمحي لي بأن أدخل الجنة. أجابت الحية: وكيف أسمح لك بالدخول وقد أمرني الله بأن أطردك؟ أجاب الشيطان...)^(٣).

وعليه، فإننا إذا كنا نحن وهذا الكتاب المطبوع باللغة العربية بدءاً من سنة ١٩٠٨م فالحق هو أننا لا نستطيع قبوله بأي نحو، إلا أن الدكتور وديع أحمد، وهو في الأصل مسيحي ورجل دين مصري ثم أسلم وغير اسمه، يقول: (لقد وجدت الكثير من الأدلة على تلاعب المترجم النصراني) أي الدكتور خليل

١. إنجيل برنابا، الإصحاح ٣٩، ١٣-٢٨.

٢. إنجيل برنابا، الإصحاح ٣٩، ٢٩-٣٥.

٣. إنجيل برنابا، الإصحاح ٤٠، ١-٥.

قراءة في الأنجيل

سعادة (في الترجمة لكي يثبت فيها بعض عقائد النصارى ويفسد الكتاب ويجعل المسلمين أيضاً يرفضونه. ويتضح من هذه المقدمة أن أصل هذا الكتاب عثر عليه راهب بالصدفة في مكتبة بابا الفاتيكان -كان باللغة الإيطالية- ثم قام رئيس كهنة -مطران- إنجليزي بترجمته إلى الإنجليزية ومن هذه الترجمة الإنجليزية ترجم خليل سعادة إلى العربية، وأرى أنه من المستحيل أن يقوم نصرانيان بترجمة مثل هذا الكتاب المناهض لعقيدتهما بدون التلاعب فيه، كما أنهم اعتادوا على تغيير كلام كتبهم في كل عصر، ومن أدلة التلاعب المترجم النصراني في ترجمة هذا الكتاب، وهم أكثر من ٥٠ دليل^(١):

١- أنه ذكر في الهوامش أنه ترجم من الأصل الإيطالي والأصل الأسباني لهذا الإنجيل، بينما هو قام بالترجمة من النسخة الإنجليزية، بينما الأصل الأسباني مطموس وناقص باعتراف المترجم في المقدمة. بل وقال إنه لا وجود له، وكذلك الأصل الإيطالي لا وجود له بعد أن أخذه الراهب الذي أسلم بعد أن قرأه، كما ذكر المترجم في المقدمة أيضاً.

٢- اعتراف المترجم في الهوامش -مراراً عديدة- أنه غير كلام النسخة الأصلية عند الترجمة -بحجة عدم وضوح الأصل- وفي هامش فصل ١٩٩ كتب المترجم -وجرينا على ذلك في هذه الترجمة- أي أنه فعل ذلك كثيراً وغير كل ما لا يعجبه. هذه عدم أمانة.

٣- ترجم كلمات كثيرة بأسلوب غريب لتشويه معاني الكتاب، مثل: بدلاً من القسم بالله الحي كما جاء في التوراة يكتب: لعمر الله، وكتب غناء الله بدلاً

١. الخلل في العبارة لغوياً ونحوياً من الكاتب نفسه.

من غني الله. و غير ذلك الكثير)^(١). ثم ذكر الكاتب ملاحظات أخرى نقدية اعتبرها مثبتة لكلامه حول وقوع التحريف على يد المترجمين.

ولكن إن صحّت ملاحظات الدكتور وديع، فلماذا لم يقيم المترجم من الأصل بحذف الموارد التي جاء فيها ذكر النبي محمد «صلى الله عليه وآله» ليريح نفسه بدلاً من أن يتلاعب في الترجمة ويضيف ويحذف ويغيّر النصوص الأخرى الواردة في الكتاب؟

وسواء قبلنا ترجمة د. سعادة عن الترجمتين الإيطالية والإسبانية أم قبلنا ملاحظات الدكتور وديع، فإنّ الكتاب المتوفّر بأيدينا سيكون ساقطاً عن الاعتبار في الحالتين، ولا يصح الاعتماد عليه كما هو واضح.

1. <https://quran-m.com/> دراسة في -كتاب- برنابا- المدعو -إنجيل- برن

صلب المسيح وقيامته

صلب المسيح وقيامته

﴿وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾^(١).

حادثة الصلب وما يُعرف بعنوان قيامة المسيح، أي عودته إلى الحياة بعد موته على الصليب، ثم رفعه بعد عدة أيام إلى السماء، تُعدّ من القضايا المحورية والمركزية والهامة، إن لم تكن الأهم على الإطلاق من بين كل ما له علاقة بسيرة المسيح عيسى بن مريم «عليه السلام»، وبالعقيدة المسيحية التي تشكّلت لاحقاً واستمرّت إلى هذا اليوم عند الأغلب من المسيحيين. وهذا يعني أن لحادثة الصلب بُعداً تاريخياً، وآخر عقدياً، وبحثنا هذا يعتني بالبعد الأول، دون إهمال للبعد الثاني ولكن مع مراعاة الاختصار والإجمال فيه.

ومرجعنا الأول في العرض، هو الأناجيل الأربعة، ثم الأناجيل غير المعترف بها، ثم القرآن الكريم، ثم الروايات الإسلامية، مع الإشارة إلى بعض كلمات المؤرخين والباحثين في الأثناء.

جاء وصف الحدث في إنجيل متى (الإصحاحات ٢٦-٢٨) بما يمثل نهاية روايته للإنجيل. فبعد ذكر شئ من تفاصيل جلسة جمعت المسيح بالحواريين حيث خرجوا من مواجهة مع جمع من كهنة الهيكل والفريسيين والكتبة وعامة الناس، بدأ المسيح يُخبر عن أحداث مستقبلية ستقع على المؤمنين به وباليهود وبأورشليم/القدس والهيكل، مع شئ من الأمثال والمواعظ: (وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ، وَابْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصَلَّبَ». حِينَئِذٍ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ الَّذِي يُدْعَى قَيْافَا، وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يُمْسِكُوا يَسُوعَ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُوهُ. وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: «لَيْسَ فِي الْعِيدِ لئَلَّا يَكُونَ شَغَبٌ فِي الشَّعْبِ»).

ولعل إلى هذا المشهد إجمالاً يشير القرآن حيث يقول الله «تعالى»: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِئُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

• خيانة يهوذا:

غادر المسيح أورشليم/القدس إلى البلدة المجاورة بيت عنيا/العزيزية مع حوارييه، وانسل من بينهم يهوذا: (حِينَئِذٍ ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي

يَدْعَى يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيُّ، إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقَالَ: «مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ؟» فَجَعَلُوا لَهُ ثَلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ يُطْلَبُ فُرْصَةً لِيُسَلَّمَهُ).

• الاجتماع حول المائدة:

(وَفِي أَوَّلِ أَيَّامِ الْفَطِيرِ تَقَدَّمَ التَّلَامِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ لَهُ: «أَيَّنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟») كلمة الفصح تعريب لكلمة «פֶּסַח»، أي الخروج، وذلك للإشارة إلى خروج بني إسرائيل من مصر مع موسى وهارون «عليهما السلام» هرباً من فرعون، وأما الفطير المذكور في المقطع السابق فهو فطير غير مختمر يخبز للعيد بشكل خاص، ويسمى هذا الفطير «מַצֵּה» «ماتساه» لأن بني إسرائيل عندما خرجوا من مصر كانوا على عجلة من أمرهم، فلم يكن لهم مجال لتخمير عجينهم. في التقويم اليهودي يعتبر شهر نيسان أول أشهر الربيع ولكن لكون الأشهر اليهودية في الأساس قمرية، ثم صارت مزيجاً من الشمسية والقمرية، لذا لا بد في بعض السنوات مضاعفة الشهر الذي يسبق نيسان، أي شهر آذار، كي لا يتراجع شهر نيسان إلى موسم الشتاء. يحل عيد الفصح في منتصف شهر نيسان اليهودي، أي عند اكتمال القمر الأول بعد الاعتدال الربيعي «٢٠ أو ٢١ مارس» ولكن في بعض الأحيان يحل في نهاية أبريل عند اكتمال القمر الثاني بعد الاعتدال الربيعي، لأن حساب التلازم بين السنة القمرية والشمسية ليس دقيقاً بشكل تام. وتعرف عشية العيد باسم «ליל הסדר» أي ليلة المنهاج، ولها مراسيم احتفالية خاصة، ومن المفترض أن هذه الليلة هي الليلة التي اعتُقل فيها المسيح ليُصلب بعدها

صلب المسيح وقيامته

(فَقَالَ: «اذْهَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، إِلَى فُلَانٍ وَقُولُوا لَهُ: الْمَعْلَمُ يَقُولُ: إِنَّ وَقْتِي قَرِيبٌ. عِنْدَكَ أَصْنَعُ الْفَصْحَ مَعَ تِلَامِيذِي». فَفَعَلَ التَّلَامِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأَعَدُّوا الْفَصْحَ. وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ اتَّكَأَ مَعَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ. وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ قَالَ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي». فَحَزَنُوا جِدًّا، وَابْتَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا رَبُّ؟» فَأَجَابَ وَقَالَ: «الَّذِي يَغْمَسُ يَدَهُ مَعِيَ فِي الصَّحْفَةِ هُوَ يُسَلِّمُنِي! إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلَكِنْ وَيلٌ لِدَٰلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلِّمُ ابْنُ الْإِنْسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِدَٰلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ». فَأَجَابَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ وَقَالَ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا سَيِّدِي؟» قَالَ لَهُ: «أَنْتَ قُلْتَ». وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلَامِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُّوا. هَذَا هُوَ جَسَدِي». وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسَفِّكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الْآنَ لَا أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرَمَةِ هَذَا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي»).

• الاجتماع على جبل الزيتون:

(ثُمَّ سَبَّحُوا وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ. حِينَئِذٍ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كُلُّكُمْ تَشْكُونَ فِيَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرِّعْيَةِ. وَلَكِنْ بَعْدَ قِيَامِي أَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ». فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «وَأَنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لَا أَشْكُ أَبَدًا») أَي لَا أَشْكُ بَقِيَامِكَ مِنَ الْمَوْتِ (قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دِيكَ تُتَكَّرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «وَلَوْ اضْطَرَرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لَا أَنْكُرُكَ!» هَكَذَا قَالَ أَيْضًا جَمِيعُ التَّلَامِيذِ).

• حزن المسيح:

(حِينَئِذٍ جَاءَ مَعَهُمْ يَسُوعُ إِلَى ضَيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا جَثْسِيمَانِي، فَقَالَ لِلتَّلَامِيذِ: «اجْلِسُوا هَهُنَا حَتَّى أَمْضِيَ وَأَصْلِي هُنَاكَ». ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بَطْرُسَ وَابْنَيْ زَبْدِي، وَابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَسِبُ. فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ. أَمْكُثُوا هَهُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي». ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمَكْنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ»).

• إيقاظ الحواريين للصلاة:

(ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلَامِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبَطْرُسَ: «أَهَكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِيَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اسْهَرُوا وَصَلُّوا لئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجَرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ». فَمَضَى أَيْضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ إِلَّا أَنْ أَشْرِبَهَا، فَلْتَكُنْ مَشِيتُكَ». ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَامًا، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً. فَتَرَكَهُمْ وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى ثَالِثَةً قَائِلًا ذَلِكَ الْكَلَامَ بَعَيْنِهِ. ثُمَّ جَاءَ إِلَى تَلَامِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «نَامُوا الْآنَ وَاسْتَريحُوا! هُوَذَا السَّاعَةُ قَدْ اقْتَرَبَتْ، وَابْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلِّمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ. قُومُوا نَنْطَلِقْ! هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدْ اقْتَرَبَ!»).

• الهجوم الغادر:

(وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا يَهُوذَا أَحَدُ الْاِثْنَيْنِ عَشَرَ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعَصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ. وَالَّذِي أَسْلَمَهُ أَعْطَاهُمْ عَلَامَةً قَائِلًا: «الَّذِي أَقْبَلَهُ هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ». فَلِلْوَقْتِ تَقَدَّمَ إِلَى يَسُوعَ وَقَالَ: «السَّلَامُ يَا

سَيِّدِي!» وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «يَا صَاحِبُ، لِمَاذَا جِئْتَ؟» حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَالْقَوَا
الْأَيَادِي عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ. وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ
سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذُنَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى
مَكَانِهِ. لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! أَتَظُنُّ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ
الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيَقْدِمَ لِي أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَكَيْفَ
تَكْمَلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟». فِي تِلْكَ السَّاعَةِ قَالَ يَسُوعُ لِلْجُمُوعِ:
«كَانَهُ عَلَى لَصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعَصِيٍّ لَتَأْخُذُونِي! كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ أَجْلِسُ مَعَكُمْ
أَعْلَمُ فِي الْهَيْكَلِ وَلَمْ تَمْسِكُونِي. وَأَمَّا هَذَا كُلُّهُ فَقَدْ كَانَ لِكِي تَكْمَلَ كُتُبُ الْأَنْبِيَاءِ».
حِينَئِذٍ تَرَكَهُ التَّلَامِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا).

• المسيح في مواجهة قيافا:

كان (حنان = حنانيا = أنانوس) (٤٠ ق.م - ٦٦ م) رئيساً للكهنة اليهود بدءاً
من السنة السادسة أو السابعة للميلاد بأمر من (كيرينيوس) الروماني حاكم
سورية، وكان ينتمي إلى أسرة كهنوتية هي الأكثر قوة وثروة في ذلك الوقت،
إذ لم تكتفِ بالقيام بالدور الكهنوتي، بل ومارست الصرافة والتجارة أيضاً،
مستغلةً عنوانها الديني، مع سيطرتها على الهيكل والشؤون الدينية عموماً.
ويعزو بعض الباحثين اتخاذ حنان قرار التخلّص من المسيح إلى عدة أسباب
من أهمها تحرّشه بمصدر من المصادر المالية المهمة بالنسبة إلى أسرة
الكاهن الأكبر. فقد عمل المسيح على التهجّم على الصيارفة في الهيكل، وقلب
موائدهم وطرد من الساحة باعة الحماّم الذي كان يُقدّم كنوع من القرابين
كما مرّ معنا من قبل.

وحيث أن أسرة حنّان كانت هي المحكمة بتجارة الهيكل والمستفيد الأول من عائداتها، لذا فإن المسيح قد أثار حقها بشكل كبير، وهددها في إحدى أهم مصادر ثروتها ونفوذها، وهو -بمنظورهم- مما لا يمكن السكوت عنه.

وامتدّت سلطته المباشرة كرئيس للكهنة إلى سنة ١٥ م حيث عُزل بأمر من السلطة الرومانية المحتلة، وتعيين بديل عنه هو يوسف الملقب بقيافا، زوج ابنة حنّان، والذي استمر -بدوره- في هذا المنصب إلى سنة ٣٦ م.

وإذا كان قيافا هو رئيس الكهنة الرسمي المعاصر لمؤامرة صلب المسيح، إلا أن والد زوجته، حنّان، كان صاحب النفوذ والتأثير الأقوى، حيث كان يمارس دور رئاسة الكهانة بشكل غير مباشر، وكان صهره قيافا بمثابة الواجهة التي من خلالها تُدار الشؤون الدينية العليا لليهود في تلك الفترة.

ومن هنا نجد أن لوقا في روايته للإنجيل يذكر الاثنين معاً كرئيسين للكهنة، والحال أنه لم يُعهد وجود رئيسين في آن واحد، وليس تفسير ذلك سوى ما ذكرناه من أن قيافا كان الرئيس (الرسمي)، وحنّان هو الرئيس الفعلي الذي كان يمارس المهام من وراء الستار. قال لوقا: (وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ سَلْطَنَةِ طِيبَارْيُوسَ قَيْصَرَ... فِي أَيَّامِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ حَنَّانَ وَقَيَافَا، كَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ عَلَى يُوَحْنَا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ) ^(١).

وقد شغل خمسة من أبناء حنّان منصب رئيس الكهنة بعد قيافا، كان آخرهم حنّان الثاني الذي ذكرناه من قبل على اعتبار أنه هو الذي أصدر حكم الإعدام بحق يعقوب الصغير في باب (أسطورية شخصية المسيح).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٣، ١-٢.

نعود الآن لسرد تفاصيل الأحداث الخاصة بمؤامرة صلب المسيح: (وَالَّذِينَ أَمْسَكُوا يَسُوعَ مَضَوْا بِهِ إِلَى قَيَافَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، حَيْثُ اجْتَمَعَ الْكَتَبَةُ وَالشُّيُوخُ. وَأَمَّا بَطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَدَخَلَ إِلَى دَاخِلٍ وَجَلَسَ بَيْنَ الْخُدَّامِ لِيَنْظُرَ النِّهَايَةَ. وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةً زُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِكَيْ يَقْتُلُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوا. وَمَعَ أَنَّهُ جَاءَ شُهُودٌ زُورٌ كَثِيرُونَ، لَمْ يَجِدُوا. وَلَكِنْ أَخِيرًا تَقَدَّمَ شَاهِدًا زُورٍ وَقَالَ: «هَذَا قَالَ: إِنِّي أَقْدَرُ أَنْ أَنْقُضَ هَيْكَلَ اللَّهِ، وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِيَهُ». فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هَذَا عَنْكَ؟» وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِنًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَسْتَخْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ الْآنَ تَبْصُرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ». فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حَبْنَةً ثِيَابَهُ قَائِلًا: «قَدْ جَدَفْنَا! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ! مَاذَا تَرَوْنَ؟» فَأَجَابُوا وَقَالُوا: «إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ». حِينَئِذٍ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكَمُوهُ، وَآخَرُونَ لَطَمُوهُ قَائِلِينَ: «تَنَبَّأْنَا أَيُّهَا الْمَسِيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟»).

• بطرس ينكر معرفته بالمسيح:

(أَمَّا بَطْرُسُ فَكَانَ جَالِسًا خَارِجًا فِي الدَّارِ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ قَائِلَةً: «وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ الْجَلِيلِيِّ!» فَأَنْكَرَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ قَائِلًا: «لَسْتُ أَدْرِي مَا تَقُولِينَ!») وهذا هو الإنكار الأول الذي أشار إليه المسيح من قبل (ثُمَّ إِذْ خَرَجَ إِلَى الدَّهْلِيزِ رَأَتْهُ أُخْرَى، فَقَالَتْ لِلَّذِينَ هُنَاكَ: «وَهَذَا كَانَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ!» فَأَنْكَرَ أَيْضًا

بِقَسَمٍ: «إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» وهذا هو الإنكار الثاني (وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَ الْقِيَامُ وَقَالُوا لِبَطْرُسَ: «حَقًّا أَنْتَ أَيْضًا مِنْهُمْ، فَإِنْ لُغْتِكَ تَظْهَرُكَ!» فَابْتَدَأَ حِينَئِذٍ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّجُلَ!») وهذا هو الإنكار الثالث (وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدِّيكِ. فَتَذَكَّرَ بَطْرُسُ كَلَامَ يَسُوعَ الَّذِي قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُتَكَّرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا).

• المسيح في مواجهة بيلاطس:

(وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ تَشَاوَرَ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ عَلَى يَسُوعَ حَتَّى يَقْتُلُوهُ، فَأَوْثَقُوهُ وَمَضَوْا بِهِ وَدَفَعُوهُ إِلَى بِيلاطُسَ الْبَنْطِيِّ الْوَالِي. حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُودَا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ قَائِلًا: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا». فَقَالُوا: «مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصَرْنَا!» فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَانْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ. فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا: «لَا يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الْخَزَانَةِ لِأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ». فَتَشَاوَرُوا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ. لِهَذَا سُمِّيَ ذَلِكَ الْحَقْلُ «حَقْلَ الدَّمِ» إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بَارْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «وَأَخَذُوا الثَّلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، ثَمَنَ الْمُثْمَنِ الَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَعْطَوْهَا عَنْ حَقْلِ الْفَخَّارِيِّ، كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ». فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي. فَسَأَلَهُ الْوَالِي قَائِلًا: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ». وَبَيْنَمَا كَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَقَالَ لَهُ بِيلاطُسُ: «أَمَا تَسْمَعُ كَمَا يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ؟» فَلَمْ يُجِبْهُ وَلَا عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى تَعَجَّبَ الْوَالِي جِدًّا).

• فشل محاولة بيلاطس:

(وَكَانَ الْوَالِي مُعْتَادًا فِي الْعِيدِ أَنْ يُطْلَقَ لِلْجَمْعِ أَسِيرًا وَاحِدًا، مَنْ أَرَادُوهُ. وَكَانَ لَهُمْ حِينئِذٍ أَسِيرٌ مَشْهُورٌ يُسَمَّى بَارَابَاسَ. فَفِيمَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ قَالَ لَهُمْ بِيِلَاطُسُ: «مَنْ تَرِيدُونَ أَنْ أُطْلَقَ لَكُمْ؟ بَارَابَاسَ أَمْ يَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ حَسَدًا. وَإِذْ كَانَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ الْوَلَايَةِ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ قَائِلَةً: «إِيَّاكَ وَذَلِكَ الْبَارَّ، لِأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ». وَلَكِنْ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخَ حَرَّضُوا الْجُمُوعَ عَلَى أَنْ يَطْلُبُوا بَارَابَاسَ وَيُهْلِكُوا يَسُوعَ. فَأَجَابَ الْوَالِي وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ مِنَ الْاِثْنَيْنِ تَرِيدُونَ أَنْ أُطْلَقَ لَكُمْ؟» فَقَالُوا: «بَارَابَاسَ!». قَالَ لَهُمْ بِيِلَاطُسُ: «فَمَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» قَالَ لَهُ الْجَمِيعُ: «لِيُصَلَّبَ!». فَقَالَ الْوَالِي: «وَأَيُّ شَرِّ عَمَلٍ؟» فَكَانُوا يَزِدُّونَ صُرَاخًا قَائِلِينَ: «لِيُصَلَّبَ!». فَلَمَّا رَأَى بِيِلَاطُسُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ شَيْئًا، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَحْدُثُ شَغَبٌ، أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ قَائِلًا: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارِّ! أَبْصُرُوا أَنْتُمْ!». فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا». حِينئِذٍ أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَجُلِدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصَلَّبَ).

• السخرية من المسيح:

(فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَالْبَسُوهُ رِدَاءً قَرْمَزِيًّا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلًا مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلَامُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!»، وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَؤُوا بِهِ،

نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَالْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ. وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا
إِنْسَانًا قَيْرَوَانِيًّا اسْمُهُ سِمْعَانُ، فَسَخَّرُوهُ لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ).

• صلب المسيح:

(وَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ جُلْجَثَةُ، وَهُوَ الْمَسْمَى «مَوْضِعَ الْجُمُجْمَةِ» أَعْطَوْهُ
خَلًّا مَمْزُوجًا بِمِرَارَةٍ لِيَشْرَبَ. وَلَمَّا ذَاقَ لَمْ يَرِدْ أَنْ يَشْرَبَ. وَلَمَّا صَلَّبُوهُ اقْتَسَمُوا
ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا، لِكَيْ يَتَمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ: «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى
لِبَاسِي الْقَوَا قُرْعَةً». ثُمَّ جَلَسُوا يَحْرُسُونَهُ هُنَاكَ. وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلْتَهُ مَكْتُوبَةً:
«هَذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ». حِينَئِذٍ صَلَّبَ مَعَهُ لَصَانٌ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ
عَنِ الْيَسَارِ. وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهْزُونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: «يَا
نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَانْزِلْ عَنِ
الصَّلِيبِ!». وَكَذَلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ
قَالُوا: «خَلِّصْ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يَخْلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ
فَلْيَنْزِلِ الْآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَتُؤْمِنَ بِهِ! قَدْ اتَّكَلَ عَلَى اللَّهِ، فَلْيَنْقِذْهُ الْآنَ إِنْ أَرَادَهُ
لَأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللَّهِ!». وَبِذَلِكَ أَيْضًا كَانَ اللَّصَانُ اللَّذَانِ صَلَّبَا مَعَهُ يُعِيرَانِهِ).

• حلول الظلام:

كي ندرك الوقت الذي تحدث عنه الوقائع التالية المروية في قصة الصلب،
نحتاج إلى أن نفهم تقسيم أوقات وساعات اليوم الواحد لدى اليهود.

فالليل يُقسَّم إلى ٤ ساعات كبيرة، والنهار إلى ٤ ساعات كبيرة أخرى،
والساعة الكبيرة تساوي ٣ ساعات بتوقيتنا، وتبدأ ساعات النهار عند شروق

صلب المسيح وقيامته

الشمس، فلو فرضنا أن طلوع الشمس في الساعة السادسة صباحاً، فإن الساعات الكبيرة تكون كالتالي:

٦-٩ صباحاً: تسمى الساعة الأولى من النهار.

٩-١٢ صباحاً: تسمى الساعة الثالثة من النهار.

١٢-٣ بعد الظهر: تسمى الساعة السادسة من النهار.

٣- غروب الشمس: تسمى الساعة التاسعة من النهار .

(وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظِلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ، وَنَحْوُ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِلَيَّ، إِلَيَّ، لِمَا سَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «إِنَّهُ يَنَادِي إِيْلِيَّ») يعتقد اليهود أن النبي إيليا = إلياس قد رُفِعَ من الأرض ولم يمِتَ وأنه ينزل إلى الأرض من جديد، وينسبون إليه بعض المهام في فترة غيبته هذه، وفي بعض الأناجيل ما يشير إلى أن بعض اليهود احتملوا أن المسيح في بداية رسالته هو إيليا العائد إليهم بعد رفعه وغيبته، ولذا -بحسب النص السابق- تصور بعضهم أن المسيح ينادي النبي إيليا حين كان مصلوباً وكأنه رآه حاضراً (وَلَوْ قُتِرَ رَكَضٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ اسْفَنْجَةً وَمَلَأَهَا خَلاً وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةِ وَسْقَاهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: «اتْرُكْ. لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِيْلِيَّ يُخَلِّصُهُ»).

• المسيح يُسَلِّمُ الرُّوحَ:

(فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلٍ قَدْ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقٍ إِلَى أَسْفَلٍ. وَالْأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّحُورُ تَشَقَّقَتْ،

وَالْقُبُورُ تَفْتَحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقَدِيسِينَ الرَّاقِدِينَ وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لكَثِيرِينَ. وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ يَحْرُسُونَ يَسُوعَ فَلَمَّا رَأَوْا الزَّلْزَلَةَ وَمَا كَانَ، خَافُوا جَدًّا وَقَالُوا: «حَقًّا كَانَ هَذَا ابْنُ اللَّهِ!». وَكَانَتْ هُنَاكَ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ، وَهِنَّ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَ يَسُوعَ مِنَ الْجَلِيلِ يَخْدِمْنَهُ، وَبَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ، وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَيُوسَى، وَأُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي).

• تسليم الجثمان ودفنه:

(وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يَوْسُفُ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا تَلْمِيزًا لِيَسُوعَ. فَهَذَا تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَأَمَرَ بِيلاطُسُ حِينَئِذٍ أَنْ يُعْطَى الْجَسَدُ. فَأَخَذَ يَوْسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَانٍ نَقِيٍّ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ الْجَدِيدِ الَّذِي كَانَ قَدْ نَحَتَهُ فِي الصَّخْرَةِ، ثُمَّ دَحَرَ حَجَرًا كَبِيرًا عَلَى بَابِ الْقَبْرِ وَمَضَى. وَكَانَتْ هُنَاكَ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الْآخَرَى جَالِسَتَيْنِ تَجَاهَ الْقَبْرِ).

• إقامة الحراسة على القبر:

(وَفِي الْغَدِ الَّذِي بَعْدَ الْأَسْتَعْدَادِ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيُّونَ إِلَى بِيلاطُسَ قَائِلِينَ: «يَا سَيِّدُ، قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ. فَمَرَّ بِضَبْطِ الْقَبْرِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ، لئَلَّا يَأْتِيَ تَلَامِيذُهُ لَيْلًا وَيَسْرِقُوهُ، وَيَقُولُوا لِلشَّعْبِ: إِنَّهُ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، فَتَكُونَ الضَّلَالَةُ الْآخِرَةُ أَشَرَّ مِنَ الْأُولَى». فَقَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: «عِنْدَكُمْ حُرَاسٌ. اذْهَبُوا وَاضْبُطُوهُ كَمَا تَعْلَمُونَ». فَمَضَوْا وَضَبَطُوا الْقَبْرَ بِالْحُرَاسِ وَخَتَمُوا الْحَجَرَ).

• قيامة المسيح:

(وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجَرِ أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرِيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرِيَمُ الْأُخْرَى لِنَظَرِ الْقَبْرِ. وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لِأَنَّ مَلَاكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرَقِ، وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَلْجِ. فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ. فَأَجَابَ الْمَلَاكُ وَقَالَ لِلْمَرَاتَيْنِ: «لَا تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لَأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ! هَلُمَّا انظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعًا فِيهِ. وَاذْهَبَا سَرِيعًا قُولَا لِتَلَامِيذِهِ: إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ. هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ. هَا أَنَا قَدْ قُلْتُ لَكُمْ». فَخَرَجَتَا سَرِيعًا مِنَ الْقَبْرِ بِخَوْفٍ وَفَرَحٍ عَظِيمٍ، رَاكضَتَيْنِ لَتُخْبِرَا تَلَامِيذَهُ. وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لَتُخْبِرَا تَلَامِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لَاقَاهُمَا وَقَالَ: «سَلَامٌ لَكُمْ». فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ. فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «لَا تَخَافَا. اذْهَبَا قُولَا لِأَخَوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرَوْنِي».)

• رشوة الحراس:

(وَفِيمَا هُمَا ذَاهِبَتَانِ إِذَا قَوْمٌ مِنَ الْحُرَّاسِ جَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرُوا رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ بِكُلِّ مَا كَانَ. فَاجْتَمَعُوا مَعَ الشُّيُوخِ، وَتَشَاوَرُوا، وَأَعْطَوْا الْعَسْكَرَ فِضَّةً كَثِيرَةً قَائِلِينَ: «قُولُوا إِنَّ تَلَامِيذَهُ أَتَوْا لَيْلًا وَسَرَقُوهُ وَنَحْنُ نِيَامٌ. وَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ عِنْدَ الْوَالِي فَنَحْنُ نَسْتَعِظِفُهُ، وَنَجْعَلُكُمْ مُطْمَئِنِّينَ». فَأَخَذُوا الْفِضَّةَ وَفَعَلُوا كَمَا عَلَّمُوهُمْ، فَشَاعَ هَذَا الْقَوْلُ عِنْدَ الْيَهُودِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ).

• اللقاء المجدد بالمسيح:

(وَأَمَّا الْأَحَدَ عَشَرَ تَلَمِيذًا فَانْطَلَقُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى الْجَبَلِ، حَيْثُ أَمَرَهُمْ يَسُوعُ. وَلَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ، وَلَكِنْ بَعْضُهُمْ شَكَّوْا. فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ»).

• رواية مرقس للأحداث:

ويتضمن إنجيل مرقس في الإصحاح ١٦ منه بعض الاختلافات في الرواية وفي نهاية السرد، حيث أن المسيح ظهر لمريم فقط دون المرأة الأخرى: (فَخَرَجْنَ سَرِيعًا وَهَرَبْنَ مِنَ الْقَبْرِ، لِأَنَّ الرُّعْدَةَ وَالْحَيَرَةَ أَخَذَتْهُنَّ. وَلَمْ يَقُلْنَ لِأَحَدٍ شَيْئًا لِأَنَّهُنَّ كُنَّ خَائِفَاتٍ. وَبَعْدَ مَا قَامَ بَاكِرًا فِي أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلًا لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ، الَّتِي كَانَ قَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينٍ. فَذَهَبَتْ هَذِهِ وَأَخْبَرَتِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ وَهُمْ يَنُوحُونَ وَيَبْكُونَ. فَلَمَّا سَمِعَ أَوَّلُكَ أَنَّهُ حَيٌّ، وَقَدْ نَظَرْتَهُ، لَمْ يُصَدِّقُوا. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ بِهَيْئَةٍ أُخْرَى لِاثْنَيْنِ مِنْهُمَا، وَهُمَا يَمْشِيَانِ مُنْطَلِقَيْنِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ. وَذَهَبَ هَذَانِ وَأَخْبَرَا الْبَاقِيْنَ، فَلَمْ يُصَدِّقُوا وَلَا هَذَيْنِ. أَخِيرًا ظَهَرَ لِلْأَحَدِ عَشَرَ وَهُمْ مُتَكَبِّونَ، وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ. وَقَالَ لَهُمْ: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَاكْرِزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يَدْنُ. وَهَذِهِ آيَاتُ تَتَبِعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي،

وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسَّانَةِ جَدِيدَةٍ. يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ، وَإِنْ شَرَبُوا شَيْئًا مُمِيتًا لَا يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ». ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمْ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ. وَأَمَّا هُمْ فَخَرَجُوا وَكَرَزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَالرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيُثَبِّتُ الْكَلَامَ بِالْآيَاتِ التَّابِعَةِ). وهذه هي نهاية رواية مرقس للإنجيل.

• رواية لوقا للأحداث:

وفي إنجيل لوقا (الإصحاحان ٢٣-٢٤) اختلاف أوضح مع ما مر معنا من تفاصيل ترتبط بالأحداث ما بعد الصلب، فحيث تم إنزال المسيح وتسليم جسده للرجل الثري: (وَتَبِعَتْهُ نِسَاءٌ كُنَّ قَدْ أَتَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ) ويتبين معنا بعد قليل أن عددهن فوق الاثنتين (وَنَظَرْنَ الْقَبْرَ وَكَيْفَ وُضِعَ جَسَدُهُ. فَارْجَعْنَ وَأَعَدَدْنَ حَنُوطًا وَأَطْيَابًا. وَفِي السَّبْتِ اسْتَرَحْنَ حَسَبَ الْوَصِيَّةِ. ثُمَّ فِي أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ، أَوَّلِ الْفَجْرِ، أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ حَامِلَاتِ الْحَنُوطِ الَّذِي أَعَدَدْنَهُ، وَمَعَهُنَّ أَنْاسٌ. فَوَجَدْنَ الْحَجَرَ مَدْحَرَجًا عَنِ الْقَبْرِ، فَدَخَلْنَ وَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَفِيمَا هُنَّ مُحْتَارَاتٌ فِي ذَلِكَ، إِذَا رَجُلَانِ وَقَفَا بِهِنَّ بِثِيَابٍ بَرَّاقَةٍ) ملاكان وليس ملاك واحد كما في النص السابق (وَإِذْ كُنَّ خَائِفَاتٍ وَمُنْكَسَّاتٍ وُجُوهُهُنَّ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَا لَهُنَّ: «لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لَكِنَّهُ قَامَ! اذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ قَائِلًا: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي أَيْدِي أَنْاسٍ خُطَاةٍ، وَيُصَلَّبَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ». فَتَذْكُرْنَ كَلَامَهُ، وَرَجَعْنَ مِنَ الْقَبْرِ، وَأَخْبَرْنَ الْأَحَدَ عَشَرَ وَجَمِيعَ الْبَاقِينَ هَذَا كُلَّهُ).

• عدم تصديق الحواريين:

(وَكَاثَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَيُونَا وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَالْبَاقِيَاتُ مَعَهُنَّ، اللَّوَاتِي قَلْنَ هَذَا لِلرُّسُلِ. فَتَرَايَ كَلَامُهُنَّ لَهُمْ كَالْهَذْيَانِ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُنَّ. فَقَامَ بَطْرُسُ وَرَكَضَ إِلَى الْقَبْرِ، فَانْحَنَى وَنَظَرَ الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً وَحْدَهَا، فَمَضَى مُتَعَجِّبًا فِي نَفْسِهِ مِمَّا كَانَ).

• اللقاء بالمسيح:

(وَإِذَا اثْنَانِ مِنْهُمَا كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أُورُشَلِيمَ سِتِّينَ غَلْوَةً) أَقْلَ مِنْ كِيلُومِتْرٍ وَاحِدٍ (اسْمُهَا «عَمَّوَسُ»). وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ بَعْضُهُمَا مَعَ بَعْضٍ عَنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْحَوَادِثِ. وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوِرَانِ، اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. وَلَكِنْ أُمْسَكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ. فَقَالَ لَهُمَا: «مَا هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتُمَا مَاشِيَانِ عَابِسَيْنِ؟» فَأَجَابَ أَحَدُهُمَا، الَّذِي اسْمُهُ كَلِيُوبَاسُ وَقَالَ لَهُ: «هَلْ أَنْتَ مُتَغَرِّبٌ وَحَدِّكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمْ الْأُمُورَ الَّتِي حَدَّثَتْ فِيهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ؟» فَقَالَ لَهُمَا: «وَمَا هِيَ؟» فَقَالَا: «الْمُخْتَصَّةُ بِيَسُوعَ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللَّهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ. كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ الْمَوْتِ وَصَلَبُوهُ. وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمَرْمَعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلَكِنْ، مَعَ هَذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذَلِكَ. بَلْ بَعْضُ النِّسَاءِ مِنَّا حَيْرِنَا إِذْ كُنَّا بَاكِرًا عِنْدَ الْقَبْرِ، وَلَمَّا لَمْ يَجِدْنَ جَسَدَهُ أَتَيْنَ قَائِلَاتٍ: إِنَّهُنَّ رَأَيْنَ مَنْظَرَ مَلَائِكَةٍ قَالُوا إِنَّهُ حَيٌّ. وَمَضَى قَوْمٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَنَا إِلَى الْقَبْرِ، فَوَجَدُوا هَكَذَا كَمَا قَالَتْ

أَيْضًا النَّسَاءُ، وَأَمَّا هُوَ فَلَمْ يَرَوْهُ. فَقَالَ لَهُمَا: «أَيُّهَا الْغَيِّانِ وَالْبَطِيئَانِ الْقُلُوبِ فِي الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟» ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الْأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ. ثُمَّ اقْتَرَبُوا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ إِلَيْهَا، وَهُوَ تَظَاهَرَ كَأَنَّهُ مُنْطَلِقٌ إِلَى مَكَانٍ أَبْعَدَ. فَالْزَمَاهُ قَائِلَيْنِ: «أَمْكُثْ مَعَنَا، لِأَنَّهُ نَحْنُ الْمَسَاءُ وَقَدْ مَالَ النَّهَارُ». فَدَخَلَ لِيَمْكُثَ مَعَهُمَا. فَلَمَّا اتَّكَأَ مَعَهُمَا، أَخَذَ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَنَاولَهُمَا، فَانْفَتَحَتَا أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ اخْتَفَى عَنْهُمَا، فَقَالَ بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ: «أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهَبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟» فَقَامَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَرَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَوَجَدَا الْأَحَدَ عَشَرَ مُجْتَمِعِينَ، هُمْ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: «إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسَمْعَانَ!»، وَأَمَّا هُمَا فَكَانَا يُخْبِرَانِ بِمَا حَدَثَ فِي الطَّرِيقِ، وَكَيْفَ عَرَفَاهُ عِنْدَ كَسْرِ الْخُبْزِ).

• المسيح يظهر مجدداً:

(وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسْطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلَامٌ لَكُمْ!» فَجَزَعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا. فَقَالَ لَهُمْ: «مَا بِالْكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارُ فِي قُلُوبِكُمْ؟ انظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُونِي وَانظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي». وَحِينَ قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ مِنَ الْفَرَحِ، وَمَتَعَجِّبُونَ، قَالَ لَهُمْ: «أَعِنْدُكُمْ هَهُنَا طَعَامٌ؟» فَتَنَاوَلُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدٍ عَسَلٍ. فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ. وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: أَنَّهُ لَا بَدَأَ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ

وَالْمَزَامِيرَ. حِينَئِذٍ فَتَحَ ذَهَنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ. وَقَالَ لَهُمْ: «هَكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهَكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الْأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ. وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لَذَلِكَ. وَهَذَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تَلْبَسُوا قُوَّةَ مِنَ الْأَعَالِي». وَأَخْرَجَهُمْ خَارِجًا إِلَى بَيْتِ عَنِيَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ. وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ، وَكَانُوا كُلَّ حِينٍ فِي الْهَيْكَلِ يُسَبِّحُونَ وَيُبَارِكُونَ (اللَّهُ).

• رواية يوحنا للأحداث:

وأما يوحنا في إنجيله في الإصحاحات (١٩-٢١) فيروي الأحداث بنسق مختلف عما سبق، قال: (ثُمَّ إِنَّ يَوْسُفَ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ، وَهُوَ تَلْمِيزُ يَسُوعَ، وَلَكِنْ خُفْيَةً لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ، سَأَلَ بِيلاطُسَ أَنْ يَأْخُذَ جَسَدَ يَسُوعَ، فَأَذَنَ بِيلاطُسُ. فَجَاءَ وَأَخَذَ جَسَدَ يَسُوعَ. وَجَاءَ أَيْضًا نِيْقُودِيمُوسُ، الَّذِي أَتَى أَوَّلًا إِلَى يَسُوعَ لَيْلًا، وَهُوَ حَامِلٌ مَزِيحٍ مَرَّةً وَرُفْعًا نَحْوَ مِائَةِ مَنَّا) لم يرد ذكر لهذه الشخصية فيما سبق حيث نسب الأمر لـ يوسف فقط (فَأَخَذَا جَسَدَ يَسُوعَ، وَلَفَّاهُ بِأَكْفَانٍ مَعَ الْأَطْيَابِ، كَمَا لِلْيَهُودِ عَادَةٌ أَنْ يَكْفِنُوا. وَكَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ بَسْتَانٌ، وَفِي الْبَسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يَوْضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ. فَهَنَّاكَ وَضَعَا يَسُوعَ لِسَبَبِ اسْتِعْدَادِ الْيَهُودِ، لِأَنَّ الْقَبْرَ كَانَ قَرِيبًا. وَفِي أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ بَاكِرًا، وَالظَّلَامُ بَاقٍ. فَنَظَرَتْ الْحَجَرَ مَرْفُوعًا عَنِ الْقَبْرِ. فَكَرَّضَتْ وَجَاءَتْ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَإِلَى التَّلْمِيزِ الْآخَرِ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ) لا ذكر إلى هنا لرؤيتها لملك أو أكثر ولا للمسيح (وَقَالَتْ لَهُمَا: «أَخْذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ،

وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ». فَخَرَجَ بُطْرُسُ وَالتِّلْمِيزُ الْآخَرُ وَآتَيَا إِلَى الْقَبْرِ. وَكَانَ الْاِثْنَانِ يَرْكُضَانِ مَعًا. فَسَبَقَ التِّلْمِيزُ الْآخَرُ بُطْرُسَ وَجَاءَ أَوَّلًا إِلَى الْقَبْرِ، وَانْحَنَى فَنَظَرَ الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ. ثُمَّ جَاءَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ يَتَّبِعُهُ، وَدَخَلَ الْقَبْرَ وَنَظَرَ الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، وَالْمَنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لَيْسَ مَوْضُوعًا مَعَ الْأَكْفَانِ، بَلْ مَلْفُوفًا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. فَحِينَئِذٍ دَخَلَ أَيْضًا التِّلْمِيزُ الْآخَرُ الَّذِي جَاءَ أَوَّلًا إِلَى الْقَبْرِ، وَرَأَى فَاأَمَنَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعْدُ يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ: أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ مِنَ الْأَمْوَاتِ. فَمَضَى التِّلْمِيزَانِ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِهِمَا).

• المسيح يظهر للمجدلية:

(أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ واقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجًا تَبْكِي. وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي انْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ، فَنَظَرَتْ مَلَائِكَيْنِ بَشِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالْآخَرَ عِنْدَ الرَّجْلَيْنِ، التِّلْمِيزُ الْآخَرُ الَّذِي جَاءَ أَوَّلًا إِلَى الْقَبْرِ، وَرَأَى فَاأَمَنَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعْدُ يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ: أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ مِنَ الْأَمْوَاتِ. فَمَضَى التِّلْمِيزَانِ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِهِمَا. أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ واقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجًا تَبْكِي. وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي انْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ، فَنَظَرَتْ مَلَائِكَيْنِ بَشِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالْآخَرَ عِنْدَ الرَّجْلَيْنِ، حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعًا. فَقَالَا لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، لِمَذَا تَبْكِينَ؟» قَالَتْ لَهُمَا: «إِنَّهُمْ أَخَذُوا سَيِّدِي، وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ» وَلَمَّا قَالَتْ هَذَا التَّفَتَّتْ إِلَى الْوَرَاءِ، فَنَظَرَتْ يَسُوعَ واقِفًا، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ) هَذَا النِّسْقُ لتراتبية الأحداث مختلف تماماً عما عرفناه من قبل في الأناجيل السابقة (قال لها يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ، لِمَذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟» فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِي، فَقَالَتْ لَهُ: «يَا سَيِّدُ، إِنَّ كُنْتُ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ، وَأَنَا أَخْذُهُ». قَالَ لَهَا

يَسُوعُ: «يَا مَرِيَمُ» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي!» يَا رَبِّي (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «لَا تَلْمِسِينِي لِأَنِّي لَمْ أَصْعَدُ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلَكِنْ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَالْهَيْ وَالْهَكُمُ». فَجَاءَتْ مَرِيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَأَخْبَرَتْ التَّلَامِيذَ أَنَّهَا رَأَتْ الرَّبَّ، وَأَنَّهُ قَالَ لَهَا هَذَا).

• اللقاء الأول بالحواريين:

ثم يتحدث النص عن اللقاء الأول الذي تم بين المسيح والحواريين: (وَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأَسْبُوعِ، وَكَانَتْ الْأَبْوَابُ مُغْلَقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلَامِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ، جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلَامٌ لَكُمْ!» وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ) حيث فيها علامات المسامير الخاصة بالصلب وأثر الرمح الذي طعن به كما في القصة المذكورة في هذا النص الإنجيلي (فَفَرَحَ التَّلَامِيذُ إِذْ رَأَوْا الرَّبَّ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: «سَلَامٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبُ أَرْسَلُكُمْ أَنَا». وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرْ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكْتُمْ». أَمَّا تَوَمَّا، أَحَدُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوَامُ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ حِينَ جَاءَ يَسُوعُ. فَقَالَ لَهُ التَّلَامِيذُ الْآخَرُونَ: «قَدْ رَأَيْنَا الرَّبَّ!». فَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ لَمْ أَبْصُرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعَ إصْبَعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعَ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لَا أَوْمِنُ». وَبَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَانَ تَلَامِيذُهُ أَيْضًا دَاخِلًا وَتَوَمَّا مَعَهُمْ).

• اللقاء الثاني بالحواريين:

(فَجَاءَ يَسُوعُ وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةً، وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ وَقَالَ: «سَلَامٌ لَكُمْ!»). ثُمَّ قَالَ

لِتُؤْمَا: «هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعَهَا فِي جَنْبِي، وَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا». أَجَابَ تُومَا وَقَالَ لَهُ: «رَبِّي وَالْهِي!». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا». وَأَيَّاتُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ صَنَعَ يَسُوعُ قَدَامَ تَلَامِيذِهِ لَمْ تَكْتُبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ).

• اللقاء الثالث بالحواريين:

(بَعْدَ هَذَا أَظْهَرَ أَيْضًا يَسُوعُ نَفْسَهُ لِلتَّلَامِيذِ عَلَى بَحْرِ طَبْرِيةَ. ظَهَرَ هَكَذَا: كَانَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ، وَتُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوَّامُ، وَنَثَائِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ، وَابْنَا زَبْدَي، وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ تَلَامِيذِهِ مَعَ بَعْضِهِمْ. قَالَ لَهُمْ سَمْعَانُ بُطْرُسُ: «أَنَا أَذْهَبُ لِاتَّصِيدَ». قَالُوا لَهُ: «نَذْهَبُ نَحْنُ أَيْضًا مَعَكَ». فَخَرَجُوا وَدَخَلُوا السَّفِينَةَ لِلْوَقْتِ. وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يُمْسِكُوا شَيْئًا. وَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ، وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِئِ. وَلَكِنَّ التَّلَامِيذَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسُوعُ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «يَا غُلَمَانُ أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَامًا؟». أَجَابُوهُ: «لَا». فَقَالَ لَهُمْ: «أَلْقُوا الشَّبَكَةَ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ الْآيَمَنِ فَتَجِدُوا». فَالْقُوا، وَلَمْ يَعُودُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجْذِبُوهَا مِنْ كَثَرَةِ السَّمَكِ. فَقَالَ ذَلِكَ التَّلَامِيذُ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ لِبُطْرُسَ: «هُوَ الرَّبُّ!». فَلَمَّا سَمِعَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ أَنَّهُ الرَّبُّ، اتَّزَرَ بِثَوْبِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ عُرْيَانًا، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ. وَأَمَّا التَّلَامِيذُ الْآخَرُونَ فَجَاءُوا بِالسَّفِينَةِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعِيدِينَ عَنِ الْأَرْضِ إِلَّا نَحْوَ مِائَتَيْ ذِرَاعٍ، وَهُمْ يَجْرُونَ شَبَكَةَ السَّمَكِ. فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى الْأَرْضِ نَظَرُوا جَمْرًا مَوْضُوعًا وَسَمَكًا مَوْضُوعًا عَلَيْهِ وَخَبْرًا. قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «قَدِّمُوا مِنَ السَّمَكِ الَّذِي أَمْسَكْتُمْ الْآنَ». فَصَعِدَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ وَجَذَبَ الشَّبَكَةَ إِلَى الْأَرْضِ،

مُمْتَلِئَةً سَمَكًا كَبِيرًا، مِئَةً وَثَلَاثًا وَخَمْسِينَ. وَمَعَ هَذِهِ الْكَثْرَةِ لَمْ تَتَخَرَّقِ الشَّبَكَةُ. قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «هَلُمُّوا تَغْدُوا!». وَلَمْ يَجْسُرَ أَحَدٌ مِنَ التَّلَامِيذِ أَنْ يَسْأَلَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الرَّبُّ. ثُمَّ جَاءَ يَسُوعُ وَأَخَذَ الْخُبْزَ وَأَعْطَاهُمْ وَكَذَلِكَ السَّمَكِ. هَذِهِ مَرَّةٌ ثَالِثَةٌ ظَهَرَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ بَعْدَمَا قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ).

• المسيح يوصي بطرس:

(فَبَعْدَ مَا تَغْدُوا قَالَ يَسُوعُ لِسَمْعَانَ بُطْرُسَ: «يَا سَمْعَانُ بْنُ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ارْجُ خَرَايِفَ». قَالَ لَهُ أَيْضًا ثَانِيَةً: «يَا سَمْعَانُ بْنُ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ارْجُ غَنَمِي». قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: «يَا سَمْعَانُ بْنُ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟» فَحَزَنَ بُطْرُسُ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: أَتُحِبُّنِي؟ فَقَالَ لَهُ: «يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «ارْجُ غَنَمِي. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: لَمَّا كُنْتُ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتُ تَمْنُطُقُ ذَاتَكَ وَتَمْشِي حَيْثُ تَشَاءُ. وَلَكِنْ مَتَى شِخْتُ فَإِنَّكَ تَمُدُّ يَدَيْكَ وَآخِرُ يَمْنُطُوكَ، وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لَا تَشَاءُ». قَالَ هَذَا مُشِيرًا إِلَى آيَةِ مِيتَةِ كَانُ مَرْمَعًا أَنْ يَمَجِّدَ اللَّهُ بِهَا. وَلَمَّا قَالَ هَذَا قَالَ لَهُ: «اتَّبِعْنِي». فَالْتَفَتَ بُطْرُسُ وَنَظَرَ التَّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ يَتَّبِعُهُ، وَهُوَ أَيْضًا الَّذِي اتَّكَأَ عَلَى صَدْرِهِ وَقَتَ الْعِشَاءِ، وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، مَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُكَ؟» فَلَمَّا رَأَى بُطْرُسُ هَذَا، قَالَ لِيَسُوعَ: «يَا رَبُّ، وَهَذَا مَا لَهُ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيَّ، فَمَاذَا لَكَ؟ اتَّبِعْنِي أَنْتَ!». فَذَاعَ هَذَا الْقَوْلُ بَيْنَ الْإِخْوَةِ: إِنَّ ذَلِكَ التَّلْمِيذَ لَا يَمُوتُ. وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ لَهُ يَسُوعُ إِنَّهُ لَا يَمُوتُ، بَلْ: «إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيَّ، فَمَاذَا لَكَ؟». هَذَا هُوَ التَّلْمِيذُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهَذَا وَكَتَبَ هَذَا. وَنَعْلَمُ أَنَّ

شَهِادَتَهُ حَقًّا. وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ، إِنَّ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسْعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ).

• الصلب في روايات الأبوكريفا:

في مقابل هذا التصوّر شبه السائد لدى الوسط المسيحي، نجد أن بعض النصوص القديمة (الأبوكريفا) التي لم تعترف بها الكنيسة تُقدّم تصوراً آخر حول مجريات الأحداث يقترب من ظاهر الآية القرآنية النافية لقتل المسيح أو صلبه: ﴿وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾^(١).

ففي نسخة إنجيل بطرس الذي تم الحصول عليه ضمن مخطوطات (نجع حمّادي) ما ترجمته أن بطرس يرى شخصيتين، يُصوّر أحدهما على أنه يضحك أثناء جلوسه على شجرة بينما يتعرض الآخر للاعتداء الجسدي والصلب. ثم يكشف المسيح لبطرس أن الشخص الموجود على الشجرة الذي يضحك هو يسوع الحي. إنه الروح الأول الذي يضحك على أعدائه لقلّة إدراكهم، لأنهم استمروا على عميهم عن الحقيقة، كما كانوا عند ولادتهم^(٢).

وذكر لينكولن H. Lincoln وبايجنت Michael Baigent وليخ Richard Leigh في كتابهم (الدم المقدس والكأس المقدسة) The Holy Blood and

١. النساء: ١٥٧.

2. http://www.scielo.org.za/scielo.php?script=sci_arttext&pid=S0259-94222014000100010#back36

The Holy Grail نصاً تاريخياً مأخوذاً عن وثائق نجع حمادي يحمل إحداها عنوان (أطروحة شيث) Treatise of Seth وفيها أن الصلب وقع ولكن لا على المسيح، بل على سمعان القوريني أو القيرواني Simon of Cyrene ^(١) نسبةً إلى قورينة التي مرّت معنا أيضاً باسم (شحات) الواقعة في ليبيا.

• الغنوصية:

الغنوصية إحدى الاتجاهات المسيحية القديمة التي كانت فاعلة في القرون الميلادية الأولى، وكانت تؤمن بعدم صلب المسيح، وأنه شُبّه ذلك للناس. ويذكر الباحث السوري (فراس السواح) في كتابه (الوجه الآخر للمسيح) أن تسمية الغنوصية Gnostisem تأتي من الكلمة اليونانية Gnosis والتي تعني المعرفة الحدسية الباطنية، أو (العرفان) بحسب مصطلح التصوف الإسلامي، والعارفون (الغنوصيون) هم الذين يتواصلون -بحسب ادّعائهم- بالحقيقة المطلقة عن طريق بصيرتهم الداخلية. من هنا فإنّ الخلاص إذا كان عند اليهود بالالتزام بشريعة موسى، وعند غالبية المسيحيين من خلال الإيمان بيسوع المسيح، فإنّ الخلاص عند الغنوصي يأتي عن طريق فعالية روحانية داخلية تقود إلى معرفة النفس، وفي مستويات أعمق تقود إلى معرفة الله ذوقاً وكشفاً وإلهاماً. عند ذلك يمكن تحرير الروح الحبيسة في إطار الجسد المادي لتعود إلى العالم النوراني الذي صدرت منه.

في الغنوصية يلعب يسوع دوراً مركزياً باعتباره محرراً للبشرية الواقعة تحت أسر العالم المادي، لقد هبط يسوع من السماء الروحانية لا ليضحيّ بنفسه من

1. https://o.b5z.net/i/u/6103974/f/Before_Nicea_-_The_Crucifixion.pdf

أجل تخليص البشر من الخطيئة كما يقول التعليم المسيحي المتداول، وإنما ليفتح بصيرتهم ويحرك العرفان في النفس البشرية.

ويتمسك الغنوصيون بما جاء في سفر (رؤيا يعقوب) وهو من (الأبوكريفا) والذي يدل على أن المسيح لم يتعذب على الصليب ولم ينله أي أذى من جلاديه، ويعتقدون بأن يسوع لم يميت حقيقة على الصليب، وأن ما رأوه من موته لم يكن سوى مظهراً خادعاً، وأنهم ما ضربوه وما أهانوه وما سقوه الخل والمر، وإنما فعلوا ذلك بشخص آخر اتخذ شبهه، بينما كان هو على البعد يهزأ منهم ومن جهلهم، ولذا لا معنى لقيامته المسيح الجسدية عندهم.

وهناك فريق غنوصي آخر يقول بأن المسيح السماوي قد هبط على يسوع وتطابق معه لحظة خروجه من الماء بعد أن تعمّد (اغتسل) على يد يوحنا المعمدان، ثم غادره عندما مات على الصليب، وبذلك تكون قيامة المسيح قيامة روحانية عندما تخلص عن جسد يسوع الأرضي. إن عقيدة الغنوصيين هي أنهم (ماقتلوه وماصلبوه) وهذه العقيدة وردت في إنجيل العبرانيين أو الأيبونيين الذي كان منتشراً في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي كما ذكر الأب جورج قزي -أبوموسى الحريري- في كتابه (قس ونبي)^(١).

لقد بلغت الغنوصية أوجها حوالي أواسط القرن الثاني، حين انتشرت في كل مناطق البحر المتوسط الشرقي، ونحن لا نعرف عقائدها عبر أدبياتها الخاصة بها، التي اندثرت بالكامل تقريباً، بقدر ما نعرفها عن طريق مؤلفات

١. للمزيد انظر كتاب (الوجه الآخر للمسيح، موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد القديم ومقدمة في المسيحية الغنوصية) لفراس السواح.

(آباء الكنيسة) الذي كافحوا الهرطقات، أي البدع العقائدية^(١).

هذا الكلام من ويتلر يجعلنا نتوقف في تصديق كل ما طرح بشأن عقائد وأفكار الغنوصيين المطروحة من قبل خصومهم، والأسباب التي دعتهم لإنكار صلب المسيح، وفيها - أحياناً - تفسيرات غريبة جداً، ونكتفي بالنقطة التي تهمنا هنا وهي القول بإنكار صلب المسيح. ومن بين الاتجاهات الغنوصية التي تبنت فكرة عدم صلب المسيح، وإن كان ذلك ضمن رؤى ومعتقدات وتبريرات وتفسيرات مختلفة بحسب المدعى عليهم:

○ السيرنثيون The Cerinthians أتباع (سيرينثوس) في مصر الذي طرح أفكاره في النصف الثاني من القرن الميلادي الأول^(٢).

○ الباسيليديون The Basilidians وكان ظهورهم في الإسكندرية حيث درّس فيها (باسيليدس) آراءه في النصف الأول من القرن الميلادي الثاني^(٣).

○ الدوسيتية Docetism - من اليونانية dokein، بمعنى يبدو- إذ تعتبر واحدة من أوائل المذاهب المسيحية التي تؤكد على أن المسيح لم يكن له جسد حقيقي أو طبيعي خلال حياته على الأرض، بل جسد ظاهري أو وهمي. ويعتقد أتباع هذا المذهب الغنوصي (العرفاني الباطني) أن المسيح وُلد دون أي مشاركة من المادة، وأن جميع الأفعال والمعاناة في حياته، بما في ذلك الصلب، كانت

١. ويتلر: الهرطقة في المسيحية، ص ٥٦.

2. George L. The Encyclopedia of Heresies and Heretics. London. Robson Books, 1995. p71

3. <https://www.pfander.uk/debate-topics/apologetic/crucifix/#fnref-347-6>

مجرد مظاهر. وبالتالي فقد أنكروا قيامة المسيح وصعوده إلى السماء^(١).

○ بلاتينوس Platinos -بحسب جون تولاند في كتابه (النصارى) The Nazarenes- والذي عاش في القرن الرابع الميلادي قد قرأ كتاباً يحمل عنوان رحلات الرسل The journeys of Apostles وفيه أن المسيح لم يُصلب بل صُلب شخص آخر مكانه، ولهذا ضحك يسوع والحواريون على من اعتقدوا أن يسوع هو الذي مات على الصليب^(٢).

○ الكاربوقراطيين The Carpocratians أتباع كاربوقراطيس السكندري Carpocrates of Alexandria مؤسس واحدة من أقدم الطوائف الغنوصية في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي -كما جاء في كتاب بعنوان (قبل نيقية) Before Nicea لتيم بويس Tom Bowes وبول أدائي Paul Addae- لم يكونوا يؤمنون بصلب المسيح بل وقع الصلب على شخص بديل^(٣).

الدكتور منقذ بن محمود السقار، وبعد أن ذكر في كتابه (هل افتدانا المسيح على الصليب) أسماء مجموعة من تلك الطوائف قال: (وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول ففي كتابه «الهرطقات مع دحضها» ذكر القديس الفونسو ماريا دي ليكوري أن من بدع القرن الأول قول فلوري: «إن المسيح قوة غير هيولية، وكان يتشع ما شاء من الهيئات، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ أخذ صورة سمعان القروي،

1. <https://www.britannica.com/topic/Docetism>

2. John Toland, The Nazarenes (1718), P.18.

3. https://o.b5z.net/i/u/6103974/f/Before_Nicea_-_The_Crucifixion.pdf

وأعطاه صورته، فصلب سمعان، بينما كان يسوع يسخر باليهود، ثم عاد غير منظور، وصعد إلى السماء. ويبدو أن هذا القول استمر في القرن الثاني، حيث يقول المفسر جون فنتون شارح متى: إن إحدى الطوائف الغنوصية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صلب بدلاً من يسوع» وهو المذكور في إنجيل متى ٢٧ / ٣٢ بأنه حامل الصليب الذي صلب عليه المسيح «وَفِيْمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا إِنْسَانًا قَيْرَوَانِيًّا اسْمُهُ سَمْعَانُ، فَسَخَّرُوهُ لِيَحْمَلَ صَلِيبَهُ» (وقد استمر إنكار صلب المسيح، فكان من المنكرين الراهب تيودورس «٥٦٠م» والأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص «٦١٠م» وغيرهم. ولعل أهم هذه الفرق المنكرة لصلب المسيح الباسيليديون؛ الذين نقل عنهم سيوس في «عقيدة المسلمين في بعض مسائل النصرانية» والمفسر جورج سائل القول بنجاة المسيح، وأن المصلوب هو سمعان القيرواني، وسماه بعضهم سيمون السيرناي، ولعل الاسمين لواحد. وهذه الفرقة كانت تقول أيضاً ببشرية المسيح، يقول باسيليوس الباسليدي: «إن نفس حادثة القيامة المدعى بها بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح». ولعل هؤلاء المنكرين لصلب المسيح قديماً هم الذين عناهم جرجي زيدان حين قال: «الخياليون يقولون: إن المسيح لم يصلب، وإنما صلب رجل آخر مكانه»).

ثم عدّد المؤلف بعض أسماء الطوائف التي ذكرنها مسبقاً ثم قال: (ومنهم الروسيتية والمرسيونية والفلنطنيائية. وهذه الفرق الثلاث تعتقد ألوهية المسيح، ويرون القول بصلب المسيح وإهانته لا يلائم البنوة والإلهية.. ويقول

إرنست دي بوش الألماني في كتابه «الإسلام: أي النصرانية الحقّة» ما معناه: إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، لا في أصول النصرانية الأصلية^(١).

وقال د. سامي عامري في كتابه (محمد في الكتب المقدسة) أن من الفرق النصرانية القديمة التي أنكرت صلب المسيح: (الباسيليديون والكورنثيون والكاربوكرايتون والساطرينوسية والماركيونية والبارديسيانية والسيرنثيون والبارسكاليونية والبولسية والمائيسية، والتايتانيسيون والدوسيتية والمارسيونية والفلنطانيائية والهرمسيون)^(٢).

ولم يبين عامري المصدر الذي اعتمد عليه في تعداد كل هذه الطوائف المسيحية، وهل كلها من الطوائف الغنوصية/العرفانية أم لا؟ ولا أدري هل كانت فعلاً تنكر صلب عيسى بن مريم «عليه السلام» بأجمعها أم لا؟ كما بدا لي عن طريق البحث أن الكورنثيين والسيرنثيين كلاهما طائفة واحدة.

• صُلب ولكن!

ونُسب للباحث والمحقق (أحمد ديدات) المتخصص في مناقشة الكتاب المقدس رأي في المسألة، إذ اعتبر أن المسيح قد صُلب ولكنه لم يمّت على الصليب، بل شبّه لهم.

وبعبارة أخرى، فإنه يقول أن القرآن الكريم حيث يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ إنما يعني وما قتلوه بأية طريقة كقطع الرأس مثلاً أو التسميم، وما

1. <http://islamport.com/w/aqd/Web/3406/34.htm>

٢. عامري: محمد في الكتب المقدسة، ج ١، ص ١٦٢.

صلبوه بحيث يموت على الصليب كما جرت العادة عند الصلب، ﴿وَلَكِنْ شَبَّهُ
لَهُمْ﴾ مَوْتُهُ لَا صَلْبُهُ.

وكأنه يقدم بهذا التفسير للنص القرآني حلاً وسطاً بين الأطروحة المسيحية
المعهودة بموت المسيح على الصليب ثم قيامته من الموت، وبين الأطروحة
الإسلامية التقليدية القائلة بأن الصلب وقع على شبيه المسيح لا عليه ذاتاً.
وحيث لم أجد تصريحاً واضحاً منه بذلك، بل الثابت عنه دفاعه عن الرأي
التقليدي، كما في كتابه (مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء)، لذا
فمن المحتمل أنه طرح هذا القول كاحتمال، وليس على سبيل الجزم.

• تفسيرات متعددة:

هذا، وقد طرح الفخر الرازي -من قبل- عدة مقولات وتوجيهات في كيفية
حصول التشبيه، ويمكن عرضها كالتالي:

١. قال كثير من المتكلمين، أي المتخصصين في علم الكلام، وهو العلم
المختص بدراسة المسائل العقدية، أن اليهود لما قصدوا قتله، رفعه الله «تعالى»
إلى السماء، فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم، فأخذوا إنساناً
وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس أنه المسيح، والناس ما كانوا يعرفون المسيح
إلا بالاسم لأنه كان قليل المخالطة للناس.

٢. أن الله ألقى شبهه على إنسان آخر، ويمكن تصوّر هذا بعدة وجوه:

(أ) أن اليهود لما علموا أنه حاضر في البيت الفلاني مع أصحابه أمر (رأس
اليهود) رجلاً من أصحابه يقال له (طيطا يوس) أن يدخل على عيسى ويخرجه

صلب المسيح وقيامته

ليقتله، فلما دخل عليه أخرج الله عيسى «عليه السلام» من سقف البيت وألقي على ذلك الرجل شبه عيسى فظنوه هو فصلبوه وقتلوه، وسيأتي معنا ضمن الروايات الإسلامية أن هذا مأخوذ عن خبر منقول عن ابن عباس.

(ب) وكَلَّوا بعيسى رجلاً يحرسه، وصعد عيسى في الجبل، وُرفِعَ إلى السماء، وألقى الله شبهه على ذلك الرقيب فقتلوه وهو يقول لست بعيسى.

(ج) أن اليهود لما همَّوا بأخذه وكان مع عيسى عشرة من أصحابه فقال لهم: من يشتري الجنة بأن يلقي عليه شبيهي؟ فقال واحد منهم أنا، فألقى الله شبه عيسى عليه فأخرج وقُتِل، ورفع الله عيسى.

(د) كان رجل يدعي أنه من أصحاب عيسى «عليه السلام»، وكان منافقاً فذهب إلى اليهود ودلهم عليه، فلما دخل مع اليهود لأخذه ألقى الله «تعالى» شبهه عليه فقتل وصلب.

ثم قال: (وهذه الوجوه متعارضة متدافعة، والله أعلم بحقائق الأمور)^(١).

واعتبر العلامة الطباطبائي أن هذه الآية بحسب السياق تنفي وقوع ما ادَّعوه من القتل والصلب عليه، فقد سَلِمَ مِنْ قَتْلِهِمْ وَصَلْبِهِمْ، وأن ظاهر الآية أن عيسى «عليه السلام» بشخصه البدني هو الذي رفعه الله إليه، وحفظه من كيدهم، فقد رُفِعَ عيسى بجسمه وروحه لا أنه توفِّي ثم رفع روحه إليه.. سواء كان توفِّي عند ذلك بالموت، أو كان حياً باقياً بإبقاء الله بنحو لا نعرفه، وأنه ليس من المستحيل أن يتوفَّى الله المسيح ويرفعه إليه ويحفظه، أو يحفظ الله

١. الرازي: التفسير الكبير، ج ٥، ص ٤٣٤.

حياته على نحو لا ينطبق على العادة الجارية عندنا، فليس يقصر عن ذلك سائر ما يقصّه القرآن الكريم من معجزات عيسى نفسه في ولادته وحياته بين قومه، وما يحكيه من معجزات إبراهيم وموسى وصالح وغيرهم، فكل ذلك يجري مجرى واحداً يدل الكتاب العزيز على ثبوتها، وأن الأنسب للسياق أن الآية في مقام بيان أنه لم يمت وأنه حي بعد.

واستشهد العلامة الطباطبائي بقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(١) حيث اعتبر أنها لا تخلو عن إشعار أو دلالة على حياته «عليه السلام» وعدم توفّيه بعد.

واعتبر أن المراد بالرفع في قوله «تعالى»: ﴿وَرَفَعَكَ إِلَىٰ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إنما هو الرفع المعنوي دون الرفع الصوري، إذ لا مكان له «تعالى» من سنخ الأمكنة الجسمانية التي تتعاورها الأجسام والجسمانيات بالحلول فيها، والقرب والبعد منها، فهو من قبيل قوله «تعالى» في ذيل الآية: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾^(٢)، وخاصة لو كان المراد بالتوفي هو القبض لظهور أن المراد حينئذٍ هو رفع الدرجة والقرب من الله، نظير ما ذكره تعالى في حقّ المقتولين في سبيله: ﴿أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣) وما ذكره في حقّ النبي إدريس «عليه السلام»: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾^(٤).

وربّما يُقال: إن المراد برفعه إليه رفعه بروحه وجسده حيّاً إلى السّماء،

١. النساء: ١٥٩.

٢. آل عمران: ٥٥.

٣. آل عمران: ١٦٩.

٤. مريم: ٥٧.

صلب المسيح وقيامته

على ما يشعر به ظاهر القرآن الشريف، أَنَّ السَّمَاءَ، أي الجسمانية، هي مقام القرب من الله «سبحانه»^(١).

أما العلامة ابن عاشور فقد اعتبر أن قوله «تعالى» ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾^(٢) ظاهرٌ معناه إِنِّي مُمِيتُكَ، هذا هو معنى هذا الفعل في مواقع استعماله لأنَّ أصل فعل تَوَفَّى الشيءَ أَنَّهُ قَبَضَهُ تَاماً واستوفاه. فيقال توفاه الله أي قدر موته، ويقال توفاه ملك الموت أي أنفذ إرادة الله بموته.

وأما إطلاق التوفي على النوم فهو إطلاق مجازي لوجود علاقة المشابهة وذلك في نحو قوله «تعالى»: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾^(٣) وقوله ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٤) أي وأما التي لم تمت الموت المعروف فيميتها في منامها موتاً شبيهاً بالموت التام كقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ - ثم قال - ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾^(٥) فالكل إماتة في التحقيق، وإنما فصل بينهما العرف والاستعمال.

وأصرح من الآية السابقة في الدلالة على ذلك آية سورة المائدة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾^(٦) لأنه دل على أنه قد توفى الوفاة المعروفة

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٣، ص ٢٠٨.

٢. آل عمران: ٥٥.

٣. الأنعام: ٦٠.

٤. الزمر: ٤٢.

٥. الأنعام: ٦٠-٦١.

٦. المائدة: ١١٧.

التي تحول بين المرء وبين علم ما يقع في الأرض. والخلاصة -بحسب ابن عاشور- أن الوجه هو أن يُحمل قوله «تعالى» ﴿إِنِّي مُتَوَقِّعٌ﴾ على حقيقته، وهو الظاهر، وأن تُؤوّل الأخبار التي يفيد ظاهرها أنه حيّ على معنى حياة كرامة عند الله، كحياة الشهداء وأقوى.

أما ما روي من أنه سيُتوفى في آخر الزمان بعد نزوله فيصلي عليه المسلمون فهو مُدرَج من أبي هريرة -والحديث المدرج يعني أن يتم إدخال شيء من كلام بعض الرواة في ضمن حديث رسول الله، فيتوهم من سمع الحديث أن هذا كلام رسول الله- لأنه لم يروه غيره ممن رووا حديث نزول عيسى، وهم جَمَعَ من الصحابة، والروايات مختلفة وغير صريحة. ويضاف إلى الإشكال السابق أن القرآن الكريم لم يتعرّض -في عدّ مزايا المسيح- إلى أنه ينزل في آخر الزمان^(١).

بدوره، أشار العلامة السيد محمد حسين فضل الله إلى حيرة المفسرين في تحديد معنى الوفاة هنا، فهل تعني الموت، أم تعني بلوغ الحدّ الذي حدّده الله له في الأرض في ما توحيه كلمة «التوفية» من معنى بلوغ الحدّ؟

ونبّه إلى أن البعض يرى أن إطلاق الوفاة على الموت كان على أساس هذه الملاحظة، باعتباره نهاية حدّ الحياة من دون أن يكون لموت الحياة في الجسد مدخلية في طبيعة المعنى، فذهب قسم من المفسرين إلى القول بأن الله قبضه إليه بضع ساعات ثم أحياه، وذهب آخرون إلى أن الله رفعه إليه من دون أن يقبض روحه، لأنه سيعيش إلى نهاية الحياة الدنيا.

١. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٢٥٩.

وأضاف أن الظاهر أن كلمة «الوفاة» استعملت في الآية التالية: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(١) في الأخذ الخاص وهو الموت... لأن الإشارة في كلمة ﴿يَتَوَفَّاكُم﴾ إلى الوفاة الخاصة التي تنفصل فيها الروح عن الجسد الذي هو المصداق الحقيقي للمعنى، وهو «أخذ الشيء أخذاً تاماً».

وهكذا هو الأمر في قوله «تعالى»: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لأن مقابلة الكلمة بقوله: ﴿لَمْ تَمُتْ﴾ ما يوحي بأن المراد بالوفاة الموت، ولكنه استعمل هذه الكلمة تفنناً في التعبير.

أما ملاحظة أنه استعمل كلمة «التوفي» للدلالة على أن نفس الإنسان لا تبطل ولا تنفنى بالموت، فلا قرينة عليه من اللفظ، بل الظاهر من الحديث عن وفاة النفس ووفاة الأشخاص هو التأكيد على المعنى الطبيعي للموت الذي يسند إلى النفس أو الإنسان من خلال دلالتهما على الذات، وليس هناك أية إشارة إلى مسألة فناء النفس وعدم فنائها.

ثم أشار إلى قول بعض المتأخرين من المفسرين بأن الله «تعالى» أخفاه عن أعين الناس، فعاش عيشة طبيعية بعيداً عن أنظارهم حتى قبضه الله ورفعته إليه كما يرفع كل عباده إليه بروحه، معتبراً أن مثل ذلك قد يدخل في باب الرجم بالغيب في بعض تفاصيله، وقد لا نصل فيه إلى نتيجة محددة حاسمة، ولا نجد فيه كبير فائدة في ما يتصل باستيحاء القرآن لحياتنا الفكرية والعملية.

والسبب في ذلك أننا نعلم أنّ الله «سبحانه» قادر على كلّ شيء في أصل الخلق وفي أشكاله وأوضاعه وطريقة بقاءه وفنائه، فليس هناك حدّ لقدرته وإرادته، فالله القادر على أن يرفع الإنسان بروحه قادر أن يرفعه بجسده، والله الذي يريد للإنسان أن ينهي حياته في الأرض بالموت هو الذي يريد له أن ينهيها بغير ذلك.

وبحسب فضل الله، فإنّ الفكرة - كلّ الفكرة - في قوله «تعالى»: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُظْهِرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١) هي أنّ الله قد دبّر بحكمته وبخطّته الخفية خلاص عيسى «عليه السلام» من اضطهاد اليهود ومن محاولتهم قتله... أمّا ماذا فعل، وما الخطّة؟ فذلك مما اختص الله بعلمه، فلنرجع الأمر فيه لله، في ما يريد أن يعرفنا إياه، وما لا يريد أن يعرفنا سرّه.

ورجّح العلامة فضل الله أن المراد من الرفع في قوله «تعالى»: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُظْهِرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هو الرفع الجسدي والروحي معاً، وذلك بحسب دلالة ظاهر الآية، لأنّ التعبير بالرفع إليه يوحي - من الناحية التعبيرية - بالجانب المكاني الذي يختصّ به، ويمثّل موقع العلوّ لديه الذي يتناسب مع علوّ مقامه وسموّ شأنه، حتّى أنّ كلمة: ﴿أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ توحي بذلك من خلال الذهنية الإيمانية التي تختزن في داخلها معنى اعتبار السّماء بمعناها المادي الذي يجعلهم يتطلّعون إليها، فهي المنطقة التي تمثّل درجة العلوّ التي تتسبب إلى الله في مقابل الأرض التي هي دونها في درجة القرب المكاني.

ولو أراد الرفع المعنوي لكان الأقرب هو التعبير بالرفع بشكل مطلق، من

دون إضافة كلمة ﴿إِلَى﴾ وذلك كما في قوله «تعالى»: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١)، أو في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾^(٢).

أما قوله «تعالى»: ﴿وَمُظْهَرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣) فقد يعني إبعاده عن مواقع القذارة النفسية والروحية والأخلاقية التي يمثلها المجتمع الكافر في عاداته وتقاليده وقيمه المادية التي تلوث روح الإنسان وعقله وعمله، وذلك من خلال اللطف الإلهي الذي أغدقه الله عليه، فجعله إنساناً طاهراً في ذاته، يعطي للآخرين طهارة الفكر والروح والقلب والشعور والحياة^(٤).

• الروايات الإسلامية:

في ما يلي نماذج من المرويات الإسلامية - عند الشيعة والسنة - حول قصة الصلب وملاساتها من التشبيه والرفع وغير ذلك:

○ تفسير القمي في رواية تشبه رواية إنجيل يهوذا والتي تقول بأن الشبيه كان فدائياً لا خائناً: (أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن حمran بن أعين، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: إن عيسى «عليه السلام» وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثنا عشر رجلاً فأدخلهم بيتاً، ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفذ رأسه من الماء، فقال: إن الله أوحى إلي أنه رافعي إليه الساعة ومطهري من اليهود فأيكم

١. المجادلة: ١١.

٢. مريم: ٥٧.

٣. آل عمران: ٥٥.

٤. فضل الله: من وحي القرآن، ج ٣، ص ١٨٤-١٨٦.

يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي؟ فقال شاب منهم: أنا يا روح الله، قال: فأنت هوذا، فقال لهم عيسى: أما إن منكم لمن يكفر بي - قبل أن يصبح - اثنتي عشرة كفرة، فقال له رجل منهم: أنا هو يانبي الله؟ فقال له عيسى: أتحمس بذلك في نفسك فلتكن هو، ثم قال لهم عيسى «عليه السلام»: أما إنكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق: فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة ثم رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه. ثم قال أبوجعفر «عليه السلام»: إن اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى «عليه السلام»: إن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، وأخذوا الشاب الذي ألقى عليه شبح عيسى فقتل وصلب، وكفر الذي قال له عيسى: تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة»^(١).

○ عن ابن عباس أنه قال: (لما مسخ الله الذين سبوا عيسى وأمه بدعائه بلغ ذلك يهودا وهو رأس اليهود فخاف أن يدعو عليه، فجمع اليهود واتفقوا على قتله، فبعث الله جبرئيل يمنعه منهم ويعينه عليهم، وذلك معنى قوله: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(٢) فاجتمع اليهود حول عيسى «عليه السلام» فجعلوا يسألونه فيقول لهم: يا معشر اليهود إن الله «تعالى» يبغضكم، فثاروا إليه ليقتلوه، فأدخله جبرئيل «عليه السلام» خوخة البيت^(٣) الداخل لها روزنة في سقفها^(٤)،

١. القمي: تفسير القمي، ص ٩٣.

٢. البقرة: ٨٧.

٣. الخَوْخَةُ: كُوَّةٌ فِي الْبَيْتِ تُوَدَّى إِلَيْهِ الضَّوْءُ.

٤. الروزنة: كلمة فارسية معربة، تعني هنا النافذة الصغيرة أو الكوة في الجدار أو السقف.

صلب المسيح وقيامته

فرفعه جبرئيل إلى السماء، فبعث يهودا رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه ططيانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله في الخوخة، فألقى الله عليه شبه عيسى «عليه السلام»، فلما خرج على أصحابه قتلوه وصلبوه، وقيل: ألقى عليه شبه وجه عيسى ولم يلق عليه شبه جسده، فقال بعض القوم: إن الوجه وجه عيسى والجسد جسد ططيانوس، وقال بعضهم: إن كان هذا ططيانوس فأين عيسى؟ وإن كان هذا عيسى فأين ططيانوس؟ فاشتبه الأمر عليهم^(١).

○ وعن وهب بن منبه: (أتى عيسى «عليه السلام» ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت، فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيرهم الله كلهم على صورة عيسى، فقالوا لهم: سحرتموناً؟ لتبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً، فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة؟ فقال رجل منهم اسمه سرجس: أنا، فخرج إليهم، فقال: أنا عيسى، فأخذوه وقتلوه وصلبوه، ورفع الله عيسى من يومه ذلك)^(٢).

وعلق الطبرسي في تفسيره على كلام وهب بن منبه بقوله: (وبه قال قتادة والسدي وابن إسحاق ومجاهد وابن جريج، وإن اختلفوا في عدد الحواريين، ولم يذكر أحد غير وهب أن شبهه ألقى على جميعهم، بل قالوا: ألقى شبهه على واحد، ورفع عيسى من بينهم قال ابن إسحاق: وكان اسم الذي ألقى عليه شبهه سرجس، وكان أحد الحواريين، ويقال: إن الذي دلهم عليه وقال هذا

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٣٤٠.

٢. الطبرسي: مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٨٢.

عيسى أحد الحواريين أخذ على ذلك ثلاثين درهماً، وكان منافقاً، ثم إنه ندم على ذلك فاختنق حتى قتل نفسه، وكان اسمه بودس زكريابوطا، وهو ملعون في النصارى، وبعض النصارى يقول: إن بودس زكريا بوطاهو^(١) الذي شُبه لهم فصلبوه، وهو يقول: لست بصاحبكم الذي دللتكم عليه. قال الطبري: الأقوى قول ابن المنبه، وهو أن سبعة عشر ألقى على جماعتهم شبه عيسى، لأنه لو كان ألقى على واحد منهم مع قول عيسى أيكم يلقي عليه شبيهي وله الجنة، ثم رأوا عيسى قد رُفِعَ من بين أيديهم لما اشتبه عليهم، وما اختلفوا فيه، وإن جاز أن يشتبه على أعدائهم من اليهود الذين لم يكونوا يعرفونه، لكن لما ألقى شبهه على جميعهم، فكان يرى كل واحد بصورة عيسى، فلما قتل واحد منهم اشتبه الحال عليهم. وهذا الذي ذكره قريب. وقال الجبائي: وجه التشبيه أن رؤساء اليهود أخذوا إنساناً فقتلوه وصلبوه على موضع عال، ولم يَمَكَّنُوا أحداً من الدنوّ منه، فتغيّرت حليته وتكرّرت صورته^(٢).

وأضاف الطبرسي في موضع آخر: (وقال أبو علي الجبائي إن رؤساء اليهود أخذوا إنساناً فقتلوه وصلبوه على موضع عال و لم يَمَكَّنُوا أحداً من الدنو إليه فتغيرت حليته وقالوا قد قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذي فيه عيسى فلما دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم فخافوا أن يكون ذلك سبباً لإيمان اليهود به، ففعلوا ذلك و الذين اختلفوا فيه هم غير الذين صلبوه، وإنما باقي اليهود)^(٣).

١. المقصود هنا (يهوذا افسخريوطي) وقد تمّ تصحيح اسمه.

٢. الطبرسي: مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٨٢-٣٨٣.

٣. الطبرسي: مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٠٩.

○ قصص الأنبياء: بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: (قال أبوجعفر «عليه السلام»: لما كانت الليلة التي قتل فيها علي «عليه السلام» لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر، وكذلك كانت الليلة التي قُتل فيها يوشع بن نون «عليه السلام»، وكذلك كانت الليلة التي رُفع فيها عيسى بن مريم «عليه السلام» وكذلك الليلة التي قتل فيها الحسين «عليه السلام»^(١)).

ثانياً: نزوله «عليه السلام» آخر الزمان:

○ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)^(٢).

○ عن جابر بن عبد الله «رضي الله عنها» يقول: (سمعت النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم «صلى الله عليه وسلم» فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة)^(٣).

○ عن معمر بن راشد، قال: (سمعت أبا عبد الله الصادق «عليه السلام»: يقول: أتى يهودي النبي.... فقال له النبي: يا يهودي، ومن ذريتي المهدي،

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢٣٦.

٢. صحيح البخاري، ج ٢٢٢٢.

٣. صحيح مسلم، ج ١٥٦.

إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدمه وصلى خلفه^(١).

وعن الحكمة من نزوله، ذكر بعض شراح الحديث الاحتمالات التالية:

١. الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبيّن الله كذبهم، وأن المسيح هو الذي يقتلهم.

٢. نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض؛ إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها.

٣. أنه دعا الله «تعالى» لما رأى صفة النبي محمد «صلى الله عليه وآله» وأتمته أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام، فيوافق خروج الدجال فيقتله.

٤. تكذيبه لكل من ادعى إلهيته أو بنوته لله «تعالى».

كما وتحدثت الروايات عن مدة بقائه في الأرض، فمنها ما ذكر أنه سيبقى سبع سنين، وروي تسع عشرة، وروي أربعين سنة.

ولكن هذا يطرح تساؤلاً كبيراً: إن صحّ القول بعودة المسيح في آخر الزمان، فهذا يعني عودة النبوة من جديد بعد رحيل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهل يصح الالتزام بذلك؟ أليس من المحتمل أن يتنافى هذا مع قوله «تعالى»: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾^(٢)، وما ثبت عن النبي «صلى الله عليه وآله» من قوله: (إلا

١. الصدوق: الأمالي، ص ٢٨٧-٢٨٨.

٢. الأحزاب: ٤٠.

صلب المسيح وقيامته

أنه لا نبي بعدي^(١) أو (ولكن لا نبي بعدي)^(٢) أو (إلا أنه لا نبوة بعدي)^(٣)؟ نعم، يمكن القول أن ولادة النبي محمد «صلى الله عليه وآله» بعد عيسى «عليه السلام» وبعثته التي جاءت بعد بعثة المسيح تكفي لتحقيق ما جاء في الآية الشريفة وفي انتفاء وجود نبي أو نبوة جديدة بعد نبوة رسول الله..

أما في ما يخص الإشكال الذي طرحه ابن عاشور وخلاصته أن القرآن الكريم لم يتعرض -في عدد مزايا المسيح- إلى أنه ينزل في آخر الزمان، ولو كان هذا الأمر صحيحاً، لكان من المفترض أن يُشار إليه بوضوح، لأنها مسألة مصيرية وحاسمة في مسيرة الرسالات ومستقبل البشرية.

فإنه يمكن أن يُردّ عليه بأن الآية الأخيرة من قوله «تعالى»: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا، وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(٤) هي في معرض الإشارة إلى هذا الحدث.

ولكننا إذا رجعنا إلى أقوال المفسرين بهذا الصدد فسنجد بينهم اختلافاً في توجيهها، وقد أشار الطبرسي في تفسيره إلى هذا الاختلاف وعرض أقوالهم كالتالي:

١. ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٤، ص ٢٧.

٢. الطبراني: المعجم الكبير، ج ٢٤، ص ١٤٦.

٣. صحيح مسلم، ح ٢٤٠٤.

٤. النساء: ١٥٧-١٥٩.

١. كلا الضميرين يعودان إلى المسيح، أي ليس يبقى أحد من أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا ويؤمنن بالمسيح قبل موت المسيح إذا أنزله الله إلى الأرض وقت خروج المهدي في آخر الزمان لقتل الدجال، فتصير الملل كلها ملة واحدة، وهي ملة الاسلام الحنيفية دين إبراهيم «عليه السلام». وهذا مروي عن ابن عباس وأبي مالك والحسن وقتادة وابن زيد، وذلك حين لا ينفعهم الإيمان، واختاره الطبري، قال: والآية خاصة لمن يكون منهم في ذلك الزمان، ثم ذكر رواية علي بن إبراهيم وقال: وذكر أبو القاسم البلخي مثل ذلك، وضعف الزجاج هذا الوجه، قال: إن الذين يبقون إلى زمن عيسى «عليه السلام» من أهل الكتاب قليل، والآية تقتضي عموم إيمان أهل الكتاب إلا أن تحمل على أن جميعهم يقولون: إن عيسى الذي ينزل في آخر الزمان نحن نؤمن به.

٢. أن الضمير في ﴿يَه﴾ يعود إلى المسيح، والضمير في ﴿مَوْتِهِ﴾ يعود إلى الكتابي، ومعناه: لا يكون أحد من أهل الكتاب يخرج من الدنيا إلا ويؤمن بعيسى قبل موته إذا زال تكليفه وتحقق الموت، ولكن لا ينفعه الإيمان.

٣. المعنى: ليؤمنن بمحمد «صلى الله عليه وآله» قبل موت الكتابي.

أما ابن عاشور نفسه فقد أرجع الضمير في ﴿يَه﴾ إلى الرّفع، والضمير في ﴿مَوْتِهِ﴾ إلى أحد أهل الكتاب، وقال: (الظاهر أن الله يقذف في نفوس أهل الكتابين الشك في صحّة الصلب، فلا يزال الشك يخالج قلوبهم ويقوى حتى يبلغ مبلغ العلم بعدم صحّة الصلب في آخر أعمارهم تصديقاً لما جاء به النبي «صلى الله عليه وآله» حيث كذب أخبارهم فنفى الصلب عن عيسى) (١).

الحواريون

الحواريون

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(١).

استعمل القرآن الكريم مصطلح حواريين للدلالة على مجموعة من أنصار المسيح «عليه السلام» آمنوا به وأتبعوه وتعلمذوا على يديه ونصروه، فكانوا الأقرب إليه والأخص بمهمته الرسالية.

قال ابن منظور في لسان العرب: (الْحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حَارَ إِلَى الشَّيْءِ وَعَنَهُ حَوْرًا وَمَحَارًا وَمَحَارَةً وَحُوُورًا: رَجَعَ عَنْهُ وَإِلَيْهِ... «وَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ» أَيْ يَتَرَاوَعُونَ الْكَلَامَ.... وَالْحَوْرُ: أَنْ يَشْتَدَّ بَيَاضُ الْعَيْنِ وَسَوَادُ سَوَادِهَا وَتَسْتَدِيرُ حَدَقَتَهَا وَتَرْقُ جَفُونُهَا وَيَبْيِضُّ مَا حَوْلَ يَهَا... وَالْحَوَارِيَّاتُ مِنَ النِّسَاءِ: النِّقِيَّاتُ الْأَلْوَانُ وَالْجُلُودُ لِبَيَاضِهَا... وَالتَّحْوِيرُ: التَّبْيِيزُ)^(٢).

١. آل عمران: ٥٢-٥٣.

٢. ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٢١٩.

ومن هنا نجد أن مصطلح الحواريين قد يكون بلحاظ:

١. رجوعهم الدائم للمسيح «عليه السلام» لإيمانهم به، والتسليم لأمره.
٢. معنى التحوير، أي التبييض، فقد كان الحَوَارِيُّونَ قَصَّارِينَ يَقُومُونَ بتبييض الثياب^(١).
٣. أَنَّهُمْ أَخْلَصُوا وَنَقَّوْا مِنَ الْعُيُوبِ.

ولا نجد لهذا المصطلح حضوراً في الاستعمال المسيحي الديني الدارج، ويستعاض عنه بعنواني (التلاميذ) و (الرسل)، وكلاهما يُستعملان في ما هو أشمل من عنوان الحواريين، فبولس -مثلاً- رسول، ولم يكن حوارياً، بل عادى المسيح في عهد رسالته، وتحدثت الأنجيل عن التلاميذ السبعين الذين أرسلهم المسيح للتبشير بالرسالة ولم يكونوا بأجمعهم من الحواريين، بل وأطلق هذا العنوان أحياناً على ما يشمل بعض النساء ممّن آمن به واتبعنه وأخذن عنه تعاليمه.

ولابد أن ننتبه إلى أن المؤمنين برسالة المسيح على عهده كانوا أكثر من اثني عشر -وحتى من السبعين- بكثير، ولكن القرآن خص الحواريين من بين المؤمنين برسالته على عهده بالثناء والتأكيد على إيمانهم ومتابعتهم وتسليمهم ونصرتهم له، دون سائر معاصريه، كما جاء في آيات سورة آل عمران.

وقد اتفقت الروايات الإسلامية والنصوص الإنجيلية على أن عدد الحواريين اثنا عشر، ولكن القرآن الكريم لم يُشير إلى عددهم.

١. هذا الوصف غير دقيق، والثابت أن واحداً منهم فقط امتهن ذلك.

أما أسماؤهم بحسب الموروث المسيحي كالتالي:

١. سمعان (شمعون) الملقب بطرس

٢. أندراوس (أخو سمعان بطرس)

٣. يعقوب بن زبدي

٤. يوحنا بن زبدي

٥. فيلبس

٦. برثلماوس (نَثْنَائِيلَ بحسب إنجيل يوحنا)

٧. متى، واسمه لاوي

٨. توما (أي التوأم)

٩. يعقوب بن حلفي

١٠. سمعان القانوني

١١. يهوذا (تداوس) بن حلفي

١٢. يهوذا (سمعان) الاسخريوطي

• سمعان:

سمعان أو شمعون بن يونا، ولقبه بطرس، وبحسب الأنجيل الحاضرة والتراث الكنسي المشهور، فإن سمعان/شمعون (بطرس) هو رأس الحواريين الذي أوكّل إليه المسيح «عليه السلام» مهمة القيادة من بعده. وجاء تأكيد هذا الأمر في الأنجيل في مورددين، أحدهما قبل حادثة الصلب، والآخر بعد ما يعرف بعنوان (قيامه المسيح).

الحادثة الأولى بحسب رواية متى جاءت كالتالي: (قَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ سَمْعَانُ بَطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ»). فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «طُوبَى لَكَ يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنَ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيُّضًا: أَنْتَ بَطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأَعْطَيْكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرَبِّطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ»^(١).

وأما الحادثة الثانية -بعد قيامة المسيح ولقائه بهم في الجليل- فقد جاءت بحسب وصف إنجيل يوحنا كالتالي: (فَبَعْدَ مَا تَعَدَّوْا قَالَ يَسُوعُ لِسَمْعَانَ بَطْرُسَ: «يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ارْعَ خَرَايْفِي». قَالَ لَهُ أَيُّضًا ثَانِيَةً: «يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ارْعَ غَنَمِي». قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: «يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟» فَحَزَنَ بَطْرُسُ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: أَتُحِبُّنِي؟ فَقَالَ لَهُ: «يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «ارْعَ غَنَمِي...»^(٢).

وهو ما لم يقله المسيح «عليه السلام» لأحد من الحواريين، بما يعني تعيينه على رأس قائمة الحواريين من بعده كمسئول أوّل عن قيادة سائر الحواريين والمؤمنين من غيرهم، وعن التبشير ونشر الرسالة اليسوعية.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٦، ١٥-١٩.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢١، ١٥-١٧.

سمعان في الأصل يهودي من قرية (بيت صيدا) في شمال الجليل قرب بحيرة طبرية. يعتبر بطرس أول باباوات الكنيسة الكاثوليكية، وأن البابوات الكاثوليك من بعده هم نوابه.

وعمل في الوعظ والتبشير لمجتمعات متفرقة من المسيحيين الجدد سواء أكانوا من أصول يهودية أو وثنية من اليونان والرومان وغيرهم، في مناطق مختلفة من بلاد الشام وآسيا الصغرى وأوروبا، قبل أن يتجه إلى روما ليُعتبر بعد ذلك مؤسس كنيستها بعد أن أسس كنيسة أنطاكية، حيث قضى في روما نحو ٢٥ عاماً قبل أن يُقتل خلال اضطهاد المسيحيين الذي تم أيام الإمبراطور نيرون عام ٦٧ م. تنص التقاليد الكنسية أيضاً على أن بطرس قد صُلب رأساً على عقب أو على صليب مقلوب، كما وتذهب التقاليد الكنسية إلى اعتبار كاتدرائية القديس بطرس في الفاتيكان مثواه الأخير، وقد ادّعت تنقيبات حديثة دعم هذا الرأي، وهو ما أعاد تأكيد البابا بولس السادس بأبحاث مستقلة أخرى تمت عام ١٩٦٨ م، ولكن في البين قول أنه قُتل في الجليل بفلسطين.

يحتوي العهد الجديد على رسالتين منسوبتين لبطرس، إلا أن جمعاً من الباحثين المعاصرين يستنتجون أن بطرس ليس هو مؤلفها وأنها كتبت من قبل مؤلفين آخرين. وهناك العديد من الأناجيل المنسوبة له، من قبيل سفر أعمال بطرس، وإنجيل بطرس، ومواعظ بطرس، ورؤيا بطرس، غير أن الكنيسة اعتبرت أن هذه الأعمال ملفقة.

وقد أعطاه المسيح -بحسب الإنجيل- لقب بطرس، والكلمة تعني في الأرامية والعبرية (الصخرة)، ومن ذلك يأتي أيضاً اسم مدينة (البتراء)، نسبة إلى

الصخر. الكثير من المسيحيين البروتستانت لا يستعملون لقب القديس في الحديث عنه ويكتفون بلقب تلميذ أو رسول.

وعلى الرغم من كل هذا الزخم المعطى لسمعان بطرس من حيث المقام، إلا أن الأناجيل تظهره في صورة شخصية مهزوزة الإيمان حتى الساعات الأخيرة قبيل حادثة الصلب، كثيرة الشك في المسيح، وحتى جبانة! وهذه بعض تلك النصوص:

○ في قصة مشي المسيح على الماء والتي مرّت معنا نجد أن بطرس يطلب من المسيح أن يأمره بالقدوم كي يمشي هو على الماء أيضاً، ولكنه سرعان ما فقد إيمانه فيه ففرق: (فَاجَابَهُ بَطْرُسُ وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِن كُنْتَ أَنْتَ هُوَ، فَمُرْنِي أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ عَلَى الْمَاءِ». فَقَالَ: «تَعَالَ». فَנَزَلَ بَطْرُسُ مِنَ السَّفِينَةِ وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ لِيَأْتِيَ إِلَى يَسُوعَ. وَلَكِنْ لَمَّا رَأَى الرِّيحَ شَدِيدَةً خَافَ. وَإِذِ ابْتَدَأَ يَغْرُقُ، صَرَخَ قَائِلًا: «يَا رَبُّ، نَجِّنِي!». فَفِي الْحَالِ مَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ وَقَالَ لَهُ: «يَا قَلِيلَ الْإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَكْتَ؟»^(١).

○ في جلسة حوارية جمعت المسيح بالحواريين نبّههم إلى قرب رحيله عنهم: (ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لَتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ. فَأَخَذَهُ بَطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهَرُهُ قَائِلًا: «حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لَا يَكُونُ لَكَ هَذَا» فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبَطْرُسَ: «اذهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْتَرِةٌ لِي، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ»^(٢).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٤، ٢٨-٣١.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٦، ٢١-٢٣.

٥ وهكذا نجد المسيح يوجّه كلاماً فيه شيء من اللوم والعتب حيث يقول لبطرس قبيل محاولة القبض عليه لقتله: (كُلُّكُمْ تَشْكُونَنِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ. وَلَكِنْ بَعْدَ قِيَامِي أَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ). فَأَجَابَ بَطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «وَأَنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَإِنَّا لَا أَشْكُ أَبَدًا». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دَيْكَ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». قَالَ لَهُ بَطْرُسُ: «وَلَوْ اضْطَرَرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لَا أَنْكَرُكَ!» هَكَذَا قَالَ أَيْضًا جَمِيعُ التَّلَامِيذِ (١).

ولكن -بحسب رواية متى- فقد تحقق ما أخبر به المسيح، وتكرّر إنكار بطرس لمعرفته بالمسيح ثلاث مرات خوفاً من انفصاح أمره بأنه من الحواريين أشد الإنكار، وأقسم ولعن، ولكن ما أن انتهى المشهد حتى كان الأمر كالتالي: (فَتَذَكَّرَ بَطْرُسُ كَلَامَ يَسُوعَ الَّذِي قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدَّيْكَ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا) (٢). وقد مرت معنا هذه الحادثة في أثناء عرض مسألة الصلب والقيامة.

• أندراوس:

أندراوس بن يونا، ويلقب عند الأورثوذكس (أَوَّلُ المدعوين). واسم أندراوس يعني الرجل، وهو أخو سِمعان بطرس، وإذ يلقبه الأورثوذكس بأَوَّل المدعوين فنباحظ أنه -بحسب رواية يوحنا- أَوَّل من دعاه المسيح «عليه السلام» لاتباعه، فاستجاب له. تعتبره بعض الكنائس أكثر الحواريين قرباً للمسيح.

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢٦، ٣١-٣٥.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢٦، ٧٥.

ويذكر يوحنا في روايته للإنجيل أن أندراوس كان في الأصل من أتباع النبي يحيى (يوحنا المعمدان) «عليه السلام»، وأنه دعا أخاه سمعان لاتباع المسيح: (كَانَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سَمْعَانَ بُطْرُسَ وَاحِدًا مِنَ اثْنَيْنِ اللَّذَيْنِ سَمِعَا يُوحَنَّا وَتَبِعَاهُ. هَذَا وَجَدَ أَوَّلًا أَخَاهُ سَمْعَانَ، فَقَالَ لَهُ: «قَدْ وَجَدْنَا مَسِيًّا» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: الْمَسِيحُ. فَجَاءَ بِهِ إِلَى يَسُوعَ) (١).

ونجد لأندراوس حضوراً في إنجيل يوحنا أوضح من حضوره في سائر الروايات الثلاث، ويتواصل مع المسيح في أكثر من قضية، ومن بينها: (وَكَانَ أَنَاسُ يُونَانِيُّونَ مِنَ الَّذِينَ صَعِدُوا لِيَسْجُدُوا فِي الْعِيدِ. فَتَقَدَّمَ هَؤُلَاءِ إِلَى فِيلِبُّسَ الَّذِي مِنْ بَيْتِ صَيْدَا الْجَلِيلِ، وَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: «يَا سَيِّدُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ» فَاتَى فِيلِبُّسَ وَقَالَ لِأَنْدَرَاوُسَ، ثُمَّ قَالَ أَنْدَرَاوُسُ وَفِيلِبُّسَ لِيَسُوعَ) (٢).

بحسب المؤرخ الكنسي أوسابيوس القيصري (٢٧٥ - ٣٣٩ م) فإن أندراوس قام بالتبشير بالمسيحية في آسيا الصغرى وسيكتيا (في كرواتيا) وعلى طول ساحل البحر الأسود حتى نهر الفولغا، لذلك فقد أصبح الشفيع الرئيس (٣) لكل من روسيا ورومانيا. ولذا أيضاً يُعدّ أندراوس أول أساقفة بيزنطة (القسطنطينية).

يُعتقد بأنه قُتل صلباً في مدينة (باتراس) في اليونان وكان صليبه على شكل حرف X وبسببه أخذ هذا الشكل من الصليبان لاحقاً اسم صليب القديس

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١، ٤٠-٤٢.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٢، ٢٠-٢٢.

٣. الشفيع -عند المسيحيين- هو الذي يعتبر راعياً للفرد أو للبلد فتُطلب الحاجات منه وتقدم إليه النذور ويُذكر عند الملمات والشدائد.

أندراوس، وبحسب التقليد الكنسي فإن جثمانه دُفن في مدينة باتراس وبعد ذلك نُقل منها إلى القسطنطينية ومن هناك نُقل مرة أخرى إلى بلدة سُميت باسم القديس أندراوس تقع على الساحل الشرقي لاسكتلندا^(١). وتحدث القصص الشعبية المحلية عن أن جثمانه بيع للرومان على يد الكهنة المحليين مقابل أن يُنشئ للرومان خزان مياه للمدينة، وفي السنين التالية حُفظ الجسد في مدينة الفاتيكان ولكنه أُعيد لمدينة باتراس اليونانية عام ١٩٦٤ م بأمر من البابا بولس السادس.

وكتاب (أعمال أندراوس) غير معترف به من قبل الكنيسة، ويُصنّف ضمن مجموعة الكتب التي تتحدث عن أعمال الرسل، ويحتمل بعض الباحثين أنه تمت كتابته في القرن الثالث للميلاد، وقد تم تنقيح هذا الكتاب ونشره بواسطة (قسطنطين فان تيشوندروف) في ألمانيا عام ١٨٢١ م.

• يعقوب الكبير:

يعقوب بن زَبْدِي الملقب (يعقوب الكبير) هو شقيق يوحنا الذي يُنسب إليه الإنجيل الرابع في العهد الجديد، وكلاهما من الحواريين. وهناك رأي بأن سالومة أمهما كانت أخت السيدة مريم العذراء والدة المسيح، فيكونان بذلك أولاد خالته ومن أقرباء النبي يحيى. لُقّب بالكبير لتمييزه عن رُسل وقديسين آخرين يحملون ذات الاسم. وكان للأخوين مقام خاص عند يسوع بحسب بعض الروايات الإنجيلية حيث اختصّهما المسيح مع بطرس ببعض الأمور كما مرّ معنا.

١. يلاحظ أن علم أسكتلندا يشتمل على الصليب بهيئة X تخليداً لصليب أندراوس.

تلقيًا دعوة يسوع أثناء وجودهما مع أبيهما عند المركب فقد كانا صيادين فتركا كل شيء وأصبحا من أتباعه وتلاميذه وحوارييه.

قُتل يعقوب بسبب إيمانه ومهامه التبشيرية قرابة عام ٤٤ م بأمر من الملك هيرودس أكريبا بن أريستوبولوس وحفيد هيرودس الكبير، وكان الملك هيرودس أكريبا قد تسلم الملك حديثاً وكان جلّ اهتمامه إرضاء اليهود في مملكته، لأجل ذلك بدأ باضطهاد أتباع الكنيسة الناشئة، وأمر بقتل يعقوب بالسيف، لأنه كان يعلم مكانته بالنسبة للمسيحيين، وبأنّ قتله سيشكل ضربة قوية لهم، وبحسب أوسابيوس القيصري فإن الجلال الذي نفّذ حكم الإعدام بحق يعقوب تأثر بشهادة ابن زبدي وكلامه عن المسيح واعتنق هو نفسه الديانة المسيحية. هناك روايات تتحدث عن أنه بشرّ في شبه الجزيرة الأيبيرية (أسبانيا والبرتغال) ثم عاد إلى فلسطين، ويدّعى أنه بعد قتله تم نقل رفاته إلى إسبانيا وأن جسده محفوظ هناك، كما يدّعى أيضاً أن جسده مدفون في كنيسة القديس ساتورنين في تولوز - فرنسا، والقولان بعيدان عن الصواب إلا إذا تمت إعادة الدفن بعد انتشار المسيحية بقرون، وقيام البعض بذلك رغبة في تميّز كنيسته وكسبها شرعية معينة، ولعله مجرد ادعاء وتم في مراسم معينة لذات الغرض كما هو حال رأس الإمام الحسين «عليه السلام».

• يوحنا الإنجيلي:

يوحنا بن زبدي ولقبه (الإنجيلي/الرائي/الحبيب)، (بالعبرية والآرامية يوحانون)، واسمه باليونانية والقبطية يوانس، وهو -كما ذكرنا- شقيق يعقوب الكبير.

بحسب التقليد المسيحي فإنه هو كاتب إنجيل يوحنا، لذلك يلقب بالإنجيلي، إضافة إلى الرسائل الثلاث التي تنسب إليه في العهد الجديد علاوة على سفر الرؤيا، ولذا يلقَّب بالرائي.

أشرنا في ترجمة أخيه أنه كانت له مكانة خاصة عند المسيح حيث اختصّه ببعض الأمور مع أخيه وبطرس. ويذكر إنجيل يوحنا أنه كان الحواري الوحيد المتواجد عند أقدام المسيح تحت الصليب، وأن المسيح طلب منه حينئذ الاعتناء بأمه السيدة مريم من بعده، والفرض -برأي البعض- أنها خالته، أخت أمه. تذكر المصادر المسيحية أن يوحنا بقي في فلسطين لاثني عشر عاماً، حتى إذا بدأ اضطهاد الملك هيرودس أكريبا للمسيحيين، توجه يوحنا إلى آسيا الصغرى وقام بمهامه التبشيرية فيها، ثم عاد إلى أورشليم/القدس وعقدوا فيها ما عرف بمجمع الرسل حوال عام ٥١ م. ففي رسالة بولس إلى (الغلاطيين) نجد أنه يتحدث عن زيارته لأورشليم/القدس والتقاءه ببطرس ويوحنا ويعقوب الصغير، وأنه سماهم بـ (أعمدة الكنيسة).

وتعتقد بعض الكنائس المسيحية بأن يوحنا انتقل وبرفقته السيدة مريم بنت عمران إلى مدينة أفسس (في تركيا حالياً)، حيث اعتنى بها حتى وفاتها، وأنه أُلقي القبض عليه من قبل السلطات الرومانية ونُفي إلى جزيرة بطمس اليونانية حيث كتب هناك سفر الرؤيا. وتضيف المصادر المسيحية أنه الوحيد الذي مات موتة طبيعية بين الحواريين الاثني عشر بعد أن امتد به العمر، وذلك في حدود سنة ٩٨م، وأن قبره موجود في سلجوق التركية القريبة من أفسس التاريخية.

• فيلبس:

فيلبس. كان مثل بطرس وأندراوس من سكان بيت صيدا الواقعة على بحيرة طبرية، وبحسب إنجيل يوحنا فإن المسيح دعاه ليكون واحداً من أتباعه، ثم قام -بدوره- بدعوة نثنائيل، وقد أشرت من قبل أن نثنائيل وبرثولماوس -الآتي ذكره- قد يكونان نفس الشخص.

ورد ذكر فيلبس في الأناجيل ولكن بشكل شبه هامشي. وبعد المسيح، قام فيلبس فبشّر في الجليل ثم بلاد اليونان وسورية وبعض نواحي آسيا الصغرى. تذكر بعض المصادر الكنسيّة أن حاكم مدينة (فيريجا) -في تركيا- مع رئيس كهنة الأوثان أمرا بقتل فيلبس وبرثولماوس صلباً، وأثناء صلبهما تزلزلت الأرض بقوة كبيرة، فنجّا برثولماوس تحت ضغط الناس، بينما توفّي فيلبس.

• برثولماوس:

(برثولماوس / برثولماي في الآرامية) ويبدو أنه نفس نثنائيل المذكور في إنجيل يوحنا، ففي الأناجيل برواية متى ومرقس ولوقا يُذكر اسما الحواريين فيلبس وبرثولماوس معاً بشكل دائم، وفي المقابل فإن إنجيل يوحنا يقرن بين فيلبس ونثنائيل على الدوام، ولا يذكر شيئاً عن برثولماوس، ومن هنا قيل باتحادهما، وأن اسمه نثنائيل، واسم والده تولماي، فدعي (برثولماي) أي ابن تولماي، وباللغوية (برثولماوس).

وتعتقد الكنيسة السريانية أن اسمه الحقيقي (يشوع)، وأنه اضطر إلى أن يتخذ له اسماً آخر وهو نثنائيل أو برثولماوس ليميّز نفسه عن المسيح.

كان من اليهود، ويبدو من إنجيل يوحنا أنه كان -مع فيلبس- من أتباع النبي يحيى، وهذا ما يرشدنا إليه النص التالي الذي يدور في أجواء تعميد المسيح على يد يحيى «عليهما السلام» في الأردن وبداية البعثة: (فِي الْغَدِ أَرَادَ يَسُوعُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْجَلِيلِ، فَوَجَدَ فِيلِبُّسَ فَقَالَ لَهُ: «اتَّبَعْنِي». وَكَانَ فِيلِبُّسُ مِنْ بَيْتِ صَيْدَا، مِنْ مَدِينَةِ أَنْدَرَاوَسَ وَبَطْرُسَ. فِيلِبُّسُ وَجَدَ نَتْنَائِيلَ وَقَالَ لَهُ: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءُ يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ». فَقَالَ لَهُ نَتْنَائِيلُ: «أَمِنْ النَّاصِرَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟» قَالَ لَهُ فِيلِبُّسُ: «تَعَالَ وَانْظُرْ». وَرَأَى يَسُوعُ نَتْنَائِيلَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ عَنْهُ: «هُوَذَا إِسْرَائِيلِيُّ حَقًّا لَا غَشٍّ فِيهِ». قَالَ لَهُ نَتْنَائِيلُ: «مَنْ أَيْنَ تَعْرِفُنِي؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «قَبْلَ أَنْ دَعَاكَ فِيلِبُّسُ وَأَنْتَ تَحْتَ التَّيْنَةِ، رَأَيْتُكَ». أَجَابَ نَتْنَائِيلُ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «هَلْ آمَنْتَ لِأَنِّي قُلْتُ لَكَ إِنِّي رَأَيْتُكَ تَحْتَ التَّيْنَةِ؟ سَوْفَ تَرَى أَعْظَمَ مِنْ هَذَا» وَقَالَ لَهُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الْآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَمَلَائِكَةُ اللَّهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الْإِنْسَانِ»^(١).

ونجد في نهاية إنجيل يوحنا أن برثلماوس كان من الحواريين الذين التقوا بالمسيح على ضفة بحيرة طبرية بعد ما يُعرف بعنوان (قيامة المسيح)، كما ويظهر في سفر أعمال الرسل أنه شهد صعوده إلى السماء.

بشّر في بلاد اليمن، وقيل بل في الهند، أو فيهما معاً. وتذكر المصادر المسيحية الأرمنية أن برثلماوس بشّر برفقة الحواري تداوس في بلاد أرمينيا، ولذلك

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١، ٤٣-٥١.

اعتُبراً فيها الشفيعين الرئيسين للكنيسة الأرمنية الرسولية^(١). وتذكر بعض المصادر أنه قُتل في أرمينيا، وقبل أن يُقتل سُلخ جلده وهو حي ثم صُلب رأساً على عقب، ولذا غدا برثولماوس شفيعاً لدبّاغي الجلود! أقيم على قبره دير القديس برثولماوس في ولاية (واسبونور) الأرمنية.

• متى:

اسمه لاوي، وحين اتّبع المسيح تم تغيير اسمه إلى متى أو لُقّب به، وهو اختصار للاسم العبري (مثنيا) الذي يعني (عطية يهوه)، أو (عطية من يهوه). ويلقّب بالإنجيلي بلحاظ أنه كاتب إنجيل متى، ويلقّب بالعشار بلحاظ مهنته قبل إيمانه بالمسيح، حيث كان (عشاراً) أي جابياً للضرائب في مدينة كفرناحوم، وكان اليهود يحتقرون مهنة الجباية وكل من كان يعمل فيها، لأنّ العشارين كانوا يجمعون الضرائب لصالح المحتل الروماني الوثني. جاء تغيير اسمه للدلالة على أنه أصبح إنساناً جديداً غير ذاك العشار المبعوض. لا يُعلم بالضبط كيف وأين قُتل، ولكن بعض القصص التراثية تروي أنه بُشر في إثيوبيا وقُتل فيها بسبب ذلك، وقيل بل قُتل في مدينة هيرابوليس اليونانية (في تركيا حالياً). تدّعي بعض المصادر المسيحية أن جثمانه كان في بلدة (كاباتشيو) في منطقة (كامبانيا) الإيطالية، وفي القرن العاشر الميلادي نُقل إلى مدينة (ساليرنو) عاصمة كامبانيا، وأنه محفوظ الآن في سرداب أسفل إحدى الكاتدرائيات هناك.

١. يُطلق على الكنيسة لقب الرسولية بلحاظ أن تأسيسها قد تم على يد أحد الحواريين، أو أحد الرسل بالمعنى الأعم كالرسول بولس مثلاً.

• توما:

توما/ يهوذا توما ديديموس. توما بالآرامية تعني التوأم. كرّر إنجيل يوحنا الحديث عنه، بينما اكتفت سائر الأناجيل بذكر اسمه ضمن قائمة الحواريين. من بين الموارد التي ذكرها يوحنا عنه، حادثة موت العازر، حيث طلب الحواريون من المسيح أن لا يذهب إلى قرية المتوفى الواقعة بالقرب من أورشليم/ القدس خوفاً عليه من اليهود المتربّسين لقتله، ولكن المسيح كان مُصرّاً على الذهاب ليُحيي صاحبه العازر من الموت، فكان لتوما الكلمة الفصل بين التلاميذ عندما قال لهم: (لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضاً لِكَي نَمُوتَ مَعَهُ) (١) مما يدل على تفانيه وشجاعته.

ويذكره يوحنا مرة أخرى ضمن الأحداث اللاحقة لما يُعرف بقيامة المسيح حيث التقى بالحواريين في (عُلْيَا = غرفة في الدور الثاني من البيت، أو ما فوق ذلك) ولم يكن توما متواجداً فيها، فشك لاحقاً في كلامهم وقال: (إِنْ لَمْ أَبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعُ إصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعُ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لَا أُوْمِنُ) (٢). وبعد مرور ثمانية أيام واللقاء المجدد بين الحواريين والمسيح قال له: (هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِناً) ولما صدق ما رآته عيناه قال له: (لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا) (٣).

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١١، ١٦.

٢. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢٠، ٢٥.

٣. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢٠، ٢٧.

ذكر أنه بشر بعد المسيح في مدينة (الرّها) بشمال شرق سورية ودُفن فيها، ورُوي أنه بشر في نواح من إيران الحالية، بل وفي الهند، وفيها قُتل بالرماح على يد كهنة الأوثان، ولذا يَكُنّ له مسيحيو الهند احتراماً كبيراً ويعتبرونه شفيع بلادهم وخاصة الهنود الذين يتبعون الكنيسة السريانية ويسمّون أنفسهم بمسيحيي (مار توما)، ويؤمنون بأنّ كنيستهم أسست من قبله.

من بين المخطوطات المكتشفة في نجع حمّادي يوجد إنجيل باللغة القبطية يحمل اسمه، وترجع كتابة النسخة إلى القرن الخامس الميلادي.

• يعقوب بن حلفي:

يعقوب بن حلفي، ويُلقّب بـيعقوب الصغير تمييزاً له عن يعقوب بن زبدي الملقب بـيعقوب الكبير. آمن بالمسيح هو وأخوه (يهوذا تدّاوس) الذي سنأتي على ذكره في العنوان التالي. يرى البعض أن متى بن حلفي أخوهما أيضاً. لا يُعرّف الكثير عن حياته وعن عمله التبشيري، واختُلف في سبب موته، فقيل أنه قُتل على يد اليهود في أورشليم/القدس رجماً على يد اليهود المتشددين، وقيل بل قُتل صلباً في جنوب مصر حيث كان يعظ بالإنجيل. ويظهر في اللوحات الفنية حاملاً عصاة كانت تُستعمل في ضرب الأقمشة والثياب أثناء عملية الغسل والتطهير لتنقيتها من البول والشوائب، وهي من معاني كلمة (حواريين) كما ذكرت في البداية.

• يهوذا تدّاوس:

يهوذا تدّاوس/لبّاوس بن حلفي، شقيق الحواري يعقوب الصغير. استناداً

لرأي الكنيسة الأرمنية، فإن تدّاوس مع الحواري سمعان القانوني أدخلها المسيحية إلى أرمينيا. يعتبر تدّاوس في الكنيسة الكاثوليكية شفيع القضايا الميؤوس منها، ويصوّر في الأعمال الفنية غالباً وهو يحمل فأساً، حيث يُعتقد بأنه قُتل بقطع رأسه بواسطة هذه الأداة، وفي أعمال أخرى يُرسم وهو ممسكٌ برسالته، رسالة يهوذا، وهي من ضمن أسفار العهد الجديد وتُسبب إليه.

ولا تذكر الأناجيل أي أمر عنه سوى ما جاء ضمن أحداث ما يعرف بعنوان العشاء الأخير، حيث وجّه سؤالاً للمسيح. رجع إلى أورشليم/القدس عام ٦٢ م بعد أن غادرها بسبب اضطهادات هيرودس للمسيحيين، واشترك هناك في انتخاب شقيقه سمعان كأسقف على أورشليم/القدس. وفي البين رواية كنسية أخرى تقول بأنه بشر بالمسيحية في عموم فلسطين وآدوم (من الأردن) وسورية وبلاد ما بين النهرين وليبيا وأرمينيا، ورواية ثالثة تذهب إلى أنه زار بيروت والرّها، وقُتل في بلاد فارس (إيران).

بحسب الكنيسة الأرمنية، فإنّ هذا الرسول قُتل في سبيل إيمانه مع زميله سمعان القانوني حوالي عام ٦٥ م، وبعد موته نُقل ما يُعتقد بأنه جسده إلى روما ووضع في بازيليك (كاتدرائية) القديس بطرس.

• سمعان القانوني:

سمعان/شمعون القانوني، ويلقب أيضاً بالغيور كترجمة لكلمة (قانوني)، أو أنه لُقّب بذلك بلحاظ أنه من بلدة (قانا). والاسم سمعان مشتق من كلمة (سمع) التي تحمل نفس المعنى في اللغة العربية. نادراً ما يُذكر في المصادر المسيحية الأولى، بما في ذلك الأناجيل، ولذا فإن الغموض يكتنف سيرته.

في التقليد الكنسي يُذكر سمعان غالباً مع يهوذا تدّاوس على أنهما كانا يبشّران معاً في بلاد فارس وأرمينيا حيث قُتلا هناك في سبيل إيمانهما، ونُشر هو بالمنشار. روايات أخرى تقول بأنه بشّر في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ووصل بريطانيا، ومات فيها.

• يهوذا الإسخريوطي:

ويسمّى أيضاً يهوذا سمعان الإسخريوطي، ومعنى (يهوذا) في العبرية (حمّد)، ويُنسب إلى مدينة تُسمى قريوط أو قريوت جنوب فلسطين، ولعلها تسمّى الآن (خربة القريتين)، والسابقة (إس/إش) للدلالة على معنى (رجل)، ولذا يقال الإسخريوطي، أي الرجل المنتسب إلى هذه المدينة، كما يقال (عربيّ، شاميّ، مصريّ) مثلاً.

كان كتبة الأناجيل يركّزون على ذكر لقبه لتمييزه عن الرسول يهوذا تدّاوس، كما ويذكر بلقب (المسلّم) لأنه سلّم المسيح للمتأمّرين ضده، فبحسب الأناجيل الموجودة في العهد الجديد، فإنّ يهوذا الإسخريوطي هو الحواريّ الذي خان يسوع وسلّمه لليهود مقابل ثلاثين قطعة فضة، وندم على فعلته لاحقاً، فردّ المال لليهود وانتحر.

كان المسيح قد أوكل ليهوذا الإسخريوطي مهمّة أمين صندوق المال الخاص به وبالحواريين والعمل الرسالي، واتّهمه إنجيل يوحنا بالسرقة من الصندوق. والنص كالتالي: (ثُمَّ قَبْلَ الْفَصْحِ بَسِطَ أَيَّامَ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنِيَا... فَأَخَذَتْ مَرِيَمُ) أخت العازر الذي أحياه المسيح (مَنَا مِنْ طِيبِ نَارِدِينَ خَالِصٍ

كَثِيرِ الثَّمَنِ، وَدَهَنْتَ قَدَمَيَّ يَسُوعَ، وَمَسَحْتَ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا، فَامْتَلَأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطَّيِّبِ. فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَهُوَ يَهُوذَا سَمْعَانُ الْإِسْخَرْيُوطِيُّ، الْمَزْمُوعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ: «لِمَاذَا لَمْ يَبِيعَ هَذَا الطَّيِّبُ بِثَلَاثِمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ؟» قَالَ هَذَا لَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ، بَلْ لِأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا، وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ) أَي أَنَّهُ أَرَادَ تَحْرِيزَ الْمَسِيحِ عَلَى بَيْعِ الطَّيِّبِ لِكَيْ يَسْرِقَ مِنْ ثَمَنِهِ لَاحِقًا (فَقَالَ يَسُوعُ: «أَتْرَكُوهَا! إِنَّهَا لِيَوْمٍ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظْتَهُ، لِأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ»^(١)).

يؤمن جماعة من الغنوصيين/العرفانيين المسيحيين بأن يهوذا برئ من تهمة الخيانة، وبأنه إنما قام بفعلته تلك لخدمة سيده المسيح. وتذهب جماعة القانونيين الغنوصية إلى أبعد من ذلك، فتُبجِّل شخص يهوذا وتحاول التوفيق بين اتهامه بالخيانة وبين حسن نيته وعمله وإخلاصه للرسالة، إذ تعتبر أن قيامه بتسليم يسوع للموت كان لغاية نبيلة وهي تخليص العالم من الخطيئة، لذلك يجب احترام وتقديس يهوذا، بل وشكره على مساعدته المسيح، فيهوذا عَلمَ بأنَّ يسوع كان خائفاً مما هو مُقدِّم عليه، فخشي أن يتراجع نهائياً عن فداء البشر، لذلك خانته وسلَّمه لرؤساء الكهنة لكي لا تُعاق عملية الخلاص!

• الحواريون في القرآن:

مع ثناء القرآن الكريم على الحواريين أكثر من مرة وذكرهم بصفات مميزة، إلا أن آيات إنزال المائدة تحتاج إلى وقفة تحليلية، إذ قد يقال بأنها تشير إلى عدم كمال إيمانهم، لاسيما بلحاظ بعض الكلمات الواردة في البيان

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٢، ١-٨.

القرآني للحدث: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ، إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ، قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

أما العبارات التي يفهم منها الثناء عليهم في هذه الآيات، فكما يلي:

○ ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ من خلال المسيح - كما يبدو - لا بشكل مباشر.

○ ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ وذلك استجابة للأمر الإلهي المتقدم في قوله: ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾.

ثم هناك عبارات قرآنية أخرى تُتني عليهم، وهي كالتالي:

○ في سورة الصف: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ وقد قدمهم الله «تعالى» مثلاً للمؤمنين ليقصدوا بهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٢).

○ في سورة آل عمران: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ وجاء ذلك

١. المائدة: ١١١-١١٥.

٢. الصف: ١٤.

استجابة لنداء المسيح تمييزاً للمؤمنين به عن أولئك الذين كفروا به وبرسالته: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾^(١) والحديث عن بني إسرائيل بلحاظ قوله «تعالى»: ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٢). ويبدو أن هذا الموقف هو ذاته المشار إليه في آية سورة الصف.

وتقابلها العبارات التالية ضمن قصة إنزال المائدة، وفيها ما قد يدل على وجود خلل في إيمانهم، وفي الصورة السابقة المقدمة عنهم كأنصار للمسيح: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾. فالتساؤل حول قدرة الله على هذا الأمر وهم قد شاهدوا آيات (معاجز) المسيح الباهرة كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ليثير التساؤل حول عمق إيمانهم. كما أن نسبة الرب إلى المسيح ولم يقولوا (ربنا) يزيد من قوة التساؤل السابق.

○ قول المسيح لهم على إثر طلبهم ومضمون سؤالهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فالأمر بالتقوى بهذه الصورة وتعليقه على الإيمان قد يستفاد منه الانزعاج من الطلب وعدم تناسبه مع ادعائهم بأنهم قد آمنوا به وبالله وبرسالته وأنهم أتباعه وأنصاره.

○ قولهم: ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَضْمِنَ قُلُوبُنَا﴾، وذلك في ضمن الرد على أمر المسيح لهم بالتقوى، وكمبرر من المبررات التي قدموها لطلبهم الغريب. وكلامهم هذا يدل على تقديمهم الغرض الشخصي على الغرض الإيماني

١. آل عمران: ٥٢-٥٣.

٢. آل عمران: ٤٩.

والمعنوي، والفصل بينهما، بحيث أنهم لو قالوا (نريد أن نأكل منها فتطمئن قلوبنا) لكان مبرراً معقولاً ومقبولاً.

○ وهكذا قولهم في ضمن الرد: ﴿وَنَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾، إذ يفهم منه أنهم لم يبلغوا -بعد- مرتبة العلم بأن المسيح صادق في ادعائه النبوة والرسالة، أو في ما جاء به من آيات (معاجز) سابقة، وكأن المسألة -ككل- بالنسبة إليهم ظنية، فقد كان اليهود من أعداء المسيح يتهمونه بالسحر والخداع والاستعانة إبليس وخدمته له حين كان يأتي بتلك الآيات (المعاجز).

○ التهديد الإلهي العنيف جداً والوارد بعد ذلك عند الاستجابة لدعاء المسيح «عليه السلام» بإنزال المائدة حيث قال «تعالى»: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ كأنه مؤشِّر على الغضب الإلهي من طلبهم الذي لم يكن في محله، وأن ما سبق من آيات تحققت على يد المسيح كان كافياً للإيمان به وبرسالته وبقدرة الله «سبحانه»، بل وليكونوا من الشاهدين على صدقه، فما بالهم قد طلبوا هذه الآية. ولذا فإنهم إن كفروا بعد هذه الآية، فسيكون العذاب النازل بهم بهذه الشدة: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

وقد ذكر العلامة الطباطبائي عدة آراء في توجيه سؤالهم حول استطاعة الله أن ينزل تلك المائدة، ونذكرها كالتالي:

١. الأكثر على أن المراد به غير ما يتبادر من ظاهره من الشك في قدرة الله «سبحانه» لنزاهة ساحتهم من هذا الجهل السخيف. وأوجه ما يمكن أن يقال هو أن الاستطاعة في الآية كناية عن اقتضاء المصلحة ووقوع الإذن، كما

أن الإمكان والقدرة والقوة يكتنّى بها عن ذلك كما يقال: «لا يقدر الملك أن يصغي إلى كل ذي حاجة» بمعنى أن مصلحة الملك تمنعه من ذلك وإلا فمطلق الإصغاء مقدور له، ويقال: «لا يستطيع الغني أن يعطي كل سائل» أي مصلحة حفظ المال لا تقتضيه، ويقال: «لا يمكن للعالم أن يبيت كل ما يعلمه» أي يمنعه عن ذلك مصلحة الدين أو مصلحة الناس والنظام الدائر بينهم، ويقول أحدنا لصاحبه: «هل تستطيع أن تروح معي إلى فلان؟» وإنما السؤال عن الاستطاعة بحسب الحكمة والمصلحة لا بحسب أصل القدرة على الذهاب.

٢. هذا السؤال لأجل تحصيل الاطمئنان من خلال المشاهدة بالعين، لا للشك في قدرة الله «سبحانه»، فهو مثل قول النبي إبراهيم «عليه السلام» فيما حكى الله «تعالى» عنه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَظْمِنَ قَلْبِي﴾^(١).

٣، هو سؤال عن الفعل لا القدرة عليه، أي هل يفعل الله ذلك؟

٤. في الكلام حذف تقديره: هل تستطيع سؤال ربك؟ والمعنى: هل تستطيع أن تسأله من غير صارف يصرفك عن ذلك؟

٥. الاستطاعة هنا بمعنى الإطاعة والمعنى: هل يطيعك ربك ويجيب دعائك إذا سألته ذلك.

ولم يرض العلامة الطباطبائي أياً من هذه التوجيهات، عدا الأول منها حيث اعتبره الأوجه من بينها^(٢).

١. البقرة: ٢٦٠.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ٦، ص ٢٣٠-٢٣١.

وحول معنى فريدة هذا العذاب حيث قال «تعالى»: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ اعتبر العلامة الطباطبائي أن الوعيد هنا وإن كان وعيداً شديداً بعذابٍ بئس، لكن الكلام غير ناظر إلى كون العذاب فوق جميع العذابات والعقوبات في الشدة والألم، وإنما هو مسوق لبيان انفراد العذاب في بابه، واختصاصهم من بين الأمم به. أي هم وحدهم الذين سيعانون منه لأنهم طلبوا آية مختصة بهم، فهم وحدهم يتحملون تبعات كفرهم بها فيما لو وقع ذلك منهم^(١).

وبرأيي أننا لو التزمنا بأن آية إنزال المائدة هي ذاتها آية إطعام الخمسة آلاف رجل كما استقربنا ذلك، فسيكون طلبهم هذا مفهوماً، فالطعام المتوفر فعلاً عبارة عن خمسة أرغفة وسمكتين، وقد طلب منهم المسيح أن يُطعموا الناس منها، فاستغربوا، وأنى لهذه الكمية البسيطة أن تشبع الآلاف من الناس الجياع؟ لذا تساءلوا عما إذا كانت يد الغيب ستتدخل هنا لتحقيق الأمر بصورة إعجازية. فلما تحقق الأمر، أدّى ذلك بهم إلى بلوغ مرتبة أعلى من الإيمان والتصديق والاتباع والنصرة بالمستوى الذي أخبر عنه القرآن بشأنهم كما مر معنا، وكما في قوله «تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ ظَافِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ ظَافِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾^(٢).

١. الطباطبائي: الميزان، ج ٦، ص ٢٣٨.

٢. الصف: ١٤.

مصادر الكتاب

المصادر العربية

١. القرآن الكريم
٢. الكتاب المقدس
٣. ابن الأثير: أسد الغابة
٤. ابن الأثير: الكامل في التاريخ
٥. ابن حنبل: المسند
٦. ابن عاشور: التحرير والتنوير
٧. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم
٨. ابن كثير: قصص الأنبياء
٩. ابن منظور: لسان العرب
١٠. ابن منظور: لسان العرب
١١. ابن هشام: السيرة النبوية
١٢. أبورية: أضواء على السنة المحمدية
١٣. أبوسعدة: من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن
١٤. الألباني: الصحيح الجامع
١٥. الألوسي: روح المعاني
١٦. إمام محمد: حكم هيرودس الكبير على فلسطين ٤٠ - ٤٤ ق. م
١٧. إنجيل برنابا
١٨. إبيش: تطور الإنجيل
١٩. جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها
٢٠. الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين

٢٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة
٢٣. ديورانت: قصة الحضارة
٢٤. الرازي: التفسير الكبير
٢٥. رضا: تفسير المنار
٢٦. الرضي: نهج البلاغة
٢٧. الريشهري: ميزان الحكمة
٢٨. الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل
٢٩. سعدية بن دنيا: المسيحية وإشكاليات اللاهوت الفلسفي
٣٠. السواح: أَلغاز الإنجيل
٣١. السيوطي: الدر المنثور
٣٢. الشعراوي: تفسير الشعراوي
٣٣. صحيح البخاري
٣٤. صحيح مسلم
٣٥. الصدوق: الأمالي
٣٦. الصدوق: علل الشرائع
٣٧. الصنعاني: المصنف
٣٨. طابور: سلالة يسوع
٣٩. الطباطبائي: الميزان
٤٠. الطبراني: المعجم الكبير
٤١. الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن
٤٢. الطبري: جامع البيان
٤٣. الطبري: مسند علي
٤٤. عامري: محمد في الكتب المقدسة
٤٥. عدة من المؤلفين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس
٤٦. فرج: محاضرات في الدين المسيحي
٤٧. فضل الله: من وحي القرآن
٤٨. الفغالي: المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم

٤٩. فورست: يسوع المسيح خارج العهد الجديد مدخل إلى الأدلة القديمة
٥٠. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن
٥١. القمي: تفسير القمي
٥٢. الكليني: الكافي
٥٣. لوقا: المسيحية في الإسلام
٥٤. المازندراني: شرح أصول الكافي
٥٥. مجلة المنار
٥٦. المجلسي: بحار الأنوار
٥٧. مجمع الكنائس الشرقية: قاموس الكتاب المقدس
٥٨. محسني: بحوث في علم الرجال
٥٩. المفيد: إيمان أبي طالب
٦٠. موسوعة التفسير الموضوعي
٦١. الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد
٦٢. ورام: تنبيه الخواطر
٦٣. ويتلر: الهرطقة في المسيحية

المصادر الأجنبية

1. Bart Ehrman, Lost Scriptures, books that did not make it into the New Testament.
2. George L. The Encyclopedia of Heresies and Heretics.
3. Gherardo Gnoli, Zoroaster in History.
4. Hugh Schonfield, The Passover Plot.
5. Josephus, Flavius, Jewish Antiquities.
6. Maas, Anthony J. (1913). "Origin of the Name of Jesus Christ"

مواقع الإنترنت

1. abouna.org
2. alkalema.net
3. arabic.islamicweb.com
4. aramean-dem.org
5. biblehub.com
6. daqaeq.net
7. dorar.net
8. epcear.com
9. info.wafa.ps
10. islamport.com
11. islamweb.net
12. khazarzar.skeptik.net
13. o.b5z.net
14. quran-m.com
15. safa.ps
16. saint-adday.com
17. st-takla.org
18. www.ancient-hebrew.org
19. www.antiochpatriarchate.org
20. www.britannica.com
21. www.christian-dogma.com
22. www.difa3iat.com
23. www.drghaly.com
24. www.enjeel.com
25. www.gnosis.org
26. www.gotquestions.org

27. www.hindawi.org
28. www.namb.net
29. www.namb.net
30. www.newadvent.org
31. www.orthodox.cn
32. www.pfander.uk
33. www.sacred-texts.com
34. www.scielo.org.za
35. www.scribd.com
36. www.sefaria.org
37. www.wuxialeague.com

